وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه (ل م د) في تاريخ المشرق الإسلامي في العصر الوسيط

الصراع العبيدي المالكي في الغرب الإسلامي بين القرنين 4هـ-6هـ

من إعداد
ماجي لخضر

إشراف أ.د:
بوكرديمي نعيمة

المناقشة بتاريخ 2024/04/17 من طرف اللجنة المكونة من:

الإسم واللقب	الرتبة الجامعة	الصفة
غربي بغداد	أستاذ جامعة حسيبة بن بوعلي –الشلف–	رئيسا
بوكرديمي نعيمة	أستاذ جامعة حسيبة بن بوعلي –الشلف–	مشرفا ومقررا
تازي عائشة	أستاذ محاضر أ جامعة حسيبة بن بوعلي –الشلف–	ممتحنا
مالكي فاطمة الزهراء	أستاذ جامعة حسيبة بن بوعلي –الشلف–	ممتحنا
قاسيمي بختاوي	أستاذ جامعة أبو بكر بلقايد –تلمسان–	ممتحنا
سحيري بغداد	أستاذ محاضر أ جامعة يحيى فارس – المدية	ممتحنا

الموسم الجامعي 1445/1444هـ-2024/2023م

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه (ل م د) في تاريخ المشرق الإسلامي في العصر الوسيط

الصراع العبيدي المالكي في الغرب الإسلامي بين القرنين 4هـ-6هـ

من إعداد
ماجي لخضر

إشراف أ.د:
بوكرديمي نعيمة

المناقشة بتاريخ 2024/04/17 من طرف اللجنة المكونة من:

الإسم واللقب	الرتبة الجامعة	الصفة
غربي بغداد	أستاذ جامعة حسيبة بن بوعلي -الشلف-	رئيسا
بوكرديمي نعيمة	أستاذ جامعة حسيبة بن بوعلي -الشلف-	مشرفا ومقررا
تازي عائشة	أستاذ محاضر أ جامعة حسيبة بن بوعلي -الشلف-	ممتحنا
مالكي فاطمة الزهراء	أستاذ جامعة حسيبة بن بوعلي -الشلف-	ممتحنا
قاسيمي بختاوي	أستاذ جامعة أبو بكر بلقايد -تلمسان-	ممتحنا
سحيري بغداد	أستاذ محاضر أ جامعة يحيى فارس - المدية	ممتحنا

الموسم الجامعي 1445/1444هـ-2024/2023م11111

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (18) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (19)}.

سورة الحشر

- شـــكر وعرفان

من جعل الحمد خاتمة النعمة جعلها الله فاتحه المزيد...

فالحمد لله على تمام فضله وإكرامه، وعلى سابغ إحسانه وإنعامه، وهو الذي بنعمته تتم الصالحات، وببركة عونه تتكامل الأعمال والحسنات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله.

نتقدم بجزيل بالشكر والعرفان إلى الأستاذة المشرفة بوكرديمي نعيمة، التي رافقتنا بالنصح والتوجيه وأرشدتنا إلى طرق البحث والتنقيب، ورافقتنا طوال حيثيات الموضوع، فلها جزيل الشكر والتقدير.

والشكر موصول لكل الأساتذة الذين درست على أيديهم منذ المرحلة الابتدائية إلى المرحلة الجامعية بكل من جامعة المدية والبليدة وجامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، ونخص بالذكر الأستاذ بغداد غربي على الدعم والنصائح التي لم يبخل علينا بها كلمّا احتجنا لذلك.

وإلى كل من ساعدنا من قريب أو بعيد في إتمام هذا العمل.

الإهداء

إلى عمي محمد وابن العم سعد رحمهما الله تعالى

إلى من كلّت أنامله ليقدم لنا لحظة سعادة

إلى من حصد الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم

إلى من أرضعتني الحب والحنان إلى من سهرت لنرتاح

إلى القلب الناصع البياض إلى الوالدين الكريمين

ربي ارحمهما كما ربّياني صغيرا

إلى وحيدتنا وقرة أعيينا أختي الكريمة ربي احفظها وارزقها ما تتمنى

إلى القلوب الطاهرة والنفوس البريئة رياحين حياتي إخوتي، إلى أخواتي كنائن العائلة كل باسمها

إلى من ملأت ضحكاتهم البريئة حياتي، براعم العائلة أبناء اخوتي وفلذات أكبادنا (أميرة، يونس، ألاء، سيف الدين، وليد، منال، شاهين، وإبراهيم)

إلى أولئك الذين يفرحهم نجاحنا ويحزنهم فشلنا من الأهل والأقارب والأرحام سواء القريب أو البعيد

إلى كل الأصدقاء ورفقاء الدرب الذين قاسمونا الحلو والمر وإلى كل الزملاء خلال فترة مزاولتنا للدراسة

قائمة المختصرات

الرمز	المعنى
(ت	توفي
ت	تحقيق
تر	ترجمة
م	ميلادي
هـ	هجري
ط	طبعة
ص	الصفحة
ج	الجزء
مج	مجلد
...	كلام مبتور
«...»	اقتباس
–	من، إلى
/	للفصل بين التاريخ الهجري/ والميلادي
(...)	أحاديث نبوية
{...}	الآيات القرآنية

المـــــــقدمـــــــــــــة

عرفت بلاد الغرب الإسلامي كغيرها من البلدان والبقاع الإسلامية، مختلف المذاهب العقدية والسياسية، حيث بدأت طلائعها بالظهور في المنطقة، منذ مطلع القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، وتفرق دعاة مختلف الفرق والطوائف الإسلامية، خلال هذه الفترة لنشر أفكارهم ومعتقداتهم، وساعدت البيئة المغربية على انتشار وتغلغل أفكار بعض هذه الفرق، لبعد بلاد الغرب الإسلامي عن مراكز حكم الخلافة الإسلامية، وحواضرها، وعن أعين وأعوان السلطة، والتي كانت متمركزة على الغالب في المشرق الإسلامي، أيضا مما ساهم في انتشار معتقدات بعض الفرق، الطبيعة التضاريسية لبلاد الغرب الإسلامي، وما تحتويه من جبال ومرتفعات، تساعد على التحصن والاحتماء بها، وصعوبة الوصول إليها، إضافة إلى طبيعة سكان المغرب الذين عرفوا بكثرة التقلبات، وعدم الخضوع والخنوع، خصوصا بعد السياسات الجائرة لبعض الولاة الممثلين للخلافتين سواء الأموية أو العباسية بعدها.

هذه المعطيات شكلت أرضا خصبة لبعض الفرق والجماعات الإسلامية، فاستطاعت التأسيس لبعض الكيانات السياسية بالمنطقة، مثل الشيعة والخوارج والمعتزلة، لكن الميزة المشتركة بينها، أنها كانت متمركزة في مناطق محدودة، ولم تستطع بسط نفوذها على جميع بلاد الغرب الإسلامي، لتعرف المنطقة بين القرنين الرابع والسادس الهجري/ العاشر والثاني عشر ميلادي، تحولات مذهبية كبرى، فبعد أن كانت منطقة ذات غالبية سنية، على الجانبيين الشعبي والسياسي، مع تمثيل لباقي المذاهب والفرق الإسلامية الأخرى، ونعني بذلك مذاهب الخوارج والشيعة، وأيضا المعتزلة بدرجة أقل وغيرها من الفرق، كانت بداية القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، رحلة لتحول كبير بالمنطقة، بدخول المذهب الشيعي الإسماعيلي ممثلا في الدولة العبيدية، والوصول بنفوذه إلى أقاصي الغرب الإسلامي، كان هذا النفوذ على حساب مذهب أهل السنة والجماعة، ممثلا في دولة الأغالبة الممثل الرسمي للخلافة العباسية، والنائب عنها بالمنطقة، ومذهب الخوارج، ممثلا في الدولتين الرستمية الإباضية، ودولة بني مدرار الصفرية، كما قضى على كيان آخر أقرب إليه من حيث المنبع، وهو الدولة الإدريسية العلوية بالمغرب الاقصى، وسجلت له محاولات للتوسع حتى على الأندلس، واحتكاك مع الدولة الأموية هناك.

نتج على هذا التحول احتكاك بين هذه الكيانات، على الصعيدين السياسي والعسكري وكذا الجانب الفقهي والمذهبي، كون أصل الخلاف بين جل هذه الكيانات فقهي عقدي، برز خلال هذه المرحلة العديد من الفقهاء المالكية، الذين أبانوا عن شكيمة قوية، وسعة علم وافر وثبات على الحق، رغم ما تعرضوا له من سياسات ترهيبية وترغيبيه طوال سنوات عديدة، فلم يثنهم ذلك عن الدفاع عن معتقداتهم المترسخة، وكانوا خير قيادة لشعب الغرب الإسلامي، في سبيل نصرة الحق وأصحابه، فوقفوا كالسد المنيع أمام المشروع الإسماعيلي الرامي إلى سلخ البلاد من انتمائها الإسلامي الحق، القائم على توحيد الله عز وجل، واتباع سنة رسوله الكريم صلوات الله عليه، وسنة صحابته الكرام رضوان الله عليهم أجمعين، لكن النخبة المغربية المالكية تفطنت لهذا المشروع منذ البداية، حتى قبل الجهر بحقيقة معتقداتهم وظهورها للعلن، فكان عملهم القضاء على المشروع منذ بدايته، ومن خلال هذا الطرح جاء عنوان دراستنا الموسوم ب: «الصراع العبيدي المالكي في الغرب الإسلامي بين القرنين 4هـ-6هـ»، والذي درسنا فيه الجانب الفقهي والمذهبي، دون إهمال الجانب السياسي والعسكري.

أهمية الموضوع:

والبحث في هكذا مواضيع له من الأهمية التاريخية، بدراسة تاريخ بلاد الغرب الإسلامي في تلك الفترة، وإبراز التضحيات التي قدمها أهالي الغرب الإسلامي، خاصة الفقهاء المالكية من أجل الذود عن الهوية المالكية السنية وثبيتها، وما كابدوه من أجل الدفاع عن شريعة الله في أرضه، وسنة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، والدفاع عن صحابته الكرام رضوان الله عليهم أجمعين، أمام الشيعة الإسماعيلية.

وعن أسباب اختيار الموضوع

مختلفة بين موضوعية وذاتية، أهمها دراسة مختلف التغيرات التي مرت بها بلاد الغرب الإسلامي، من الناحيتين السياسية والمذهبية، كون البحث ضمن مجموعة من الدراسات الأخرى، ضمن مشروع دكتوراه يضم عدة عناوين، في محاولة لتسليط الضوء على مختلف التغيرات السياسية والمذهبية، التي عرفتها منطقة الغرب الإسلامي، ودور مختلف الكيانات، سواء المذهبية أو العرقية -القبلية- في تشكيل القوى السياسية بالمنطقة وتغيراتها.

شغف ورغبة كل باحث في الاطلاع والاستزادة في كل ما يجهله، خاصة إذا كان موضوع الدراسة في نطاق الإقامة، وبالتالي للباحث انتماء وعلاقة بالموضوع، وبالتالي الاستفادة في الجانب العلمي والديني.

فهم ودراسة حقيقة الصراع بين الشيعة والسنة، خاصة أن هذا الصراع لازال مستمرا إلى الآن، وما كان له من أثر على الأمة الإسلامية، خاصة في منطقة الغرب الإسلامي، ومن خلال الإلمام بجوانب الموضوع، يغدو الباحث ذا زاد علمي مستند مختلف العلماء والمؤرخين وأصحاب الدراية وفقهاء الأمة من المنطقة، وبالتالي فهم الواقع وتفسير العديد من العادات والتقاليد وارتباطها التاريخي.

الاعتزاز بعلماء الأمة الإسلامية ككل، والمغاربة على وجه التحديد، وتبيان علو كعبهم ورسوخهم في الدين، للرد على الشبهات التي يحاول البعض زرعها، من أجل فصل الارتباط الديني والحضاري لبلاد الغرب الإسلامي، بمختلف الأقطار الإسلامية الأخرى.

وفيما يخص إشكالية الدراسة

البداية الإسماعيلية العبيدية بالغرب الإسلامي لم تكن صريحة، واستغلت حب المسلمين لرسولهم الكريم وآل بيته الأطهار، مستجدية عواطفهم بما تعرضوا له من محن ونكبات كان الرافضة هم السبب فيها، فاستطاعت تلك الدعوات حشد بعض المغرر بهم، وحديثي العهد بالإسلام، وحتى بعض الغيورين الذين غلبت عواطفهم على عقولهم، خصوصا مع فساد بعض السلطات الحاكمة، فكان نتاج ذلك التأسيس للكيان الشيعي بالمنطقة وتغلبه، والمشروع لم يكن ليتوقف عند هذا الحد، بل كان الهدف منه السيطرة على كل البلاد الإسلامية.

لم تقف النخبة المغربية، والمالكية منها خاصة صامتة أمام هذا الوضع، فعملت على جميع الجوانب من أجل صد انتشار المذهب الشيعي الإسماعيلي بالمنطقة، وتكاتفت جهودها رفقه عامة الناس، مقدمين في ذلك تضحيات جليلة وبطولات مشهود لها، وتجلت المقاومة السنية للمذهب الشيعي العبيدي الإسماعيلي في عديد النواحي، من خلال الرفض السني للدولة العبيدية ومذهبها ونبذهما.

وتجلت الإشكالية العامة للموضوع فيما يلي:

ماهي تجليات ومظاهر الصراع المذهبي في الغرب الإسلامي، بين مذهب أهل السنة والجماعة، ممثلا في المذهب المالكي من جهة، والمذهب الشيعي الإسماعيلي ممثلا في الدولة العبيدية؟

تبعتها عدة استفهامات وتساؤلات فرعية لمعالجة هذا الصراع وهي:

ما هو تاريخ انتشار وتواجد هذين المذهبين في هذا القطر الإسلامي؟ والعوامل التي ساعدت على تواجدهما وانتشارهما؟

ماهي المراحل التي مرت بها الدعوة العبيدية الشيعية بالمنطقة قبل قيام كيانها؟ وماهي الخطوط العامة لسياستها تجاه أهل المنطقة بصفة عامة، والمذاهب المخالفة خاصة المذهب المالكي؟

ومن منطلق الرفض السني المالكي للمذهب الشيعي العبيدي، يتجلى التساؤل التالي:

هل هناك اختلافات بين أصول المذهبين، أدت إلى الصدام بين السلطة العبيدية، وأتباع المذهب المالكي؟

وكون المنطقة لم تكن ممثلة في شخص أو سلطة معينة نبحث عن مختلف ردود الأفعال المختلفة للنخبة المالكية وفقهائها؟ والأساليب التي انتهجوها في الدفاع عن مذهبهم والحفاظ عليه بالمنطقة؟

وغداة انتقال السلطة العبيدية ناحية مصر ماهي مختلف الدوافع التي كانت سببا له؟ وماهي النتائج المترتبة عنه ؟ وهل أثمرت جهود الفقهاء المالكية وأساليبهم في العودة بالبلاد إلى المذهب السني ونبذ التشيع وتطهير المنطقة منه؟

الخطة المعتمدة في الدراسة

وللإجابة على هذه التساؤلات، وغيرها من الاستفهامات الفرعية حول الموضوع، كانت هذه الدراسة، والتي تم التركيز فيها على الجانب المذهبي وكل ما له صلة بذلك، سواء في الصراع الفكري، أو الصراع العسكري، من خلال إبراز دور الفقه المالكي فيه ومختلف الآراء حول ذلك، وعليه قمنا بصياغة بحثنا المتكون من مقدمة للموضوع، وأربعة فصول، تلتها خاتمة احتوت على مختلف النتائج المتوصل إليها، وذيلنا الدراسة بمجموعة من الملاحق.

فكان مستهل الدراسة مقدمة عامة للموضوع للتعريف بالبحث ومختلف العناصر والنقاط التي تم التطرق إليها، ثم فصل عن المذهبين المالكي والشيعي بصفة عامة، تم فيه التعريف بالمذهب المالكي، وضبط تعريفه اللغوي والاصطلاحي، إضافة الأصول التي يبنى عليها المذهب المالكي، وتاريخ تواجده بالغرب الإسلامي، والعوامل التي مهدت لظهوره وانتشاره حتى تغلبه على البلاد.

كما حاولنا التعريف بالمذهب الشيعي بصفة عامة، وتتبع تاريخه ومراحل تطوره، ثم أهم الفرق التي انضوت تحته، بالإضافة التعريف بالمذهب الإسماعيلي، وأهم أسسه التي يستند عليها باعتباره المذهب الرسمي للكيان المدروس في بحثنا.

أما عن الفصل الثاني فعالجنا فيه تاريخ الدولة العبيدية بالغرب الإسلامي، بدآ من مرحلة الدعوة والبواعث الأولى للتواجد العبيدي في البلاد، مرورا بمرحلة العمل العسكري والتمكين للدولة، حتى قيام الدولة وسيطرتها، ثم انتقلنا إلى دراسة شخصيات أئمة الدولة الذين حكموا المنطقة، بدأ من عبيد الله المهدي وهجرته من المشرق، حتى آخر الأئمة وهو المعز لدين الله العبيدي، دون أن نغفل عن معالجة موضوع النسب الفاطمي الذي زعموه، وعرضنا مختلف الآراء حول الموضوع بالمقارنة والنقد والتحليل، للخروج باستنتاج موضوعي حول الأمر، أيضا تناولنا مختلف السير التي انتهجها حكام الدولة العبيدية بالمنطقة، ونتائج ذلك وأهم الأحداث التي كانت في عهد كل واحد منهم.

وفي الفصل الثالث كان التركيز على لب الموضوع، ألا هو الصراع المذهبي المالكي العبيدي بالمنطقة، وتم فيه تبيان مختلف أسباب الاختلافات التي أدت إلى الصراع، سواء تلك المتعلقة بالجانب العقدي، أو التعبدي، وغيرها من الأسباب الأخرى، ثم انتقلنا إلى ردود الأفعال المختلفة لفقهاء المالكية، تجاه الوضع الطارئ على المنطقة، حتى وصلنا إلى الطرق والأساليب التي انتهجها الفئة التي رفضت التواجد العبيدي وقاومته بالمنطقة.

وفي الفصل الرابع أيضا كان ضمن جانب الصراع، لكن هذه المرة من خلال دراسة المراحل المختلفة للصراع السياسي والعسكري، في المنطقة مركزين على المشاركة السنية فيه في مختلف ربوع الغرب الإسلامي، بدأ بالمغربين الأدنى والأوسط وحتى المغرب الأقصى وبلاد الأندلس، ثم نتائج هذا الصراع وما آلت إليه الأمور بعد انتقال السطلة العبيدية ناحية

مصر، ومنه الانتقال المذهبي للبلاد والعودة بها إلى مذهب أهل السنة والجماعة، ممثلا في المذهب المالكي.

وأخير خاتمة كانت خلاصة الموضوع، وأهم النتائج المستقاة من البحث، وما تم التوصل إليه من نتائج خلال مراحل هذه الدراسة، وتوصيات حول آفاق البحث والجوانب التي يمكن الخوض فيها حول الموضوع.

أما عن الدراسات السابقة للموضوع

على حسب اطلاعي لا توجد دراسة شاملة لموضوع الصراع المالكي العبيدي، في بلاد الغرب الإسلامي ككل، بمختلف مناطقه بدآ بالشمال الإفريقي ممثلا في المغربين الأدنى والأوسط، والمغرب الأقصى، إضافة إلى الأندلس، لكن هناك العديد من الكتابات حول موضوع الدولة العبيدية، أو ما اصطلح عليه الدولة الفاطمية بالمغرب الإسلامي.

منها أطروحة دكتوراه تحت عنوان «**التمكين للمذهب المالكي بالمغربين الأدنى والأوسط خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي**» للباحث موسى هيصام بجامعة الجزائر، التي تناولت المراحل التي مر بها المذهب المالكي بالمنطقة، حتى التمكين له وغلبته على البلاد، مرورا بجوانب من الصراع السني الشيعي، في مرحلة قيام الدولة العبيدية وواقع المرحلة الانتقالية، غداة مغادرة العبيديين للمنطقة، كما تناولت دور السلطتين الزيرية والحمادية ومساهمتهما في نشر المذهب المالكي، ومن خلال اطلاعي على هذه الدراسة واستفادتي منها لاحظت عدم معالجة الباحث لبعض النقاط المهمة، ونخص بالذكر قضية النسب العبيدي، كما الدراسة شملت المغربين الأدنى والأوسط فقط، دون المغرب الأقصى والصراع العبيدي مع الدولة الأموية بالأندلس.

أيضا هناك مذكرة ماجستير، تحت عنوان «**استقلال المعز بن باديس الزيري عن الدولة الفاطمية**»، للباحث بن زاوي طارق من جامعة الجزائر أيضا، ومن عنوان المذكرة يتضح موضوع الدراسة، والذي اهتم بدراسة شخصية المعز بن باديس على وجه التحديد ودوره في العودة إلى المذهب المالكي بالمنطقة، كما شملت أيضا دراسة الدولة الزيرية الصنهاجية، وجوانب من الصراع العبيدي المالكي بالمنطقة.

أيضا هناك بعض الكتب والمؤلفات حول الموضوع، مثل الدولة الفاطمية للأستاذ محمد علي الصلابي، والتي اهتمت بدراسة جوانب من تاريخ الدولة العبيدية بالمنطقة، إضافة بعض مظاهر الصراع السني الشيعي، هذه أمثلة مما حصلنا عليه من دراسات قريبة من موضوعنا، إضافة إلى عديد المقالات المنشورة، والفصول ضمن بعض الكتب، حول جهود الفقهاء المالكية في الدفاع عن المذهب المالكي، والأساليب التي انتهجوها في ذلك، وما تعرضوا له من محن في سبيل الله، والدفاع عن عقيدة أهل السنة، سواء كانت هذه الدراسات لشخصيات محددة، وفي أزمنة ومناطق معينة، أو لعامة الفقهاء عبر مراحل من الزمن وضمن نطاق جغرافي واسع.

وعن الصراع الأموي العبيدي، على حد اطلاعنا لا توجد دراسة شاملة عن الموضوع أيضا، لكن هناك بعض المقالات المنشورة حول الموضوع، إضافة إلى دراسة مختصرة ضمن كتاب «**دراسات في تاريخ المغرب والأندلس**» لمختار العبادي، لكن كما قلنا هي دراسة مختصرة، ضمن كتاب يدرس عدة جوانب من التاريخ السياسي للغرب الإسلامي، عبر عدة مراحل.

المناهج الغالبة على الدراسة

لدراسة الموضوع دراسة أكاديمية عليمة، تم توظيف المنهج الوصفي، من أجل تتبع مختلف المراحل التي مرت بها الدراسة، ونقل مختلف الأحداث والمعارك، والصراعات التي حدثت بالمنطقة خلال فترة الدراسة.

إضافة إلى نقد وتعليل المادة المصدرية والتحليل، محاولا الوصول إلى الحقيقة التاريخية والنتائج المرجوة من البحث.

كما تم اللجوء إلى منهج المقارنة والمقابلة، في كثير من الأحيان خاصة فيما يخص الاختلافات في الأحكام والنصوص الشيعية والسنية والفرق بينهما.

مصادر ومراجع الدراسة

تم التعويل في كتابة هذا البحث على العديد من المصادر والمراجع، وأيضا الرسائل الجامعية والمقالات المختلفة ومن أهمها:

أولا: كتب الفرق والمذاهب:

نبدأ بكتاب «الفصل في الملل والأهواء والنحل»، لابن حزم الظاهري (ت456هـ/1065م)، والذي عاش بالأندلس وخالط أصحاب الفرق والديانات الأخرى كالنصرانية، وكانت له عديد المناظرات والمؤلفات، التي تعنى بالرد وتبيان شبهات الفرق والمذاهب، واستفدت منه كثيرا في التعريف بفرقة الشيعة وتفرعاتها وتاريخها.

وأبي حامد الغزالي(ت505هـ/1111م) في كتابه «فضائح الباطنية»، وهو رد على فرق الباطنية من الشيعة، والتي من ضمنها فرقة الإسماعيلية التي تمثل مذهب الدولة العبيدية بالمغرب، فكان ردا على بدعهم وضلالتهم، والطرق التي استخدموها في المكر والخداع، واستدراج عوام الناس لمذهبهم، والمحظورات التي وقعوا فيها حتى انسلخوا عن الإسلام جملة، ففضح الكتاب حقيقة معتقدهم وتلبيسهم على الإسلام والتحريف فيه.

والشهرستاني (ت548هـ/1153م)، في مؤلفه «الملل والنحل»، الذي يعد موسوعة علمية في مقارنة الأديان، فاحتوى مختلف الفرق والجماعات، والمذاهب الإسلامية والغير إسلامية، فكان عليه الاعتماد والثناء من العلماء قديما، وحديثا، فكان المعتمد عليه في الرد على بعض شبهات العبيديين.

الفرق بين الفرق للبغدادي (ت429هـ/1037م) وشدني إليه السهولة في الطرح والشمولية، فتحدث فيه عن المأثور في افتراق الأمة، ثم كيفية افتراقها، ثم يتحدث عن مختلف الفرق والجماعات وظلالتها حتى يصل إلى فرق ليس ن الإسلام وتنتسب إليه وخاتمة عن الفرقة الناجية، وغيرها من كتب الفرق والجماعات التي تبين مختلف الفرق والجماعات الإسلامية والاختلافات بينها «كمقالات الإسلاميين» للأشعري (ت324هـ/935م)، والأصبهاني أبي نعيم(ت369هـ/979م)، في مؤلفه «والإمامة والرد على الرافضة».

ثانيا: كتب الفقه والنوازل

كان لزاما في هذا البحث استخدام هذه الكتب لمعرفة الاختلافات الواردة بين عناصر البحث، وكذا الحكم الشرعي في كثير من الأمور الواردة، فطبيعة الدراسة خلاف بالدرجة الأولى بين فرقتين إسلاميتين، وسبب الرفض والصدام السني بالشيعة نابع من الاختلافات العقدية والأصولية بين الفرقتين، فكان الرد على هذه الفرقة ومواجهة بالحجة والبينة من الكتاب والسنة، لذلك لا يستغنى عن الكتب الفقهية في هذه الدراسة، هذا الأمر بالذات ما تعاملت معه بحذر كبير كون الموضوع متعلق بأمور الشرع فحاولت قدر المستطاع نقل أراء الفقهاء دون أي إضافات أو تعاليق قد تخل بالمقصود.

كان التعويل في الرد على شبهات وانحرافات الفرقة الإسماعيلية، على عالم معاصر للدولة ومن أهل المنطقة ألا وهو ابن أبي زيد القيرواني(ت386هـ/996م)، في مؤلفاته «النوادر والزيادات» «ورسالة ابن أبي زيد القيرواني» وايضا كتاب «الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ»، هذه الكتب احتوت على بعض الأحكام والفتاوي، فيما اختلف فيه القوم بل إن أغلب مؤلفات ابن ابي زيد، كان الهدف منها الرد على ضلالات العبيديين، وتبيان الحق لطلبة العلم وعامة المسلمين.

أيضا من الكتب التي عولت عليها كتابي «منهاج السنة النبوية» و«مجوع الفتاوي» لشيخ الإسلام ابن تيمية (ت728هـ/1328م) لسهولة التعامل مع مادته العلمية، ووضوح تعابيرها وشموليتها كما كتاب منهاج السنة أعطى حيزا لا بأس به، في الرد على انحرافات وضلالات الشيعية، وفي هذا المجال كان الاتكال عليها.

وكتاب المغني لابن قدامة المقدسي (ت620هـ/1223م)، ورغم أن الكتاب في الفقه الحنبلي، لكن لا خلاف كبير بين المذهبين المالكي والحنبلي، وإنما هي أمور فرعية واتفاقهم على نقد وإبطال ضلالات وزيغ الفرق والجماعات المنحرفة.

فكان دأبنا في كل أمر أحدثه بنو عبيد أو ألزموا الناس به مما صادفنا، أن نبحث عن الحكم الشرعي له من مصادر المذهب المالكي، فإن لم نوفق في ذلك، رجعنا إلى ما توافر لدينا من مصادر ومراجع سنية أخرى، ومن أمثلة ما اعتمدنا عليه أيضا القاضي عبد الجبار بن أحمد(ت415هـ/1025م)، في كتابه «تثبيت دلائل النبوة»، وكتاب «الشفا بتعريف حقوق

المصطفى» للقاضي عياض (ت544هـ/1149م)، أيضا كتاب البراذعي (ت372هـ/982م)، «التهذيب في اختصار المدونة»، وكتاب «ديوان الأحكام الكبرى» لابن سهل الغرناطي (ت486هـ/1073م)، هذه أمثلة فقط عن بعض الكتب الفقهية والخاصة بالفتاوى، التي رجعنا إليها.

ثالثا: المصادر

أ/ المصادر السنية:

من بين الكتب التي استفدت منها كثيرا، واعتمدت عليها في هذه الدراسة بشكل موسع كتاب «البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب»، في جزءه الأول لابن عذارى المراكشي (ت712هـ/1031م)، ورغم عدم معاصرته لفترة الدراسة، إلا أن كتابه في الجزء الأول تحدث عن أحداث المغرب ككل في هذه الفترة، محيطا بالجوانب السياسية والفكرية، بدأ من مرحلة الدعوة العبيدية بالمنطقة، حتى رحيلهم نحو مصر، وقيام الدولة الزيرية، مخصصا للأحداث والتغيرات المهمة والكيانات القائمة، فصولا تجمع بين الاختصار والإحاطة بأهم الأحداث البارزة.

وكتاب «الكامل في التاريخ» لصاحبه ابن الأثير (ت630هـ/1232م)، فكان الكتاب معتمدا على نظام الحوليات، وهذه النقطة فيها بعض الإشكال من حيث جمع المادة العلمية، لكن بالرغم من تلك الصعوبة، يحفزك ما احتواه من مادة علمية، عن الحياة الفكرية والسياسية لبلاد الغرب الإسلامي، خاصة في أجزائه السادس والسابع والثامن، يحفزك على التنقيب في جنباته والاستفادة منها، واستفدت منه خاصة في التأريخ السياسي للدولة العبيدية.

أيضا كتاب «العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر»، لصاحبه العالم الفذ عبد الرحمان بن خلدون (ت808هـ/1406م)، وإن بعد عصره عن حقبة الدراسة، إلا أنه لا يمكن لدارس في تاريخ الغرب الإسلامي الاستغناء عن كتابه، والذي كان الاعتماد على الجزئين الرابع والسادس خاصة فيما يخص دراسة القبائل والشخصيات البربرية، وربط الأحداث بعضها ببعض، فمادته العلمية شاملة، كما أنّها مُعَقبٌ عليها بالشرح والتعليل والتحليل، دون أن نغفل دور ابن خلدون في التأسيس لعلم الاجتماع،

فهو بذلك يفسر الأحداث أيضا من منضور اجتماعي نفسي، كما أن مادته العلمية مستقات من بعض المصادر المفقودة.

وأيضا النويري شهاب الدين(ت733هـ/1332م) في كتابه «نهاية الأرب في معرفة فنون الأدب»، الذي وفر مادة علمية غزيرة، عن تاريخ المغرب ككل والدولة العبيدية، لكن كانت الاستفادة الأكبر منه في الأوضاع بالمنطقة، بعد مغادرة العبيديين وتسلم بني زيري الصنهاجيين الامور وسير الأحداث خلال هذه الفترة.

ب/المصادر الشيعية

من المؤرخين الإسماعيلية الذين اعتمدت على كتبهم كثيرا في هذه الدراسة، القاضي النعمان بن حيون المغربي، الذي عاصر مرحلة هامة من التاريخ السياسي لبلاد المغرب الإسلامي، فكان من بين رجالات الدولة العبيدية، وضمن بلاط حكامها وتدرج في المناصب حتى لقب بقاضي القضاة، فعاصر أربعة من الأئمة العبيديين بدآ من أولهم عبيد الله المهدي حتى المعز، الذي انتقل برفقته إلى مصر، أين توفي هناك سنة (ت363هـ/974م)، ومن مؤلفاته التي اعتمدت عليها كتاب «دعائم الإسلام» وهو كتاب فقهي يحمل في جنباته الكثير من الأحكام الفقهية، خاصة جزءه الثاني الخاص بالمعاملات، وظفت مادته من أجل المقارنة بين مذهب أهل السنة والاختلافات الواردة، وكذلك «تأويل الدعائم» وهو متمم لكتاب الدعائم ويُعْنَى بالجانب الباطني، من تفسير الأحكام التي جاء بها الشرع، وكتاب «افتتاح الدعوة» الذي يحوي مادة تاريخية من المنظور الإسماعيلي العبيدي، لسير الأحداث في مرحلتي الدعوة والتأسيس حتى قيام الدولة العبيدية، ورحيل المعز إلى مصر، وأيضا كتاب «المجالس والمسايرات» فهو سيرة للائمة الأربعة الذين عاصرهم، وتضمن خطب وأقوال المعز العبيدي، وأيضا كتاب «آداب اتباع الأئمة» وهو خاصة بالإمامة من المنظور الشيعي.

أيضا الداعي إدريس عماد الدين (ت872هـ/1488م)، في كتابه «تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب» وهو جزء من كتابه عيون الأخبار، الذي تناول فيه عديد الأخبار عن سيرة الأئمة العبيديين بالمغرب الإسلامي، والذي اتسم بالموضوعية في ترتيب الأحداث التاريخية، كما أتم ما بدأه القاضي النعمان، فهو بالإضافة إلى ما كتبه النعمان، تميزت كتابته ببعض التوسع والتفصيل في الأحداث، والترجمة للشخصيات، كما أنه واصل التأريخ للدولة

حيث توقف النعمان، وكتابه «زهر المعاني» وهو كتاب خاص بالعقيدة الإسماعيلية في توحيد الله عز وجل.

والمؤرخ تقي الدين المقريزي (845هـ/1441م)، في مؤلفيه «اتعاظ الحنفاء» «والمواعظ والآثار»، الذي تحدث بتفاصيل ادق، وإسهاب عن أحداث هذه الفترة في جزءه الأول، والتي كانت مادتها غنية وسهلة المعالجة.

رابعا: كتب الطبقات والتراجم والسير:

بما أن الموضوع يتعلق بالصراع المذهبي، فلابد من التعريف بالشخصيات البارزة في هذا الصراع، سواء الحكام وأصحاب السلطة، أو الفقهاء والعلماء وفضلاء البلاد، والذين شكلوا العنصر الرئيس في صناعة هذه الأحداث وتوجيهها، فعمل فقهاء المالكية على الرد على حكام الدولة العبيدية وبلاطها، والوقوف سدا منيعا أمام تغلغل أفكارهم الفاسدة، إلى المجتمع المغربي السني وإفساد أمر دينه، من خلال المقاومة بشتى أنواعها، سواء علمية بالردود والتأليف والمناظرات، أو المشاركة المباشرة في الأحداث السياسية والعسكرية، وللترجمة لهذه الشخصيات اعتمدنا على مجموعة من كتب الطبقات والتراجم، ومن الكتب في هذا المجال كتب طبقات فقهاء المذهب المالكي بشكل عام والمغاربة بشكل خاص منها:

القاضي عياض(ت544هـ/1149م)، في كتابيه «المدارك والمسالك» وكتاب «تراجم أغلبية»، والذي ترجم لعديد الفقهاء والفضلاء، وفضلهم ومواقفهم وما عايشوه من تضييقات ومتابعات من قبل السلطة العبيدية، والجهود التي بذلوها والتضحيات التي قدومها في سبيل الله تعالى وإعلاء كلمة الحق، أيضا كتاب «طبقات علماء إفريقية» للخشني محمد بن حارث (ت366هـ/976م)، والذي لا يقل اهمية عن نظرائه من كتب الطبقات.

كتاب «معالم الايمان في معرفة أهل القيروان» (605هـ/1208م)، الذي تناول فيه الحديث عن علماء وفقهاء القيروان بشيء من التفصيل، كما أن بعض المادة العلمية المجودة فيه غائبة في باقي المصادر، فهو يعرف لبعض الأعلام والشخصيات، وما دار حولها من أحداث لم تذكر في مصادر أخرى أو ذكرت باقتضاب، وهو ما استفدنا منه كثيرا.

ومنهم أيضا ابن فرحون بن علي في كتابه(ت799هـ/1397م)، «الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب»، الذي ترجم لعديد الفضلاء، وكتاب «رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية» لعبد الله المالكي عبد الله (ت449هـ/1057م).

ابن مخلوف ابن سالم(ت1360هـ/1941م)، في مؤلفه «شجرة النور الزكية في طبقات المالكية» وغيرها من كتب الخاصة بالتراجم المغربية.

أما عن كتب الطبقات والتراجم العامة فتم توظيف العديد منها مثل:

كتاب «سير أعلام النبلاء» «وتاريخ الإسلام» للعالم الكبير شمس الدين الذهبي (ت748هـ/1348م)، هذا الأخير لا يترجم لشخصية، إلا ويبين ما وصله من مثالب ومناقب حولها، وكذا أقوال العلماء وأهل الرأي والفضل في تلك الشخصية، وكتاب «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان»، لابن خلكان (681هـ/1282م)، والزركلي (ت1396هـ/1976م)، في كتابه «الأعلام»، والذي استفدنا منه خاصة في تحديد ما التبس علينا في تواريخ الوفيات والمواليد وغيرها.

خامسا: كتب الرحلات والجغرافيا

كتب الرحالة والجغرافيين من أهم مصادر الكتابة التاريخية، لما كان لِكُتابِها من تنقل بين مناطق الأحداث، والمعاينة المرئية لمسرح الأحداث، وما تركته من آثار ومخلفات ووصف الأقاليم والمناطق، وما تحمله من معلومات قيمة ونادرة، قد تفتقر إليها المصادر التاريخية، كما تزودنا بأسماء البقاع والمناطق والمسالك المؤدية إليها، ومن مخالطة الرحالة لأهل البلد، ينقل العادات والتقاليد وطباع السكان، كما أنه يسمع منهم موروثهم التاريخي والعلمي، وغيرها من الجوانب المفيدة، لكن وجب التعامل معها بنقد تاريخي، لاعتماد بعضها على الأسلوب القصصي والتشويقي، واحتوائها على بعض القصص والخرافات المختلقة.

من كتب الرحلات التي تم الاعتماد عليها كتاب «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» للإدريسي (ت560هـ/1164م)، وتكمن أهميته في تحديد الكثير من الأماكن والمسالك، التي جرت بين جنباتها تلك الأحداث، وعاش بها شخصيات الأحداث التاريخية، دون أن نغفل ابن حوقل (ت367هـ/977م): في كتابه «صورة الأرض»، والذي يكتسي نفس القيمة العلمية، ورحلة التيجاني (ت717هـ/1317م)، وهي رحلة دامت حوالي الثلاث سنوات بنواحي المغرب

الأدنى أعطى صاحبها نبذ عن الأحداث التي جرت بالمنطقة، خاصة ثورة أبي يزيد الخارجي، كما عرف بعض الأعلام والمشاهير.

أضف إلى ذلك كتاب «المسالك والممالك» لعبيد الله البكري (ت487هـ/1094م)، والقيمة العلمية لهذا الكتاب، تكمن في تغطيته الكثير من النقائص وندرة المعلومات، خاصة مرحلة ما قبل العصر المرابطي، أي القرنيين الخامس والسادس الهجريين/ الحادي عشر والثاني عشر، إضافة إلى كونه كتاب جغرافية وما يحمله من تعريف بالأماكن والمسالك والمسافات، ونفس القيمة بالنسبة لكتابته «المغرب في حلى المغرب».

وكتاب «معجم البلدان» لياقوت الحموي (ت626هـ/1228م)، ومميزات هذا الكتاب الضبط اللغوي للمصطلحات الواردة في كتابه، وإعطاء تفسيرها اللغوي واشتقاقها، أيضا إعطاء لمحة موجزة عن البلد وتاريخها ومنشأها، كما تفرد بذكر عدد من الحوادث التاريخية، مع ذكر المنسوبين إلى البلد من الفضلاء والعلماء والمشاهير، وإعطاء لمحة عن الجانب الاجتماعي والنفسي لسكان البلد وما يتميزون به، فكان منهجه مضني كما صرح وقد يصعب تطبيقه على كل الكتاب، فأضحى كتاب ذا أهمية كبيرة في مختلف العلوم، وكتابي الحميري (ت900هـ/1495م)» الروض المعطار في خبر الأقطار»، «صفة جزيرة الأندلس»، وغيرها من كتب الرحالة والجغرافيين.

سادسا: المراجع الحديثة

كما تم الاعتماد على مجموعة كبيرة من الدراسات الحديثة سواء الكتب المطبوعة، أو الرسائل الجامعية، أو المجلات والدوريات بمقالاتها، وأيضا الموسوعات العلمية، فلا ضير من الاستفادة ممن سبقنا وذلل الصعوبات أمامنا، فهذا هو البحث والعلم متمم لبعضه، فمن خلال هذه المراجع تم التحكم في المادة العلمية، وفهم وتذليل ما استشكل عليها، خاصة تلك الأمور المتعلقة بالأمور بالفقهية والمذهبية، ومن المراجع التي ساعدتنا على سبيل المثال لا الحصر:

نبدأ أولا بكتابي الأستاذ إحسان إلهي ظهير (ت1407هـ/1986م) «الإسماعيلية تاريخ وعقائد» وكتاب «الشيعية والتشيع»، وهي من أهم المراجع في دراسة تاريخ وعقائد فرق الشيعة خاصة الفرق الباطنية، والتي ينتمي إليها مؤسسو الدولة العبيدية بالغرب الإسلامي، وإحسان هذا رحمة الله عليه أصله من باكستان، –نحسبه شهيدا في سبيل العلم ولا نزكي على الله

أحدا- حيث كانت وفاته نتيجة عملية اغتيال بقنبلة، إثر محاضرة لجمعية أهل الحديث في لاهور بباكستان في شهر شعبان من سنة (1407هـ/1986م)، كان وراءها أعداء الإسلام من الباطنية.

ومن خلال مؤلفاته عمل على دراسة الفرق والجماعات الإسلامية، خاصة فرقة الشيعة وتفرعاتها، بحكم كثرة انتشارها في بلاده والبلدان المجاورة، فكتابه الأول يعالج فحوى الموضوع ألا وهو عقائد الإسماعيلية، عكس أغلب المؤلفات التي تعالج نفس الموضوع والتي يغلب عليها الجانب التاريخي، وساعده الإقامة بين ظهرانهم ومخالطتهم الاطلاع على عديد كتبهم ووثاقهم السرية، والتي لا يسمح إلا للخاصة من أتباعهم، ومن وصل المراتب العليا من الدعوة، ولا يطلع عليها إلا بعد أن يؤخذ عنه العقود والمواثيق، بأن لا يفشي ولا يطلع أحدا عليها، فمن خلالها تمكن الاستاذ إحسان من تخريج كتاب يدرس حقيقة العقيدة الإسماعيلية، ولبها الأساسي عكس ما يروج له في كتب العامة كما يسمونهم.

ومن المراجع المهمة التي اعتمدت عليها في بحثي كتابي الأستاذ محمد عبد الله عنان (ت1407هـ/1986م)، في كتابه «الحاكم بأمر الله الفاطمي وأسرار الدعوة» حيث تناول الكتاب البدايات الأولى للدولة بالإضافة إلى شخصية الحاكم، وما يهمنا كون الكاتب مصري ساعده ذلك على الاطلاع على عديد الوثائق والمخطوطات العبيدية، وبالتالي رسم صورة صحيحة تقوم على الدلائل والبراهين، حول تاريخ وعقائد الدولة العبيدية، وأيضا كتابه «دولة الإسلام في الأندلس» وهو عمل موسوعي من سبعة أجزاء، واستفدت منه خاصة في مجال الصراع الأموي العبيدي، وكتابي أحمد مختار العبادي (ت1437 هـ /2016م)، «في التاريخ العباسي» «ودراسات في تاريخ المغرب والأندلس» واللذان احتويا على عديد المعلومات عن تاريخ بلاد الغرب الإسلامي، بما في ذلك الفترة العبيدية، وطبيعة العلاقات وأهم الأحداث التي مرت بها المنطقة، وفق منهجية مبسطة وتحليل علمي دقيق.

أيضا عولت في إعداد بحثي على كتاب «دور كتامة في التحولات المذهبية» للأستاذ موسى لقبال (ت1430/2009م)، الذي عالج فيه انتشار الدعوة الشيعية وسط قبيلة كتامة البربرية، بالإضافة إلى الانعكاسات السياسية والفكرية لقيام وتأسيس الدولة العبيدية في المغرب الإسلامي، والنتائج المترتبة عن ذلك، وكتاب تلميذه موسى هيصام حول التمكين للمذهب

المالكي بالمغرب، والذي تناول جوانب من الصراع المذهبي السني الشيعي، خاصة بالمغربين الأدنى والأوسط، ومن الكتب التي غطت مرحلة الدعوة منذ انطلاقها كتاب «ابن حوشب والحركة الفاطمية في اليمن» لسيف الدين القصير.

افادتنا أيضا تلك المؤلفات التي خصصت لدراسة القبائل المغربية مثل كتاب محمد بن عميرة دور زناتة في الحركة المذهبية، والذي احتوى عدة مباحث عن الصراع مع الدولة العبيدية، والمستشرق روجي إدريس في كتابه حول قبيلة صنهاجة وتأسيس الدولة الزيرية، سنوسي إبراهيم زناتة والخلافة الفاطمية.

وعديد الكتب التي كانت الاستعانة بها في بعض المباحث مثل كتاب الهنتاتي نجم الدين حول المذهب المالكي بالغرب الإسلامي، ومثله كتابي شراحبيلي محمد والجيدي عمر واللذان عنيا ايضا بدراسة المذهب المالكي بالغرب الإسلامي، وكتابات حوالة يوسف بن أحمد «الحياة العلمية في إفريقية»، وكتاب «مدرسة الحديث بالقيروان»، لشواط الحسن بن محمد الذي شمل في فصوله التمهيدية مباحث أعطلت صورة مبسطة عن الصراع الفكري والسياسي بين مختلف الكيانات القائمة بالغرب الإسلامي.

إضافة إلى مختلف الدراسات سواء المقالات المنشورة في عبر مختلف المجلات التابعة للجامعة الجزائرية خاصة، ومختلف الجامعات العربية، أو الأطروحات والرسائل الجامعية لمختلف الباحثين الأكاديميين، ومختلف الدراسات والأعمال الموسوعية وبعض المراجع لدراسات أجنبية حول الموضوع.

الصعوبات

أما عن مختلف الصعوبات والمشاكل التي واجهتنا خلال مدة البحث نذكر ما يلي:

اتساع المجال المخصص للبحث، سواء من حيث الرقعة الجغرافية وما تحمله من تنوع في شتى المجالات، سواء السياسية أو الدينية وحتى الاجتماعية، ومن ناحية المدة الزمنية، التي زادت عن القرنيين وما جرى خلالها من أحداث.

صعوبة ضبط وتحديد حقيقة المعتقدات الإسماعيلية، وفهم حقيقتها خاصة وأن أغلب الكتب المتعلقة بالموضوع سرية يصعب الحصول عليها، وعدم وضوح الرؤية فيما تم الاطلاع

عليه من كتب منشورة في الموضوع، لوجود الكثير من التناقض والخلط بينها، وحتى الدراسات السنية في الموضوع يصرح أصحابها بهذا الأمر.

ومن أكثر الصعوبات التي واجهتني، أنّ الموضوع في كثير من الأحيان متعلق بالجانب الفقهي العقدي، والخوض في هكذا مجالات من البحث دون دراية كافية قد يوقع الباحث في أخطاء يبوء بوزرها، أو يتقول على الله ورسوله بغير الحق، فتكون حجة لأعداء الإسلام عليك، وبالتالي تحرينا قدر الإمكان نقل أقوال من نحسبهم ثقات من العلماء، دون أي زيادة أو نقصان.

تزام سنوات البحث مع عديد الأزمات الوطنية والدولية، كوباء كوفيد وبالتالي صعوبة التنقل والوصول لمختلف الجامعات ومراكز البحث، والاستفادة مما تحتويه من كتب ومراجع، أضف إلى ذلك بعض المشاكل المادية كون الباحث طالب غير موظف، هذا جانب الصعوبات التي واجهتني ولابد منها فلا مناص من النقص والكمال لله وحده.

وفي الأخير نحمد الله أولا على أن وفقنا لهذا العمل، كما لا ننسى التقدم بأسمى عبارات التقدير والاحترام للأستاذة المشرفة أ.د: بوكرديمي نعيمة، على سعة ورحابة صدرها على مرافقة طيلة أطوار البحث بالنصح والتوجيه، والصبر على التقصير الكبير من جانبنا، كما نشكر كل الأساتذة والطاقم بكلية العلوم الإنسانية بجامعة الشلف، ونخص منهم أستاذنا أ.د: غربي بغداد على التوجيهات والمعاملة الطيبة معنا.

لخضر ماجي

26 ذو القعدة 1444هـ/14 جوان 2023م

الفصل الأول في المذهب المالكي والشيعة

المبحث الأول: المذهب المالكي

أولا: ماهية المذهب المالكي

ثانيا: مناطق ظهور وانتشار المذهب المالكي بالغرب الإسلامي

ثالثا: أسباب انتشار المذهب المالكي بالغرب الإسلامي

المبحث الثاني: الشيعة

أولا: ماهية الشيعية

ثانيا: أصناف الشيعة وأهم فرقها

ثالثا: أسس المذهب الإسماعيلي

تمهيد

كان لوفاة النبي صلى الله عليه وسلم، الأثر البليغ على الأمة الإسلامية، حيث فقدت بوفاته القائد السياسي، والموجه الروحي وهي حديثة النشأة، فكان لزاما على الرعيل الأول من الصحابة رضوان الله عليهم، أن يختاروا من يسوس هذه الأمة، وينوب على صاحب الرسالة في إمامة المسلمين، ورغم ما طفا على الوضع العام من خلافات بين الصحابة، حول من يكون الخليفة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم، إلّا أنّه انتهى بالاتفاق بينهم، واجتمعت كلمة المسلمين على رأي واحد، فلم تتعدى تلك الخلافات أكثر من مشاورات وإبداء للرأي، على ما نص عليه الشارع، من المشورة بين أهل العقد والحل من الأمة في القرارات المصيرية.

بالموازاة مع ذلك كان ضمن الدولة الإسلامية جماعة من الحاقدين، وأعداء الإسلام والمنافقين، من مخلفات الأمم الشركية التي قضى عليها الإسلام، استغلوا هذه المشاورات، من أجل بث أفكارهم المعادية والرامية للنيل من الإسلام، فعملوا على نشرها بين عامة المسلمين، منتقين في ذلك العناصر الموالية لأفكارهم، وبعض الجاهلين بالدين الصحيح، الذين غلبت عليهم الغفلة والعاطفة بدل الحكمة والعقل، واستمروا على ذلك، حتى عادت هذه الخلافات للظهور، خاصة في مسألة إمامة المسلمين، ما انجر عنه عدة أحداث يدمى لها القلب، ومن نتائجها انقسام الأمة إلى فرق ومذاهب، كانت في بدايتها ثلاث فرق رئيسية «السنة» «الشيعة» «الخوارج»، ومع مرور الزمن تولدت عنها مذاهب وفرق أخرى عبر مراحل، استطاعت التأسيس لكيانات سياسية وعسكرية واضطرت في عديد المراحل إلى المواجهة المباشرة بينها.

المبحث الأول: المذهب المالكي

أولا: ماهية المذهب المالكي

1-تعريف المذهب :

أ/لغة: ذهب «الذهاب السير والمرور ذهب يذهب ذهابا وذهوبا، فهو ذاهب وذهوب، والمذهب مصدر كالذهاب، وهو المعتقد الذي يذهب إليه، وذهب فلان لذهبه أي مذهبه الذي يذهب فيه»[1].

جاء في تاج العروس «المذهب الطريقة يقال ذهب فلان مذهب حسن أي طريقة حسنة، وحكي السجستاني عن الكسائي: ما يدري له مذهب أي لا يُدرى له أصل»[2].

والمذهب: «المتوضأ، لأنه يذهب إليه، وفي الحديث: (أن النبي صلى الله عليه وسلم، كان إذا أراد الغائط أبعد في المذهب)[3].

وفي المعجم الوسيط (المذهب) الطريقة والمعتقد الذي يذهب إليه، يقال ذهب مذهبا حسنا، ويقال ما يدري له مذهب ولا أصل، و (عند العلماء) مجموعة من الآراء والنظريات العلمية والفلسفية ارتبط بعضها ببعض ارتباطا يجعلها وحدة منسقة[4].

فالمذهب مصدر ميمي للفعل ذهب والذي يعنينا مكان الذهاب ومحله، لان المذهب الذي ينسب لعالم من العلماء هو محل لذهاب اجتهاده[5].

---

[1] محمد بن مكرم بن منظور: **لسان العرب**، ط3، دار صادر، بيروت، لبنان، 1414هـ/1993م، مج1، مادة ذهب، ص394.

[2] محمد بن محمد الزبيدي: **تاج العروس**، ت محمد هلالي، ط2، مطبعة حكومة الكويت، 1407هـ/1987م، مج2، مادة ذهب، ص450.

[3] ابن منظور: **المرجع السابق**، مج 1، مادة ذهب، ص394.

[4] إبراهيم مصطفى وآخرون: **المعجم الوسيط**، ط1، دار الدعوة، إسطنبول، تركيا، 1409هـ/1989م، ج1، ص317.

[5] حاتم باي: **الأصول الاجتهادية التي يبنى عليها المذهب المالكي**، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، 1432هـ/2011م، ص18.

ب/اصطلاحا: المذهب في معناه الاصطلاحي العام، هي الطريقة التي اختصها شخص أو مجموعة، سواء في الاعتقاد أو السلوك أو الأحكام أو غيرها[1]، أي مجموعة من الآراء والنظريات العلمية والفلسفية ارتبط بعضها ببعض ارتباطا يجعلها وحدة منسقة[2].

مذهب مالك ما اختص به من الأحكام الشرعية الفرعية الاجتهادية[3]، أي أن مذهب مالك مثلا عبارة عما ذهب إليه من الأحكام الاجتهادية، أي التي بذل وسعه في تحصيلها[4].

أما عند علماء الفقه، فيطلق المذهب على المنهج الفقهي الذي سلكه فقيه مجتهد اختص به من بين الفقهاء، أدى إلى اختيار جملة من الأحكام في مجال الفروع[5]، أي ما ذهب إليه مالك من الأحكام الاجتهادية[6]، وهو مجموعة الآراء والأقوال لاجتهاد إمام من الأئمة الذين دونت آراؤهم وحررت، وما تلاه من اجتهادات أصحابه التي بنيت وفق قواعده وأصوله تجريحا وترجيحا[7].

هو ما اختص به المجتهد من الأحكام الشرعية الفرعية الاجتهادية، المستفادة من الأدلة الظنية وهذا يشمل جميع مذاهب المجتهدين[8]، وهي مذاهب اجتهادية في مسائل الشريعة الإسلامية الفرعية، وهي جميعا لا تختلف حول أصول الشريعة ولو في جزئية واحدة[9]، فالمذاهب الإسلامية، ما هي إلا مدارس فقهية لها اجتهادات خاصة في مسائل فرعية، لا تختلف في أصول الدين وأصول الفقه، ونواته الأصلية كالتوحيد وأركان الإسلام والصلوات وغيرها من أصول الإسلام.

---

[1] عمر سليمان: **دراسة المدارس والمذاهب الفقهية**، ط2، دار النفائس، الأردن، 1418هـ/1998م، ص44.

[2] إبراهيم مصطفى وآخرون: **المرجع السابق**، ج1، ص317.

[3] شهاب الدين القرافي: **الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام**، ت احمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص62.

[4] أحمد بن محمد الدسوقي: **حاشية الدسوقي على الشرح الكبير**، دار الفكر، بيروت، ج1، ص19.

[5] عمر سليمان: **المرجع السابق**، ص44.

[6] أحمد بن محمد الصاوي: **حاشية الصاوي على الشرح الصغير**، دار المعارف، بيروت، ج1، ص16.

[7] حاتم باي: **المرجع السابق**، ص18.

[8] محمد عبد اللطيف صالح الفرفور: **تاريخ الفقه الإسلامي**، ط1، دار ابن كثير، دمشق، 1416هـ/1995م، ص78.

[99] مانع بن حماد الجهني وآخرون: **الموسوعة الميسرة في الاديان والمذاهب والاحزاب المعاصرة**، ط4، دار الندوة العالمية، الرياض، 1420هـ، ص18.

والمذاهب التي تنسب للأئمة كالمالكي والشافعي والحنفي والحنبلي، ليست خاصة بهم حيث لا تجد فيها إلا أرآهم واجتهاداتهم فقط، بل تشمل اجتهادات الإمام وتلاميذه من بعده شريطة أن تبنى هذه الاجتهادات وفق أصوله وقواعده، وهذا ما يجعل الاجتهاد منسوب إلى المذهب[1]، وهذه التعريفات تشمل جميع المذاهب ولا تقتصر على مذهب دون غيره.

2-مفهوم المذهب المالكي: نسبة إلى إمام دار الهجرة شيخ الإسلام، حجة الأمة، أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان بن خثيل بن عمرو بن الحارث الأصبحي والأصبحية قبيلة حميرية، المدني نسبة إلى المدينة المنورة، وكان «مولد مالك على الأصح: في سنة ثلاث وتسعين، عام موت أنس خادم رسول الله -صلى الله عليه وسلم-»[2]، قال صاحب الديباج المذهب بشأن ذلك ما يلي: أختلف في مولده اختلاف كثيرا، فالأشهر قول يحيى بن بكير أنه سنة ثلاثة وتسعين من الهجرة[3]، ذُكر أن جد أبي مالك كان من الصحابة، وشهد مع الرسول صلى الله عليه وسلم المغازي كلها خلا بدر، وأن جده مالك ابو أنس من كبار التابعين، وهو أحد الأربعة الذين حملوا عثمان رضي الله عنه إلى قبره ودفنوه، وكان لمالك أربعة أبناء يحي ومحمد وحماد وفاطمة[4].

أما أمه فقال الزبير هي العالية بنت شريك بن عبد الرحمن بن شريك الأزدية، وقال بن عائشة: إنها طليحة مولاة عبد الله بن معمر. وقد قال بن عمران التميمي القاضي، ما بيننا وبينه نسب إلا أن أمه مولاة لعمي عثمان بن عبد الله والله أعلم[5].

عن عيسى بن عمر، قال: ما رأيت قط بياضا، ولا حمرة أحسن من وجه مالك، ولا أشد بياض ثوب من مالك. ونقل غير واحد أنه كان طويلا، جسيما، عظيم الهامة، أشقر، أبيض

---

[1] حاتم باي: **المرجع السابق**، ص19.

[2] شمس الدين الذهبي: **سير أعلام النبلاء**، ت شعيب الأرنؤوط، ط3، دار الرسالة، بيروت، 1417هـ/1996م، ج8، ص ص48-49.

[3] إبراهيم بن علي بن فرحون: **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، ت محمد الأحمدي، دار التراث، القاهرة، 1972م، ج1، ص88.

[4] **نفسه**، ج1، ص ص85، 86.

[5] **نفسه**: ج1، ص86.

الرأس واللحية، عظيم اللحية، أصلع، وكان لا يحفي شاربه، ويراه مثلة، وقيل: كان أزرق العين، وكان نقي الثوب يلبس البياض[1] .

اشتهر مالك منذ صغره بطلب العلم، وقد حرصت أمه على تعليمه، اذ اشتهر عليها قولها له غداة إرساله إلى معلمه: «اذهب إلى ربيعة فتعلم من أدبه قبل علمه»، كما أنه وصل به الحد إلى بيع سقف بيته في سبيل طلب العلم[2]، قال الذهبي في طلب مالك للعلم: «طلب العلم وهو ابن بضع عشرة سنة وجلس للفتيا وهو ابن واحد وعشرون سنة» [3].

3-أصول المذهب المالكي

الأصل أسفل كل شيء يقال قعد في أصل الجبل، وقلع أصل الشجرة، وأكثر ما قيل أصل كل شيء ما استند وجود ذلك الشيء إليه، فالأب أصل الولد والنهر أصل الجدول[4]، ومعناه في اصطلاح العلماء من الفقهاء والأصوليين عدة معاني ومفاهيم مختلفة، نذكر أشهرها الصورة المقيس عليها فالأصل ركن من أركان القياس، وهو الصورة التي يكون القياس عليها ويلحق حكمها بالفرع للعلة المشتركة بينهما[5]، والمراد بأصول الفقه أدلة الفقه على الإجمال وكيفية الاستدلال به وما يتبع ذلك، والمقصود بالأدلة هي الكتاب والسنة والإجماع، فأخبار الآحاد والمقاييس لا يعد من الأصول فنقول أصل هذه المسالة أي دليلها[6].

تبنى أصول المذهب المالكي عموما على مجموعة من الأدلة، التي على القاضي أن يستند عليها فيما يصدره من أحكام، فيكون القول بما جاء في كتاب الله عز وجل، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مما ثبت عنده منها، اعتمادا على كبار المحدثين من الحجاز.

كما تميز المذهب المالكي بإعطاء أهمية كبيرة لعمل أهل المدينة، وقدمه على أخبار الآحاد، ويليه الإجماع، ولا يجوز مخالفته سواء كان إجماع الصحابة أو التابعين، وكذلك اعتمد

---

[1] الذهبي: **المصدر السابق**، ج8، ص ص68-69.

[2] ابن فرحون: **المصدر السابق**، ج1، ص99.

[3] الذهبي: **المصدر السابق**، ج8، ص55.

[4] الزبيدي: **المصدر السابق**، مج7، ص306.

[5] حاتم باي: **المرجع السابق**، ص14.

[6] بدر الدين محمد بن بهاء الزركشي: **البحر المحيط في أصول الفقه**، ت عبد القادر عبد الله العاني، ط2، دار الصفوة، الكويت، 1413هـ/1992م، ج1، ص ص24-26.

على القياس[1] فيما لم يكن فيه نص، وهو شامل لطرق الاجتهاد بالرأي، كالاستدلال المرسل والاستحسان[2] وسد الذرائع[3]، غير أنه لم يتوسع فيه توسع الحنفية وهذا باختصار مجمل أصول المذهب المالكي[4].

لم ينصص الإمام مالك على الأصول التي بنى عليها اجتهاداته، لكن المالكية ممن جاء بعده وضحوا الأصول التي كان مالك يصدر عنها اجتهاداته، وقد اختلف في عدد الأصول التي بنى عليها المذهب المالكي، وهذا راجع إلى طريقة عد الأصول بين مقتصد وممحص في وضع الأصول، فمنهم من جعلها عامة فتجدها تشمل أصول أخرى، هيأمور فرعية عند بعض العلماء المالكية وطلبتهم، ممن اعتنى ودرس الأصول التي اعتدمدها الإمام مالك في إصدار أحكامه الفقهية[5].

ويمكن إجمال أصول المذهب المالكي في قول مالك رحمه الله، مما جاء في كتاب النوادر والزيادات لابن سحنون: «وليحكم بما أنزل في كتاب الله، فإن لم يكن فيه فبما جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم إذا صحبته الأعمال، فإذا كان خبرا صحبت غيره الأعمال قضى بما صحبت الأعمال، فان لم يجد ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فبما أتاه عن أصحابه إذا اجتمعوا فإن اختلفوا حكم بمن صحبت الأعمال قوله عنده، ولا يخالفهم جميعا ويبتدئ شيئا من رأيه، فان لم ذلك فيما ذكرنا اجتهد رأيه وقاسه بما أتاه عنهم ثم يقضي بما

---

[1] القياس: لغة من المصدر قاس ويدل على تقدير شيء بشيء آخر، وعند الأصوليين هو حمل معلوم على معلوم في إثبات حكم لهما أو نفيه عنهما بجامع حكم أو صفة أو نفيهما، فالحمل اعتبار الفرع بالأصل ورده إليه. عنه انظر الزركشي: **المصدر السابق**، ج7، ص7.

[2] الاستحسان: عرفه ابن أبي زيد القيرواني بأنه « التوسط في القول عند تعلق الفرع بغير أصل واحد
في التشبيه، وقال الزركشي أن الاستحسان الذي ذهب إليه أصحاب مالك: هو القول بأقوى الدليلين. محمد بن زرب القرطبي: **الخصال**، ت عبد الحميد العلمي، ط، وزارة الشؤون الإسلامية الأوقاف بالمملكة المغربية، الرباط، 1992م، ص16، الزركشي: **المصدر السابق**، ج8، ص97.

[3] سد الذرائع: هي المسالة التي ظاهرها الإباحية ويُتَوصل بها إلى المحظور. **نفسه**، ج8، ص89.

[4] حاتم باي: **المرجع السابق**، ص ص21-25، صالح الفرفور: **المرجع السابق**، ص ص109- 110.

[5] حاتم باي: **المرجع السابق**، ص ص21-24.

يجتمع عليه رأيه ورآه أنه الحق، فان أشكل عليه شاور رهطا من أهل الفقه، ممن يستأهل أن يشاور في رأيه ودينه ونظره وفهمه ومعرفته بإحكام من مضى وآثارهم...»[1].

[1] عبد الله بن أبي زيد القيرواني: **النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات**، ت محمد الأمين بوخبزة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1999م، ج8، ص ص15، 16.

ثانيا: مناطق ظهور وانتشار المذهب المالكي ببلاد الغرب الإسلامي

تأثر الغرب الإسلامي كسائر أصقاع بلاد المسلمين، بمختلف التغيرات السياسة والعقدية، أضف إلى ذلك المذهبية التي عرفها المشرق الإسلامي ونواة الأمة الإسلامية، فخضع لتلك التغيرات السياسية والعقدية وحتى المذهبية، وإن كان هناك فارق زمني وجغرافي للانتشار والتأثير، لكن لم يسلم من جل المتغيرات المشرقية، وكما مرت مختلف المذاهب والفرق بمراحل من أجل انتشارها في المشرق، وساهم في ذلك عدة متغيرات، مر انتشار هذه المذاهب بنفس المراحل بالمغرب الإسلامي، ومنها المذهب المالكي الذي مر بعدة مراحل قبل تغلبه على جل بلاد الغرب الإسلامي، كما خضع لعدة أسباب وظروف تباينت في نواحي، وتشابهت في أخرى بين مختلف مناطق الغرب الإسلامي، وهذا الذي سنسلط عليه الضوء من خلال إعطاء نبذة عن ظهور وانتشار المذهب المالكي، بمختلف مناطق الغرب الإسلامي.

1-في المغرب الأدنى

كان أول إسلام المغرب على ما جاء به أوائل الفاتحين من صحابة وتابعين، وتميز أهل المغرب أول إسلامهم مع بداية الفتوحات في المنطقة، بالسطحية وعدم الثبات على الإسلام، وقد ذكر ابن خلدون في هذا الشأن على أن البربر قد ارتدوا اثنتا عشر مرة من طرابلس إلى طنجة، ولم يستقر إسلامهم حتى فتح الأندلس، أيام موسى بن نصير (97هـ/716م) لما كان واليا على المغرب، حيث ضم جيش المسلمين الفاتحين الكثير من رجال البربر، وفي ذات الشأن قال ابن خلدون: «فحينئذ استقر الإسلام بالمغرب وأذعن البربر لحكمه، ورسخت فيهم كلمة الإسلام وتناسوا الردة»[1].

وهناك قول راجح بأن عهد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز (101هـ/720م)، الذي أرسى دعائم الإسلام بالمنطقة ببعثة الفقهاء العشرة التي أرسلها إلى المنطقة، لما أسند ولاية إفريقية إلى إسماعيل بن عبيد الله أبي المهاجر[2]، ويمكن اعتبار بعثة الفقهاء العشرة نواة

---

[1] عبد الرحمان بن خلدون: **العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن وعاصر من ذوي السلطان الأكبر**، ت خليل شحادة، ط2، دار الفكر، بيروت، 1408هـ/1988م، ج6، ص144.

[2] محمد بن حارث الخشني: **طبقات علماء افريقية**، ت محمد زينهم، ط1، مكتبة مديول، القاهرة، 1413هـ/1993م، ص60.

المدرسة الفقهية المغربية[1]، فكانت أولى بذور الفقه والعلم بإفريقية خاصة، والغرب الإسلامي عامة، وشُكلت الطبقة الأولى للفقه الإسلامي بالمنطقة من الطلبة الذين تتلمذوا على أيديهم بالقيروان[2]، كما أن بعض الأهالي من المنطقة بعد الإقامة مدة في طلب العلم، عادوا إلى قبائلهم وتقلدوا مختلف المناصب بالقضاء والتعليم والفتيا، نذكر منهم أبي كريب المعافري وعبد الله بن الحكم البلوي وأبي خالد عبد الرحمان بن زياد بن أنعم المعافري وغيرهم[3].

غير أن قلة الصحابة والتابعين الذين انتقلوا إلى إفريقية واستقروا بها، جعل المنطقة في تبعية للمشرق الإسلامي خاصة من ناحية علم الحديث، وأيضا الدراسات الفقهية فانتشرت الرحلات العلمية ناحية المشرق، قاصدين كبار علماء السنة، خلال القرن الثاني الهجري فقصدوا أبو حنيفة[4] (ت150هـ/767م) وسفيان الثوري[5] (ت161هـ/777م) بالكوفة، والليث بن سعد (ت175هـ/791م) بمصر والأوزاعي (ت157هـ/773م)، وغيرهم من كبار العلماء غير أن أكثر رحلتهم كانت باتجاه مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم للإمام مالك، وهذا

---

[1] حاتم باي: **المرجع السابق**، ص19.

[2] القيروان: مدينة من بلاد افريقية بالمغرب الإسلامي، تقع حاليا بدولة تونس، اختطتها الفاتح المسلم عقبة بن نافع الفهري ت(63هـ/683م) سنة (50هـ/670م)، في خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، كان الهدف منها أن تكون قاعدة للمسلمين بالمنطقة خاصة بعد الذي عرف على البربر من عدم الثبات على الإسلام، وأيضا من أجل أن تكون منطلقا للفتوحات نحو الغرب الإسلامي، فظلت المدينة مركزا لولاة الدول الإسلامية المعاقبة، والمركز السياسي والعلمي للدولة الإسلامية بالمنطقة طيلة القون الأول. عنها انظر القزويني، **آثار البلاد**، صص242، الحموي، **البلدان**، ج1، 228، اليعقوبي، **البلدان**، ص185.

[3] الخشني: **المصدر السابق**، ص ص60، 61.

[4] هو أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، صاحب مدرسة أهل الرأي بالعراق، عرض عليه لخليفة العباسي أبو جعفر المنصور ولاية القضاء في بغداد، كما تعرض لمحنة خلق القرآن وسجن بسبب عدم القول بها، توفي رحمه الله سنة (150هـ/767م). ابن خلكان، **المصدر السابق**، ج1، ص405.

[5] سفيان الثوري: أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي، إمام في علم الحديث وغيره من العلوم الدينية، وهو أحد الأئمة المجتهدين، ولد سنة (97هـ/715م) في ولاية الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، وتوفي رحمه الله سنة (ت161هـ/777م). انظر الذهبي: **السير**، ج7، ص299، ابن خلكان: **المصدر السابق**، ج2، ص386، سبط ابن الجوزي: **مرآة الزمان في تواريخ الأعيان**، ت محمد بركات وآخرون، ط1، دار الرسالة العلمية، دمشق، سوريا، 1434هـ/2013م، ج12، ص328.

لعدة اعتبارات منها، كونها نواة الإسلام ومدينة ومدفن الرسول صلى الله عليه وسلم، وصحابته الكرام رضوان الله عليهم[1].

عرف المغرب الإسلامي في بداياته مختلف المذاهب السنية، وأهل السنة على العموم هم الذين أخبر عنهم الرسول صلى الله عليه وسلم بأنهم سيتبعون طريقه وطريق أصحابه الكرام، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين دون إتباع الانحرافات والأهواء والبدع [2]، قال صلى الله عليه وسلم: (ستفترق أمتي إلى بضع وسبعين فرقة الناجية منها واحدة والباقية هلكا، قيل: ومن الناجية، قال: أهل السنة والجماعة، قيل: وما الجماعة، قال: ما أنا عليه وأصحابي)[3]، وقد سأل رجل مالك: من أهل السنة يا أبا عبد الله، قال: "الذين ليس لهم اسم يعرفون به لا جهمي ولا رافضي ولا قدري"[4].

اندثرت بعض المذاهب مثل الأوزاعي ومذهب سفيان الثوري[5]، فيما تراجع أتباع المذهب الشافعي الذي كان له قلة من الناس ممن أخذ به، حتى كادت تخلو منه بلاد المغرب،[6] مفسحة المجال لأهم مذهبين عرفتهما بلاد الغرب الإسلامي المذهب الحنفي والمذهب المالكي، وقد تفوق المذهب الحنفي في بادئ الأمر، يقول القاضي عياض في هذا الصدد: «وأما أفريقية وما وراءها من المغرب فقد كان الغالب عليها في القديم مذهب الكوفيين»[7]، وزاد انتشاره مع بدايات القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي خاصة مع تولي أسد بن الفرات[8]

---

[1] نجم الدين الهنتاتي: **المذهب المالكي بالغرب الإسلامي** إلى منتصف القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي، تبر الزمان، تونس، 2004م، ص ص20،19.

[2] عبد القاهر بن طاهر البغدادي: **الفرق بين الفرق**، ت محمد عثمان، مكتبة ابن سينا، القاهرة، 1409هـ/1988م، ص26.

[3] محمد بن عيسى الترميذي: **سنن الترميذي**، ت أحمد شاكر، ط2، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، 1395هـ/1975م، ج5، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، ص25 رقم الحديث، [2640].

[4] أبو الفضل القاضي عياض: **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أصحاب الإمام مالك**، ت محمد تاويت الطنجي وآخرون، ط2، وزارة الشؤون والأوقاف الإسلامية، المغرب، 1403هـ/1983م، ج1، ص38.

[5] نجم الدين الهنتاتي: **المرجع السابق**، ص20.

[6] القاضي عياض: **المصدر السابق**، ج1، ص26.

[7] **نفسه**، ج1، ص25.

[8] أبو عبد الله أسد بن الفرات: أصله من نيسابور، كان مولده سنة (145هـ/762م) مولده سنة تتلمذ على يد الحسن بن زياد وله رحلة للمشرق مع بها الموطأ، ودون الأسدية تولى قضاء القيروان سنة، (204هـ/819م)، واستشهد محاصراً لسرقوسة

(ت213هـ/828م) القضاء بالقيروان، وقد كان مالكيا في بداياته لينتقل إلى المذهب الحنفي، بسبب خلاف بينه وبين سحنون على الأسدية[1]، بعد رحيل سحنون بها إلى مصر وعرضها على ابن القاسم، فأسقط منها ما كان يشك فيه من قول مالك، وكتب إلى أسد أن عارض كتبك بكتب مالك، فغضب أسد وقال أعرض كتبي على كتبه وأنا ربيته[2]، «ومال أسد بعد هذا إلى كتب أبي حنيفة، فرواها وسمعها منه أكثر الكوفيين يومئذ ومال إليهم»[3]، غير أن المذهب المالكي عرف انتشارا أكثر فيما بعد، وكان أكثر سكان المغربين الأدنى والأوسط مالكيين خاصة بعد النصف الثاني من القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي.

أما عن أوائل الذين ساهموا في نشر المذهب المالكي في إفريقية والمغرب فنذكر علي بن زياد التونسي العبسي (ت183هـ/799م)[4]، الذي ولد بطرابلس لينتقل إلى افريقية وقد تتلمذ على يديه الكثير من الفقهاء، من أمثال البهلول بن راشد والإمام سحنون بن سعيد وغيرهما[5] وهو أول من أدخل موطأ الإمام مالك وجامع سفيان الثوري إلى المنطقة، وفسر لهم قول مالك ولم يكونوا يعرفونه[6]، كما أن له مؤلفات عديدة نذكر منها: كتاب خير من زنته وكتاب الزهد

في غزوة صقلية وهو أمير الجيش وقاضيه سنة (213هـ/828م). انظر ترجمته أبو العرب: **المصدر السابق**، ج1، ص81، القاضي عياض: **المدارك**، ج3، ص291، الذهبي: **السر**، ج10، ص255، ابن فرحون: **المصدر السابق**، ج1، ص305.

[1] الأسدية هي النسخة الأولى من كتاب المدونة لابن سحنون قبل تصحيحها وسميت بذلك نسبة لأسد بن الفرات

[2] **نفسه** ج3، ص ص298-299.

[3] **نفسه**، ج3، ص300.

[4] أبو الحسن علي بن زياد أصله من العجم ولد بطرابلس، ثم انتقل إلى تونس فسكنها.. سمع من مالك وسفيان الثوري والليث ابن سعد، وابن لهيعة وغيرهم. وسمع بإفريقية قبل هذا من خالد بن أبي عمران، لم يكن بعصره بإفريقية مثله. سمع منه البهلول بن راشد وسحنون وشجرة وأسد بن الفرات وغيرهم. وروى عن مالك الموطأ وكان سحنون لا يقدم عليه أحداً من أهل أفريقية، ويقول ما بلغ البهلول بن راشد شسع نعل علي بن زياد، وفسر لهم قول مالك ولم يكونوا يعرفونه. انظر القاضي عياض: **المدارك**، **المصدر السابق**، ج3، ص ص80-82. ابن فرحون: **المصدر السابق**، ج2، ص92.

[5] موسى هيصام: **التمكين للمذهب المالكي بالمغربين الأدنى والأوسط بين القرنيين الرابع والسادس الهجري**، ط1، مكتبة كنوز الحكمة، الجزائر، 1434هـ/2014م، ج1، ص54-55.

[6] نجم الدين الهنتاتي: **المرجع السابق**، ص38.

والذي نقل من خلالهما فقه أهل السنة إلى مجموعة من الفقهاء الذين لم يتسنى لهم الترحال إلى المشرق فكانوا مقلدين له[1].

أيضا من الذين كان لهم الأثر وتركوا بصماتهم في تاريخ المذهب المالكي بالمغرب الأدنى، نذكر على سبيل المثال لا الحصر البهلول بن راشد (ت183هـ/799م) أبو عمرو من أهل القيروان، من الطبقة الأولى من أصحاب مالك[2]، كانت له رحلة علمية سمع من مالك والثوري والليث بن سعد وغيرهم، كما أنه سمع الموطأ من علي بن زياد وابن غانم، وسمع جامع سفيان الصغير من ابن أبي الخطاب، وأبي خارجة، والجامع الكبير من علي بن زياد[3]، وممن تلقى عنه وسمع من البهلول سحنون وعون والجعفري وعبد المتعالي ويحيى بن سلام وجماعة اخرى[4].

شهد بعلمه وفضله مجموعة من العلماء والشيوخ، قال عنه عبد الله بن مسلمة: هذا وتد من أوتاد المغرب، ونظر إليه مالك فقال: هذا عابد بلده، ولما سأله عبد الله بن غانم عن أمور أشكلت عليه قال: ما قال فيها المصفر؟ وقصد هنا البهلول بن ابن راشد وما قال فيها الفارسي أي عبد الله بن فروخ، وهذا ما يدل على مكانته العلمية[5]، وله محنة مع العكي محمد بن مقاتل أمير القيروان، أبان عن ثباته على الحق فيها ومقارعة جور السلطان على شخصيته القوية، وعدم سكوته على الحق، مما زاد من مكانته بين الناس وحبهم له[6].

---

[1] موسى هيصام: **المرجع السابق**، ص55.

[2] ابن فرحون: **المصدر السابق**، ج1، ص ص315-316.

[3] القاضي عياض: **المدارك**، ج3، ص87.

[4] ابن فرحون: **المصدر السابق**، ج1، ص316.

[5] القاضي عياض: **المدارك**، ج3، ص88.

[6] جاء في ترتيب المدارك أن العكي كان يهادي ملك الروم، فلما ناصحه البهلول في ذلك وقال بأنه أمر لا يجوز، جرده وأمر بجلده، ومما زاد من حقده عليه هو التفاف الناس حوله مناصرين له، سجن بعد ذلك فقام علماء القيروان وعامتها وشكوه الى حاجب السلطان العباسي ببغداد، وقد عزله فيما بعد وولى مكانه تمام بن تميم. القاضي عياض: **المدارك** ج3، ص ص98-100.

عبد الله بن غانم الرعيني (ت190هـ/806م)[1]، سمع ابن غانم من ابن أنعم وخالد ابن أبي عمران، وكانت له رحلة إلى الحجاز والشام والعراق، فسمع من مالك، ومن سفيان الثوري ومن أبي يوسف بن الضحاك، وإسرائيل ابن يونس، وداود بن قيس وغيرهم، سمع منه القعنبي وغيره وحدث عنه سحنون وداود بن يحي، وكان مالك يدنيه منه ويسأله عن أخبار المغرب، حتى أنه عرض عليه تزويجه ابنته والإقامة بالمدينة، غير أنه رفض شرط المقام هناك، قال عنه أسد بن الفرات: "كان ابن غانم فقيها"[2]، ولاه القضاء بالقيروان روح بن حاتم المهلبي سنة (171هـ/787م)، وهو يبلغ من العمر اثنين وأربعين سنة، فلما سمع مالك بذلك سر واعلم أصحابه، وبقي على ولاية القضاء حتى وفاته، وكانت له فراسة وحسن تدبير وجرأة في قول الحق أمام السلطان[3].

أبو سعيد بن سعيد سحنون التنوخي، ولد بالقيروان سنة (160/240هـ/766/855م)[4]، نشأ سحنون في أسرة ميسورة الحال[5]، وله ذكر حسن وثناء عليه في علمه وحسن أخلاقه ممن عاصره وجاء من بعده،[6]، طلب العلم بالقيروان في عن مشايخها، كأبي خارجة والبهلول بن راشد ، وعلي بن زياد وأخذ أيضا عن ابن غانم، وابن أشرس وغيرهم[7]، رحل في طلب العلم

---

[1] محمد بن تميم أبو العرب: **طبقات علماء إفريقية**، ت محمد بن أبي شنب، دار الكتاب اللبناني، الجزائر، 1914، ج1، ص ص43-44.

[2] القاضي عياض: **المدارك**، ج3، ص ص66-17.

[3] حكا القاضي عياض أن ابن غانم كان عند إبراهيم بن الأغلب بعد حديث دار بينهما قال له إبراهيم: أما علمت أن إبراهيم أمير أفريقية يقتل عبد الله قاضيها؟ فأصدقه في مقاله غير أنه نفى أن يكون إبراهيم ذلك الوالي ولا هو ذلك القاضي وإنما ابنه وقد حدث بالفعل وقتل الأمير إبراهيم بن أحمد القاضي في أبي العباس عبد الله بن طالب بالسم في سجنه، ومن مواقف جرأته في قول الحق أن دخل عليهم يوما إبراهيم بن الأغلب فقام جميع من كان هناك إلا ابن غانم ما أزعج الوالي وسأله عن ذلك فروى له حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار»، فكان الرد كافي لإسكات الوالي. القاضي عياض: **المدارك**، ج3، ص3

[4] نجم الدين الهنتاتي: **المرجع السابق**، ص45، جاء في **رياض النفوس** للمالكي أن مولده كان في رجب سنة 160هـ، بقرية تسمى مزنانة وقال المحقق أنها ربما تكون إحدى القرى بضواحي حمص.

[5] محمد زينهم عزب: **الإمام سحنون**، دار الفرحاني، القاهرة، 1992م، ص11.

[6] أبو العرب: **المصدر السابق**، ج1، ص101.

[7] ابن فرحون: **المصدر السابق**، ج2، 31.

ولازم مجموعة العلماء خاصة كبار تلاميذ مالك، منهم عبد الرحمان ابن القاسم وأشهب وابن وهب، وأخذ أيضا عن سفيان بن عيينة ووكيع وشعيب بن الليث[1]، عاد سحنون إلى القيروان بكتابه المدونة سنة (191هـ/797م)[2].

شهد له الكثير من العلماء بفضله قال عيسى بن مسكين: «سحنون راهب هذه الأمة ولم يكن بين مالك وسحنون أحد أفقه من سحنون،» وقال أشهب: «ما قدم إلينا من المغرب مثله»[3]، واهتم بنشر العلم وتتلمذ على يديه مجموعة كبيرة من الطلبة من كل أصقاع الغرب الإسلامي[4]، تولى سحنون أيضا القضاء وكانت ولاية سحنون للقضاء ست سنوات (234هـ/849م، 240هـ/855م) واستمر على القضاء حتى وفاته وساد العدل وانتظم القضاء أيامه، وحارب الغش والفساد وفرق أهل الأهواء والبدع من المساجد[5]، وله فضل كبير في نشر المذهب المالكي بالغرب الإسلامي، لما كان عليه من سعة العلم وحسن الأخلاق والعدل في الحكم.

2-في المغربين الأوسط والأقصى:

هذا عن أوائل من أدخل المذهب المالكي من العلماء إلى إفريقية والمغرب الأدنى، والتي عدت بوابة المشرق نحو الغرب الإسلامي، أما عن المغربين الأوسط والأقصى لم تورد المصادر أسماء رواد المذهب من أهل المنطقة ممن أخذوا مباشرة عن مالك[6]، غير أنه اشتهر عدد من الفقهاء الذين خدموا المذهب ومكنوا له، كما كان لوقوعهما بين افريقية والأندلس تأثير على المذهب المنتشر بالمنطقتين، فالمغرب الأوسط تتضارب الروايات بين دخول المذهب

---

[1] القاضي عياض: **المدارك**، ج4، ص47.

[2] أبو العرب: **المصدر السابق**، ج1، ص102.

[3] عبد الله بن محمد المالكي: **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم**، ت بشير بكوش، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1414هـ/1994م، ج1، ص353.

[4] أبو الفضل القاضي عياض: **تراجم أغلبية مستخرجة من مدارك القاضي عياض**، ت محمد الطالبي، المطبعة الرسمية للجامعة التونسية، تونس، 1968م، ص93.

[5] القاضي عياض: **المدارك**، ج4، ص56-57، موسى هيصام: **المرجع السابق**، ج1، ص61.

[6] نجم الدين الهنتاتي: **المرجع السابق**، ص37.

المالكي له في القرن الثاني للهجرة، وبين من يؤخره حتى القرن الرابع الهجري[1]، غير أنه يمكن الجزم وترجيح انتشار المذهب بالمنطقة إلى مرحلة مبكرة، لما كان للقيروان من تأثير عليه خاصة بعد تولي سحنون بن سعيد سنة 240هـ/854م القضاء، وتوليته لبعض طلبته قضاة على مختلف المناطق، وبدورهم ساهموا في نشر المذهب المالكي، بعد عودتهم إلى بلدانهم فقد كان له في كل بلدة نحو سبعمائة رجل ظهروا بصحبته وانتفعوا بعلمه[2]، وقدمت لنا المصادر تراجم لبعض أعلام المنطقة منهم أبو جابر خالد السهمي الطبني (ت245هـ/859م)، والذي تولى قضاء الزاب[3].

أما عن المغرب الأقصى فكان التأثير عبر بوابة الأندلس أكبر، عكس المغرب الأوسط المتأثر بإفريقية، مع دور الرحلات العلمية لعلماء المنطقة نحو المشرق، وتشير المصادر إلى أن المذهب المالكي عرفته المنطقة، في مراحل متقدمة من حكم دولة الأدارسة[4]، من خلال دعوة المولى إدريس الناس للأخذ به، وجعله مذهبا رسميا وعلى مذهب مالك كان إدريس وجميع علماء المغرب الأقصى، بسبب تقليد إدريس لمالك وحسب الباحث المغربي عمر الجيدي يعزى هذا الأمر لاعتبارات سياسية، خاصة موقف الإمام مالك وتأييده لمحمد النفس الزكية، وفتياه بخلع أبو جعفر المنصور[5]، وأما عن أول من جاء بالموطأ فكان عامر بن محمد

---

[1] عمر الجيدي: **مباحث المذهب المالكي بالمغرب**، ط1، مكتبة المعارف، الرباط، 1993م، ص19.

[2] أبو زيد محمد بن عبد الله الدباغ: **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، ت محمد الأحمدي/محمد ماضي، ط2، مكتبة الخانجي، مطابع الدجوى، القاهرة، مصر، 1388هـ/1968م، ج2، ص93.

[3] عادل نويهض: **معجم أعلام الجزائر**، ط2، مؤسسة نويهض للطباعة والنشر، لبنان، 1400هـ/1980م، ص204.

[4] الأدارسة: دولة بالمغرب الأقصى أسسها إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، سنة (172هـ/788م)، وعانت دولة الأدارسة من وقوعها بين قوتين كبيرتين، ممثلة في الدولة الأموية بالأندلس والدولة العبيدية بالمغرب الأدنى، مثلت مدينة فاس عاصمة ملكهم، حتى الحملة العبيدية عليها ونفيهم منها سنة (309هـ/921م)، بعدها انتقل الأدارسة إلى نقطتين رئسيتين، حجر النسر قرب مدينة طنجة، ومدينة البصرة، وانقسموا إلى فرعين متنافسين، بني محمد وبني عمر، وتقلبوا في ولائهم بن الدولة الأموية والعبيديين، واستمرت هذه الدولة حتى (384هـ/984م). انظر أبو العباس احمد السلاوي: **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**: ت جعفر الناصري/ محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1954م، ج1، ص 255وما بعدها ابن أبي زرع: **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ومدينة فاس**، دار المنصورة لطباعة والنشر، الرباط، 1972م، ص20.

[5] محمد الجيدي: **المرجع السابق**: ص19.

بن سعيد القسي[1]، الذي عينه المولى إدريس الثاني قاضيا لديه، بعد وفوده المنطقة سنة (189هـ/804م) في جملة من العرب من إفريقية والأندلس ليتجذر المذهب فيما بعد بالمنطقة وينتشر بين الناس.

3-في الأندلس :

أما عن الأندلس فقد غلب عليها المذهب الأوزاعي في بادئ الأمر، منذ بداية وصول المذاهب الفقهية إليها أواخر القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي، وفي ذلك يقول القاضي عياض: «وأما أهل الأندلس فكان رأيها منذ فتحت على رأي الأوزاعي، إلى أن رحل إلى مالك زياد بن عبد الرحمان، وقرعوس بن العباس، والغازي بن قيس، ومن بعدهم فجاءوا بعلمه»[2]، وبقي الأمر كذلك حتى عودة تلاميذ مالك من رحلاتهم، فكانت النقلة نحو المذهب المالكي وأحصت لنا المصادر عدد من الطلبة الذين أخذوا مباشرة عن مالك[3].

أما عن أول من أدخل المذهب إلى المنطقة، فهناك اختلاف بين المصادر فنجد ذكرا لكل من الغازي بن قيس، وزياد ابن عبد الرحمان الملقب بشبطون، وفي هذا السياق يقول ابن فرحون: «وهو أول من أدخل موطأ مالك وقراءة نافع إلى الأندلس»[4] ويقصد هنا الغازي بن قيس، فيما جاء في ترتيب المدارك قول القاضي عياض: «وكان زياد أول من أدخل إلى الأندلس موطأ مالك، مثقفاً بالسماع منه»[5]، وهذا في عهد الحكم بن هشام ثالث أمراء الدولة الأموية.

ومن خلال هذا التضارب يمكن التوفيق بين الرأيين: بأن الغازي بن زياد كان حاضرا عند مالك، فلما أتم كتابه أتى بنسخة منه على شكله الأول، أي قبل تهذيبه وتنقيحه ورحل

---

[1] عامر بن محمد بن سعيد القسي، كان رجلا صالحا فقيها، أخذ عن مالك وسفيان الثوري ونقل عنهما كتبهما وفقههما، دخل المغرب الأقصى(189هـ/804م) في عهد المولى إدريس الثاني الذي عينه قاضيا لديه. انظر ابن أبي زرع: **المصدر السابق**، ص29.

[2] القاضي عياض: **المدارك**، ج1، ص26.

[3] نجم الدين الهنتاتي: **المرجع السابق**، ص37.

[4] ابن فرحون: **المصدر السابق**، ج2، ص136.

[5] القاضي عياض: **المدارك**،ج3، ص117.

زياد بن عبد الرحمان بعده وأتى بالنسخة بعد تمام تنقيحها وتهذيبها[1]، ويمكن الجمع بين القولين بأن كان السبق للغازي بن قيس في إدخاله، فيما كان الفضل في انتشاره على نطاق واسع

واشتهاره بين الناس قراءة وإسماعا لزياد بن عبد الرحمان[2]، تلت هذه المرحلة أي مرحلة دخول المذهب، مرحلة التأسيس والتمكين للمذهب بالمنطقة، وأهم من له ذكر في هذا الصدد يحيى بن يحيى الليثي (ت234هـ/882م) والذي ظلت روايته للموطأ عن مالك هي الأشهر والأكثر تداولا بالمنطقة[3].

وعن انتشار المذهب المالكي بالأندلس كان للسلطان والدولة يد ودور في ذلك، حيث تبنت الدولة الأموية المذهب المالكي مذهبا رسميا للفتيا والقضاء، مع الإلغاء التام لباقي المذاهب الأخرى، فكان دخول المذهب بلاد الأندلس على يد الغازي بن قيس أيام الأمير عبد الرحمان الداخل[4]، ثم مرحلة الاستقرار في عهد الأمير هشام بن عبد الرحمان الداخل سنة(171هـ/180هـ)[5]، ليستمر هذا التوسع والانتشار في عهد ابنه الحكم ابن هشام (180/206هـ) «فانتشر علم مالك ورأيه في الأندلس وقرطبة جميعا[6]»، وفي هذه المرحلة كان الاستقرار النهائي للمذهب بالمنطقة، فكان يحيى بن يحيى الليثي المرجع الأساسي في تولية القضاة وعزلهم بلا منازع[7].

---

[1] محمد بن حسن شرحبيلي: **تطور المذهب المالكي بالغرب الإسلامي**، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1421هـ/2000م، ص22.

[2] عمر الجيدي: **المرجع السابق**، ص17.

[3] نجم الدين الهنتاتي: **المرجع السابق**، ص37.

[4] عبد الرحمان الداخل: هو أبو المطرف عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية، مؤسس الدولة الأموية بالأندلس، ولد بدمشق سنة (113هـ/731م)، وعقب قيام الدولة العباسية وقتل آخر الخلفاء الأمويين، هرب عبد الرحمان إلى الأندلس مارا بمصر والمغرب الإسلامي، ودخل الأندلس سنة (138هـ/755م) وبايعه الناس هناك فتملك الأندلس حتى وفاته سنة (172هـ/788م) ولم يتلقب بإمرة المؤمنين. انظر ترجمته الذهبي: **السير**، ج8، ص244، ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج2، ص47، سبط بن الجوزي: **المصدر السابق**، ج17، ص332.

[5] القاضي عياض: **المدارك**، ج1، ص26.

[6] أحمد المقري: **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب**، ت إحسان عباس، بيروت، 1438هـ/1968م، ج3، ص230.

[7] محمد شرحبيلي: **المرجع السابق**، ص17.

ثالثا: عوامل انتشار المذهب المالكي بالغرب الإسلامي

1-الرحلة العلمية

من أول وأهم العوامل التي ساهمت في انتشار المذهب المالكي في الغرب الإسلامي، والتي وجب التطرق إليها هي الرحلة العلمية، وفي هذا السياق يقول ابن خلدون: « وأما مالك رحمه الله فاختص بمذهبه أهل المغرب والأندلس، وإن كان يوجد في غيرهم إلا أنهم لم يقلدوا غيره إلا في القليل، بما أن رحلتهم كانت غالبا إلى الحجاز وهو منتهى سفرهم، والمدينة يومئذ دار علم ومنها خرج إلى العراق، ولم يكن العراق في طريقهم فاقتصروا على الأخذ من علماء المدينة وشيخهم وإمامهم مالك وشيوخه من قبله، ولتلاميذه من بعده فرجع إليه أهل المغرب والأندلس وقلدوه دون غيره ممن لم تصل إليهم طريقته»[1].

أي أن العامل الجغرافي له دور كبير في ذلك، كون رحلة الحج من المغرب كانت تمر بالمدينة، والتي تعتبر المنبع الأساسي للمذهب المالكي، وكذا مرورها بمصر، التي ارتبط بها الغرب الإسلامي على المستوى السياسي، فعُدت لفترة ليست بالوجيزة من أعمال مصر، هذه الأخيرة غلب عليها المذهب المالكي وما أخذُ سحنون وغيره عن ابن القاسم، الذي عُد خليفة لمالك خير دعم لهذا الطرح.

هذا لا يُلزم بتعميم الرأي مطلقا، بل عده من العوامل التي ساهمت في انتشار المذهب المالكي بالمنطقة، كون الرحلات العلمية المغربية لم تقتصر على المدينة والحجاز فقط، بل كانت هناك رحلات نحو العراق والشام، كرحلة أسد بن الفرات إلى أبو حنيفة، كما لا يمكن ربط الرحلة فقط بالحج، فكانت هناك رحلات لطلبة وفقهاء غايتها التفقه وأخذ العلم عن أصحابه، بيدا أن رحلات الحج كان ضمنها فقهاء وطلبة علم، دون أن نغفل مكانة المدينة الروحية لدى كل المسلمين، كونها معقل الإسلام الأول ودار الهجرة، وبها قبر الرسول صلى الله عليه وسلم وكبار أصحابه رضوان الله عليهم.

فكان من البديهي رغبة أي مسلم التعريج عليها وزيارتها، والوقوف على قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا يلزم الاحتكاك بعلماء المدينة سواء مالك في حياته، أو مع حملة

[1] ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج1، ص568.

مذهبه من طلبته وأتباعه والأخذ عنهم، وقد أوردت المصادر أكثر من ثلاثين طالب ممن أخذوا مباشرة عن مالك من أهل افريقية والمغرب الأدنى، وزاد العدد عن اثنا عشر من أهل الأندلس[1]، أما فيما يخص رأي ابن خلدون حول تشابه طبيعة المغرب والمدينة في جانب التحضر، فهذا المعيار فيه مجانبة للواقع، لعدة اعتبارات كون هناك اختلافات جوهرية بين المدينة والمغرب ككل في عدة جوانب، بالإضافة لاتساع الرقعة المقصودة والاختلافات حتى بين مكونات وحواضر المغرب وقد تم نقد هذه النقطة بالذات من قبل عدة باحثين[2].

[1] نجم الدين الهنتاتي: **المرجع السابق**، ص37.

[2] نجم الدين الهنتاتي: **المرجع السابق**، ص68/67، الجيدي عمر: **المرجع السابق**، ص38.

2-شخصية الإمام مالك ومعاملته للمغاربة:

كما كان لشخص الإمام مالك رحمه الله الأثر في تشبت أهل المغرب بمذهبه، فكان مذهبه مبنيا على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، متمسكا بما كان عليه هو واصحابه مقتفيا آثارهم وجاعلا من ذلك منهجا في الحياة، كما عرف مجانبته للسلطان واقف على الحق واستماته في الدفاع عنه، مع علو شأنه ورفعة أخلاقه، هذه الصفات وغيرها تناقلها من شهده وعايشه ما جعل قلوب أهل المغرب تميل إليه وإلى مذهبه، كما أن مالك خص طلبته المغاربة بمكانة مميزة، وقربهم إليه فهذا عبد الله بن غانم، كان مالك يدنيه منه ويسأله عن أخبار المغرب، حتى أنه عرض عليه تزويجه ابنته، والإقامة بالمدينة غير أنه رفض شرط المقام هناك[1]، وهذا عبد الله بن فروخ لما دخل عليه، تلقاه بالسلام وقام إليه، "وكان لا يكاد يفعل ذلك بكثير من الناس»[2].

وخص الإمام مالك طلبته المغاربة بالثناء والمدح في رجاحة عقولهم وفطنتهم، وفي هذا السياق يقول مثنيا عليهم: «أهل الذكاء والذهن والعقول من أهل الأمصار ثلاثة: المدينة ثم الكوفة ثم القيروان»[3]، إلى جانب تمكنهم العلمي، فلما سأله عبد الله بن غانم عن أمور أشكلت عليه قال: ما قال فيها المصفر؟ وقصد هنا البهلول بن ابن راشد[4]، وبدورهم نقل طلبته علمه إلى المنطقة وساهموا في انتشار المذهب المالكي، بتأسيس مدارس فقهية كان لها شأن كبير بين نظيراتها في مختلف البقاع الإسلامية.

---

[1] القاضي عياض: **المدارك**، ج3، ص ص66-70.

[2] المالكي: **المصدر السابق**، ج1، ص179.

[3] ابن فرحون: **المصدر السابق**، ج1، ص418.

[4] القاضي عياض: **المدارك**، ج3، ص88.

3-علماء المذهب من أهل المنطقة

يضاف إلى عوامل انتشار المذهب المالكي بالغرب الإسلامي، مكانة علماء المذهب المالكي من أهل المنطقة ودورهم في خدمة المذهب، فمن جانب المكانة، لاقوا القبول لدى عامة الناس وطلبة العلم، بفضل ما تميزوا به من رفعة الأخلاق، وحسن التعامل، وترفع عن مشبوهات الأمور، مع شهادة الناس لهم بالمواقف الحسنة في مواجهة جور السلطان، والصمود على الحق، فهذا البهلول بن راشد لما أراد محمد بن مقاتل العكي جلده «بعث وراءه ليضربه تحاشد إليه الناس والجماعات، فزاد العكّي ذلك حنقا عليه، ...فرمى عليه بأنفسهم جماعة، فضربوا»[1].

رغم هذا الوضع العصيب الذي وقع فيه، إلا أنه غلب عليه الحكمة واتقى الفتنة حقنا لدماء المسلمين ونها من استأذنه للخروج عن الحاكم[2]، واسترداد ابن غانم لأموال النخاسين من ابن الأغلب، وثناء العامة عليه في ذلك مثال آخر على مكانة فقهاء المالكية[3]، ونختم بما كان عليه سحنون من الفقه البارع، والورع الصادق، والصرامة في الحق، والزهادة في الدنيا، والتخشن في الملبس والمطعم[4]، وما حضي به من مكانة ورفعة بين الناس، ولم يقتصر علو شأن علماء افريقية والمغرب، وانتشار حسن سيريهم على بلاد المغرب الإسلامي فقط، بل تعداه إلى أقاسي بلاد المسلمين، وقصة المرأة التائبة من سمرقند وطلبها من البهلول الدعاء

---

[1] المالكي: **المصدر السابق**، ج1، ص213.

[2] أبو العرب:، **المصدر السابق**، ج1، ص59.

[3] ذكر القاضي عياض أن ابن غانم وصله خبر أن هارون مولى إبراهيم بن الأغلب ابتاع من بعض النخاسين بغالا بخمسمائة دينار ولم يدفع لهم شيئا، فقصد ابن الأغلب، الذي أراد تأجيل أمر الدفع، بعد التأكد من الأمر، فرفض ابن غانم الخروج من عنده حتى يدفع أموال النخاسين. انظر القاضي عياض: **المدارك**، ج3، ص70.

[4] أبو العرب: **المصدر السابق**، ج1، ص101.

لها مثال على ذلك[1]، وفي الأندلس يحيى بن يحيى الليثي، كان المرجع الأساسي في تولية القضاة وعزلهم بلا منازع[2].

أما في الجانب العملي ونشاطهم في خدمة المذهب، فيتجلى من خلال إنتاجهم العلمي كالمدونة[3] لسحنون، والتي أضحت ثاني أهم كتاب في الفقه المالكي، وتتلمذ على أيديهم آلاف الطلبة، بدورهم نقلوا عنهم إلى بلدانهم ومناطقهم، كسحنون الذي كان له في كل بلدة نحو سبعمائة رجل ظهروا بصحبته وانتفعوا بعلمه[4]، كما تفرغوا لطلب العلم والتدريس والتأليف خدمة للعلم والمذهب، فوصلوا إلى أعلى المراتب وتفوقوا في ذلك على باقي الأقطار الإسلامية في مراحل مختلفة، وترفعوا عن وظائف الدولة ومصاحبة السلطان، وإن أرغموا على ذلك كان لهم الأثر الواضح على انتظام ما كلفوا به، فكانت ولايتهم للقضاء عادلة ما جعل العامة تتقبل أحكامهم وتأخذ بفتاويهم، بل حرص الأمراء على تولية القضاء للفقهاء المالكية.

---

[1] جاء أن أحد أصحاب البهلول بن راشد كان بالمدينة فالتقى برجل يسال عن البهلول بن راشد، فلما علم أنه من أصحابه دفع إليه كتاب وطلب منه إيصاله إليه، فحين وصل الكتاب وفتحه البهلول، وجد فيه أن كاتبه امرأة من سمرقند كانت على مجون ولهو ثم تابت، وأنها تطلب من الصلحاء الدعاء لها بالتبات على التوبة، ولما سألت عن الصلحاء في الأرض ذكر لها ثلاثة البهلول رابعهم. أبو العرب: **المصدر السابق**، ج1، ص55.

[2] محمد شرحبيلي: **المرجع السابق**، ص17.

[3] المدونة من أهم كتب الفقه المالكي والتي تعتبر أهم كتاب بعد موطأ الإمام مالك، وهي عند الفقهاء المالكية بمنزلة كتاب سيبويه عند النحويين، وأصل المدونة هي ما كتبه أسد بن الفرات من أقوال فقهاء المالكية وفقهاء العراق، والتي رحل بها الإمام سحنون وعرضها على أبي القاسم ونحقها، لتنتشر المدونة وهمل دراسة الأسدية فيما بعد، وقد لاقت المدونة دراسات واهتمام كبير من قبل الفقهاء المالكية، وظهرت لها عديد المختصرات، أشهرها مختصر الخليل. انظر أبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي : **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل افريقية والأندلس والمغرب**، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1401هـ/1981م، ج12، ص24/23. أبي بكر عبد الله بن يونس الصقلي: **الجامع لمسائل المدونة والمختلطة**، ت أبو الفضل الدمياطي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971م، ج1، ص55/54. ابن رشد القرطبي: **المقدمات الممهدات**، ت أحمد سعيد عراب، ط1، دار الفكر الإسلامي، بيروت، 1408هـ/1988م، ج1، ص45. عمر الجيدي: المرجع السابق، ص70/69.

[4] الدباغ: **المرجع السابق**، ج2، ص.93.

4-ملائمة المذهب المالكي لطبيعة أهل المغرب :

فهو مذهب عملي أكثر منه نظري يعتد بأعراف الناس وعاداتهم، يتماشى مع الفطرة دون تعقيد[1]، فأهل المغرب تميزوا بحساسية تجاه البدع وأصحابها وقاوموها، وسعوا إلى تتبع السنة والتمسك بها[2]، خاصة بعدما عانوه من جور الولاة بادئ الأمر، ما يتنافى وتعاليم الدين الإسلامي التي تقوم على العدل والحق.

ويجمع عديد المؤرخين على سوء معاملة العمال الأمويين من المتأخرين للبربر وإرهاقهم بالجبايات والمغارم، ووصل بهم الأمر لاعتبار بلاد المغرب دار حرب حتى بعد اعتناقهم الإسلام، ماعدا فترات قليلة منها فترة حكم الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز[3] (99-101هـ/717-719م)، التي تميزت بانتشار العدل بين الرعية[4]، هذا الوضع جعل بلاد المغرب الإسلامي أرض خصبة لأفكار بعض الفرق الضالة والمبتدعة، أمثال الخوارج والشيعة، ما حتم على أهل المغرب خوض تجارب معها، خاصة فرقة الخوارج، ممثلة في دولتي بني رستم وبني مدرار، وأيضا الدولة العبيدية في وقت لاحق.

لم يطل افتتان أهل المغرب بهذه الفرق، حيث أبانت عن فساد معتقداتها، وظهر ذلك جليا في معتقد التبرؤ من الخلفاء الراشدين والطعن فيهم، سواء من قبل الخوارج أو الشيعة، وهو ما يتنافى مع فطرة الإسلام وما أخذه أهل المغرب، عن أوائل الفاتحين من تعاليم الدين الإسلامي، بالإضافة إلى ما خلفته من فتن وبعض الأعمال التخريبية، الشنيعة كوقعة ورفموجة[5]

---

[1] عمر الجيدي: **المرجع السابق**، ص38.

[2] نجم الدين الهنتاتي: **المرجع السابق**، ص64.

[3] عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، من خلفاء الدولة الأموية عرف بالعدل والزهد والعلم، ورغم أن فترة حكمه لم تدم طولا إلا أنه استطاع إصلاح أحوال الدولة الإسلامية في عهده ونشر العدل والأمان، وقد حفلت مختلف المصادر الإسلامية ف نقل مآثره وثناء العلماء عليه توفي رحمه الله سنة 101هـ/719م. انظر ترجمته، الذهبي ، **السير**، ج5، ص114، **تاريخ الإسلام**، ج3، ص115، ابن الأثير، **المصدر السابق**، ج4، ص114.

[4] محمود إسماعيل: **الخوارج في بلاد المغرب**، ط2، دار الثقافة، المغرب، 1406هـ/1985م، ص36.

[5] ورفجومة نسبة إلى قبيلة ورفجومة البربرية وهي إحدى بطون نفزاوة، وكان أهل ورفجومة من الخوارج الصفرية وفي سنة (140هـ/757م) استولوا على مدينة القيروان، و«قتلوا كل من كان من قريش وعذبوا أهلها. وأساءت ورفجومة لأهل القيروان سوء العذاب". انظر ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص70.

على القيروان سنة (140هـ/757م)[1]، هذا ما جعل العامة تنفر من أهل البدع، وتركن إلى السنة والمذهب المالكي، خاصة وأن المذهب المالكي من أشد المذاهب معاداة للبدع وأكثرهم تمسكا بالسنة ومعارضة للفتن والخروج عن السلطان، وهي ميزة لأهل المغرب فيما يخص التشبث بالولاء التام للخليفة[2]، ما طمأنهم إلى إتباعه والتمسك به.

[1] نجم الدين الهنتاتي: **المرجع السابق**، ص90.

[2] **نفسه**، ص73.

5-تأثير السلطات الحاكمة في التمكين للمذهب المالكي:

هناك نقطة لابد من الإشارة إليها، ألا وهي دور السلطان في التمكين للمذاهب، وإن لم يشكل عامل رئيسي يمكن تعميمه على المذهب المالكي بالغرب الإسلامي، لعدة اعتبارات سنتطرق إليها، إلا أنه كان من العوامل التي ساعدت على ذلك، ففي الأندلس مثلا الأمير هشام بن عبد الرحمان، أخذ الناس على التزامهم مذهب مالك، وصير القضاء والفتيا عليه[1]، وفي هذا السياق يقول ابن حزم الأندلسي: «مذهبان انتشرا في بدء أمرهما بالرياسة والسلطان مذهب أبي حنيفة ...ومذهب مالك بن أنس عندنا فإن يحيى كان مكينا عند السلطان، مقبول القول في القضاة، فكان لا يلي قاض في أقطارنا إلا بمشورته واختياره، ولا يشير إلا بأصحابه ومن كان على مذهبه»[2]، وهذا يعني تدخل السلطان مباشرة، وفرض المذهب المالكي على الرعية.

وفي المغرب الأقصى حتى وإن لم تكن هناك روايات صريحة للمصادر، تدور حول تبني الأدارسة للمذهب المالكي، غير أن هناك بعض الدلائل تشير إلى تمهيدهم لذلك[3]، حيث تقول بعض المصادر أن إدريس الثاني (192-231هـ/807-851م) حمل أهل المغرب على إتباع المذهب المالكي، لدوافع سياسية كانت لمالك تجاه الأمويين، وشكك الهنتاتي في قبول هذا الطرح ويرى بوجوب مناقشته[4]، وإن ثبت تدخل بعض الحكام في الاستناد إلى المذهب المالكي، فهذا لا يعني بالضرورة أن ذلك السبب الرئيسي في غلبته، لاعتبارات أخرى أهمها السيطرة التامة والانتشار الواسع له، وما لاقاه من قبول لدى عامة المجتمع المغربي.

هذا بالنسبة للأندلس والمغرب الأقصى، أما فما يخص المغربين الأدنى والأوسط، خاصة حاضرة المغرب الأدنى إفريقية، باعتبارها المركز الحضاري للمغرب الإسلامي، لا ينطبق عليها نفس الوضع الذي تميزت به الأندلس والمغرب الأقصى، كون حكامها تبنوا

---

[1] القاضي عياض: **المدارك**، ج1، ص27.

[2] علي بن موسى الأندلسي: **المغرب في حلى المغرب**، ت شوقي ضيف، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1955م، ج1، ص164

[3] محمد شرحبيلي: **المرجع السابق**، ص55.

[4] نجم الدين الهنتاتي: **المرجع السابق**، ص ص94-95.

مذاهب أخرى، فالدولة الأغلبية كانت على المذهب الحنفي، لكن مالت الكفة فيما بعد وكانت الغلبة في النهاية للمذهب المالكي.

بالموازاة مع ذلك لا ننفي تماما استفادة المذهب المالكي من تأثير السلطة الحاكمة بالمنطقة، فخلال ولاية سحنون القضاء، قام بتوليته القضاة في مختلف المناطق على مذهبه، وهذا لا يعني أن دور سحنون انحصر تأثيره من جانب ولايته القضاء فقط، بل كان لشخصيته وعلمه دور هام في قبوله وسط العامة وتقليد مذهبه، وفي الأخير يمكن الاستدلال على عدم حجية الطرح القائل بانتشار المذهب المالكي في الغرب الإسلامي بفعل السلطان، باندثار المذهب العبيدي بالغرب الإسلامي، وعدم قبوله من العامة، حتى في أوج قوة الدولة العبيدية، وعودة المذهب المالكي للسيطرة على المنطقة غداة زوال دولتهم.

هذه بعض الأسباب التي ساهمت ومكنت للمذهب المالكي بالغرب الإسلامي، أضاف إليها بعض الباحثين عدة أسباب أخرى، كل حسب دراسته وموضوعه، اختلفت بين إسهاب في طرح هذه الأسباب مع الشرح والتعليق، وبين الاختصار، ومنها التشابه بين طبيعة المجتمع المغربي والمدني، وكذا البيئة الإفريقية المحافظة، ومنهم من ذهب إلى أن عامل العرق والانتماء له دور في هذا الانتشار، كما أن هناك من يعزو انتشار المذهب المالكي بالمنطقة إلى الجانب الجغرافي خاصة للمغربين الأوسط والأقصى[1]، وحسب رأينا أن ما عددناه من أسباب وعوامل، كان لها الدور الجلي في غلبة المذهب المالكي على المنطقة، بالأخص عامل الرحلة العلمية الذي شكل المنبع الرئيسي لنقل وانتشار المذهب إلى البلاد، وهذا الطرح يميل إليه أيضا الأستاذ المغربي عمر الجيدي اذ اعتبره أهم سبب[2]، بالإضافة إلى الدور الكبير الذي لعبه علماء المذهب من أهل المنطقة، فكان لهم الفضل الكبير في ذلك.

---

[1] انظر، الهنتاتي: **المرجع السابق**، ص59وما بعدها، الجيدي: مباحث، **المرجع السابق** ص ص38-39، محمد شرحبلي: **المرجع السابق**، ص229، موسى هيصام: **المرجع السابق**، الغرياني: **المذهب المالكي**، ص64.

[2] عمر الجيدي: **المرجع السابق**، ص39.

المبحث الثاني: الشيعة

أولا: ماهية الشيعة

1-التعريف بالشيعة:

أ/لغة:

قال تعالى {إِنَّ الّذينَ فرَّقوا دينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً}[1]، {وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ}[2]، وفي الحديث (القدرية شيعة الدجال)[3].

في المعنى اللغوي الشيعة: أولياء الشخص وأنصاره، جاء في لسان العرب: «وأصل الشيعة الفرقة من الناس، ويقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث بلفظ واحد ومعنى واحد»[4]، وفي تاج العروس «الشِّيعَةِ: الَّذين يتبعُ بعضُهُم بَعضاً وَلَيْسَ كلُّهُم مُتَّفقينَ»[5]، وشيعه: تابعه، والمُشايِعُ: اللاحِقُ، وتَشَيَّعَ: ادَّعى دَعْوَى الشِّيعةِ[6].

ب/ اصطلاحا:

مصطلح الشيعة كان يطلق على طائفة من الناس شايعت وناصرت رجلا، واتخذته قائدا وظل استعمال هذه اللفظة في العصر الأول من الإسلام في معناه الأصلي، ففي الفتنة بين معاوية وعلي رضي الله عنهما، كان يقال شيعة معاوية، وشيعة علي، أي انصاره[7]، ليصبح مرادفا لفرقة إسلامية، تنطوي ضمنها مجموعة من الفرق، مختلفة أشد الاختلاف، ترجع نشأتها جميعا إلى القول بأن علي رضي الله عنه هو الخليفة الشرعي[8]، يتفقون فيما بينهم على أن

---

[1] سورة الأنعام: الآية رقم [159].

[2] سورة الصافات: الآية رقم [15].

[3] عن ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (القدرية مجوس هذه الأمة، وهم شيعة الدجال)، ينظر الملا علي القاري: **شرح مسند أبي حنيفة**، ت خليل محي الدين الميس، دار الكتاب العلمي، بيروت، 1971م، ص195.

[4] ابن منظور: **المصدر السابق**، ج8، مادة شيع، ص189.

[5] الزبيدي: **المصدر السابق**، ج21، مادة شيع، ص302.

[6] الفيروز آبادي: **القاموس المحيط**، ت محمد نعيم العرقسوسي، ط8، الرسالة للطباعة للنشر والتوزيع، بيروت، 1428هـ/2005م، ص735.

[7] إحسان إلهي ظهير: **الشيعة والتشيع**، ط10، إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، 1415هـ/1995م، ص ص13-15.

[8] سلطان بن محمد القاسمي: **موجز دائرة المعارف الإسلامية**، ط1، مركز الشارقة للإبداع الفني، مصر، 1414هـ/1998م، ص6405.

الأحق بالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو علي ابن أبي طالب، وبنوه من بعده رضوان الله عنهم نصا ووصية إما جليا أو خفيا[1].

جاء في التعريفات للجرجاني: «الشيعة هم الذين شايعوا عليا رضي الله عنه، وقالوا: أنه الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج عنه وعن أولاده»[2]، ويقول ابن خلدون: «اعلم أنّ الشّيعة لغة هم الصّحب والأتباع ويطلق في عرف الفقهاء والمتكلّمين من الخلف والسّلف على إتباع عليّ وبنيه رضي الله عنهم ومذهبهم جميعا»[3]، أي أن مصطلح الشيعة صار مرادف على من يتولى الخليفة الراشدي علي ابن أبي طالب، وخلفه من بنيه رضوان الله عليهم ويراهم أحق بالخلافة، يقول الزبيدي: «وقد غلب هذا الاسم على كل من يتولى عليا وأهل بيته، رضي الله عنهم أجمعين، حتى صار اسما لهم خاصا»[4].

---

[1] محمد بن عبد الله الشهرستاني: **الملل والنحل**، ت أمين علي وآخرون، ط3، دار الفكر، بيروت، 1414هـ/1993م، ج1، ص169.

[2] علي بن محمدالجرجاني: **معجم التعريفات**، ت محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، مصر، 1403هـ/1980م، ص111

[3] ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج1، ص246.

[4] الزبيدي: **المصدر السابق**، ج21، مادة شيع، 303.

2-الامتداد التاريخي للتشيع ومنشأه :

الشيعة بأصولها ومعتقداتها لم تولد فجأة من العدم، بل كان لظهورها وتطورها مراحل عدة مرت بها، ولمعرفة أصل الشيعة لابد من تتبع أصول فكر التشيع ونشأته ومن ثم تطوره، فهناك اختلاف كبير المصادر التاريخية حول البداية الأولى لظهور التشيع، فمن الشيعة من يرى أنّ التشيع وُجد منذ خلق الله لآدم، وهو قديم بقدم البشرية، ولهم في ذلك خرافات وأساطير تحتاج لدراسة[1] خاصة، وسنقتصر في موضوعنا على أهم الآراء حول الموضوع وهي:

ذهب بعضهم إلى أن التشيع بدأ مع جهر الرسول صلى الله عليه وسلم بدعوته في شعاب مكة، أي أن الرسول لم يدعو إلى توحيد الله وعبادته، بل إلى التشيع لعلي[2]، وهذا القول كذب صريح على النبي صلوات الله عليه، فما بعث إلا لتوحيد الله وعبادته وليس للدعوة للتشيع والتحزب، قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ}[3]، وما قولهم بهذا إلا محاولة للتنصل من ربط عقيدتهم بأصول يهودية وفارسية[4].

في حين يرى غالبية الشيعة أن التشيع بدأ مبكرا وكان موجود في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وفي هذا الشأن يقول أحمد عرفان: «إن مذهب التشيع على ما هو عليه الآن ...نشأ زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وهو أول المذاهب الإسلامية المعروفة»[5]، مستدلين بآيات وأحاديث كحديث غدير خم[6] بعضها صحيح تم تأويلها لتناسب طرحهم، وبعضها الآخر موضوع[7]، قال بهذا جماعة من أعلام الشيعة كالكيليني ومن المعاصرين الخميني في كتابه

---

[1] ناصر بن عبد الله القفاري: **أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية**، ط2، جامعة محمد بن سعود، المدينة المنورة، 1415هـ/1994م، ج1، ص58.

[2] إحسان إلهي ظهير: **الشيعة والتشيع**، ص20.

[3] سورة الأنبياء، الآية رقم [25].

[4] علي عواجي: **فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام**، ط4، المكتبة العصرية الذهبية، جدة،1422هـ/2001م، ج1، ص311.

[5] أحمد عرفان: **مختصر تاريخ الشيعة**، دار العرفان، سوريا، 1332هـ/1914م، ص10.

[6] قال ابن حزم: فلما وصل غدير خم ...ثم قال عليه السلام وهو على الرحال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار، ألا هل بلغت؟ ثلاثا» فادعت الإمامية أن هذا نص صريح. انظر ابن حزم: **المصدر السابق**، ج1، ص163.

[7] ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج1، ص247، أحمد الوائلي: **هوية الشيعة**، ط3، دار الصفوة، بيروت، 1414هـ/1994م، ص ص25-30.

الحكومة الإسلامية[1]، وهناك تواريخ أخرى تم وضعها كمعركة صفين وحادثة التحكيم[2]، ومنهم من يرى أن التشيع بدأ أيام خلافة عثمان رضي الله، عنه كالمستشرق فرهاد دفتري الذي جاء في كتابه الإسماعيليون: أن سياسة عثمان رضي الله عنه خلقت معارضة سياسية «وبرزت الشيعة فيه كحزب أكثر نشاط»[3]، ومصطفى كامل من الشيعة يرى أن الشيعة كانت أيام النبي صلى الله عليه وسلم، ونمت أيام مقتل عثمان رضي الله عنه، وظهرت واستقلت بعد مقتل الحسين[4].

وبعض المصادر تُرجع نشأة التشيع إلى مرحلة وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث يقول أن البذرة الأولى للتشيع كانت من الصحابة الذين رأوا بأن أهل بيته هم أحق بخلافته[5]، وهذا ما أكده ابن خلدون حيث قال: "أنّ جماعة من الصحابة كانوا يتشيعون لعليّ ويرون استحقاقه على غيره، ولما عدل به إلى سواه تأفّفوا من ذلك»[6]، من الصحابة الذين تخلفوا عن بيعة أبي بكر رضي الله عنه، من أشهرهم سلمان الفارسي، وأبو ذر الغفاري والمقداد بن الأسود، والعباس بن عبد المطلب رضوان الله عليهم[7]، فأصحاب هذا الطرح يرونهم البذرة الأولى للتشيع، ومن الشيعة ممن يرى بنشأة الشيعة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم النوبختي[8]، لكن في هذا الرأي نوع من المبالغة، وإن ثبت اقتراح بعض الصحابة لتولية علي رضي الله عنه، فهو آني زال ببيعة أبي بكر رضي الله عنه.

بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم كان لابد من إمام للمسلمين، يرعى شؤون دينهم ودنياهم، فهناك اتفاق بين جميع الفرق الإسلامية سنية وشيعية وخوارج على وجوب الإمامة، وأن الأمة واجب عليها الانقياد لإمام عادل، يقيم فيهم أحكام الله، ويسوسهم بأحكام الشريعة

---

[1] الخميني: **الحكومة الإسلامية**، ص131.

[2] إحسان إلهي ظهير: **الشيعة والتشيع**، ص25.

[3] فرهاد دفتري: **الإسماعيليون تاريخ وعقائد**، تر سيف الدين القصير، ط1، دار الساقي، بيروت، 2012م، ص98.

[4] مصطفى كامل: **الصلة بين التصوف والتشيع**، ط2، دار المعارف، مصر، ص23.

[5] أحمد أمين: **فجر الإسلام**، ط2، مكتبة الاعتماد، مصر، 1993م، ج1، ص311.

[6] ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج3، ص215.

[7] أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي: **تاريخ اليعقوبي**، مطبعة الغرى، النجف، العراق، 1358هـ/1939م، ج2، ص.103.

[8] الحسن بن موسى النوبختي: **فرق الشيعة**، ط1، منشورات الرضا، بيروت، 1433هـ/2012م، ص33.

التي أتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم[1]، والإمامة عرفها الماوردي قائلا «الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا وعقدها لمن يقوم بها في الأمة واجب بالإجماع»[2]، فحصل خلاف حول من يكون الخليفة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورأت جماعة من الأنصار بتنصيب سعد بن عباد واجتمعوا في سقيفة بني ساعدة[3]، فلما وصل أبو بكر ومن معه حسم الأمر وتمت البيعة له[4].

ركن الأنصار بعد أن أقام عليهم عمر رضي الله عنه الحجة، بحديث الأئمة من قريش[5]، ولم يتأخر علي رضي الله عنه عن البيعة إلا لانشغاله بتحضير جنازة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم مرض زوجته ووفاتها رضي الله عنها، وما وقع بينها وبين الخليفة أبي بكر

---

[1] أبي نعيم الأصبهاني: **الإمامة والرد على الرافضة**، ت علي الفقيهي، ط1، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 1407هـ/1987م، ص24.

[2] علي بن محمد الماوردي: **الأحكام السلطانية**، ت أحمد مبارك البغدادي، ط1، مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت، 1409هـ/1989م، ص3

[3] سقيفة بني ساعدة: بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم اجتمع الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة، وكان الهدف من هذا الاجتماع اختيار خليفة للمسلمين، فذهب إليهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وأبو عبيدة بن الجراح، ثم تكلم أبو بكر ومما جاء في كلامه: نحن الأمراء وأنتم الوزراء، فقالوا: منا أمير ومنكم أمير، فقال أبو بكر: لا، ولكنا الأمراء، وأنتم الوزراء، هم أوسط العرب دارا، وأعربهم أحسابا، فبايعوا عمر، أو أبا عبيدة بن الجراح، فقال عمر: بل نبايعك أنت، فأنت سيدنا، وخيرنا، وأحبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخذ عمر بيده فبايعه، وبايعه الناس. انظر محمد بن إسماعيل البخاري: **صحيح البخاري**، ت محمد زهير ط1، دار طوق النجاة، 1422هـ، كتاب أصحاب النبي، ج5، ص6، رقم الحديث 3668. عبد الحليم بن تيمية: **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية**، ت محمد رشاد سالم، ط1، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1406هـ/1986م، ج8، ص564، انظر أبو الفداء إسماعيل بن كثير: **البداية والنهاية**، ت عبد الله التركي، ط1، دار هجر، مصر، 1418هـ/1997م، ج8، ص ص81-83، علي بن الحسن بن عساكر: **تاريخ دمشق**، ت عمرو العموري، دار الفكر، بيروت، 1415هـ/1995م، ج30، ص ص272-285.

[4] محمد بن عبد الله الشهرستاني: **الملل والنحل**، ت أمين علي وآخرون، ط3، دار الفكر، بيروت، 1414هـ/1993م، ج1، ص2.

[5] ابن تيمية: **منهاج السنة**، ج8، ص289، ج7، هامش ص48.

حول الميراث[1]، وهناك روايات تدل على أنه بايعه أول الأمر[2] ثم بايعه بعد وفاة فاطمة تأكيدا للبيعة الأولى وإزالة للجفوة التي حدثت بسبب الاختلاف حول الميراث[3]، وهذا عكس ما تروج له المصادر الشيعية على أن عليا لم يبايع أبا بكر رضي الله عنهما، أو أنّ مبايعته كانت تقيا منه، وهذا القول أشر فهم بزعمهم هذا يصفون صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكذب، والعجز عن القيام بما أمره الله تعالى، وهذا القول فيه انتقاص له فهو خالف أمر الله تعالى في إمامة المسلمين[4]، إن كانت الإمامة من حقه ولم يطالب بها كما يزعمون.

---

[1] جاء في الإمامة للأصبهاني: في أن تخلف علي عن البيعة كان عن رأي رآه في نفسه، ثم رأى أن الحق والصواب في المبايعة فبايعه، وكانت فاطمة رضي الله عنها أرسلت إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم ممّا أفاء الله عليه بالمدينة وفدك، وما بقي من خمس خيبر، فأجابها رضي الله عنه بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا نورث، ما تركناه صدقة إنما يأكل آل محمد من هذا المال»، فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئا، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فهجرته، ولم تكلّمه حتّى توفّيت، وعاشت بعد النبي صلى الله عليه وسلم ستة أشهر، دفنها زوجها عليّ، فلمّا توفّيت استنكر عليّ وجوه النّاس فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته، وأرسل إلى أبي بكر رضي الله عنه، فلما دخل عليهم أبو بكر تشهّد عليّ فقال إنّا قد عرفنا فضلك وما أعطاك اللّ، ولم ننفس عليك خيرا ساقه الله إليك ولكنّك استبددت علينا بالأمر، وكنّا نرى لقرابتنا من رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– نصيبا حتّى فاضت عينا أبي بكر فلمّا تكلّم أبو بكر قال والّذي نفسي بيده لقرابة رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–أحبّ إليّ أن أصل من قرابتي، وأمّا الّذي شجر بيني وبينكم من هذه الأموال، فلم آل فيها عن الخير ولم أترك أمرا رأيت رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– يصنعه فيها إلّا صنعته، فقال عليّ لأبي بكر: موعدك العشيّة للبيعة، فلمّا صلّى أبو بكر الظّهر رقي على المنبر فتشهّد وذكر شأن عليّ وتخلّفه عن البيعة، وعذره بالّذي اعتذر إليه، ثمّ استغفر وتشهّد عليّ، فعظّم حقّ أبي بكر وحدّث أنّه لم يحمله على الّذي صنع نفاسة على أبي بكر، ولا إنكارا للّذي فضّله الله به، ولكنّا نرى لنا في هذا الأمر نصيبا، فاستبدّ علينا فوجدنا في أنفسنا فسرّ بذلك المسلمون، وقالوا أصبت وكان المسلمون إلى عليّ قريبا حين راجع الأمر المعروف، انظر الأصبهاني: **المصدر السابق**، هامش ص ص261–262

[2] قال الحافظ بن كثير نقلا عن البيهقي في حديث أبي سعيد الخدري قال: ...فقام عمر بن الخطاب وأخذ بيد أبي بكر وقال: هذا صاحبكم فبايعوه. فبايعه عمر، وبايعه المهاجرون والأنصار. قال: فصعد أبو بكر المنبر،...ثم نظر في وجوه القوم فلم ير عليا فدعا بعلي بن أبي طالب فجاء. فقال: قلت: ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه على ابنته أردت أن تشق عصا المسلمين؟! قال: لا تثريب يا خليفة رسول الله. فبايعه. انظر ابن كثير: **المصدر السابق**، ج8، ص91.

[3] وقال ابن كثير معلقا على الحديث: «وفيه فائدة جليلة، وهي مبايعة علي بن أبي طالب أما في أول يوم أو في اليوم الثاني من الوفاة. وهذا حق؛ فإن علي بن أبي طالب لم يفارق الصِّدِّيق في وقت من الأوقات، ولم ينقطع في صلاة من الصلوات خلفه، وخرج معه إلى ذي القَصَّةِ لما خرج الصديق شاهراً سيفه يريد قتال أهل الرِّدَّةِ. ينظر **نفس المصدر**، ج8، ص92.

[4] علي الكاش: **اغتيال العقل الشيعي**، ط1، إي–كتب، لندن، 2015م، ص235.

لم يكن علي ضد خلافة عمر وعثمان رضي الله عنهم، فلا حجة على الآراء التي تقول أنّ الشيعة كان ظهورها تأييدا لادعاءات علي في الخلافة، فلا دليل على ذلك[1]، وفي هذا الشأن يقول ابن تيمية: «وقد اتفق أهل السنة والشيعة، على أن عليا لم يدع إلى مبايعته في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان، ولا بايعه على ذلك أحد، ولكن الرافضة[2] تدعي أنه كان يريد ذلك، وتعتقد أنه الإمام المستحق للإمامة دون غيره»[3]، واستمر المسلمون على كلمة واحدة مجتمعين حتى الفتنة التي وقعت في خلافة عثمان رضي الله عنه، وقتل فيها بغير وجه حق[4].

هناك رأي آخر يسوقها إلى خلافة علي رضي الله عنه وهذا رأي ابن حزم، الذي ذكر في كتابه الملل: «ثم ولي عثمان فزادت الفتوح ...حتى مات وبموته حصل الاختلاف وابتداء

---

[1] مازن بن صلاح مطبقاني: **الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي:** برنارد لويس نموذج، ط2، دار الفكر، بيروت، 1439هـ/2018م، ص91.

[2] الرافضة: يطلق على مجموعة من فرق الشيعة الذين رفضوا خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، لكن لم يلحق بهم هذا الاسم إلا بعد رفضهم زيد بن علي، قال ابن تيمية «لكن لفظ الرافضة إنما ظهر لما رفضوا زيد بن علي بن الحسين في خلافة هشام» سنة (121هـ/739م) أو (122هـ/741م)، وقصة ذلك أن جماعة من الكوفة دعوا زيد بن علي لمبايعته فقدم وبايعه أكثر من خمسة عشر ألف، ولما شاع خبره طلبوا منه التبرؤ من الشيخين، فأبى إلا الترضي عنهما فتركوه فقال لهم رفضتموني فقيل هذا سبب تسميتهم الرافضة، انظر ابن تيمية: **منهاج السنة**، ج1، ص34، ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج3، ص123، الذهبي: **السير**، ج5، ص390، محمد بن جرير الطبري: **تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري**، ط2، دار التراث، بيروت، 1387هـ،ج7، ص181، ناصر القفاري: **المرجع السابق**،ص107.

[3] ابن تيمية: **منهاج السنة**، ج8، ص88.

[4] قُتل رضي الله عنه في 18ذي الحجة من سنة 35 للهجرة بداره، ولما ضرب بالسيف وتقاطر الدم على المصحف، وتثبت جميع الروايات أن هذه الدماء سقطت على كلمة {فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ} االبقرة:[137]، وشارك في ذلك ما يقارب الألفي شخص، ويقال بأن قاتل عثمان هو رجل اسمه كنانة بن بشر التجيبي، و يقول آخرون بأن قاتل عثمان هو سودان بن حمران السكوني، وهؤلاء من أهل مصر، وشاركتهم جماعة من أهل البصرة، كحرقوص بن زهير السعدي وحكيم بن جبلة، ومن أهل الكوفة جماعة مثل الأشتر مالك بن الحارث النخعي، وكان قتله بتحريض من أعداء الإسلام، ورؤوس للفتنة بوضع شبهات عنه، كتوليته لعدد من أقاربه الولايات، كمعاوية ومروان بن الحكم، وإنفاقه، ومعاقبته عدداً من الصحابة كأبي ذر الذي نفاه إلى الربذة، وضرب ابن مسعود وغيره، وجمع الناس على حرف واحد للقرآن، وتحريقه المصاحف، وأنه علا درجة في المنبر على درجة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد انحط أبو بكر وعمر عنها. ينظر أبو بكر العربي المالكي: **العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم**، ت محي الدين الخطيب، ط1، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، 1419هـ ففيه معلومات قيمة مع تعليقات المحقق، ابن كثير: **المصدر السابق**، ج10، ص270وما بعدها.

أمر الروافض»[1]، وابن النديم الذي جاء في كتابه الفهرست: أن الشيعة تكونت لما خالف طلحة والزبير وطالب بدم عثمان، وقصدهما علي ليقاتلهما وسمي من تبعه الشيعة فكان يقول شيعتي وسماهم طبقة الأصفياء[2].

هذا الرأي فيه جانب من الصواب، فقد استمرت تبعات فتنة مقتل عثمان في خلافة علي رضي الله عنهما، وكان من مخلفاتها وقعة الجمل[3] في جمادى الثاني سنة (36هـ/656م)، والمتمثلة في مواجهة بين علي وأنصاره من جهة، وطلحة والزبير رضي الله عنهم أجمعين ومن معهما من الجانب الآخر، زاد الانقسام بعد ذلك حتى مواجهة علي رضي الله عنه لواليه بالشام معاوية بن أبي سفيان فيما عرف بمعركة صفين[4]، وما تلا ذلك من قضية التحكيم ومخلفاتها كظهور فرقة الخوارج، رغم كل هذه الأحداث لم يخرج مدلول التشيع في ذلك الوقت عن المناصرة والوقوف في صف علي، باعتباره صاحب حق وهو الخليفة المبايع ولا يجوز منازعته في ذلك، ومن فعل ذلك وجب رده إلى الحق ولو بالقوة[5].

---

[1] علي بن حزم الظاهري: **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، ت عبد الرحمان خليفة، مكتبة السلام، بيروت لبنات، 1405هـ، ج2، ص67.

[2] وسماهم أيضا طبقة الأولياء، وطبقة شرطة الخميس، ومعنى شرطة الخميس أن علياً رضي الله عنه قال لهذه الطائفة تشرطوا فإنما أشارطكم على الجنة، ولست أشارطكم على ذهب ولا فضة، إن نبياً من الأنبياء فيما مضى قال لأصحابه تشرطوا فإني لست أشارطكم إلا على الجنة، محمد بن إسحاق بن النديم: **الفهرست**، ت إبراهيم رمضان، ط2، دار التراث، بيروت، لبنان، 1417هـ/1997م، ص223.

[3] بعد مقتل عثمان رضي الله عنه توجه طلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنهم إلى البصرة، وتؤكد الروايات أن خروجهم هو للأخذ بدم عثمان وإصلاح ذات بين المسلمين، وما نقله الطبري من قولها عند ما وجه لها علي بن أبي طالب القعقاع بن عمرو لسؤالهم عن سبب القدوم: «أي أمه، ما أشخصك وما أقدمك هذه البلدة؟ قالت: أي بني، إصلاح بين الناس»، لدليل على سبب الخروج لكن الأمور خرجت عن السيطرة فيما بعد وأخذت منحنى آخر انظر محمد علي الصلابي: **حقيقة الخلاف بين الصحابة** في معركتي الجمل وصفين وقضية التحكيم، دار ابن الجوزي، القاهرة، 1428هـ/2007م، ص19 وما بعدها.

[4] معركة صفين كانت في أواخر سنة 36هـ وبدايات سنة 37هـ، وانتهت بقضية التحكيم وفيها قتل الصحابي الجليل عمار بن ياسر وكان مقتله من أسباب توقف الحرب. ابن الأثير: **المصدر السابق**، ج3، ص45، أنظر الصلابي: **المرجع السابق**، ص83وما بعدها.

[5] غالب عواجي: **فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام**، ط4، المكتبة العصرية الذهبية، جدة، 1422هـ/2001م، ج1، ص 313.

هذا ما كان عليه عامة المسلمين من صحابة وتابعين، معترفين بخلافة عمر وأبي بكر وعثمان رضي الله عنهم، وبفضلهم وسبقهم في الإيمان والمكانة ومترضين عنهم، معتقدين بظلم عثمان حين قتله وناقمين على شارك في ذلك.

لكن رغم كل هذه التواريخ والاختلافات، غير أن هناك اتفاق على أن التشيع في بدايته لم يخرج على النطاق السياسي على الأقل خلال نصف القرن الأول[1]، فلم يكن بين القوم خلاف ديني يرجع إلى حد التكفير، وحتى في الخلاف بين معاوية وعلي رضي الله عنهما كان الخلاف سياسي فقط، حول مسألة الثأر والأخذ بدم عثمان، واستمر ذلك في وقعة الجمل، وأكد على ذلك رسالة علي رضي الله عنه في كتابه إلى أهل الأمصار[2]، وظلت الحركة الشيعية حركة معارضة لمختلف الأنظمة السياسية، خاصة زمن الدولة الأموية والعباسية وخلال هذه الفترة تبلورت أسس مذهبهم[3].

[1] فرهاد دفتري: **المرجع السابق**، ص94م.

[2] إحسان إلهي ظهير: **الشيعة والتشيع**، ص17/16، كتب علي رضي الله عنه كتاب إلى أهل الأمصار يقص فيه عليهم ما جرى بينه وبين أهل صفين هذا نصه: (وكان بدأ أمرنا أنا القينا والقوم من أهل الشام، والظاهر أن ربنا واحد ونبينا واحد ودعوتنا في الإسلام واحدة، لا نستزيدهم في الإيمان بالله والتصديق برسوله، ولا يستزيدوننا، إلا ما اختلفنا فيه من دم عثمان ونحن براءة منه) كما أنه نهاهم عن سب أصحاب عثمان، ينظر المرجع **نفسه**: ص17وما بعدها.

[3] موسى هيصام: **المرجع السابق**، ج1، ص99.

3--أصل التشيع الغالي:

هذا عن الصورة العامة التي كانت عليها الأمة الإسلامية وغالبية المجتمع الإسلامي آنذاك، بالمقابل كان هناك فئة احتوت مجموعة من الحاقدين على الإسلام، من نصارى ومجوس ويهود، وعلى رأسهم عبد الله بن سبأ[1]، افتعلت الفتن أيام عثمان وكانت من المحرضين على قتله، فكان لهم الدور في إذكاء نار الفتنة، وغرس بذور الشقاق بين المسلمين، وراجت أفكارهم بين صغار العقول والسذج وأصحاب الأهواء، واستغل حب بعضهم لآل البيت ومنه جاء بفكرة اغتصاب عثمان للحكم، ولابد من عزله وتولية علي وزين لهم الأمر على أنه أمر بالمعروف وحق لا يجب السكوت عنه[2].

نقل الطبري أن ابن سبأ تنقل بين البصرة والكوفة والشام، فلم يقدر على ما يريد فأتى مصر ومن جملة ما قال: «من أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله ص، ووثب على وصي رسول الله ص، وتناول أمر الأمة! ثم قال لهم بعد ذلك: إن عثمان أخذها بغير حق، وهذا وصي رسول الله ص، فانهضوا في هذا الأمر فحركوه، وابدؤوا بالطعن على أمرائكم، وأظهروا الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، تستميلوا الناس، وادعوهم إلى هذا الأمر»[3]، فكان نتاج

---

[1] عبد الله بن سبأ يهودي أصله من اليمن، ادعى الإسلام وسعى في نشر الفتنة بين المسلمين، زمن خلافة عثمان وعلي رضي الله عنهما قال عنه ابن خلدون: «عبد الله بن سبإ ويعرف بابن السوداء، كان يهوديا وهاجر أيام عثمان فلم يحسن إسلامه، وأخرج من البصرة فلحق بالكوفة ثم بالشام وأخرجوه فلحق بمصر، وكان يكثر الطعن على عثمان ويدعو في السرّ لأهل البيت ويقول: إن محمدا يرجع كما يرجع عيسى. وعنه أخذ ذلك أهل الرجعة، وإنّ عليّا وصيّ رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث لم يجز وصيته وإنّ عثمان أخذ الأمر بغير حق، ويحرّض الناس على القيام في ذلك والطعن على الأمراء، وهو من بين المحرضين على قتل عثمان رضي الله عنه»، وإليه تنسب فرقة السبئية من غلاة الشيعة، وهو صاحب المقالات بألوهية علي، والرجعة، والطعن في الصحابة رضوان الله عليهم والنيل منهم، عنه انظر ابن خلدون: **المصدر السابق** ج2، ص587، ابن كثير: **المصدر السابق**، ج10، ص263، الطبري: **المصدر السابق**، ج4، ص340، ابن حزم: **المصدر السابق**،ج1، ص164، ابو بكر العربي: **المصدر السابق**، ج1، ص115، هامش ص75، الشهرستاني: **المصدر السابق**، ج1، ص174، ابن عساكر: **المصدر السابق**، ج3، ص29.

[2] جاء في كتاب تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة، مبحث كامل حول مدى صحة شخصية ابن سبأ، والرد على النافين لوجود شخصية ابن سبأ بالدليل والحجج، كما تم سرد مختلف المصادر التي كان له فيها ذكر، سواء السنية أو الشيعة بالإضافة إلى كتابات المعاصرين، وتبيان دور السبئية في الفتنة، أنظر محمد أمحزون: **تحقيق موقف الصحابة في الفتنة**، ط2، دار السلام، مصر، 1428هـ/2007م، ص237وما بعدها.

[3] الطبري: **المصدر السابق**، ج4، ص340.

هذا الأمر قتل الخليفة عثمان رضي الله عنه، رغم هذا لم تقم لهم قائمة آنذاك، وواجههم علي رضي الله عنه، كما ثبت أنه عاقب المارقين السابين لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما وأمر بإحراق أولئك الذين ادعوا فيه الإلهية[1]، «وأما المفضلة الذين يفضلونه على أبي بكر وعمر فروي عنه أنه قال: لا أوتى بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا ضربته حد المفتري»[2]، لكن بعد مقتل علي رضي الله عنه، وبعده ابنه الحسين، استغل أصحاب هذه الأفكار عاطفة المسلمين وحبهم لآل البيت، للترويج لعقائدهم الفاسدة،[3] والتي بدأت تتغلغل في الفكر الشيعي حتى أضحت على ماهي عليه من بدع وغلو وعقائد فاسدة.

منه نرى أن طلائع العقيدة الشيعية، وأصل أصولها ظهر على يد السبئية[4]، والمؤسس الأول للتشيع الذي عرف فيما بعد هو عبد الله ابن سبأ[5]، وهو أول من قال بإمامة علي، وأن علي رضي الله عنه وصي محمد صلى الله عليه وسلم، والإمامة أهم أصول الشيعة كما سنورد لاحقا.

---

[1] ابن تيمية: **منهاج السنة**، ج1، ص306.

[2] **نفسه**، ج1، ص308.

[3] ناصر فقاري: **المرجع السابق**، ج1، ص80.

[4] **نفسه**، ج1، ص78.

[5] إحسان إلهي ظهير: **الإسماعيلية تاريخ وعقائد**، إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، 1405هـ/1985م، ص39.

ثانيا: أصناف الشيعة وأهم فرقها

في خلافة علي رضي الله عنه عرف الشيعة ثلاثة أصناف،[1] منهم من فضله على الشيخين وناصح علي هؤلاء لردهم للحق، ومنهم من تمادوا إلى سبهما، ومنهم الغلاة[2] الذين ألهوا علي[3] وجعلوا الأئمة إما بشر اتصفوا بصفات الإله، أو أن الإله حل في ذاته البشرية كقول النصارى بالحلول، وهذا بإقرار الشيعة أنفسهم[4]، وعاقبهم على ذلك حتى أنه حرق جماعة منهم[5]، ولاحقا تشبعت كتب الفرق والمقالات بذكر فرق الشيعة، مع كثرتها واختلاف طوائفها، فبعد وفاة كل إمام على حد زعمهم، تنقسم الشيعة وتظهر فرق جديدة وتتبنى إمام جديد، ولهذا يصعب تعداد فرق الشيعة وحصرها، فبعد مقتل علي رضي الله عنه، عرفت الشيعة عبر مراحل عدة انقسامات، ترتب عنها ظهور عديد الفرق مختلفة أشد الاختلاف.

جعلها الشهرستاني خمس فرق[6]، كيسانية وزيدية وإمامية وغلاة وإسماعيلية، وعند الأشعري ثلاث فرق الغلاة وفيهم خمس عشرة فرقة، والإمامية وفيها أربع وعشرون فرقة والزيدية

---

[1] سفر بن عبد الرحمان الحوالي: **أصول الفرق والمذاهب والأديان**، المكتبة الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ص35

[2] جاء في فرق الشيعة للنوبختي وهو شيعي: أن أول فرقة قالت بالغلو والوقف بعد النبي صلى الله عليه وسلم السبأية وقالوا بأن علي لم يمت، وهم أصحاب ابن سبأ، ولما بلغه نعي علي بالمدائن انكر ذلك، وقال للناعي أنه لم يمت ولن يموت حتى يملك الأرض، وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون، بعد موسى عليه السلام، فقال بهذه المقالة في علي عليه السلام بعد رسول الله صلى عليه وسلم، وهو أول من طعن في الشيخين فهم علي بقتله، ثم نفاه إلى المدائن. ينظر النوبختي، **المصدر السابق**، ص ص57-58.

[3] قال الذهبي في ترجمته لعلي رضي الله عنه: جاء أناس إلى علي، فقالوا: أنت هو، قال: من أنا! قالوا: أنت هو، قال: ويلكم من أنا؟ قالوا: أنت ربنا، قال: ارجعوا فأبوا، فضرب أعناقهم، ثم خد لهم في الأرض، ثم قال: يا قنبر ائتني بحزم الحطب، فحرقهم بالنار، وقال: لما رأيت الأمر أمرا منكرا ... أوقدت ناري ودعوت قنبر، انظر الذهبي: **المصدر السابق**، ج1، ص244.

[4] أحمد عرفان: **المرجع السابق**، ص6.

[5] ثبت في الصحيح أن عليا أتى بقوم زنادقة من غلاة الشيعة فحرقهم بالنار، فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم بالنار لنهي النبي صلى لله عليه وسلم أن يعذب بعذاب الله، ولضربت أعناقهم لقول رسول الله صلى الله عليه: (من بدل دينه فاقتلوه). ابن تيمية: **منهاج السنة**، ج3، ص195.

[6] الشهرستاني: **المصدر السابق**، ص147.

وهم ست فرق[1]،وبهذا يصل عددها إلى خمس وأربعين فرقة، والبغدادي أخرج الغلاة ممن كفرهم أهل العلم إلى الفرق الخارجة عن الإسلام وقال أن الروافض ثلاث فرق: الزيدية وفيها ثلاث فرق والكيسانية فرقتان والإمامية خمس عشرة فرقة[2]، وهناك مقالات عديدة لفرق الشيعة، قال بها أصحاب الفرق والمقالات، تحتاج دراسات تاريخية مفردة للإلمام بها، ولمن أراد التوسع أكثر في الموضوع، هناك دراسة للأستاذ إحسان إلهي ظهير بعنوان الشيعة والتشيع فرق وتاريخ، وسنقتصر في بحثنا هذا على ذكر بعض أهم الفرق الشيعة والتي كان لها بصمات في التاريخ الإسلامي منهم:

1-الزيدية: نسبة إلى زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب[3]، وقولهم في الإمامة كالآتي: «ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة رضي الله عنها، ولم يجوزوا ثبوت الإمامة في غيرهم، إلا أنهم جوزوا أن يكون كل فاطمي عالم شجاع سخي خرج بالإمامة، أن يكون إماما واجب الطاعة»[4]، افترقت الزيدية عن الإمامية بعد مقتل زيد بن علي سنة (121هـ-122هـ/738-739م)، على ما جاء في منهاج السنة لابن تيمية، فبعد خروج زيد طلبوا منه التبرؤ من الشيخين، فأبى إلا الترضي عنهما فتركوه وقال لهم رفضتموني، انقسموا إلى فئتين فئة سميت بالرافضة، ومن تبعوا زيدا سموا بالزيدية[5]، وهم أقرب الشيعة لأهل السنة وتوافق عقائدهم عقائد المعتزلة[6].

يقول الباحث محمد أبو زهرة عن الزيدية: «هي أقرب الفرق الشيعية إلى الجماعة الإسلامية وأكثر اعتدالا»[7]، ومن قولهم جواز إمامة المفضول في وجود الفاضل، لذلك يثبتون

---

[1] الأشعري: أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري: **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، ت هلموت ريتر، ط3، دار فرانز شتايز، فيسبادن (ألمانيا)، 1400هـ/1980م، ج1، ص5وما بعدها.

[2] البغدادي: **المصدر السابق**، ص41.

[3] ابن حزم: **المصدر السابق**، ج4، ص76.

[4] الشهرستاني: **المصدر السابق**، ج1، ص154.

[5] ابن تيمية: **منهاج السنة**، ج1، ص35.

[6] جاء في الملل والنحل للشهرستاني: «ويعظمون أئمة الاعتزال أكثر من تعظيمهم أئمة أهل البيت، وأما في الفروع فهم على مذهب أبي حنيفة إلا في مسائل قليلة يوافقون فيها الشافعي رحمه الله والشيعة» الشهرستاني: **المصدر السابق**، ج1، ص162.

[7] محمد أبو زهرة: **تاريخ المذاهب الإسلامية**، دار الفكر العربي، بور سعيد، مصر، 1997م، ج1، ص47.

إمامة الشيخين، ويرون في ذلك تغليب المصلحة[1] ويرون بجواز مبايعة إمامين في إقليمين ما توفرت في كل واحد منهما الشروط،[2] ويرون بأن مرتكب الكبيرة مخلد في النار على رأي المعتزلة[3]، والزيدية تفرعت منها فرق جعلها الأشعري ست فرق[4]، من بين هذه الفرق من هم في الحقيقة روافض، لم يحملوا من الزيدية غير الاسم والذين يقولون بأن الأمة ظلت وكفرت بتولية الأمر لغير علي، ويقولون بالمهدية وهذه الفرقة الجارودية[5]، ومنهم من لا يعدون روافض وهم على مذهب متقدمي الزيدية[6]، يثبتون خلافة الشيخين وهم أقرب لأهل السنة كالسليمانية أصحاب سليمان بن جرير[7].

2-الإمامية:

الشيعة الإمامية تنطوي تحت هذه التسمية أكثر مذاهب الشيعة القائمة الآن في العالم الإسلامي[8]، وقد اتفقت فرق الإمامية على أن تعيين الإمام كان بالنص الثابث عن النبي صلى الله عليه وسلم، وليس بالوصف، وفي هذا الصدد يقول الشهرستاني: «هم القائلون بإمامة علي رضي الله عنه بعد النبي عليه السلام؛ نصا ظاهرا، وتعيينا صادقا، من غير تعريض بالوصف

---

[1] يقول السهرستاني: «وكان من مذهبه جواز إمامة المفضول مع قيام الأفضل. فقال: كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه أفضل الصحابة، إلا أن الخلافة فوضت إلى أبي بكر لمصلحة رأوها، وقاعدة دينية راعوها، من تسكين نائرة الفتنة، وتطييب قلوب العامة. فإن عهد الحروب التي جرت في أيام النبوة كان قريبا، وسيف أمير المؤمنين علي عن دماء المشركين من قريش وغيرهم لم يجف بعد، والضغائن في صدور القوم من طلب الثأر كما هي. فما كانت القلوب تميل إليه كل الميل»، ينظر الشهرستاني: **المصدر السابق**، ج1، ص155، الأشعري: **المصدر السابق**، ج1، ص68.

[2] محمد أبو زهرة: **المرجع السابق**، ص50.

[3] الأشعري: **المصدر السابق**، ج1، ص75.

[4] **نفسه**: ج1، ص75.

[5] ابن تيمية: **منهاج السنة**، ج3، ص10.

[6] محمد أبو زهرة: **المرجع السابق**، ج1، ص52.

[7] ابن تيمية: **منهاج السنة**، ج3، ص10.

[8] تنتشر أكثر فرق الشيعة حاليا في دول جنوب غرب آسيا كالعراق، وإيران، وباكستان، وغيرها من المناطق الإسلامية. ينظر محمد أبو زهرة: **المرجع السابق**، ج1، ص53.

بل إشارة إليه بالعين، قالوا: وما كان في الدين والإسلام أمر أهم من تعيين الإمام، حتى تكون مفارقته الدنيا على فراغ قلب من أمر الأمة»[1].

يستدلون على ذلك ببعض الآثار مثل قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار، ألا هل بلغت؟ ثلاثا»[2] وكذا قوله: «أقضاكم علي»[3]، جعل البغدادي فرق الإمامية خمسة عشر فرقة[4]، فيما ذهب بعض الباحثين إلى أن الإمامية وحدها افترقت إلى أكثر من سبعين فرقة، وهم يتفقون فيما بينهم على أن الوصي بعد الرسول صلى الله عليه وسلم، علي ثم ولداه من فاطمة الحسن والحسين رضي الله عنهم أجمعين وبعدهما يختلفون كل فرقة تدعي إمام[5]، سنكتفي بذكر أهم فرقتين منها وهما الإسماعيلية والإثني عشرية.

3-الإثني عشرية:

تعد هذه الفرقة الأكثر تمثيلا وأتباعا للتشيع في عصرنا الحاضر، خاصة في إيران والعراق وما وراءهما ناحية القارة الآسيوية، وهم القائمون على نشر المذهب الرافضي والممولون له بشتى الطرق[6]، وسبب تسميتهم بالإثني عشرية، لقولهم باثني عشر إمام ثبت إمامتهم بنص من النبي صلى الله عليه وسلم، وكل واحد منهم يوصي بها لمن هو بعده، وأولهم علي بن أبي طالب، وآخرهم محمد بن الحسن العسكري، الذي اختفى في حدود (260هـ/873م) ودخل

---

[1] الشهرستاني: **المصدر السابق**، ج1، ص162.

[2] نقل أصحاب الحديث هذا في قوله صلى الله عليه «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَلَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ» وصححه الألباني الإمام أحمد: مسند أحمد، ج30، ص430، رقم الحديث 18479، الألباني: السلسلة الصحيحة، ج4، 330، رقم الحديث 1750.

[3] الشهرستاني: **المصدر السابق**، ج1، ص163.

[4] البغدادي: **المصدر السابق**، ص56.

[5] محمد أبو زهرة: **المرجع السابق**، ج1، ص54.

[6] غالب عواجي: **المرجع السابق**، ج1، ص349.

السرداب في سامراء على حد زعمهم، وهو المهدي المنتظر وسيعود ليملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا وظلما[1].

ويورد البغدادي في هذا الصدد قائلا: «يقال لهم الإثني عشرية أيضا لأن الإمام المنتظر هو الثاني عشر»[2]، ولا نجد ذكر لهذا المصطلح عند المتقدمين من أصحاب الفرق كالأشعري، فيما ذكرهم البغدادي (ت420هـ/1029م) في فرقه، ولعل هذا الاسم وجد بعد وفاة الحسن العسكري سنة (260هـ/873م)، ومنه تولد فكرة الأئمة الاثنا عشر، ومعقبا على ذلك يقول قال ابن تيمية: «وقبل موت الحسن بن علي العسكري لم يكن أحد يقول بإمامة هذا المنتظر، ولا عرف من زمن علي ودولة بني أمية أحد ادعى إمامة الاثني عشر، وهذا القائم»[3]، وفيما يلي أسماء الأئمة الإثني عشر وكناهم:

1/ علي بن أبي طالب عنه وهو رابع الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم قتله الخارجي عبد الرحمان بن ملجم غدرا بمسجد الكوفة يلقبونه –بالمرتضى– (23ق*هـ/ 40هـ)

2/ الحسن بن علي رضي الله عنهما –المجتبى– (50/3هـ)

3/ الحسين بن علي رضي الله عنهما –الشهيد– (61/4هـ)

4/ علي زين العابدين بن الحسين رضي الله عنه –السجاد–(95/38هـ)

5/ محمد الباقر بن علي زين العابدين –زين العابدين– (114/57هـ)

6/ جعفر الصادق بن محمد الباقر –الصادق– (148/83هـ)

7/ موسى الكاظم بن جعفر الصادق –الكاظم– (183/128هـ)

8/ علي الرضا بن موسى الكاظم –الرضا– (203/148هـ)

9/ محمد الجواد بن علي الرضا –الجواد– (220/195هـ)

10/ علي الهادي بن محمد الجواد –الهادي– (254/212هـ)

11/ الحسن العسكري بن علي الهادي –العسكري– (260/232هـ)

---

[1] مانع بن حماد الجهني: **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، ط4، دار الندوة العلمية للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، 1420هـ، ج1، ص52، غالب عواجي: **المرجع السابق**، ج1، ص349.

[2] البغدادي: **المصدر السابق**، ص64.

[3] ابن تيمية: **المرجع السابق**، ج8، ص249.

12/ محمد المهدي بن الحسن العسكري –المهدي– (265هـ..) وهذا الذي يزعمون أنه دخل سرداب في دار أبيه، وهو المهدي المنتظر على حد زعمهم، وقد أختلف في سن اختفائه فقيل أربع سنوات وقيل ثمان سنوات[1]، ويرجح عديد الباحثين من السنة كالذهبي وابن تيمية، على أنه لا وجود له، وهو من نسج الشيعة، فيسمونه بالمعدوم[2] أو كما سماه الباحث إحسان إلاهي ظهير بالموهوم[3].

4-الإسماعيلية:

نسبة لإسماعيل بن جعفر الصادق، ظهرت هذه الفرق بعد وفاة من اعتبره الشيعة إمامهم السادس جعفر الصادق (148هـ/765م)، حيث قالت الإمامية (الإثني عشرية) بإمامة موسى الكاظم، فيما ذهب الإسماعيلية إلى الإمامة لابنه إسماعيل وهو ابنه الأكبر المنصوص عليه في البدء[4]، قالت جماعة منها بعدم موت إسماعيل في حياة أبيه، وقالت جماعة بأنّ أباه هو من أظهر موته، وعمل محضرا وأشهد عليه عامل المنصور بالمدينة[5]، وقيل أن أباه أخفاه تقية لستره وحمايته من الخلفاء العباسيين، وأنه سيعود في صورة المهدي ويطلق على هذه الجماعة الإسماعيلية الخالصة[6]، أو كما سماهم الشهرستاني الإسماعيلية الواقفية لوقف سلسلة أئمتهم على إسماعيل[7]، وهؤلاء في وقتنا الحالي شذاذ لا يعرف منهم أحد وقد انقطع اتباعهم[8].

فيما أن هناك جماعة أخرى أقرت بموت إسماعيل في حياة أبيه، وقالت بأن الإمامة لا تنتقل من أخ إلى أخيه، ما عدا في الحسن والحسين، وأن الإمامة انتقلت من إسماعيل إلى ابنه محمد، «وزعموا أن محمد بن إسماعيل حي إلى اليوم لم يمت، ولا يموت حتى يملك

---

[1] البغدادي: **المصدر السابق**، ص64.

[2] مانع بن حماد الجهني: **المرجع السابق**، ج1، ص52.

[3] إحسان إلهي ظهير: **الشيعة والتشيع**، ص269.

[4] الشهرستاني: **المصدر السابق**، ج1، ص191.

[5] **نفسه**، ج1، ص167.

[6] فرهاد دفتري: **المرجع السابق**، ص173.

[7] الشهرستاني: **المصدر السابق**، ج1، ص168.

[8] إحسان إلهي ظهير: **الشيعة والتشيع**، ص269.

الأرض وأنه هو المهدي الذي تقدمت البشارة به واحتجوا في ذلك بأخبار رووها عن أسلافهم يخبرون فيها أن سابع الأئمة قائمهم» قال الأشعري[1] بأن هؤلاء هم القرامطة[2].

فيما ذهب آخرون إلى القول بأن الإمامة بعد إسماعيل انتقلت إلى ابنه محمد، ولقبوه بالمكتوم وهو أول الأئمة المكتومين أو المستورين[3]، ثم الأئمة القائمين والذين ظهروا ببلاد المغرب ويطلق عليهم الباطنية[4]، وهذه الفرقة الإسماعيلية الباطنية هي التي تتمحور حولها الدراسة، وسنحاول التوسع في منشئها وجذورها الأولى وكذا علاقتها بفرقة المباركية[5] والخطابية[6]، فهناك عديد الدلائل على أن الإسماعيلية هي امتداد للخطابية، واستمدت منها

---

[1] الأشعري: **المصدر السابق**، ج1، ص26.

[2] نسبة إلى حمدان بن الأشعث الذي كان يلقب بقرمط (ت 293هـ/906م) والقرمط من يقارب في خطواته في المشي قال البغدادي أنه من أتباع ميمون بن ديصان المعروف بالقداح (ت170هـ/786م)، اتخذ لنفسه مقرا قرب الكوفة سماه « دار الهجرة « وأخذ هو وأتباعه يشنون منه الغارات على المسلمين، قالوا بإمامة محمد بن إسماعيل كان هناك صراع بينهم وبين العبيديين على زعامة الإسماعيلية، عرف بالكوفة وانتقل إلى بلاد البحرين فاستولى على الأحساء والقطيف وسائر مناطقها وكانوا سببا في الكثير من الفتن والحروب في بلاد المسلمين، لما عرف عنهم من الحرابة وقطع الطريق والتعرض لقوافل الحجاج. الأشعري: **المصدر السابق**، ج1، ص26، البغدادي: الفرق بين الفرق، **المصدر السابق**، ص248، ابن تيمية: **المرجع السابق**، ج1، هامش ص7، موسى هيصام: **المرجع السابق**، ج1، ص158.

[3] محمد أبو زهرة: **المرجع السابق**، ص60.

[4] ابن تيمية: **المرجع السابق**، ج1، هامش ص10.

[5] فرقة من الشيعة نسبة لشخص اسمه المبارك مبارك إسماعيل بن جعفر قالوا بإمامة محمد بن إسماعيل بعد جعفر الصادق ويقرون بموت إسماعيل في حياة أبيه، غير أن الوصية عندهم لا يرجع فيها وتبقى الإمامة في عقب إسماعيل وإن مات في حياة أبيه، وأن الإمامة لا تنتقل من أخ إلى أخيه، ومن أتباعها قرمطويه صاحب فرقة القرامطة والذي كان في الأصل على مقالة المباركية ثم خالفه. انظر الشهرستاني: **المصدر السابق**، ج1، ص168، الأشعري: **المصدر السابق**، ج1، ص27، ابن تيمية: **المرجع السابق**، ج1، هامش ص10، عبد المنعم الحفني: **موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية**، ط1، دار الرشاد، الإسكندرية، 1413هـ/1993م، ص339.

[6] فرقة من غلاة الشيعة أصحاب أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الأسدي الأجدع مولى بني أسد توفي 143هـ، كان يزعم أنه من أتباع جعفر بن محمد الصادق، ولما غلا فيها تبرأ منه ومن أتباعه، فادعى أنه وصي جعفر في أول الأمر ثم تدرج فادعى النبوة ثم قال أنه من الملائكة حتى قال بالألوهية، من غلوهم قالوا بألوهية جعفر الصادق إلا أن أبا الخطاب أعظم منه وأعظم من علي، وأن الأئمة أنبياء والحسن والحسين أبناء الله وأحباؤه، وقولهم بأنه لابد من وجود رسولان ناطق وآخر صامت وأن النبي صلى الله عليه وسلم كان الناطق وعلي رضي الله عنه الصامت، ومن مقالاته أيضا أنه من عرف الإمام وضع عنه الأعمال، ويجيزون شهادة الزور لموافقي أبي الخطاب، ويحللون الخمر والزنا وغيرها من الكبائر، وافترقت الخطابية بعد مقتله إلى خمس فرق. انظر الشهرستاني: **المصدر السابق**، ج1، ص179، الأشعري: **المصدر السابق**، ج1، ص10،

عديد العقائد، وعليه فقد كان تسلسل الأئمة عند الإسماعيلية على الشكل التالي: إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وبعد إسماعيل يبدأ دور الستر وكان محمد المكتوم أول الأئمة المستورين وبعده جعفر الصادق ثم ابنه محمد الحبيب وهو آخر المستورين، يليه ابنه عبد الله المهدي الذي ظهر ببلاد المغرب وأسس الدولة العبيدية[1].

ابن تيمية: **المرجع السابق**، ج1، هامش ص62، البغدادي: **المصدر السابق**، ص218، إحسان إلهي ظهير: **المرجع السابق**، ص ص46-48.

[1] إحسان إلهي ظهير: **الشيعة والتشيع**، ص230.

ثالثا: أسس المذهب الإسماعيلي

من مميزات الشيعة عامة والإسماعيلية على وجه الخصوص، أنّ لهم عديد العقائد والتي انفردوا بها عن باقي الفرق والجماعات الإسلامية، وعليها بنوا مذهبهم وأصلوا له، وقد اختلفت مشارب هذه الأفكار والعقائد بين الديانات الوثنية القديمة، وديانات المجوس، وتأثروا خاصة بالديانات الفارسية، كما استمدوا بعض التعاليم من الديانة المسيحية واليهودية، وتأثروا بالفلاسفة والملحدين، وبدل عرض تلك الأفكار على الكتاب والسنة، أوجدوا معتقدات جديدة في الله والرسول صلى لله عليه وسلم وفي صحابته الكرام رضوان الله عليهم، ليجدوا سبل لإدخال معتقدات الديانات القديمة في الإسلام.

أيضا حرفوا آيات القرآن عن مدلولها الصحيح، وأحاديث الرسول صلى الله صلى الله عليه وسلم، معتمدين في ذلك على التأويل الباطني، مع العلم أن كتبهم تنقسم لقسمين: كتب الظاهر، والتي هي متوفرة لعامة الناس، وربما تحمل بين جوانبها تعاليم كُتِبَت تقية من أعداء المذهب، والنوع الثاني كتب الباطن، والتي لا يطلع عليها إلا الثقات، والخاصة من المذهب الذين تضلعوا فيه، ولا يسمح لهم الاطلاع عليها إلا بعد أخذ العهود والمواثيق، وكتب الباطن هذه هي التي تحمل بين طياتها حقيقة مذهبهم، وصريح معتقداتهم، وما تحمله من انحراف عن الدين وجادة الصواب[1]، ومن أسس المذهب الإسماعيلي نجد.

1-الإمامة:

تتمحور أهم أسس الشيعة حول الإمامة، وتعتبر عندهم أصل من أصول الدين، بل أهم أصل وركن في الدين، فإذا بطلت بطل ما بعدها من شرائع، وهي العبادة الوحيدة الكاملة فباقي العبادات قد تتعرض للنقص، كالقعود في الصلاة، والفطر في حال الصيام السفر وعدم استطاعة الحج، أما الإمامة فهي تامة لا تنقص، وألزموا أنه من لم يقر بالولاية فلا تقبل منه باقي العبادات[2]، وقالوا بأن الإمامة أصل من أركان الدين، ولا يمكن اعتبارها من المصالح العامة التي تفوض إلى الأمة، وعندهم الإمامة قاعدة الإسلام ولا يجوز لنبي إغفاله ولا تفويضه

[1] إحسان إلهي ظهير: **الإسماعيلية تاريخ وعقائد**، ص268.

[2] **نفسه**، ص ص369-371.

إلى الأمة، بل يجب عليه تعيين الإمام[1]، ومما يستدل به في هذا الباب ما رواه الكليني عن أبي جعفر حسبه في قوله: «بني الإسلام على خمس: على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية ولم ينادى بشيء كما نودي بالولاية فأخذ الناس بأربع وتركوا هذه أي الولاية»[2]، وفي نفس السياق نقل القاضي النعمان عن أئمته قولهم: «بني الإسلام على سبع دعائم الولاية و هي أفضل و بها و بالولي ينتهى إلى معرفتها و الطهارة و الصلاة و الزكاة و الصوم و الحج و الجهاد، فهذه كما قال صلى الله عليه و سلم دعائم الإسلام قواعده و أصوله التي افترضها الله على عباده»[3]، فلا دين لمن لم يؤمن بولايتهم، ويلتزم بطاعتهم كطاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فهي ثلاث طاعات مقرونة لا يجوز الفصل بينها[4].

يعتبر موضوع الإمامة منطلق الخلاف بين أهل السنة والجماعة والشيعة، فاعتبرها أهل السنة اختيار الخليفة يرجع إلى الأمة، كما جرى على عهد الخلفاء الراشدين، وكان لها شروط كالعدالة، والعلم، وسلامة الحواس، والأعضاء والرأي، والشجاعة، ومنهم من زاد النسب لقريش[5]، وكانت تولية أبي بكر الصديق رضي الله عنه، مثال على ذلك كما يمكن النصح للخليفة، وحتى تنحيته إن اقتضت الحاجة، وما قول أبي بكر الصديق إلا دليل على ذلك بعد البيعة حيث ذكر قائلا: «أيها الناس فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني»[6].

وفي موضوع الإمامة خالف الشيعة عامةً، باقي الفرق الإسلامية، فعندهم الولاية المحور الأساس الذي يدور حوله الإسلام، فمن لا يؤمن بها فلا دين له «والإمامة منصب الاهي كالنبوة فكما أن الله سبحانه وتعالى يختار من يشاء من عباده للنبوة فهو كذلك يختار من يشاء

---

[1] موسى هيصام: **المرجع السابق**، ج1، ص 109.

[2] محمد بن يعقوب الكليني: **أصول الكافي**، ط1، منشورات الفجر، بيروت، 1428هـ/2007م، ج2، باب دعائم الإسلام، ص18.

[3] الحسين بن قاضي القاضي النعمان: **تأويل الدعائم**، ت محمد حسن أعظمي، ط1، دار المعارف، مصر، ج1، ص51.

[4] موسى هيصام: **المرجع السابق**، ج1، ص 110.

[5] الماوردي: **المصدر السابق**، ص5.

[6] جمال الدين السيوطي: **تاريخ الخلفاء**، ت محمد محي الدين، مطبعة السعادة، مصر، 1956، ج1، ص69.

للإمامة ويأمر نبيه أن ينص عليه وينصبه إمام للناس من بعده»[1]، وقد ساقها مؤرخ الدولة العبيدية القاضي النعمان في علي ومِن بعده في ذريته، من فاطمة فقال: «سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من هم؟ فقال: علي و فاطمة والحسن و الحسين»[2]، وأقوالهم هذه غير شرعية تطعن فيها جل الفرق الإسلامية الأخرى، على اعتبار أن أدلتهم على ذلك وما جاؤوا به من النصوص، إما ضعيفة في أساسها، أو أنها قيلت في ظروف و مناسبات لا تعني بالضرورة ما حملت عليه أساسا[3]، كحديث غدير خم وقول الرسول صلى الله عليه وسلم (من كنت مولاه فعلي مولاه)[4]، وقوله (أنت مني بمنزلة هارون من موسى)[5]، وقوله تعالى: {قُلْ لَاْ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَا اَلمَوَدَةَ فِيْ اَلقُرْبَى}[6]، قال النعمان نقلا عن أحد الأئمة في معنى الآية: «والله هي فريضة واجبة على كل العباد لمحمد صلى الله عليه وعلى آله فينا بيت أهله»[7].

من معتقداتهم أيضا أن الأرض لا تخلو من إمام ظاهر أو مستور، وعند العبيديين «لا يكون أحد إماما إلا من أولاد علي، الحسن والحسين، ثم أولاد الحسين لا في أولاد الحسن، ثم في أولا إسماعيل بن جعفر لا في أولاد أحد غير»[8]، والإمام معين منصوص عليه من الله عزوجل، ولو كان للناس أن يقيموا إمام لكان لهم أن يقيموا نبيا وإلاها، قال القاضي النعمان:

---

[1] سليمان السلومي: **أصول الإسماعيلية الزيدية**، ط1، دار الفضيلة، الرياض، 1422هـ/2001م، ج1، ص106.

[2] القاضي النعمان: **دعائم الإسلام**، ت آصف بن علي، ط1، دار الأنوار، بيروت، 1411هـ/1991م، ج1، ص42.

[3] الصلابي: **الدولة الفاطمية**، ص ص 109-110.

[4] عن البراء بن عازب، قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر، فنزلنا بغدير خم، فنودي فينا: الصلاة جامعة، وكسح لرسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرتين، فصلى الظهر، وأخذ بيد علي رضي الله عنه، فقال: «ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: بلى، قال: «ألستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه؟» قالوا: بلى، قال: فأخذ بيد علي، فقال: «من كنت مولاه، فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه» قال: فلقيه عمر بعد ذلك، فقال: «له هنيئا يا ابن أبي طالب، أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن، ومؤمنة»، أحمد بن حنبل: **مسند الإمام أحمد**، ت شعيب الأرناؤوط، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1421هـ/2001م، ج30، مسند الكوفيين، حديث البراءة بن عازب، ص430، رقم الحديث [18479].

[5] عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي" **نفسه**، ج17، مسند المكثرين من الصحابة، حديث أبي سعيد الخذري، ص373، رقم: [11272].

[6] سورة الشورى: آية [23].

[7] القاضي النعمان: **آداب إتباع الأئمة**، ت مصطفى هلال، مكتبة الهلال، بيروت، 1985، ص26.

[8] إحسان إلهي ظهير: **الإسماعيلية تاريخ وعقائد**، ص375.

«إن الإمامة بالنص والتوقيف الذي لا تدخل على القائل به حجة ولا تلزمه معه لخصمه علة»[1]، هذا عن اختيار الأئمة، أما المواصفات التي أحاطوا بها أئمتهم فقد أنزلوا الأئمة منزلة الأنبياء، وتجاوزتها عند بعض الفرق إلى حد تأليههم[2]، وعند العبيدين فإن للأئمة العصمة، لأنه يقوم مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعالما بما كان، وما يكون، كما جاء عند القاضي النعمان في قول المعز: «لو تسألوني عن ما كان وما يكون وعن علم ما تعلمون إلا أجبتكم به»[3]، ووصل بأتباع الدولة العبيدية إلى تأليه الأئمة، والقول بعلمهم الغيب، والتدخل في اجراء الأرزاق، والإحياء، والإماتة، وغيرها من الأمور الشركية، وما قصائد شاعرهم ابن هانئ[4] إلا دليل على ذلك.

ومنه مجمل معتقد العبيديين في الأئمة، تنزيلهم منزلة الله سبحانه وتعالى عما يصفون، وفي الأخير لابد من الإشارة إلى هناك فرق بين الوصاية والإمامة عند الإسماعيلية إذ لا بد من التفريق بين المصطلحين، فعلي رضي الله عنه هو الوصي ويسمى أيضا بالأساس والصامت، وهو غير الإمام فمرتبته أعلى من مرتبة الإمام، ولا يعد من الأئمة، فعلي وصي النبي صلى الله عليه وسلم، ولا فرق بينهما[5]، وبهذا يكون إسماعيل سابع الأئمة الإسماعيليين.

2- التقية

التقية في تعريفها اللغوي: التقية من المصدر تَّقي، وهي الحيطة والتَوَقِي من الشر، نقول اتقى الرجل الشيء تقاة وتقية، وهي أيضا الحذر والخوف والوقاية من الأذى[6]، وفي معناها عند الشيعة والإسماعيلية، هي القول بالشيء وإضمار غيره، أو القيام بعمل تعبدي أمام العامة ومخالفة ذلك في أماكن أخرى، وعرفها علمائهم بالقول أن «التقية كتمان الحق، وستر

---

[1] القاضي النعمان: **دعائم الإسلام**، ص42.

[2] انظر الصلابي: **المرجع السابق**، ص106 وما بعدها.

[3] القاضي النعمان: **المجالس والمسايرات**، ص272.

[4] محمد بن هانئ الأندلسي ولد بالأندلس وانتقل إلى المغرب وأصبح شاعر الخلفاء العبيديين، (ت362هـ/922م)، عنه انظر: ابن هانئ الأندلسي، **ديوان ابن هانئ**، ت عمر فاروق، ط1، دار الأرقم، بيروت، 1418هـ/1998م.

[5] إحسان إلهي ظهير: **الإسماعيلية تاريخ وعقائد**، ص348.

[6] مركز رواد الترجمة: **موسوعة المصطلحات الإسلامية**، ص269.

الاعتقاد فيه، وكتمان المخالفين، وترك مظاهرتهم بما يخلف ضررا في الدين أو الدنيا»[1]، وهذا من أجل مداهنة المخالفين لهم عقديا، بالكذب والخداع اتقاء الأذى والضرر[2].

مبررين لذلك بعدة أسباب أغلبها سياسية كوجود أئمة الجور وهي مؤقتة ريثما يظهر إمام الزمان، ولهم في ذلك أمثلة فيرون أن مبايعة على بن أبي طالب للخلفاء قبله رضوان الله عليهم تقية لعدم توفر الجو والقوة المناسبة لأخذ حقه[3]، وافتروا على علي أنه خلال فترة حكمه كان يعمل بالتقية، فلم يبطل بعض الأمور كصلاة الضحى، ولم يقدر على الترخيص بزواج المتعة، وكان ذلك تقيا منه، وما تنازل الحسين رضي الله عنه عن الخلافة لمعاوية إلا تقيا منه، ولهم في هذا الجانب عديد الافتراءات، على آل رسول الله صلى الله عليه وسلم[4]، وعلى هذا كان غالبية فرق الشيعة ومنهم الإسماعيلية.

3-الغيبة والرجعة

في اعتقاد الشيعة أنه لابد من إمام ولا يجوز أن تخلو منه الأرض، ولو خلت الأرض من إمام لخربت ومنها كان لهم معتقد الغيبة، وفكرة وجود الإمام الخفي أو الغائب موجودة عند أغلب فرق الشيعة، والاختلاف الحاصل بينها في تحديد شخصية الإمام، وأصل هذه العقيدة هي السبئية وأتباعها والتي «زعمت أن عليا لم يمت ولا يقتل ولا يموت حتى يسوق العرب بعصاه ويملأ الأرض عدلا وقسطا، كما ملئت ظلما وجورا»[5]، ثم سارت باقي الفرق على نسقها.

بعد وفاة جعفر[6] بن محمد الباقر ساقت الإمامية الإثني عشرية الإمامة في موسى الكاظم، إلى الحسن العسكري، والذي تعتقد برجعته، أما الإسماعيلية فترى أن الإمام بعد جعفر

---

[1] ناصر بن عبد الله القفاري: **المرجع السابق**، مج2، ص805.

[2] سليمان السلومي: **المرجع السابق**، ج1، ص137.

[3] موسى هيصام: **المرجع السابق**، ج1، ص118.

[4] سليمان السلومي، **لمرجع السابق**، ج1، ص ص139-141.

[5] النوبختي: **المرجع السابق**، ص57.

[6] جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، سادس الأئمة عند الشيعة والملقب بالصادق (وهو بريء مما ألصقوا به من انحرافهم)، بعد وفاته حدث أكبر وأهم انقسام بين الفرق الشيعية فنتج عنه الإثني عشرية والإسماعيلية.

هو ابنه إسماعيل والذي مات في حياة أبيه، لكن الإمامة تبقى في عقبه وعند العبيديين «لا يكون أحد إماما إلا من أولاد علي، الحسن والحسين، ثم أولاد الحسين لا في أولاد الحسن، ثم في أولا إسماعيل بن جعفر لا في أولاد أحد غير»[1]، أي تنتقل إلى ابنه محمد والذي لقب بالمكتوم، أو هو أول أئمة دور الستر كما معروف لديهم[2]، وهنا استحدثوا ما يعرف بعقيدة الغيبة، لسد الفراغ الحاصل ودعموا أفكارهم، ومنه جاءت عقيدة الرجعة والتي بمقتضاها يرجع الأئمة ليملئوا الأرض بعد أن ملأت ظلما، فالإمامية في انتظار رجعة الإمام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري، وهذا بعد وفاة والده سنة (260هـ/873م)، وقيل أنّ الحسن مات ولم يخلف ولدا بعده، وينتظرون خروجه من سرداب بسامراء[3]، وعلى نفس الطريق سار دعاة الإسماعيلية في بلاد المغرب الإسلامي، بتبشير الدعاة برجعة الإمام المهدي، مبرزين صفاته وخصاله على أنه من نسل فاطمة ويخرج من المغرب وفي ساقه شامة وبين كتفيه شامة[4].

4-العلم الظاهر والتأويل الباطني:

يسمى الإسماعيلية بالباطنية أيضا لقولهم بالظاهر والباطن، واعتبارهم التأويل الباطني أصلا من أصولهم، وفي هذا الشأن يقول الشهرستاني: «إنه لزمهم لقب الباطنية لقولهم بأن لكل ظاهر باطن وأن لكل تنزيل تأويل»[5]، و في نفس الموضوع ذكر الغزالي في شأنهم قائلا: «الباطنية فإنما لقبوا بها لدعواهم أن لظواهر القرآن والأخبار بواطن، تجرى في الظواهر مجرى اللب من القشر، أنها بصورها توهم عند الجهال الأغبياء صورا جلية وهي عند العقلاء والأذكياء رموز وإشارات إلى حقائق معينة، وأن من تقاعد عقله عن الغوص على الخفايا والأسرار والبواطن والأغوار، وقنع بظواهرها مسارعا إلى الاغترار، كان تحت الأواصر والأغلال معنى بالأوزار والأثقال»[6].

---

[1] إحسان إلهي ظهير: **الإسماعيلية تاريخ وعقائد**، ص375.

[2] الشهرستاني: **المصدر السابق**، ج1، ص191.

[3] ابن تيمية: **منهاج السنة**، ج4، ص87.

[4] موسى هيصام: **المرجع السابق**، ج1، ص120.

[5] الشهرستاني: **المصدر السابق**، ج1، ص192.

[6] محمد بن أحمد الغزالي: **فضائح الباطنية**، ت، عبد الرحمان بدوي، ط1، دار الكتب الثقافية والعلمية، بيروت، لبنان، ج1، ص11.

أي أن لظواهر القرآن وما جاء فيه من أخبار بواطن مخفية عن عامة الناس، «وأنه لابد لكل محسوس من ظاهر وباطن، فظاهر ما تقع عليه الحواس، وباطنه ما يحويه ويحيط العلم به بأنه فيه»[1]، مستدلين في ذلك بعديد الآيات القرآنية كقوله عز وجل: {هُوَ الَّذِي أنزل عَلَيْك الْكتاب مِنْهُ آيَات محكمات هن أم الْكتاب وَأخر متشابهات فَأَما الَّذين فِي قُلُوبهم زيغ فيتبعون مَا تشابه مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَة وابتغاء تَأْوِيله وَمَا يعلم تَأْوِيله إِلَّا الله والراسخون فِي الْعلم}[2].

ينسبون في هذا الموضوع حديثا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما نزل علي آية من القرآن إلا ولها ظاهر وباطن)[3]، قالوا أن للشريعة باطن وظاهر، وجعلوا الرسول صلى الله عليه وسلم صاحب الشريعة وعلي ابن أبي طالب رضي الله عنه الوصي صاحب الحقيقة، أي أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يبلغ الرسالة كاملة، بل كان له تبليغ الظاهر وعلي أكمل باقي الدين، ومنه فصاحب التأويل يرتقي إلى مرتبة الرسول صلى الله عليه وسلم، بل ويفوقه في أمور لأنه يعرف بواطن الأمور وكنه الأشياء ومغزاها[4]، فاعتبروا الإسلام ظاهرا والإيمان باطن، وشبهوا علم الباطن والظاهر بالجسد والروح، فمن عمل بالظاهر فقط كان كالجسد بلا روح[5]، وقالوا أن أهل الظاهر العابدون بالعمل فقط، وأن أهل الباطن العالمون بالعلم، بل وحتى كفروا من لا يعتقد بعلم الباطن وقولهم في ذلك: «من عمل بالظاهر دون الباطن فليس منا ومن عمل بالباطن والظاهر فهو منا»[6].

من هذا الأساس قسم الباطنية الدين الإسلامي إلى ظاهر القرآن وهو معجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم، جاء به الناطق وهو صاحب الشريعة، وقد بلغ الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الجزء للناس كافة من يستحقه ومن لا يستحقه، وباطن الدين والقسم الآخر للوصي وهو علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وهو الأساس والصامت بلغه لمن يستحقه ويستأهله[7]،

---

[1] القاضي النعمان: **أساس التأويل**، ص27.

[2] سورة آل عمران: الآية رقم [7].

[3] القاضي النعمان: **أساس التأويل**، ص29.

[4] إحسان إلهي: **الإسماعيلية تاريخ وعقائد**، ص ص474-475.

[5] القاضي النعمان: **أساس التأويل**، ص37.

[6] سليمان السلومي: **المرجع السابق**، ص477.

[7] إحسان إلهي: **الإسماعيلية تاريخ وعقائد**، ص479.

وألحقوا بعد ذلك به الأئمة وأهل بيته، فهم مستودع العلم الباطن يخاطبون كل قوم بمقدار ما يفهمون ويعطون كل حسب ما يستحق، يقول القاضي النعمان: «فجعل عزه وجل ظاهره معجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وباطنه معجزة الأئمة من أهل بيته، لا يوجد إلا عندهم، ولا يستطيع أحد أن يأتي بظاهر الكتاب غير محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم جدهم، ولا بباطنه غير الأئمة من ذريته، وهو متوافر بينهم مستودع عندهم، يخاطبون كل قوم منه بمقدار ما يفهمون، ويعطون كل أهل منه ما ستحقون، ويمنعون منه ما يجب منعه»[1]، كما أنهم تأويلات شتى في آيات القرآن الكريم استنادا علم الباطن عندهم وهناك أمثلة كثيرة على ذلك، بل وأولوا الآية الواحدة عدة تأويلات بما يناسبهم[2].

لعل أهم الأسباب لاتخاذ هذا التأويل هو إسقاط الأحكام الشرعية، وتعطيل الشعائر الإسلامية، وصرف الناس عن دين الحق، الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، من خلال الاستتار خلف أحفاده والافتراء عليهم، فعندهم معرفة علم الظاهر تدخلك الإسلام، وللوصول لدرجة الإيمان لابد من علم الباطن، واستدلوا بقوله تعالى: { قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ }[3]، فعندهم الإمام لا يأمر الناس بالعبادات، كالصلاة، والزكاة، بل عليه تبليغ التأويل، ويفسر الغزالي قولهم بذلك من أجل التملص من العبادات ويسرد قائلا: «لظواهر القرآن والأخبار بواطن تجرى في الظواهر مجرى اللب من القشر ...فإن من ارتقى إلى علم الباطن انحط عنه التكليف واستراح من أعبائه وهم المقصودون بقوله تعالى:{ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ}[4]...وغرضهم الأقصى إبطال الشرائع، فإنهم إذا انتزعوا عن العقائد موجب الظواهر قدروا على الحكم بدعوى الباطن على حسب ما يوجب الانسلاخ عن قواعد الدين إذا سقطت الثقة بموجب الألفاظ الصريحة فلا يبقى للشرع عصام يرجع إليه ويعول عليه»[5].

---

[1] القاضي النعمان»: **أساس التأويل**، ص ص31-32.

[2] هناك أمثلة كثيرة عن تأويلات للقرآن انظر سيمان السلومي: **المرجع السابق** ص481 وما بعدها.

[3] سورة الحجرات: الآية رقم [14].

[4] سورة الأعراف: الآية رقم [157].

[5] الغزالي: **المصدر السابق**، ص12.

وتأولوا من أجل هذا لكل ركن من أركان الإسلام تأويلا من أجل تعطيلها، فقالوا في معنى الصلاة أنها معرفة الإمام، وفي معنى الحج هو زيارته، وفي معنى الصوم هو الإمساك عن إفشاء سره، وزعموا أنه من عرف تأويل العبادة سقط عنه فرضها مستدلين بقوله تعالى: {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ}[1]، قال البغدادي في هذا الصدد نقلا عن رسائل بين دعاتهم: «انتظار موعد لا يكون وهل الجنة إلا هذه الدنيا ونعيمها وهل النار وعذابها إلا ما فيه أصحاب الشرائع من التعب والنصب في الصلاة والصيام والجهاد والحج»[2]، وهذا دليل صريح على أن غايتهم من كل هذا التملص من تكاليف الدين والعبادات واستباحة المحرمات التي نهى عنها الدين الإسلامي، هذا عن بعض أهم الأسس التي يقوم عليها المذهب الإسماعيلي والشيعة عامة، فلا يسع المجال لدراسة كل العقائد والأسس الإسماعيلية، ولهذا اكتفينا بما رأيناه أهم الأسس، والمخالفة مخالفة بينة لباقي الفرق الإسلامية.

[1] سورة الحجر: آية رقم[99].

[2] البغدادي: **المصدر السابق**، ج1، ص282.

كحوصلة للفصل خرجنا بما يلي: يوجد في الفقه الإسلامي بعض الاختلافات الفقهية في أمور فرعية أدت لظهور المذاهب الفقهية، لكن هذه المذاهب على العموم لها اتفاق في أصول الدين، عكس الخلافات الموجودة مع الفرق الإسلامية المنحرفة، فهي خلافات أصولية تخرج بعضها عن دائرة الإسلام ككل، ويكفر أصحاب هذه الضلالات حسب ما قرره علماء الأمة المعتبرين قديما وحديثا.

أن المذهب المالكي من مذاهب أهل السنة والجماعة، حيث تميز عن باقي المذاهب ببعض الأحكام الشرعية الفرعية الاجتهادية، وسمي بالمالكي نسبة الإمام مالك بن أنس رحمة الله عليه، وهو مذهب قائم على اتباع ما نص عليه الكتاب والسنة بأصنافها، وما يميزه عن باقي المذاهب الاعتماد على عمل أهل المدينة، كما يأخذ بباقي طرق الاجتهاد كالإجماع والقياس وغيرها.

تأثر أهل الغرب الإسلامي بمختلف أئمة المذاهب السنية وأخذوا عنهم، لتسير معظم المذاهب الفقهية بالمنطقة إلى الاندثار، مفسحة المجال للمنافسة بين المذهبين المالكي والحنفي ورغم تغلب الاحناف على المنطقة بداية الأمر، إلا أن المذهب المالكي عاد للانتشار والغلبة على جل مناطق الغرب الإسلامي، فكان مجموعة من فقهاء المنطقة، العامل الأساسي في نقل وانتشار المذهب المالكي، في جميع أنحاء المغرب الإسلامي، أما عن الأندلس فكانت أوزاعية المذهب، ثم غلب عليها أيضا المذهب المالكي فيما بعد.

ساهمت عديد العوامل في التمكين للمذهب المالكي بالمنطقة، منها الرحلة العلمية وما تأثرت به، سواء من الجانب الجغرافي المرتبط برحلة الحج نحو بلاد الحجاز، التي يغلب عليها المذهب المالكي، إضافة شخصية الإمام مالك وعلو شأنه، مع ما جرى منه من حسن معاملة للمغاربة، دون أن نغفل الدور الكبير لعلماء المذهب من أهل المنطقة، وما تميزوا به عن غيرهم من سعة علم، وحسن خلق، مع بعض العوامل الأخرى كطبيعة المذهب التي تلاءمت مع أهل المغرب، وفي بعض الأحيان تأثير السلطات الحاكمة وغيرها من العوامل.

أما عن الشيعة فهي فرقة تنضوي تحتها عديد الفرق والجماعات الأخرى، وعلى العموم يطلق هذا الاسم على الجماعة التي ترى أن الخليفة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم، هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أُختلف في تاريخ نشأة هذه الفرقة وظهورها، لكن الراجح

هو فترة مقتل عثمان وتولية علي رضي الله عنها، وما جرى من أحداث خلال تلك الفترة، فكانت المشايعة في البداية نصرة ومولاة، رافق ذلك تسرب بعض الأشخاص والأفكار الهدامة حتى حادت هذه الفرقة عن أصلها وصارت مذهبا ومعتقدات، ثم تطور الأمر لظهور عديد الفرق الشيعية.

اختلف أصحاب الفرق والمقالات، في عد وتقسيم فرق الشيعة، لكثرتها والاختلافات الحاصلة بينها، لكن هي بصورة عامة على ثلاث ضروب، فئة معتدلة ترى بأفضلية علي رضي الله عنه، دون الطعن في الصحابة والتبري منهم كالزيدية، وفرقة ترى بإمامة علي دون غيره وتخوض في أعراض الصحابة وأمهات المؤمنين كالإمامية، وجماعة الغلاة الذين يروون بتأليه الأئمة ونبوتهم ولهم ضروب من الكفر والزندقة كالإسماعيلية.

وفيما يخص الدولة العبيدية فإن انتمائها العقدي لفرقة الإسماعيلية من الشيعة، والتي لها حلافات جوهرية مع أهل السنة والجماعة، ورأس هذه الخلافات مسألة الإمامة والتي تُعد عندهم أصل من أصول الدين، ومن أهملها فقد خرج عن الإسلام، إضافة إلى عديد العقائد الأخرى كالتقية التي هدفها الكذب والخداع للمخالفين لهم، ولهم انحرافات عقدية أخرى كعقيدية غيبة الإمام المستور ورجعته، إضافة إلى تحريف وتأويل ظاهر القرآن الكريم عن مقصده الحقيقي بما يخدم معتقداتهم الفاسدة، وهذه كأمثلة فقط عن بعض الخلافات فهي كثيرة ومتشعبة تحتاج دراسات متخصصة.

الفصل الثاني الدولة العبيدية بالغرب الإسلامي

المبحث الأول: قضية نسب العبيديين وأئمة دور الستر

أولا: المؤرخين المثبتين لنسب الفاطميين

ثانيا: أصحاب الرأي المنكر للنسب العبيدي

ثالثا: رأي الإسماعيلية

رابعا: الرأي الأخير المتوصل إليه

المبحث الثاني: مرحلة التمكين للدولة العبيدية بالمغرب حتى قيامها

أولا: مرحلة الدعوة الإسماعيلية بالمغرب

ثانيا: مرحلة التوسع العسكري وتأسيس الدولة

ثالثا: هجرة عبيد الله المهدي إلى بلاد المغرب وإعلان قيام الدولة العبيدية

المبحث الثالث: السياسة العامة لأئمة الدولة العبيدية

أولا: عبيد الله المهدي (297-322هـ/910-934م)

ثانيا: القائم بأمر الله (322-334هـ/934-945م)

ثالثا: المنصور بنصر الله أبو طاهر إسماعيل (334-314هـ/946-953م)

رابعا: المعز لدين الله معد بن إسماعيل (341-362هـ/953-972م)

تمهيد

مع مطلع القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي عرف العالم الإسلامي ككل، والجانب الغربي منه بالخصوص حدثا سياسيا كبيرا، سيغير من الخريطة السياسية، وموازين القوى في المنطقة لفترة طويلة، ونقصد بذلك ميلاد أكبر وأقوى دولة شيعية في التاريخ الإسلامي، ممثلة في الدولة العبيدية، ذات التوجه الشيعي الإسماعيلي الباطني، أو كما اشتهر عند أتباعها من معتنقي المذهب الشيعي، وبعض المؤرخين السنة بالدولة الفاطمية، أو حتى من سماها بالخلافة الفاطمية، لم يكن ميلاد وتشكل هذا الكيان السياسي والمذهبي وليد الصدفة، بل مر بعدة مراحل، وكابد دعاته مختلف الصعاب، من أجل تحقيق مشروعهم وتأسيس دولتهم.

فلم يكن المشروع ذو أبعاد سياسية أو عسكرية، أو حتى اقتصادية فقط، وإنما كان بالأساس ذو بعد عقدي مذهبي، لذلك كان لابد قبل الخوض في الجانب العسكري والساسي لتأسيس الدولة، من الإعداد الديني والعقدي، من خلال الدعوة وحشد الاتباع نحو المذهب الجديد والتعريف به، ومن ثم الحفاظ على ما تم تحقيقه من مشاريع، ومواصلة التوسع به عبر عدة مراحل، وهذا ما سنحاول معالجته، بدأ بأصل هذه الدعوة ومراحلها حتى قيام الدولة والسياسة العامة لها.

المبحث الأول: قضية نسب العبيديين وأئمة دور الستر

تبدأ مرحلة أئمة دور الستر من الدعوة الإسماعيلية، بوفاة جعفر الصادق سنة 148هـ/765م، إلى غاية إعلان قيام الدولة العبيدية بالمغرب الإسلامي سنة 296هـ/908م، وبعض مؤرخي الشيعة يردها إلى مرحلة حياة جعفر الصادق، وأنه هو من أحيا سنة التقية، واستتار الأئمة، وستر ابنه إسماعيل وأعلن موته وأشهد على ذلك العمال والأمراء[1]، ولكن هذا الكلام فيه نظر، لأن هناك ما يفند هذه الروايات والافتراء على جعفر الصادق، وهذا بسبب الخلاف الذي بينه وبين ابنه إسماعيل، الذي كان «معتنقا لعقائد الخطابية، محاطا بالخطابيين، محببا مقربا إليهم، مخالفا، لأبيه، لذلك تبرأ منه جعفر، كما تبرأ من المحيطين به»[2] وهذا حسب بعض المصادر الإسماعيلية، كملك الجويني في كتابه تاريخ جهانكشاه، ورشيد الخواجة في كتابه الجامع للتواريخ.

ومرحلة الأئمة المستورين يحيطها الكثير من الغموض والاختلاف في عدد وأسماء الأئمة العبيديين، وهو الأمر الذي يثير الكثير من الشكوك حول نسبهم، وفي هذا الصدد يقول الأستاذ محمد كامل: «ومادام مؤرخو الإسماعيلية أنفسهم لم يستطيعوا أن يعطونا صورة صحيحة عن أئمتهم في الفترة بين 147هـ/764م، وهي فترة وفاة جعفر الصادق، وسنة 296هـ/908م وهي سنة ظهور عبيد الله المهدي بالمغرب لشدة ستر الأئمة، فمن الطبيعي لا نجد مؤرخا من مؤرخي العرب اهتم بهم في هذه الفترة»[3].

وما هو مشهور عند القوم وجملة من المعاصرين، أنه بعد وفاة جعفر الصادق، خلفه من بعده حفيده محمد بن إسماعيل، وجعل ميمون القداح[4] كفيلا له، والذي قال عنه الأعظمي

---

[1] محمد حسين الأعظمي: **عبقرية الفاطميين أضواء على تاريخ وفكر الفاطميين**، منشورات مكتبة دار الحياة، لبنان، 1960م، ص ص63-64.

[2] إحسان إلهي ظهير: **الإسماعيلية تاريخ وعقائد**، ص62.

[3] محمد كامل حسين: **طائفة الإسماعيلية**، ط1، مطبعة لجنة التأليف، مصر 1959م، ص19.

[4] ميمون القداح: هو ميمون بن الأسود-وقيل بن داوود وقيل ديصان- القداح وسمي القداح لعلاجه العيون وقدحها، أما عن أصله فقيل أنه مجوسي وقيل يهودي، ويضاف إلى نسبه المكي، وهو من رواة الحديث الثقاة عند بعض الشيعة، وهي شخصية يكتنفها الغموض، عاش حتى النصف الأول من القرن الثاني، ولا تاريخ محدد لميلاده ووفاته، وتذكر بعض المصادر الإسماعيلية توكيل جعفر الصادق له من أجل رعاية حفيده محمد بن إسماعيل، فيما ينسب عديد المؤرخين الأئمة العبيديين بالمغرب إليه، فيما يرى بعض الإسماعيلية أنه كان وكيلا وقائما على إسماعيل وبقي أولاده حجج للأئمة...إلخ.

بأنه كان رجلا غزير العلم عظيم الإخلاص، ثم آلت الولاية لابنه عبد الله الذي بالغ في الاستتار حتى عن أخص دعاته وأتباعه، فكان نشاطه بين معرة النعمان[1] ثم سلمية[2] ومنها بث الدعاة ومنها خلفه ابنه أحمد، وكان له بها مباني وسراديب يبلغ طولها اثنا عشر ميلا، يخفي بها ما يجود به عليه أتباعه ويستتر فيها من أعداءه، جاء بعده ابنه الحسين ثم عبيد الله المهدي آخر أئمة دور الستر، وأول إمام ظاهر[3]، لكن لا يمكن التسليم بهذه الرواية كون النسب الفاطمي لأئمة الدولة العبيدية يشوبه الكثير من الشك وهذا ما سنعالجه فيما يلي:

أصل تسمية العبيديين ونسبهم

من أجل عدم اللبس وإيضاح الأمور حول أصل التسمية –بين الدولة العبيدية، وبين الدولة الفاطمية–، لابد من دراسة حول أصل العبيديين، وحقيقة انتمائهم إلى البيت العلوي من عدمه، وهذه النقطة بالذات أسالت الكثير من الحبر، وشكلت موضع جدل بين المؤرخين والباحثين قديما وحديثا، حول ماهية الدولة المؤَسَسَة بالمغرب الإسلامي، فاطمية هي أو عبيدية، وهل هؤلاء المؤسِسون للدولة والذين يزعمون النسب الشريف، والاتصال بالرسول صلى الله عليه وسلم نسبا، من طريق ابنته فاطمة وابن عمه علي ابن أبي طالب رضي الله عنهما، هل حقا نسبهم يصل إلى ابنة رسول الله صلى عليه وسلم، أم هو مجرد ادعاء زعموه من أجل تحقيق أهداف دنيوية، وما أكثر المدعين والمنتسبين تاريخيا، من أجل تحقيق أهداف معينة، ومن هذا المنطلق وجب تبني وجهة نظر حول هذا الخلاف، وفق ما توفر لدينا من آراء وما كان أكثر إقناع وموضوعية.

عنه أنظر: البغدادي: **المصدر السابق**، ص16، ابن الأثير: **المصدر السابق**، ج6، ص ص 577، 587، المقريزي: **اتعاظ الحنفاء**، ج1، ص28، ابن خلكان: **المصدر السابق**، ج3، ص ص117–118، الذهبي: **السير**، ج9، ص320.

[1] معرة النعمان: بلدة بين حماة وحمص بالشام، وبها مدينة وبينها وبين حلب خمسة أيام، وهي كبيرة كثيرة المباني والأسواق، وهي منطقة قللة العيون والمياه، والغالب على أرضها الرمل وشرب أهلها من ماء السماء، وتشتهر بكثرة الزيتون والكروم والتين والفستق والجوز وغير ذلك، والنعمان هو النعمان بن بشير الصحابي الذي اجتاز المدينة فمات له ولد فدفن بها وأقام عليه فسميت باسمه. الحميري: **الروض المعطار**، ج1، ص555، الحموي: **معجم البلدان**، ج5، ص156.

[2] سلمية: بلد من أعمال قنسرين بثغور الشام على طرف البادية، بين حماة ورفنيّة، وهو حصن كالمدينة صغير عامر آهل، بينه وبين حمص مرحلة. انظر الحميري: **الروض المعطار**، ج1، ص320، الحموي: **معجم البلدان**، ج5، ص240.

[3] الأعظمي محمد حسين، **المرجع السابق**، ص ص66–68.

بداية وجب التوضيح أن السبب الرئيسي لهذا اللبس والغموض حول الموضوع، وعدم الفصل فيه، واتفاق المؤرخين على موضوع النسب الفاطمي، ما يعرف بفترة استتار الأئمة وما صاحبها من غموض وتضارب للآراء حول أئمة الإسماعيلية في هذا الدور وعددهم، سواء بين مؤرخي الشيعة والسنة، وحتى بين مؤرخي الإسماعيلية أنفسهم، هذا ما خلق جدل بين العلماء المسلمين وحبكة تاريخية، من أعقد المشاكل في التاريخ الإسلامي، ففريق يؤيد الفاطميين في أنسابهم، وفريق ينكر هذه الدعوة ويرى بأنهم أدعياء لا يمتون للفاطميين وأحفاد رسول الله صلى الله عليه بصلة، وقد بدأ هذا الجدل منذ قيام الدولة العبيدية لما شكك في نسب العبيديين أحد مشايخ القبائل البربرية، يقال له هارون بن يونس[1] ويكنى بشيخ المشايخ الأربابي[2]، وحول نسبهم هناك عدة آراء:

أولا: أمثلة عن المؤرخين المثبتين لنسب الفاطميين

من المؤرخين المثبتين لنسب الفاطميين، ابن حماد[3] (ت628هـ/1231م) والذي ذكر في كتابه أخبار ملوك بني عبيد وسيرهم حول النسب العبيدي قائلا: «اختلف الناس في نسبه إلى الحسين بن علي عليهما السلام... ولا يزالون مختلفين إلا من رحم الله فالذي ادعاه هو أنه عبيد الله بن محمد بن الحسين بن محمد بن إسماعيل بن جعفر ابن محمد بن علي بن أبي طالب رضى الله عنهم والذي ادعاه الناس لا برهان عليه فلا حاجة لي إليه»[4]، وقد ذكر ابن الأثير (ت630هـ/1234م) أنه ناقش هذه المسألة مع جماعة من العلويين العالمين

---

[1] أبو موسى هارون بن يونس المسلاتي، نسبة إلى مسلاتة وهي من بطون قبيلة كتامة صاحبة الدعوة الشيعية بالمغرب، كانت وفاته لم نعثر على تاريخ محدد لوفاته، ولكن من الروايات التاريخية يتبن قتله قبل عبد الله الداعي وأخيه في جمادى الأولى 298هـ/911م. انظر القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص 308، النويري: **المصدر السابق**، ج28، ص107، المالكي: **المصدر السابق**، ج2، هامش ص63.

[2] القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص308.

[3] أبي عبد الرحمان علي بن حماد بن أبي بكر الصنهاجي، أصله من مدينة حمزة (البويرة حاليا) والتي كانت من أعمال قلعة بني حماد، أخذ العلم بمدينته ثم انتقل إلى بجاية، أين تتلمذ على يد ثلة من علماء المنطقة، فكان متبحرا في علوم القرآن والحديث والنحو والأدب وغيرها من العلوم، كما تولى قضاء مدينة الجزائر، وله عديد المؤلفات منها النبذ المحتاجة في أخبار صنهاجة، توفي رحمه الله سنة (628هـ1231م). نظر ترجمته ابن حماد، **المصدر السابق**، مقدمة المؤلف، ص ص04-09.

[4] علي بن حماد: **أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم**، ت التهامي نقرة/عبد الحليم عويس، دار الصحوة، مصر ص35.

بالأنساب فلم ينكروا ذلك، قال ابن الأثير في نسبهم: «إن نسبه صحيح على ما ذكرناه»[1]، وأيضا نجد ابن خلدون (ت88هـ/1405م) الذي كان من أشد المدافعين عن النسب الفاطمي، وفي ذلك يقول ابن خلدون: «من الأخبار الواهية ما يذهب إليه الكثير من المؤرّخين والأثبات في العبيديين خلفاء الشّيعة بالقيروان والقاهرة من نفيهم عن أهل البيت صلوات الله»[2]، ونجد كذلك المقريزي (ت845هـ/1441م) من أشد المدافعين عن نسب الفاطميين وتحمسا لذلك[3].

قبل الانتقال إلى مناقشة أراء هؤلاء المؤرخين، حسب ما توفر لدينا من ردود لعلماء ومؤرخين أقرب إليهم علما وفضلا، ثم أراء بعض الباحثين المعاصرين، حول ما ذهبوا إليه في شأن ذلك، سنعرض سلسلة الأئمة التي أوردها كل واحد منهم، فابن حماد المعاصر للدولة العبيدية كانت سلسلة الأئمة بين عبيد الله حتى إسماعيل بن جعفر لديه كالآتي: «أنه عبيد الله بن محمد بن الحسين بن محمد بن إسماعيل بن جعفر»[4].

عند ابن خلدون «أوّل الأئمة المستورين محمد بن إسماعيل...ابنه جعفر المصدّق، ثم ابنه محمد الحبيب ثم ابنه عبد الله المهدي صاحب الدولة بإفريقية»[5] ووافقه في ذلك المقريزي «أن الإمام من ولد جعفر الصادق هو إسماعيل... عبيد الله هذا هو القائم بالمغرب»[6]، الذي نقل عنه أن سلسلة الأئمة بالتالي فيكون أئمة الدولة الفاطمية عندهما على الترتيب الآتي: عبد الله المهدي بن محمد الحبيب بن جعفر المصدق بن محمد المكتوم بن إسماعيل بن جعفر الصادق، فيما خالفهم ابن الأثير الذي أورد السلسلة كالآتي: «محمد بن عبد الله بن ميمون بن محمد بن إسماعيل بن جعفر»[7].

---

[1] علي بن أبي الكرم بن الأثير: **الكامل في التاريخ**، ت عمر عبد السلام، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1417هـ/1997م، ج6، ص578.

[2] ابن خلدون: العبر، **المصدر السابق**، ج1، ص27.

[3] تقي الدين المقريزي: **اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء**، ت جمال الدين الشيال، ط1، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، ج1، ص15.

[4] ابن حماد: **المصدر السابق**، ص35.

[5] ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج4، ص39.

[6] المقريزي: **اتعاظ الحنفاء**، ج1، **ص** ص16-17.

[7] ابن الأثير: **المصدر السابق**، ج6، ص577.

أول ما يلاحظه القارئ اختلاف هؤلاء المؤرخين في أسماء الأئمة المستورين بين محمد بن إسماعيل، حتى آخر إمام من هذا الدور (دور الستر) ألا وهو عبيد الله المهدي، فلم يكن الاختلاف مع المصادر الشيعية فقط، بل اختلف هؤلاء المؤرخين فيما بينهم أيضا، كما أن ذكر محمد المكتوم تفرد به ابن خلدون والمقريزي، فلا وجود لذكر نسب يربط العبيديين بمحمد المكتوم بهذا اللفظ[1]، فهذا الاختلاف يكفي للتشكيك في صحة النسب الفاطمي فلو كان واضحا دون اختلافات، لحسم الأمر ولم يخلق هذا اللغط وتم إلجام الطاعنين.

أما فيما يخص مناقشة الحجج التي دافع بها هؤلاء المؤرخين على آرائهم، فقد تم الرد عليها ومناقشتها وفق منهج علمي وتمحيص دقيق قديما وحديثا، من قبل علماء ومؤرخين من نفس المكانة والوزن العلمي، ونبدأ باستدلال ابن الأثير الذي كان معتمدا على أبيات شعرية[2] جاء فيها:

مَا مُقَامِي عَلَى الْهَوَانِ وَعِنْدِي ... مَقُولٌ صَارِمٌ، وَأَنْفٌ حَمِيٌّ
أَلْبَسُ الذُّلَّ فِي بِلَادِ الْأَعَادِي ... وَبِمِصْرَ الْخَلِيفَةُ الْعَلَوِيُّ
مَنْ أَبُوهُ أَبِي، وَمَوْلَاهُ مَوْلَا ... يَ إِذَا ضَامَنِي الْبَعِيدُ الْقَصِيُّ
لَفَّ عِرْقِي بِعِرْقِهِ سَيِّدَا النَّا ... سِ جَمِيعًا: مُحَمَّدٌ، وَعَلِيُّ
إِنَّ ذُلِّي بِذَلِكَ الْجَوِّ عِزٌّ ... وَأُوَامِي بِذَلِكَ النَّقْعِ رِيُّ

هذه الأبيات منسوبة للشريف الرضا[3] (ت406/1015م)، وقد أورد ابن كثير ما يفند نسب هذه الأبيات لقائلها، حيث جاء في البداية والنهاية «وقد نسب إلى الرضي قصيدة يتمنى فيها أن يكون عند الحاكم العبيدي،...فأنكر أن يكون قالها بالمرة، والروافض من شأنهم

[1] إحسان إلهي ظهير: **الإسماعيلية تاريخ وعقائد**، ص201.

[2] انظر ابن الأثير: **المصدر السابق**، ج6، ص579.

[3] أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى الحسيني، الموسوي، معروف بالشعر حتى قيل أنه أشعر الطالبيين، له ديوان في الشعر مكون من أربع مجلدات هو شيعي المذهب وتقلد نقابة الطالبيين، توفي سنة (406هـ/1015م)، والأبيات السابقة الذكر لم ترد في ديوانه وعلق ابن الأثير على هذه النقطة أنه لم يضعها في ديوانه خوفا من العباسيين. ينظر الذهبي: **السير**، ج17، ص285، الزركلي: **المصدر السابق**، ج1، ص99.

التزوير»، كما أنه حلف بالأيمان المؤكدة أمام أبا حامد الإسفراييني والقاضي أبا بكر الباقلاني أنه لم يقلها وتبرأ منها[1].

أما عن رأي ابن خلدون فإنه معتمد على الأبيات السابقة الذكر والتي تم مناقشة أمرها، ويدعم حججه بخبر طلب العباسيين للمهدي بالمغرب وغيرها من الأدلة، التي لا تعتمد على برهان ولا دليل علمي، وهي مجرد أراء أوردها واستنتاجات استنبطها ليسوغها كأدلة على صحة ما رمى إليه وتبناه، كتعمير دولتهم وسيطرتها والتوسع فيها وتمكنها من حكم البلاد، كقوله: «وظهور كلمتهم حتى في مكة والمدينة أدلّ شيء على صحة نسبهم»[2] وأيضا ما عرفته الدولة من تضحيات من قبل منتسبيها ودعاتها، ويعقب بطول عمر دولتهم ولو كانوا أدعياء كاذبين لانكشفوا، وقد فند الأستاذ خالد علال كبير الحجج التي جاء بها ابن خلدون في دفاعه عن العبيديين[3].

دون أن نغفل ما أورده ابن حجر العسقلاني معقلا على متابعة المقريزي لابن خلدون في تصحيح النسب الفاطمي، غافلا عن الدوافع الحقيقية التي أدت بابن خلدون إلى الاستماتة في الدفاع عنهم ومحاولة إثبات النسب لهم، فيقول ابن حجر في ذلك: «وغفل عن مراد ابن خلدون، فإنه كان لانحرافه عن آل علي يثبت نسبة الفاطميين إليهم، لما اشتهر من سوء معتقد ...فإذا كانوا بهذه المثابة وصح أنهم من آل علي حقيقة، التصق بآل على العيب»[4]، ويقصد ابن حجر هنا عدم معرفة المقريزي بالأسباب الحقيقية التي دفعت ابن خلدون إلى تصحيح النسب الفاطمي، وحسبه هو انحراف ابن خلدون عن موالاة العلويين ومن خلال إثبات النسب للعبيديين، فإنّ كل جاؤوا به، وما كان منهم من سوء معتقد فإنه يلتصق أيضا بآل البيت.

ونقل السخاوي أيضا كلام شيخه –ابن حجر– حسب ما أورده وخلاصة ما ذهبا إليه، أن دفاع ابن خلدون عن العبديين منبعث من محاولة ابن خلدون ربط ما اشتهر به بني عبيد

---

[1] ابن كثير: **المصدر السابق**، ج12، ص5.

[2] ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج4، ص40.

[3] خالد علال الكبير: **أخطاء المؤرخ ابن خلدون في كتابه المقدمة**، ط1، دار الإمام مالك، البليدة الجزائر، 1426هـ/2005م، ص85.

[4] علي بن حجر العسقلاني: **رفع الإصر عن قضاة مصر**، ت علي محمد عمر، ط1، مكتبة الخانقجي، مصر، 1418هـ/1998م، ص237.

من سوء المعتقد وسب الصحابة والتنكيل بالمسلمين، بالبيت العلوي وأن هؤلاء الأدعياء من أهل بيت علي منطلِق من نظرته لأهل البيت[1]، هذا عن ابن خلدون، أما المقريزي فلم تختلف حججه عن من سبق وزاد عنهم برواية سلسلة الأئمة حتى عبيد الله المهدي، «ومن الواضح تأثره بشيخه وأستاذه ابن خلدون[2]»، دون أن نغفل عن ميولات المقريزي العلوية وانتسابه لهم، وهو وحيد من بين المصريين الدين أيدوا النسب الفاطمي فأغلبهم أنكره أو تجنبوا ذكره، هذه أمثلة عن بعض المؤرخين من أهل السنة، ممن أثبتوا النسب الفاطمي لهم.

[1] محمد بن عبد الرحمان السخاوي: **الإعلان بالتوبيخ لم ذم التاريخ**، ت فرانز روزنثال، تر صالح أحمد العلي، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1407هـ/1986م، ص ص165-166.

[2] محمد عبد الله عنان: **الحاكم بأمر الله الفاطمي وأسرار الدعوة الفاطمية**، ط3، مكتبة الخانقجي، القاهرة، 1404هـ/1983م، ص62.

ثانيا: أصحاب الرأي المنكر للنسب العبيدي

أما فيما يخص المنكرين للنسب الفاطمي لحكام الدولة العبدية، فإن أغلب مؤرخي السنة ونسابة العرب ينكرون صلة العبيديين وانتمائهم إلى آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وابنته فاطمة وزوجها علي الله عنهما، ولكثرة المؤرخين ممن يميلون لهذا الرأي سنكتفي بأمثلة منهم، فمن أقدم الروايات في الطعن في نسب العبيديين ما كتبه علي ابن رزام[1] (ت398هـ/1007م) في كتابه الذي يرد فيه على الإسماعيلية، وقد نقل ذلك صاحب الفهرست ابن النديم (ت348هـ/959م) وكلا الكاتبين معاصر للدولة العبيدية، ومما جاء فيها حول نسب العبيديين: «عبد الله بن ميمون ويعرف ميمون بالقداح وكان من أهل قوزح العباس بقرب مدينة الأهواز، وأبوه ميمون الذي تنسب إليه الفرقة المعروفة بالميمونية التي أظهرت إتباع أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الذي دعا إلى إلهية علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكان ميمون وابنه ديصانيين»[2].

أيضا ممن ينفون نسبهم الشريف أخا محسن العلوي توفي حوالي (385هـ/375هـ) وهو علوي من نسل إسماعيل[3]، ونقل عنه المقريزي قوله ومما جاء فيه: «هؤلاء القوم من ولد ديصان الثنوي، الذي ينسب إليه الثنوية»[4]، وقال أيضا: «ولم يدع سعيد هذا المسمى عبيد الله نسباً إلى علي بن أبي طالب إلا من بعد هربه من سلمية، وآباؤه من قبله لم يدعوا هذا النسب؛

---

[1] هو محمد بن علي بن رزام الكوفي الطائي، عاش في النصف الأول من القرن الرابع الهجري، هناك إشارات عديدة إلى النقل من كتابه، كابن النديم والذهبي في تاريخ الإسلام، لكن لم نعثر على ترجمة له. انظر الذهبي: **السير**، ج7، ص624.

[2] ابن النديم: **المصدر السابق**، ج1، 232.

[3] قال المقريزيي:»قد وقفت على مجلد يشتمل على بضع وعشرين كراسة في الطعن على أنساب الخلفاء الفاطميين، تأليف الشريف العابد المعروف بأخي محسن، وهو محمد بن علي بن الحسين ابن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ويكنى بأبي الحسين؛ وهو كتاب مفيد»، ويذكر محقق كتاب الرد على الإسماعيلية (لم نستطع الحصول عليه إلا مؤخرا)، أن ابن رزام هو اسم استخدمه أخا محسن العلوي لإخفاء اسمه الحقيقي من مؤلفه هذا، انظر المقريزي: **اتعاظ الحنفاء**، ج1، ص22. فواز بن عبد الله الثبيتي: **الرد على الإسماعيلية القرامطة وشرح مذاهبهم في الصد عن شرائع الرسل والدعاء إلى إفساد الممالك والدول والرد على سائر الملحدين**، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه (مخطوطة)، إشراف سعيد بن محمد معلوي، الجامعة الإسلامية بالمدينة، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة، المملكة العربية السعودية، 1435هـ/2013م، ص ص19-45،

[4] المقريزي: **المصدر السابق**، ج1، ص22.

وإنما كانوا يظهرون التشيع والعلم، وأنهم يدعون إلى الإمام محمد بن إسماعيل بن جعفر، وأنه حي لم يمت»[1]، وكذلك كان رأي أبو بكر الباقلاني (ت403هـ/1013م) النسابة والأصولي الفقيه في قوله: «القدّاح جدّ عبيد الله كان مجوسيا، ودخل عبيد الله المغرب وادّعى أنه علوي ولم يعرفه أحد من علماء النسب»[2]، وأيضا القاضي عبد الجبار البصري(ت415هـ/1025م) الذي قال أن أباه كان يعمل حدادا بمدينة سلمية والتي كانت مركز للدعوة الإسماعيلية[3].

ومن أشد الطاعنين في نسب بني عبيد الإمام الذهبي (ت748هـ/1347م)، الذي لم تخلو مؤلفات من القدح في نسبهم، والإنكار عليهم كلما جاء على ذكرهم، ونقل آراء الكثير من العلماء حول عبيد الله المهدي ومن جملة ما قاله في ذلك: «وفي نسب المهدي أقوال: حاصلها أنه ليس بهاشمي ولا فاطمي»[4]، ومن أصحاب الفرق الذين نفوا وفندوا انتساب عبيد الله المهدي ونسله إلى البيت العلوي، نجد ابن حزم الظاهري (ت456هـ/1065م)، الذي جاء في كتابه جمهرة انساب العرب: «وادّعى عبيد الله القائم بالمغرب أنه أخو حسن البغيض هذا،...ومرّة ادعى أنه ولد الحسين بن محمد بن إسماعيل بن جعفر: وكلّ هذه دعوى مفتضحة، لأن محمد بن إسماعيل بن جعفر لم يكن له قط ولد اسمه الحسين، وهذا كذب فاحش، ولأنّ مثل هذا النسب لا يخفى على من له أقل علم بالنسب ولا يجهل أهله إلا جاهل»[5].

بعد انتقال الدولة العبيدية ناحية مصر استمر أيضا الطعن في نسبهم والتشكيك في انتمائهم لآل البيت، وقد تناول عديد المؤرخين والنسابة والعارفين هذا الموضوع في كتبهم ومؤلفاتهم، ومن أمثلة ذلك المؤرخ أبي شامة (ت655هـ/ 1257م) صاحب الروضتين[6]، الذي صرح بعدم صحة انتسابهم وأن نسبهم يصل إلى عائلة القداح، وأن سبب انتشار دعواهم ما

---

[1] المقريزي: **المصدر السابق**، ج1، ص29.

[2] يوسف ابن تغري: **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر، ج4، ص75.

[3] نفسه: ج4، ص75.

[4] الذهبي: **السير**، **المصدر السابق**، ج15، ص151.

[5] أحمد بن حزم الظاهري: **جمهرة أنساب العرب**، ت لجنة من العلماء، ط1، دار الكتب العلمية – بيروت، 1403هـ/1983م، ص62.

[6] أبو شامة: **المصدر السابق**، ج2، ص ص217-223.

دلسوه على أتباعهم وما تم خداع الناس به، عن طريق استثارة مشاعر الأمة والتستر وراء التشيع وآل البيت، لما عرفوا من مكانة هؤلاء لدى كل مسلم غيور على دينه محب لرسوله الكريم وآل بيته الأطهار، ولم يغفل عن التمثيل ببني جلدتهم الأدعياء من القرامطة، فبمجرد أن يصلوا إلى مآربهم في الحكم تظهر حقيقتهم للعلن وينكشف خداعهم وتلفيقهم، فكيف لمن يدعي النسب لبيت الرسول صلى الله عليه وسلم أن ينال من أصحابه، ويخوض في عرض زوجاته أمهات المؤمنين.

ومنهم ابن خلكان الذي شكك هو الآخر في نسب الفاطميين لهم حين ترجمته لعبيد الله المهدي[1]، واستدل على قوله بذكر قصة ابن طباطبا والمعز العبيدي حين وصوله إلى مصر، ولو كان يعرف نسبه لذكره وما كان بحاجة إلى ذلك المجلس وما فعله، وقد استدل حسن إبراهيم[2] في تأكيده على نسب الفاطميين ونقد رواية ابن خلكان التناقض في رواية ابن خلكان حول شخصية ابن طباطبا[3] الذي حسبه توفي (ت348هـ/909م)، أي قبل وقت طويل من وصول المعز الفاطمي، غاضا البصر عن التوضيح الذي قدمه ابن خلكان حول الموضوع، وأن صاحب الواقعة هو ابنه في قوله: أن الذي التقى بالمعز هو «أبو جعفر مسلم بن عبيد الله الحسيني والشريف أبو إسماعيل إبراهيم بن أحمد الحسيني، ولعل أحدهما صاحب هذه الواقعة»[4].

نختم بقول شيخ الإسلام ابن تيمية (ت728هـ/1328م) الذي ذكر بشأن ذلك قائلا: «أولاد ميمون القداح، الذين كان جدهم يهوديا ربيبا لمجوسي، وزعموا أنهم أولاد محمد بن إسماعيل بن جعفر[5]، وغيرهم كثير ممن أنكر نسبهم لا يتسع المجال لذكرهم وذكر مقالاتهم

---

[1] ابن خلكان: **المصدر السابق**، ج3، ص118.

[2] حسن إبراهي، طه شرف: **المرجع السابق**، ص37..

[3] أبو محمد عبد الله بن أحمد بن علي بن الحسن بن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، المصري الدار والوفاة، كان ذا نعمة وكرم، كانت له علاقة طيبة مع كافور الإخشيدي صاحب مصر وكان يكرمه. ينظر ابن خلكان: **المصدر السابق**، ج3، ص83.

[4] ابن خلكان: **المصدر السابق**، ج3، ص83.

[5] ابن تيمية: **منهاج السنة**، ج8، ص59.

في العبيديين[1]، وخلاصة آراء هذا الفريق هي القدح الصريح في نسب الفاطميين، وتميز أصحاب هذا الطرح بوضوح الرؤية وأكثر إقناع من حيث الحجج ومجمل هذه الآراء ينقسم إلى فكرتين:

أن عبيد الله المهدي ابن لرجل يهودي كان حدادا بسلمية، وترملت أمه فتزوجها أحد الأشراف العلويين، وربى هذا الغلام فلما كبر هذا الغلام ادعى نسبا علويا ودعا الناس لنفسه[2].

ثانيا أن عبيد الله من نسل ميمون بن ديصان القداح مولى جعفر الصادق، والذي كان له علاقات مع إسماعيل والخطابية، وتولى من بعد ابنه عبد الله، فالمهدي هو سعيد بن عبد الله بن ميمون بن عبد الله بن ميمون القداح.

كما كان للدول الإسلامية المعاصرة رأي في نسب الفاطميين، فأصدرت الخلافة العباسية سنة (402هـ/1011م) في عهد الخليفة العباسي القادر بالله محضر بغداد، والذي حمل توقيعات الكثير من المحققين والفقهاء والقضاة والمحدثين في الطعن والقدح في نسب العبديين، وأنهم ملحدون زنادقة معتقدون للثنوية والمجوسية[3]، قد عطلوا الحدود وأباحوا الفروج،

---

[1] ممن طعن في نسبهم أيضا: ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، علي بن حزم: **جمهرة أنساب العرب** ، ص60، جمال الدين أحمد: **عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب** ، ص243، أبو العباس القلقشندي: **نهاية الأرب**، ص137، ابن النديم: **الفهرست**، ص264، الباقلاني، وابن تغري،: **النجوم الزاهر**، ج4، ص75، ابن حجر العسقلاني: **قضاة مصر**، ص237، السخاوي: **الضوء اللامع**، ج4، ص23، القاضي عياض، **المدارك**، ج2، ص318، الدباغ: **معالم الإيمان**، ج3، ص34، المالكي: **رياض النفوس**، ج2، ص43، البغدادي: **الفرق**، 284، الإسفرايني: **التبصير**، ص141، ابن الجوزي: **المنتظم**، ج15، ص82، ابو شامة: **الروضتين**، ج2، ص140، ابن واصل: **مفرج الكروب**، ج2، ص،108 ابن عذارى المراكشي: **البيان المغرب**، ج1، ص164 وغيرهم كثير، تلاهم العديد من الكتاب كإحسان إلهي ظهير والصلابي وعبد الله عنان.

[2] سليمان السلومي: **المرجع السابق**، ص268.

[3] المجوسية ديانة شركية قديمة انتشرت في ممالك فارس القديمة، وهي امتداد للديانة الزرادشتية ديانة الدولة الفارسية القديمة، ومن عقائدها الثنوية التي تقول بوجود إلهين إله الشر ويرمز له بالظلام، وإله الخير أو إله النور، كما أن لهم كتاب مقدس يسمى الأفيستا، أو الأبستاق. ينظر الشهرستاني: **المصدر السابق**، ج2، ص49، ابن حزم، **الملل**، ج1، ص34.

وأحلوا الخمر وسفكوا الدماء[1]، تلاه محضر آخر يطعن في نسبهم سنة (444هـ/1025م)، في عهد القائم بأمر الله العباسي.

أيضا كان للسلطة الأموية بالأندلس أيضا موقف ورأي حول نسب العبيديين وذلك لما كتب نزار بن المعز الإمام العبيدي بمصر رسالة إلى المستنصر بالله الخليفة الأموي بالأندلس يسبه ويهجوه فيها، فكان رده الأموي أن قال له: «عرفتنا فهجوتنا، ولو عرفناك لأجبناك، والسلام»، فكان هذا الرد رغم قصره بليغ وإنكار واضح لنسب العبديين[2].

ورغم الخلافات السياسة بين الدول الإسلامية الصادرة عنها تلك الوثائق، وما كانت تحمله الخلافة العباسية والدولة الأموية للعلويين من عداء، إلا أن هذه الوثائق فيها جزء من المصداقية والقيمة التاريخية، وفي هذا الصدد يقول محمد عنان معلقا عن هذه المحاضر: «فإنها كانت تحمل من التوقيعات أسماء لها مكانتها، الرفيعة من العلم والدين مثل القاضي أبي بكر الباقلاني، وأبي حامد الأسفراييني، والقيدوري والأبيوردي وغيرهم، ومن ثم فإنها تجعلنا نشعر أنها ليست مزاعم بلاط موتور»[3].

هناك مواقف أخرى جرت إبان حكم العبيديين سواء بالمغرب أو بمصر، تشكك في نسب العبيديين منها ما رواه ابن خلكان في ترجمة ابن طباطبا، ومفاده حين دخول المعز الفاطمي لمصر وانتقال مركز الحكم إليها، سئل من قبل جماعة من الأشراف عن نسبه فكان جوابه حسب ما نقل ابن خلكان: «فسلَّ عند ذلك نصف سيفه وقال: هذا نسبي، ونثر عليهم ذهباً كثيراً وقال: هذا حسبي، فقالوا جميعاً: سمعنا وأطعنا»[4].

---

[1] ممن وقع في المحضر: المرتضى والرضي وابن الأزرق الموسوي، وأبو طاهر بن أبي الطيب، ومحمد بن محمد بن عمرو بن أبي يعلى، وأبو القاسم الجزري، أبو حامد الإسفراييني وأبو الحسن القدوري، وأبو عبد الله الصيمري، وأبو عبد الله البيضاوي، أبو القاسم التنوخي. انظر ابن كثير: **المصدر السابق**، ج1، ص345.

[2] شهاب الدين النويري: **نهاية الأرب في معرفة فنون الأدب**، عبد الحميد ترحيني، دار اكتب العلمية، بيروت، ج11، ص235.

[3] محمد عبد الله عنان: **المرجع السابق**، ص63.

[4] ابن خلكان: **المصدر السابق**، ج3، ص83.

ثالثا: رأي الإسماعيلية

أما عن الإسماعيلية فيرون أن العبيديين ملوك المغرب ينتسبون إلى بيت رسول الله صلى اله عليه وسلم، وسبب الطعن فيهم هو فترة استتار الأئمة من جور الخلفاء العباسيين، حتى أنهم غيروا أسمائهم تقية وتكنوا بأسماء أعوانهم خوفا على حياتهم[1]، وهذا هو السبب في الطعن فيهم حسبهم، لكن بالموازاة مع ذلك نجد اختلافات في عدد الأئمة التي أوردوها وأسمائهم، ومختصر ما جاء في كتبهم، رواية تقول بنسب عبيد الله المهدي إلى البيت العلوي، ورواية أخرى تقول بأن عبيد الله كان اسمه الحقيقي سعيد وهو من نسل القداح، كان إمام استيداع ثبت قواعد النظام وحفظ الإمام المستقر محمد بن علي القائم، وسلم له السلطة حين احتضاره، وهذا الخلط والتضارب في الآراء دليل على عدم صحة ما يذهبون إليه[2].

ولا بأس بإعطاء أمثلة عن التناقض الواضح بينهم، ونبدأ بحجة العبديين القاضي النعمان، إذ يورد في مجالسه حديث كان يحدثهم به المعز عن المهدي يدل على أن المهدي ليس من سلالة فاطمة وإنما إمام استيداع، وطبقا لما أورده أن إحدى زوجات المهدي كانت تقول لأولاده ونسائه بعد وفاته: «والله قد خرج هذا الأمر من هذا القصر – تعني قصر المهدي – فلا يعود إليه أبدا وصار إلى ذلك القصر– تعني قصر القائم بأمر الله–فلا يزال في ذرية أصحابه ما بقيت الدنيا»[3]، وهناك نص أكثر وضوحا من ذلك، يدل على محاولة المهدي الاستئثار بالحكم، وجعله في عقبه وحرمان القائم من ذلك، حيث يذكر فيه القاضي النعمان على أنه: «أراد أن يؤثر به من قرب منه ممن لم يجعله الله له، فكلما نصب لذلك واحدا مات واستأثر الله به، إلى أن ذهب أقاربه وأقام صاحب الحق ضرورة إذ لم يجد غيره»[4].

أما الداعي إدريس فرغم محاولته تبرير الاختلاف في أسماء خلفائهم وعددهم ببطش العباسيين وحماية الأئمة بتغيير أسمائهم، في قوله: «كان الدعاة أيام الأئمة المستورين، يسمونهم بغير أسمائهم ... إخفاء لأمر الله، وسترا لأوليائه لتغلب الأضداد وقوة أهل

---

[1] الأعظمي: **المرجع السابق**، ص62.

[2] إحسان إلهي ظهير: **الإسماعيلية تاريخ وعقائد** ص220وما بعدها.

[3] القاضي النعمان: **المجالس والمسايرات**، ص542.

[4] **نفسه**، ص411.

العناد...لذلك وقع الاختلاف في الأئمة المستورين ، وكثر خوض الخائضين، وقول القائلين»[1]، إلا أنه يصرح بعدم نسبة المهدي للبيت العلوي في كتابه زهر المعاني الذي جاء فيه قائلا: «المهدي بالله رابع الخلفاء...حامل أمانة الله ووديعته، ومسلمها إلى القائم بأمر الله ولده المنتسب إليه بتعليم وإفادته»[2]، هذا عن التضارب الواضح بين المصادر الشيعية ممن عاصروا الدولة العبيدية، ولم نرد الإطناب في الموضوع وإنما جئنا بالأمثلة للتوضيح والتدليل فقط.

أما عن الذين نسبوا المهدي إلى البيت الفاطمي فهناك اختلاف في عدد وأسماء الأئمة قبل عبيد الله المهدي، لكن قبل ذلك نبدأ من عبيد الله المهدي والذي أختلف في اسمه الحقيقي، فالمشهور عندهم وعند من تابعهم من أهل السنة «عبيد الله» ومنهم من يسميه «بسعيد الخير» وهناك من يسميه «محمد»[3]، ومن جملة ما جاؤوا به أن الذي سار إلى المغرب علي بن الحسين واستخلف سعيد الخير الملقب بالمهدي، فلما كان يحتضر سلم الوديعة إلى صاحبها وعليه جعل بعض مؤرخي الإسماعيلية سلسلة الأئمة كالآتي محمد القائم بن علي بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل[4]، والداعي إدريس يقول بأن سلسلة الأئمة كالآتي: محمد القائم بن عبد الله المهدي بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق[5].

هناك رواية أخرى أوردها الداعي جعفر بن منصور اليمن[6] (ت365هـ/975م)، مضمونها رسالة تلقاها من المهدي الإسماعيلي نفسه، يذكر فيها أسماء الأئمة المستورين

---

[1] عماد الدين الداعي: **زهر المعاني**، ت مصطفى غالب، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1411هـ/1991م، ص67.

[2] عماد الدين إدريس الداعي: عيون الأخبار وفنون الآثار، ت مصطفى غالب، ط1، دار التراث الفاطمي، بيروت، لبنان، 1973م، ص393

[3] إحسان إلهي ظهير،: **الشيعة تاريخ وعقائد**، ص211

[4] احسان إلهي ظهير: الاسماعيلية تاريخ وعقائد، ص213

[5] عماد الدين إدريس الداعي: **عيون الأخبار وفنون الآثار في سيرة الأئمة الأطهار**، السدس الخامس، ت مصطفى غالب، ط2، دار الأندلس، بيروت، لبنان، 1404هـ/1984م، ص ص88-98.

[6] الداعي جعفر بن منصور اليمن: جعفر بن منصور اليمن بن الحسن بن فرج بن حوشب، بعد وفاة والده وانقلاب أخيه على الدعوة العبيدية التحق بالمغرب، فكان من المقربين من حكام الدولة العبيدية وخاصتهم، له الكثير ن المؤلفات خاصة في التأويل الباطني الإسماعيلي، من كتاب «الكشف» «وسرائر وأسرار النطقاء» وغيرها، لايوجد تاريخ معيين لوفاته، لكن

ونسبه، لكن الملفت فيها أنها تختلف عن باقي الروايات، إذ تقول أن المهدي لم يكن إمام ولا ابن إمام وإنما مستودع[1]، والأعجب من ذلك تروي سلسلة أئمة مختلفة كل الاختلاف عن باقي الروايات وأن الإمام بعد جعفر الصادق عبد الله وليس إسماعيل، وعليه سلسلة الأئمة تكون كالآتي: محمد القائم، بن علي، بن (محمد «كان يلقب بمحمد وبالحسين») بن (أحمد «يلقب بمحمد») بن (عبد الله «يلقب بعبد الله بن ميمون») بن (محمد «يلقب بمحمد والميمون») بن (عبد الله «كان يلقب إسماعيل والمبارك») بن جعفر الصادق، فيما كان المهدي حجة لمحمد القائم[2]، وللتوضيح أكثر انظر الجدول الآتي:

القائم	أبو القاسم
علي	سعيد أو عبيد الله المهدي
محمد	الحسين
احمد	محمد وعبد الله
عبد الله	عبد الله بن ميمون
محمد	محمد والميمون
عبد الله	إسماعيل والمبارك
جعفر	الصادق

كما حاول بعض المؤرخين سواء من العرب أو المستشرقين أيضا إثبات النسب الفاطمي لهم، منهم المستشرق البريطاني برناد لويس الذي بعد دراسته للمصادر السنية والإسماعلية،

الراجح أنه توفي في أوائل حكم المعز العبيدي. أنظر ترجمته، القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص16، إدريس الداعي: **عيون الأخبار**، ج5، ص88.

[1] الإمام المستودع: هو الذي يتسلم الإمامة في الظروف الصعبة الإستثنائية، نيابة عن الإمام المستقر، وله جميع الصلاحيات ما عدا النص على الإمامة أو توريثها لأبنائه، عكس الإمام المستقر الذي له الحق في توريث الإمامة والنص عليها لاحد من أبنائه. ينظر عارف تامر: **الإمامة في الإسلام**، ط1، دار الأضواء، بيروت، لبنان، 1419هـ/1998م، ص143.

[2] Husnu F al_amdani: **ON THE GENALOGY OF FATIMID CALIPH,** amircane universityof beirut ; cauro ; egypt, ; 1958 ; p20.

خرج باقتراح من منطلق الإمام المستقر والإمام المستودع، وهذا النظرية تقول أنه بعد وفاة إسماعيل قامت إمامتان، إما في نسل محمد بن إسماعيل وتنتهي إلى القائم آخر أئمة دور الستر، بالموازاة معها رافقتها إمامة أخرى من الأئمة المستودعين لحماية الأئمة الحقيقيين، وهؤلاء الأئمة من نسل ميمون القداح آخرهم عبيد الله المهدي الإمام المستودع، الذي قام بنقل الإمامة لوصيه وابنه الروحي القائم بأمر الله، وتبنى حسن إبراهيم وطه أحمد شرف في كتابهما عبيد الله المهدي هذه النظرية، وحاولا تبرير الشك والخلط حتى بين المصادر الإسماعيلية، في نسب القائم تارة إلى المهدي وأنه ابنه، وتارة أنه ابنه بالتبني الروحاني، أي من أورد بأُوبُةِ المهدي للقائم إنما يقصد الأبوة الروحانية، ويُستدل على ذلك بتلقيب أبي الخطاب بأبي إسماعيل، وبنوة سلمان الفارسي لعلي ابن أبي طالب رضي الله عنهما حسب مبادئ الإسماعيلية على حد قوله[1].

هذا الاحتجاج ضرب من الخلط لا يصلح لأن يكون دليلا حاسما في موضوع شائك كهذا، فيما ناقضهما المؤرخ الروسي إيفانوف، والذي اهتم بالتاريخ الإسماعيلي وله عديد الدراسات حول الموضوع، فقد علق على هذه النظرية بالطعن، بكون هذه النظرية اختلقت أيام أئمة دور الظهور لتبرير انتقال الإمامة بالوراثة، وحسب رأيه فإن الأئمة العبيديين بالمغرب ينتمون لنسب علوي صحيح بدآ من عبيد الله المهدي[2]، ونختم بمثال آخر عن من تبنى اثبات النسب الفاطمي لعارف تامر، لكن شذ باحتجاج جديد لم تورده لا المصادر السنية ولا حتى كتب القوم، مفاده بانتماء العبيديين للبيت الفاطمي بما في ذلك عبيد الله المهدي، وان ما جاء من ذكر القداح والبيت القداحي ليس إلا مهنة امتهنها محمد بن إسماعيل الذي كان طبيب عيون وتلقب بالقداح، ويضيف أن عبيد الله المهدي اسمه سعيد الخير وهو عم القائم كفله بعد وفاة أبيه علي بن الحسين[3]، وقد وافق بعض الروايات الإسماعيلية كما أوردنا سابقا في هذه النقطة.

---

[1] حسن إبراهيم حسن، طه أحمد شرف: **عبيد الله المهدي إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية بالمغرب**، مكتبة النهضة المصدرية، القاهرة، مصر، 1366هـ/1947م، ص79

[2] W Ivanov ; **rise of fatimts** , Xford university, london, 1942, p27.

[3] عارف تامر: **المرجع السابق، ص** ص8-9

أما عن كون محمد بن إسماعيل هو القداح فهذا شيء لا يقبله عقل، كون شخصية ميمون القداح معروفة وذكرتها مختلف المصادر، رغم ما يكتنفها من غموض وتلبيس على البيت العلوي، ومن أجل إيضاح الأمر أكثر، وإعطاء صورة مبسطة عن مختلف الروايات التي جاءت في سلسلة الأئمة العبيديين، يرجى الرجوع إلى المخططات التي توضح سلسلة الأئمة المستورين والاختلاف الواضح بينها في الملاحق.

رابعا: الرأي الأخير المتوصل إليه

في الأخير يمكن الجزم أن نسب العبيديين ليس بصحيح، ولم ينتسب المهدي عبيد الله إلى البيت العلوي إلا بعد وصوله إلى المغرب، وحتى بعد انتسابه كان الطعن فيه حتى من اقرب أتباعه، –عبد الله الشيعي وأخوه أبو العباس اللذان مهدا له الطريق قبل وصوله[1] فالمؤيدون للنسب الفاطمي من أهل السنة حججهم كان يشوبها الشك، ولا ترقى لتكون حكم قاطع في نسبهم إلى الفاطميين، خاصة في القول لون أنهم كانوا أدعياء لانكشفوا ولم يطل أمرهم، فهذا القول لا يصلح البتة، بحكم ظهور ممالك وحضارات دامت لقرون، وكان منشأها من خرافات واعتقادات باطلة، وصل البعض منها إلى ادعاء الألوهية، ورغم ذلك عمرت لفترات مختلفة، كما لا نغفل عن شيء من الذاتية في طرح ابن خلدون واعتقاد المقريزي بانتسابه للبيت العبيدي[2].

تضارب الآراء حول نسب الفاطميين لدى مؤرخي الفرقة، ولم يكن هناك اتفاق حول تسلسل الأئمة من إسماعيل حتى ظهور عبيد الله المهدي، وخلط في أسمائهم، ومعظم الروايات التي وصلت عن أسمائهم حول ذلك كتبها متأخرون من غير المصريين الذين عاشوا في زمن وكنف الدولة الفاطمية، ما عدا روايتان إحداهما للداعي منصور اليمن، كتبت أوائل القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي وأخرى للكرماني أواخر القرن الخامس الحادي عشر ميلادي، كما قال المؤرخ المصري عبد الله عنان[3]، فنميل إلى الرأي القائل بعدم انتساب العبيديين للبيت العلوي، وعليه فإن نسب عبيد الله المهدي ليس إلى فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما للبيت القداحي، وأن من خلفه من أبناء القائم ينتمون لنفس البيت من عبيد الله حتى يصير إلى ميمون القداح[4] .

أيضا لو كان نسبهم صحيح كما يدعون، وحتم عليهم ما مروا به من اضطهاد وتضييق من قبل العباسيين التخفي وتغيير أسمائهم، فان هذا الوضع كان خاصا ومؤقتا بفترة أئمة دور

---

[1] النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص309.

[2] عقبة بن مدرور: **تحقيق النسب الفاطمي بين المؤيدين والمنكرين(567-297هـ/1171-909م)**، مجلة مدارات تاريخية، المجلد الأول، العدد الثالث، المركز المعرفي للدراسات والبحوث، سبتمبر 2019م، ص495.

[3] عبد الله عنان: **المرجع السابق**، ص ص 73-74.

[4] إحسان إلهي ظهير، **الشيعة تاريخ وعقائد**، ص251.

الستر، لكن عرفت دولتهم مرحلة قوة وتمكين سواء بالمغرب حين تأسيسها أو بانتقالها إلى مصر، فكان الأحرى بهم في هذه الفترة إعلان سلسلة أئمتهم ونسبهم دون اختلاف، والاتفاق على السلسلة الصحيحة لأئمتهم، وفق ما هو معروف لديهم وما كانت تحمله كتب الباطن عندهم.

لم يقتصر الاختلاف والتناقض في سلسلة أئمتهم على مؤرخين من الطرف المعادي فقط، بل وجدنا اختلاف بين مؤرخي الفرقة وأعلامهم أمثال إدريس الداعي والقاضي النعمان والأستاذ جوذر، بل أن هناك تناقض بين روايات المؤرخ الواحد في نفس المصنف كما أوردنا سابقا، وحتى أول حكامهم بالمغرب لم يحسم الأمر بعد تغلبه، ويقطع ألسنة الطاعنين حين توليه الحكم بالمغرب، فلماذا لم نجد هذا الطعن في حكام دولة الأدارسة رغم أنهم من الشيعة العلويين أيضا، وأسسوا دولة في نطاق جغرافي أبعد عن مركز العالم الإسلامي، والخلافة العباسية أيضا مرت تقريبا بتجربة مشابهة في نظام الدعوة وتأسيس الدولة لكن لم تتعرض لمثل هذا الطعن وقطع النسب الشريف.

أما من ينفي النسب الشريف عن عبيد الله المهدي، ويثبته لباقي نسله بدأ من القائم، ويحتج بنفي النسب عن المهدي فقط، فإن الروايات التاريخية تفند طرحه فقد كان الطعن في كل حكام بني عبيد، مثل الذي حدث للمعز الفاطمي غداة دخوله مصر، فتلقاه بعض وجوه العلويين من أهل مصر وسألوه عن نسبه، فكان جوابه بالترغيب والترهيب[1]، وكذا طعن القرامطة أبناء مذهبهم وحلفائهم، ومن كانوا يعترفون بإمامتهم فحين تداخلت المصالح اعترفوا بحقيقة أمرهم، وطعنوا أيضا في نسبهم، وما هذه النبذة إلا مثال صغير من باحث في بداياته تعرف الكثير من التقصير، فهناك دراسات شاملة بالنقد والتحليل جمعت جل الأدلة والبراهين بالنقد والتحليل والمقارنة، خرجت بنتائج لا تحتمل الشك في عدم صحة نسبهم، ونخص بالذكر ما أورده الأستاذ إحسان إلهي ظهير في كتابه الإسماعيلية تاريخ وعقائد، عن نسب العبيديين إلى البيت العلوي وما مدى الزيف والتناقض فيه.

---

[1] نقلت المصادر أن المعز حين دخوله مصر تلقاه بعض وجوه العلويين من بينهم الشريف ابن طباطبا وسألوه عن أي بيت ينتمي إليه من العلويين، فسكت عنهم ولم فما دخل القصر جمع الأشراف وسل نصف سيفه وقال هذا نسبي، ثم نثر عليهم الذهب وقال: هذا حسبي. ابن كثير: **المصدر السابق**، ج11، ص267.

المبحث الثاني: مرحلة التمكين للدولة العبدية بالمغرب حتى قيامها

أولا: مرحلة الدعوة الإسماعيلية بالمغرب

كان مركز الدعوة الإسماعيلية مدينة سلمية[1] من أعمال حمص، فكانت دار الهجرة الأولى ومقر صاحب الزمان[2]، وكان الاختيار على اليمن لتكون مركز الدعوة الإسماعيلية في بادئ الأمر، لعدة مؤهلات منها:

بعدها عن مركز الخلافة العباسية، ووعورة مسالكها وطبيعتها الصعبة، أضف إلى ذلك انشغال الخلافة العباسية آنذاك بإخماد بعض الثورات الداخلية مثل ثورة الزنج[3]، واختير لهذه المهمة رجل يسمى رستم بن حوشب[4]، الذي استطاع أن يؤسس أرضية للفكر الإسماعيلي بالمنطقة، وكان المخطط لإقامة الدولة هناك، لكن ما فتئ أن هدمت الصراعات ذلك، ولفطنة ابن حوشب هذا رأى بلاد المغرب الإسلامي أرض خصبة للأفكار الإسماعيلية فأرسل من اليمن رجلين من أتباعه إلى هناك[5]، لنشر الفكر الشيعي والدعوة إلى العبديين.

---

[1] سلمية: مدينة بالشام من أعال حمص بينهما أربعة وعشرون ميلا قال الاصطخري أن غالب سكانها من الهاشميين. الإدريسي: **المصدر السابق**، ج2، ص650، الاصطخري: **المصدر السابق**، ص46.

[2] موسى لقبال: **المرجع السابق**، ص205.

[3] ثورة الزنج هي ثورة قامت على الدولة العباسية، استمرت لأكثر من أربعة عشر عاما، بين سنتي (255-270هـ/869-883م) قام بها مجموعة من العبيد الأفارقة وكان مركزها بالبصرة، تحت قيادة شخص يدعى علي بن محمد، والذي إدعى النسب إلى عيسى بن زيد بن الحسين بن علي بن أبي طالب، فكان لها عديد النتائج السلبية على الدولة العباسية وأمنها. ينظر الطبري، **المصدر السابق**، ج7، ص435، أيمن فؤاد سيد: **الدولة الفاطمية بمصر**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 2007م، ص110.

[4] ابن حوشب: ولقبه منصور اليمن، وقال القاضي النعمان أبو القاسم الحسن فرج بن زادان الكوفي، قيل إن أباه كان على عقيدة الإثني عشرية وهو كذلك إلى أن التقى بأحد أئمة الستر من الإسماعيلية اختلف منه هو كما هو عادة أحبار العبيديين، فلما رأى منه الإمام الفطنة والإخلاص أرسله إلى اليمن، فأسس جماعة بعدن لاعة وسماها بدار الهجرة وجرت بعدها انقسام مع معاونه علي بن الفضل الذي تحول لمذهب القرامطة. ينظر ، القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، المقرزي، **اتعاظ الحنفاء**، ج1، ص4.سيف الدين القصير: **ابن حوشب والحركة الفاطمية في اليمن**، دار الينابيع، دمشق، سوريا، 1993م.

[5] وقيل أنّ من أرسلهما جعفر الصادق سادس أئمة الإسماعيلية والذي تعزى إليه الكثير من الأعمال والأقوال والخوارق، كونه مبجل عندهم وكان ذا رؤية بعيدة وله دراية وهو أول من غير منهج الدعوة نحو السر، موسى لقبال: **المرجع السابق**، ص216.

وكان هذان الداعيان هما أبو سفيان الحسن ابن القاسم، والثاني هو عبد الله بن علي بن أحمد المعروف بالحلواني وحين ارسالهما قال لهما: «إن المغرب أرض بور، فاذهبا فأحرثا حتى يجيء صاحب البذر»[1]، وهذا لبعد المنطقة عن الأنظار وحداثة عهد أهلها بالإسلام وفطرتهم، فنزلا بأرض كتامة[2] من أرض البربر أحدهما بمرجنة[3] والآخر بسوق جمار[4]، فتزوجا واشترى كل واحد منهما عبد وجارية، وبنيا مسجدين وعملا على الدعوة للعبديين[5].

فكان من مميزات مخططات الدعوة الإسماعيلية تغلغل الداعي بين الأهالي مظهرا العلم والتقوى والزهد في الدنيا، دون الإفصاح عن مبتغى دعواه الحقيقي، حتى يتمكن من قلوبهم ويحظى بالمكانة والثقة، والتركيز في دعواهم على ذكر مناقب أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما تعرضوا له من اضطهاد وظلم لإثارة عاطفة المسلمين، فتشيع العديد من الأهالي على أيديهما وهيئا الأمر لصاحب البذر، الذي سيمثل المرحلة الثانية لنشر الدعوة وتمهيد المنطقة للفكر الشيعي، والتمكين للدعوة الإسماعيلية.

بعدها كان اختيار ابن حوشب لعبد الله الشيعي[6]، وأهَّله لذلك ما تميز به من علم ومكر ودهاء، ومن جملة ما قال له قبل إرساله: «إن أرض كتامة من المغرب قد حرثها الحلواني

---

[1] المقريزي: **المصدر السابق**، ج1، ص41.

[2] كتامة: هي مجموعة من القبائل تنتمي لفرع البرانس من البربر، ويقال أنّ هذه التسمية مشتقة من اسم جدهم كتام أو كتم، وأيضا لقب كتامة يطلق على جبل بمناطق إقامة القبيلة، وهو حالية ناحية الشرق من الجزائر. ينظر ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج6، ص17، موسى لقبال: المرجع السابق، ص88.

[3] مرمجنة: هي مدينة كبيرة، تشرف عليها هوارة، وهي قبيلة من البربر، فيها أثار كثيرة ولها عيون سائحة وهي على نظر واسع كثير الزرع والخيرات. أنظر: مؤلف مجهول: **الاستبصار في عجائب الأمصار**: ت سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر الثقافية، بغداد، ص162، المقدسي: **المصدر السابق**، ص227.

[4] جاء في العبر سوق حماد وفي افتتاح الدعوة للقاضي النعمان سوجمار وهي بضواحي قسنطينة. ينظر ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج6، ص17.

[5] القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص ص28-29.

[6] هو الحسين بن أحمد بن محمد بن زكرياء من أهل صنعاء باليمن، وقال النعمان قاضي العبيديين من الكوفة، قيل أنه لقب بالشيعي والمشرقي والصوفي (لكثرة لبسه الصوف) والأهوازي لقول أنه ولد بنواحيها، قصد ابن حوشب بعدن، ومنها زوده بالمال وأرسله إلى المغرب كما جرى ذكره، واستطاع الاستلاء على عدة مناطق قبل وصول المهدي، كما أنه انقذه من سجته عند اليسع بن مدرار أخر ملوك الصفرية بسلجماسة، وعاد به إلى القيروان، ولما استتب الأمر للمهدي عاتبه أخوه ابو العابس أنه فرط في ملك هو بناه، فلما أحس المهدي منهما الخطر دس عليهما من قتلهما وذلك في منتصف جمادى

وأبو سفيان، وقد ماتا، وليس لها غيرك، فبادر فإنها موطأة ممهدة لك»[1]، وقيل أرسله محمد بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح هو وأخوه أبو العباس[2]، وقد رافقه نائب وهو عبد الله بن أبي الملاحف[3]، فانطق واختلط بحجاج المغرب من أهل كتامة، وأظهر التقوى والورع على عادة دعاة العبيديين، وأوهم المغاربة أنه قاصد مصر للتعليم، فأصروا عليه أن يصحبهم إلى بلادهم فوافقهم إلى ذلك وهو ما كان يريد، فكان هذا سنة(278هـ/892م)[4]، فرح الكتاميون بذلك ومن شدة اعجابهم وافتتانهم به أن قالوا: «وإنا لنأتي إلى بلد كتامة بشيء ما جاء به أحد ممن كان قبلنا»[5].

وعن الطريق التي مر بها هناك: رواية تقول أنّه عرج على القيروان لتقصي الأخبار ومعرفة الأحوال، فلم يجد أفضل وأمنع من كتامة[6]، أما النعمان فقال سافر مباشرة عبر قسيطلة إلى أرض كتامة، أين التقى ببعض أتباع الداعيان السابقان وممن التقى بهم، أبو القاسم الورفجومي وأبو المفتش المعروف بأبي حيون، وأبو عبد الله الأندلسي الذي عرف أنه صاحب البذر ولازمه بعد ذلك[7].

الآخرة سنة ثمان وتسعين ومائتين بمدينة رقادة بين القصرين. ينظر ابن خلكان: **وفيات الأعيان**، ج2، 192، ابن كثير **البداية والنهاية**، ج11، ص116، الذهبي: **السير**، ج10، ص78، العمري: **مسالك الأبصار في عجائب الأمصار**، ت سليمان كامل، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997، ج15، ص103، صلاح الدين بن أيبك الصفدي: **الوافي بالوفيات**، ت جلال الدين الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت 1997، ج16، ص128.، موسى لقبال: **المرجع السابق**، ص232.

[1] المقريزي: **اتعاظ الحنفاء**، ج1، ص55.

[2] جاء في اتعاظ الحنفاء: بعث محمد الذي تولى مكان ابن أخيه سعيد بن الحسين حتى كبر، بعث داعيين إلى المغرب، وهما؛ أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد المعروف بعبد الله الشيعي، وأخوه أبو العباس؛ فنزلا في قبيلتين من البربر. ينظر المقريزي: **اتعاظ الحنفاء**، ج1، ص27.

[3] وقيل أنّ هذا المساعد ابن أبي الملاحف كانت له ام فلم تقدر على فراقه، وفقدت عقلها فرق لها ابن حوشب وأعاده إليه وبعث مكانه ابراهيم بن اسحاق الزبيدي الذي عرف في المغرب بالسيد الصغير، النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص31، ص35، لقبال: **المرجع السابق**، ص235.

[4] المقريزي: **اتعاظ الحنفاء**، ج1، ص56.

[5] النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص39.

[6] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص165.

[7] النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص ص46-47.

استطاع عبد الله الشيعي في طريقه نحو بلدهم أن يجمع بعض المعلومات عن طبيعة المنطقة وأهلها وعلاقتهم بالولاة الأغالبة، كالمسافة التي بين مضاربهم والقيروان، وهي عشرة أيام، وأنهم دخلوا مع الأغالبة في نزاعات، والولاء لهم شكلي لا يتجاوز الدعاء على المنابر وسك العملة، وساعده على ذلك وجود العنصر المتشيع على يد الحلواني وأبو سفيان[1]، وأثناء هذه الرحلة استخلص أن قبيلة كتامة هي المكان المناسب لدعوته، خاصة أنها أقوى القبائل بالمنطقة، وبعد مشاورات عن المكان الذي سيقيم به، اختار مكان بالقرب من قلعة ايكجان والتي تقع بمضارب قبيلة سكتاتة إحدى بطون كتامة، وكان هذا سنة (280هـ/893م)، وذكر لهم فج الأخيار فكانت مفاجئة لهم لأنهم لم يأتوا على ذكره له، قال العمري أنه لما «قارب المكان قال لهم: هذا فج الأخيار، فقيل له: من أين علمته ونحن ما ذكرناه لك؟ فقال: أنتم الأخيار وبكم سمّي»[2]، وهذا دليل على أنه زود بمعلومات دقيقة حول المنطقة قبل وصوله.

سار عبد الله الشيعي فيهم بسيرة المعلم المؤدب الزاهد، فمالت إليه قلوبهم، وذاع صيته بين الأهالي، وأقبلت عليه مختلف القبائل البربرية، فجلس لتعليمهم وتفقهيهم بالمذهب الشيعي، ولم يصرح الشيعي بما يدعوا إليه صراحة وإنما دخل من باب ذكر فضائل علي كما صرح بذلك النعمان في قوله «كان يجلس إليهم ويحدثهم بظاهر فضائل علي ابن أبي طالب»[3]، ومن خلال تصريح النعمان هذا نتأكد مما يعرف عندهم بعلم الباطن، فالشيعي لم يكن يحدثهم إلا بظاهر الفضائل، والتي هي معروفة عند عامة المسلمين، أما باطنها فلا يعلمها إلا من كان من أتباع المذهب الشيعي حسب معتقداتهم.

ثم تدرج بعد ذلك وبدأ بالخوض في نظام الحكم والشورى في الإسلام، وفضل أهل وحقهم المسلوب في الخلافة، ومنها أبان عن دعوته للإمام المعصوم من أهل البيت على حد زعمه[4]، وهذه الأمور لم يكن يدعوا ويخبر بها جميع من كان يحضر مجالسه، بل من كان يثق فيهم ويحس أنهم سيخدمون الدعوة[5]، ومن جملة من سارَّهم بالأمر أبي القاسم الوفرموجي،

---

[1] لقبال: **المرجع السابق**، ص236.

[2] العمري: **المرجع السابق**، 24، ص93.

[3] النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص49.

[4] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص168.

[5] النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص49.

وهارون بن يونس المعروف بشيخ المشايخ، ومنهم تمام بن معارك أبو زاكي[1] الذي سيكون من المقربين وله أخبار عديد معه[2]، لتنتشر أخباره وسط القبائل البربرية ويشاع أمره بينهم، ما حمل عديد القبائل البربرية على الالتحاق به ومبايعته وكان معروف بعبد الله المشرقي[3].

ولعل سبب استجابة بعض القبائل البربرية، راجع لما تعرضوا له من قبل السلطة الأغلبية من سوء سيرة فيهم[4]، ولما شاع أمره وعُرف حقيقة ما يدعوا إليه، انقلبت عليه القبائل البربرية وقاتلت كتامة من أجل القضاء عليه، وهمت قبائل بني سكتان بتسليمه إلى القبائل البربرية التي تبينت حقيقته[5]، فقام الحسن بن هارون بحمايته ونقله إلى مضارب قبيلته[6]، في جبال الأوراس بقرية تازورت[7]، وعقب استقرار الداعي "بتازوت"[8] شهد إقبال من الوفود للسماع والمبايعة، فاضحت مدينة عامرة بعد أن قرر بعض من قصد المنطقة الإقامة هناك، خاصة من القبائل القريبة من المنطقة مثل لهيصة وأجانة وملوسة ولطاية وغيرها من قبائل المنطقة[9]،

---

[1] أبو زاكي تمام بن معارك بن ضبارة (دبارة) الإيكجاني وعند بن عذارى الأجاني الكتامي، من كبراء كتامة انضم إلى دعوة عبد الله الشيعي، فكان من قادته المشهودين وممن قامت على عاتقهم الدولة، ولاه البلاد برفقة أخيه أبي العباس البلاد حين خروجه نحو سلجماسة لتحرير المهدي، كان ممن خالف على المهدي فقتل بعد إرساله نحو طرابلس سنة 298هـ/910م. ينظر ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص152، ص163، ابن خلدون: المصدر السابق: **المصدر السابق**، ج4، ص ص43-48، المقريزي: **المصدر السابق**، ج1، ص68.

[2] النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص49.

[3] المقررزي: **المصدر السابق**، ج1، ص57.

[4] الصلابي: **الدولة الفاطمية**، ص43.

[5] النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص87.

[6] المقريزي: **اتعاظ الحنفاء**، ج1، ص58.

[7] الصلابي: **الدولة الفاطمية**، ص43.

[8] تازروت: ذكرها البكري في كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب باسم تازرارت، وهي بلد على درن المتصل بجبل نفوس وجبل الأوراس، وعند النوري أيضا ذكرها بنفس الاسم، كما ذكرها المقريزي باسم تاصورت، فيما قال المقدسي تازرت وهي مشهورة بالفضة، وذكرها القاضي النعمان وغيره تازروت، أبي عبيد الله البكري: **المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب**، ص ص160-161، النويري: **المصدر السابق**، ج28، ص85، المقدسي: **أحسن التقاسيم**، ج1، ص231، النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص88.

[9] **نفسه**، ص88.

فأصبحت تازورت المركز الجديد للدعوة، بالإضافة إلى الأنصار الذين بقوا في إيكجان[1]، وقد أورد النعمان ندم أهالي ايكجان على التفريط بالمشرقي وفقدان مركز القوة وتصدر الوضع، وبانتقاله من ايكجان إلى قلعة تازورت انتقل من الجانب الدعوي إلى التطبيق العملي والتمهيد للعمل العسكري.

[1] ايكجان قال الحموي إِنْكِجَان وهي جبل ناحية سطيف من بلاد البربر، تسكنها قبائل كتامة، وبها حصن منيع، أقام بها عبد الله الشيعي أيام دعوته وسماها دار الهجرة. الحموي: **المصدر السابق**، ج1، ص273، الإدريسي: **المصدر السابق**، ج1، ص269.

ثانيا: مرحلة التوسع العسكري وتأسيس الدولة:

انطلاقا من الواقع السياسي بالمغرب الإسلامي وما مسه من اضطرابات، بسبب الأوضاع الغير مستقرة للدولة الأغلبية المسيطرة على المنطقة، باشر عبد الله الشيعي عمله السياسي والعسكري، انطلاقا من مركزه الجديد قلعة تازورت، وبدأ في تطبيق خطته بتحصين مقره الجديد، حيث قام ببناء سور وخندق حولها، واستقر بقصر كان قد شيده هناك، وأحاط المنطقة بأتباعه وبنوا دورا لأسرهم[1]، وقام بتنظيم القبائل والجيوش الخاصة بها تحضيرا لبدء العمل العسكري[2]، ورغم تعرضه لمحاولات تصفية من بعض كبار قبيلة كتامة، إلّا أنّه استطاع التخلص منهم ومن كل المتآمرين من القبائل المجاورة، واستفاد من تجربته في منطقة ايكجان وما تعرض له من خذلان ما حتم عليه الانتقال إلى تازورت[3].

من مقره الجديد بدأ حملاته العسكرية على المناطق المجاورة، من أجل توسيع مناطق نفوذه وسيطرته على البلاد، فكانت بدايته الأولى على مدينة ميلة[4] باعتبارها أقرب مدينة[5]، والتي كان قد زارها من قبل قاصدا حمامها بعد علة أصابته[6]، كانت مدينة ميلة تحت ولاية أحد عمال الأغالبة واسمه موسى بن العباس بن عبد الصمد، وقد ساعده في السيطرة عليها عائلة ابن أبي خنزير الموالية له ورئيسهم الحسن بن أبي خنزير[7]، فدخل المدينة بالأمان دون

---

[1] القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص ص109-110.

[2] موسى لقبال: **المرجع السابق**، ص252.

[3] القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة** ص79.

[4] مِيلَةُ: مدينة صغيرة بينها وبين بجاية ثلاثة أيام، وهي من أصل مدن الزاب، وهي مدينة كثيرة الأشجار والمياه حسنة. الإدريسي: **المصدر السابق**، ج1، ص265، الحموي: **البلدان**، ج5، ص244.

[5] النويري: **نهاية الأرب**، ج24، ص146.

[6] القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص51.

[7] الحسن بن أحمد بن أبي خنزير، وقيل بن محمد، من رجال قبيلة كتامة البربرية كان ساكنا مدينة ميلة وهو من وجوهها، انضم إلى عبد الله الشيعي حين بداية دعوته وكان رجالته المذكورين بعد ذلك حيث قام بتوليته جزيرة صقلية سنة 297هـ، ليثور عليه أهلها سنة 298هـ، ويولي العبيدي ثم خرج عليه ابن قرهب وجعل الولاء للدولة العباسية، الذي أخرج أسطول نحو افريقية ولاقاه ابن ابي خنزير على رأس الأسطول العبيدي فأحرق الأسطول وقتله سنة 300هـ. ينظر ابن الأثير: **المصدر السابق**، ج6، ص620.ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج4، ص264-265 النويري: **المصدر السابق**، ج24، ص366.

خسائر كثيرة بفضل الموالين له[1]، واستطاع ابن صاحب ميلة إبراهيم الهرب والاستنجاد بأبي العباس بن إبراهيم بن الأغلب، حينها قام بتولية الداعي أبو يوسف ماكنون بن ضبارة[2] ويعتبر أول والي قام بتعيينه من كتامة وقفل راجعا إلى تازورت[3].

والسبب في ذلك الاستعداد لمواجهة الجيش الأغلبي بقيادة أبو عبد الله محمد بن إبراهيم، المعروف بأبي حوال الذي انتدبه والده لهذه المهمة، وكان تعداد جيشه اثنا عشر ألف من خيرة الفرسان، فمر بعدة مدن وانضم الموالون له وقضى على من تشيع، وكان اللقاء مع العبيديين ببلزمة، ورغم الهزيمة التي مني بها عبد الله الشيعي وجيوشه ولجوئه إلى ايكجان، بعد تخريب الأغالبة لتازورت، إلا أنه عاود لملمة شتاته، وكان له لقاء آخر بمدينة ميلة، وهنا استطاع التفوق على الأغالبة واستعادة ميلة، كما أعاد عبد الله الشيعي مقره إلى ايكجان[4].

ثم عمد إلى مدينة سطيف[5] سنة (291هـ/904م) وحاصرها أربعين يوما وكان الوالي عليها علي بن حفص المعروف بابن عسلوجة[6]، هذا الأخير كان ممن شارك في حملة أبي حوال على العبيديين، استطاع في هذه المرحلة الاستيلاء عليها[7]، ليتوالى الاستيلاء على المدن واحدة تلو الأخرى، ولم تفلح محاولة زيادة الله الأغلبي (ت304هـ/916م)[8] في وقف الزحف

---

[1] موسى لقبال: **المرجع السابق**، ص253.

[2] أبو يوسف ماكنون بن ضبارة وعند ابن عذارى ماقنون بن دبارة، الأجاني الكتامي كان حيا 349هـ/960م، من قادة الدولة العبيدية بالمغرب، ولي طرابلس من قبل المهدي، وذكر الداعي أنه ولي ميلة قبل ذلك من قبل الداعي عبد الله. ينظر ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص164ص168، ابن خلدون: المصدر السابق: **المصدر السابق**، ج4، ص47، إدريس الداعي: المصدر السابق، ص110، ص124

[3] القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص92

[4] النويري: **المصدر السابق**، ج28، ص ص91-93 المقريزي: **المصدر السابق**، ج1، ص58، القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص ص102-108.

[5] سطيف: مدينة شرق الجزائر الحالية، وهي مدينة صغيرة لكنها كثيرة العشب والمزارع، وهي تقارب مدينتي ميلة والمسيلة. الحموي: **البلدان**، ج3، ص230، ابن حوقل: **المصدر السابق**، ج1، ص95.

[6] القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص92.

[7] النويري: **المصدر السابق**، ج28، ص92.

[8] زيادة الله بن عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن أحمد بن الأغلب، هرب إلى المشرق ومات بالرملة سنة 304هـ/916م على ما ذكره الذهبي انظر الذهبي: **السير**، ج14، ص197، محمد بن شاكر صلاح الدين: **فوات الوفيات**، ت إحسان عباس، ط1، دار صادر، بيروت، لبنان، 1974م، ج2، ص33.

العبيدي والدفاع على هذه المدن[1]، رغم الجيش الذي حشده تحت قيادة إبراهيم بن حبشي[2]، فاستطاع جمع أربعين ألف مقاتل وهو جيش لم يجتمع للأغالبة من قبل، على حد ما ذكر النعمان، ووصل قوامه إلى المائة ألف أثناء معسكره بمدينة قسنطينة[3]، وتابعه النويري في ذلك حيث ذكر تعداد الجيش بأربعين ألف حين خرج، ووصل تعداده حدود المائة ألف حين وصوله قسنطينة[4]، ووصول الإمدادات من طبنة[5]،فيما قال المقريزي بأن تعداد الجيش نحو الثمانين ألف[6]، وأثناء وجود الجيش الأغلبي وصل دعم جنود طبنة على رأسهم صاحبها شيب بن أبي الشداد[7]، فجرت بينه وبين أهل كتامة معركة في مدينة بونة لينهزم الجيش الأغلبي[8].

كان السبب الأكبر في انهزام الأغالبة في هذه المعركة، بالإضافة لما أضافه النعمان من مدح لتضحية ويقين الشيعة وجهادهم، كان قلة خبرة قائدهم حسب ما اتفق عليه النعمان والمقريزي، إذ تحصن العبيدي بالجبال وأرسل بعض خيالته فتلاقاها إبراهيم بخيله، دون التريث حتى يوافيه أصحابه الذين لم يكونوا عسكروا بعد وأنزلوا متاعهم من على رواحيلهم[9]، ليقود عبد الله الشيعي الإمدادات لخيالة الكتاميين، وتم محاصرة طلائع الجيش الأغلبي حتى كاد يُقتل قائد الجيش بعد إصابة حصانه، وانهزم رفقة جيشه نحو باغاية[10] فكانت معركة عظيمة

---

[1] النويري: **المصدر السابق**، ج28، ص ص95-96.

[2] ذكر النويري اسمه إبراهيم بن حنبش لكن أجمع ابن عذارى والمقريزي والنعمان، على أن اسمه إبراهيم بن حبشي وأضاف ابن عذارى ابن عمر. النويري: **المصدر السابق**، ج28، ص95، القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص168، المقريزي: **المقفى الكبير**، ج3، ص375، ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص137.

[3] القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص168.

[4] قسنطينة: مدينة قديمة أزلية فيها آثار للحضارات القديمة تشتهر بقناطرها وفيها مواجل مياه كبيرة وهي أكثر المدن تحصينا وهي كبيرة على جبل صلد، وتقع حاليا شرق الجزائر. الحميري: **الروض المعطار**، ج1، ص480..

[5] النويري: **المصدر السابق**، ج28، ص ص95-96.

[6] تقي الدين المقريزي: **المقفى الكبير**، ت محمد اليعلاوي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1427هـ/2006م، ج3، ص275.

[7] القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص ص167-168.

[8] **نفسه**، ص171.

[9] المقريزي: **المقفى الكبير**، ج3، ص375.

[10] باغاية: مينة قديمة قريبة من جبل الأوراس بالجزائر الحالية، قال عنها البكري مدينة أولية قديمة ذات ثمار ومزارع تقع شرق مدينة قسنطينة. ينظر البكري، **المسالك والممالك**، المصدر السابق، ج2، 710، ياقوت الحموي، البلدان، ص325.

غنم منها العبيدي ما لا يحصى من المال والسلاح والمتاع[1]، ويعبر المقريزي عن نهاية هذه المعركة كان إيذان باستقامة المغرب لعبد الله الشيعي، ومنها أرسل لصاحب دعوته يبشر بالنصر وكان حينها بسلجماسة[2].

منها سار إلى طبنة[3] فاستولى عليها واستخدم الدبابة والمجانيق من أجل التمكن من تحصيناتها[4]، وهذا ما يدل على تطور الفكر الحربي لدى العبيدي، وتأسيس جيش متكامل ومجهز بمختلف الأسلحة، ومن بين المدن التي استولى عليها مدينة تيجس وبلزمة وقسنطينة وقفصة حتى وصل مدينة الأربس[5]، وقام زيادة الله في محاولة لتهدئة الوضع بإرسالٍ بالتعبئة العامة، وبخطاب إلى كل المدن والحواضر التي تحت سيطرته، من أجل الجهاد والدفاع عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ضد الكافر المبدل لشرع الله، في خطبة طويلة نقلها القاضي النعمان في كتابه، وأيضا قرأ على المنابر كتاب الخليفة العباسي إلى أهل المغرب الذي يحثهم على مقارعة العبيدي ونصرة واليه الأغلبي على هؤلاء الطغاة[6].

---

[1] القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص ص171-173.

[2] المقريزي: **المقفى الكبير**، ج3، ص3761.

[3] طبنة: مدينة على أطراف إفريقية مما يلي بلاد الزاب، افتتحها موسى بن نصير، لها سور مبني بالطوب قال الحموي: وليس بين القيروان وسلجماسة مدينة أكبر منها. الحموي: **معجم البلدان**، ج4، ص21، عبد الحق بن عبد المومن بن شمائل القطيعي: **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، ط1، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1412هـ، ج2، ص879.

[4] القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص174.

[5] العمري: **المصدر السابق**، ج24، ص93.

[6] القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص185حتي ص201.

استمر توسع الشيعي حتى سيطر على القصرين[1] ثم قصطيلة وقفصة[2]، وكانت مدينة الأربس[3] المدينة التي شهدت آخر أكبر المعارك بين العبديين والأغالبة، فبعد استيلاء عبد الله الشيعي معظم المدن المحيطة، شعر زيادة الله بن الأغلب بالخطر الذي وصل إلى عاصمة ملكه، فقام بالتعبئة العامة وتفريق الأموال وجمع جيشا كبيرا، لم تسعفنا المصادر بتعداد الجيش واكتفت بالتحدث عن عظم الجيش حيث قال المقريزي وابن الأثير في شأن ذلك: «وجمع زيادة الله ما لا يحصى»[4]، ورحل زيادة الله بنفسه إلى قيادة الجيش، لكن تراجع بعد مشورة من بلاطه بعدم المغامرة والحفاظ على القيادة العامة للمسلمين، وتكليف من ينوب عنه في هذه المعركة[5]، فيما كان قوام جيش عبد الله الشيعي مائتي ألف، دارت معركة حامية الوطيس كانت الغلبة في بدايتها للجيش الأغلبي، ليتدخل العبيدي بتكتيكه الحربي ويحسم الأمر لصالحه ويتفرق من حول الأغالبة كل ناحية بلده[6].

دخل عبد الله الشيعي المدينة وعاث فيها فسادا وتقتيلا لمن بقي من الأهالي، ولم يسلم حتى من لجأ إلى المسجد، وعن فظاعة المشهد ووحشيته يقول ابن عذارى: «كانت الدماء

---

[1] القصرين: مدينة وسط غرب من تونس الحالية، بينها وبين مدينة قسنطينة مسيرة ثلاثة أيام. ينظر الإدريسي، **المصدر السابق**، ص267.

[2] قفصة : مدينة حصينة عليها سور من حجارة وبها عيون ماء وحولها عمارة كثيرة، ومنها السير لى مدائن قسيطيلة والتي هي أربع مدن في أرض واسعة بها النخيل والمزارع، وكلتا المدينتي كانتا من أعمال القيروان.
ينظر اليعقوبي، البلدان، المصدر السابق، ص188، القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص.222

[3] الأربس: مدينة من مدن المغرب الأدنى بينها وبين القيروان مسيرة ثلاثة أيام، وهي على أرض مستوية، معروفة بخصوبة أراضيها وغلاتها خاصة الزعفران الذي تضاهي جودته أفضل الأنواع، كما اشتهرت بمعدن الحديد. الإدريسي: **المصدر السابق**، ج1، ص292، الحموي: **معجم البلدان**، ج1، ص136.

[4] المقريزي: **المصدر السابق**، ج1، ص62.

[5] القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص.202.

[6] ابن الأثير: **المصدر السابق**، ج6، ص595 المقريزي: **المصدر السابق**، ج1، ص62. القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص227.

تسيل من أبواب المسجد كما يسيل الماء من وابل الغيث»[1]، وقال ابن الأثير أن تعداد من قتل بالمسجد فقط ثلاثة آلاف[2]، وجرت هذه الأحداث في جمادى الأولى سنه (296هـ/909م).

كانت هذه الوقعة النهاية الحقيقة للدولة الأغلبية، فبعدها لم يبقى من حيلة لزيادة الله بن الأغلب، الذي قرر الخروج بماله وأهله ناحية المشرق قاصد مصر، ومنها إلى مقر خلافة الدولة العباسية، وكان خروجه من رقادة[3] أواخر جمادى الأولى من نفس السنة، وحمل معه ما استطاع من مال ومتاع وذهب وخاصة خدمه وأهله[4]، وقد سار عبر طرابلس قاصدا منها إلى مصر[5]، ولحقه ابراهيم بن الأغلب بعد أن نفذت الحلول لديه، ولفظه أهل القيروان وثاروا عليه عقب قصده لهم وطلب التعبئة لمواجهة عبد الله الشيعي[6]، ولما علم عبد الله الشيعي بهرب زيادة الله قدم من سبيبة[7] ونزل قريبا من رقادة، وأرسل ألف فارس على مقدمتهم عروبة بن يوسف[8] وابن أبي خنزير، ودخلا المدينة بعدما نهبها العامة عقب خروج ابن الأغلب، وكان

---

[1] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص146.

[2] قال ابن عذارى أنهم ثلاثون ألف ينظر ابن الأثير: **المصدر السابق**، ج6، ص595 ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص146.

[3] رقادة: مدينة بالمغرب الأدنى بينها وبين القيروان اربعة أميال، وهي مشهورة بكثرة بساتينها وفواكهها، كما أنها ذات هواء عليل ليس بالمنطقة مثله، وقيل أن إبراهيم بن أحمد الأغلبي (ت289هـ/902م) هو من بناها وجعلها دار ملكه. الحميري: **الروض المعطار**، ج1، ص271.

[4] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص147.

[5] النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص234.

[6] ابن الأثير: **المصدر السابق**، ج6، ص595.

[7] سبيبة: مدينة بالمغرب الأدنى بينها وبين القيروان حوالي الخمسين كلم وهي مدينة قديمة كثيرة المياه وبها عين جارية، أما عن تحصيناتها فعليها سور من الحجارة، وبها أسواق عامرة ووفرة في السلع، ومن أشهر منتجاتها الكمون والكروياء. ابن حوقل: **المصدر السابق**، ج1، ص84، الإدريسي: **المصدر السابق**، ج1، ص294.

[8] أبو ميمون عروبة بن يوسف وفي بعض المصادر (غزوية) الملوسي الكتامي، من قادة الشيعية ببلاد المغرب كان ضمن قادة الداعي عبد الله الشيعي ومن المقدمين وكبار القادة، وحين تولي عبيد الله خدمه ونفذ عملية التصفية للداعي وقال له حين قتله: «الّذى أمرتنا بطاعته أمرنا بقتلك»، ليوجه بعدها في حملة على منطقة تيهرت، وبقي في خدمة الدولة العبيدية إلى غاية خروج أخيه حباسة على الدولة فطُلب وقُتل سنة (302هـ/914م)، وقيل أن المهدي حين قتلهما حمل رأسيهما في قفة وقال: «ما أعجب أمور الدنيا! قد جمعت هذه القفة رءوس هؤلاء، وقد كان يضيق بعساكرهم فضاء المغرب». ابن الأثير: **المصدر السابق**، ج6، ص336، القاضي النعمان: **المصدر السابق**، ص316، ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج4، ص ص45-48

هذا في نهاية جمادى الأولى سنة (296هـ/909م)[1]، من أجل السيطرة على الفوضى التي حلت بها عقب هرب زيادة الله، وفي هذا الصدد قال النويري: أنه وصل النهب بها واستباحتها إلى حد انتزاع الأبواب وأخذ الأثاث من البيوت، واستمر الحال هكذا ستة أيام على حد قوله[2].

أما عبد الله الشيعي لم يغادر معسكره ويتوجه نحو رقادة، حتى شهر رجب من نفس السنة، حيث لاقاه وجوه وفقهاء مدينة القيروان بساقية ممس[3] ودخل بمعيتهم إلى مدينة رقادة،[4] ورافقوه حتى دخوله المدينة ولم ينصرفوا عنه حتى أذن لهم وعادوا إلى القيروان[5] ونادى بالأمان حتى على بقايا الأسر الأغلبية ومواليهم بالقصر القديم، وسكن هو بأحد القصور القديمة من مدينة رقادة المعروف بقصر الصحن،[6] وفرق الدور على أتباعه من أهل كتامة، فقد خلت البيوت من أصحابها بعد تفرق ساكنتها عقب خروج وهرب زيادة الله[7]، وكان من دخل المدينة معه حسب ما ذكر ابن عذارى يفوق الثلاثمائة ألف[8]، وبهذا تم القضاء على الحكم الأغلبي نهائيا ببلاد المغرب الإسلامي، وقطعت الخطبة للخلافة العباسية، وبدأ عهد جديد أصبح فيه الدعاء على المنابر بالصلاة على محمد وعلى آل محمد صلى الله عليه وسلم فقط، دون الصيغة المعتادة في الترضي على محمد صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه رضوان الله عليهم، فقد عاصر آخر ثلاث ولاة أغالبة بداية الدعوة الشيعية بالمغرب.

كان أولهم إبراهيم بن أحمد (ت289هـ/901م)[9] الذي كان حسن السيرة بداية حكمه، ثم انقلب حاله إلى جمع المال والملذات والإسراف في القتل، الذي شمل حتى أولاده وبناته

---

[1] **نفسه**، ج6، ص596.

[2] النويري: **المصدر السابق**، ج24، ص148.

[3] ساقية ممس: قرية على الطريق بين القيروان ومدين سبيبة السابق الذكر. البكري: **المسالك والممالك**، ج2، ص834.

[4] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص149.

[5] القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص245.

[6] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص150.

[7] موسى لقبال: **المرجع السابق**، ص307.

[8] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص15..

[9] هو إبراهيم بن أحمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب، أبو إسحاق التميمي الأغلبي، تولى الحكم 261هـ وكانت أول أيامه في الحكم بالعدل والحق، حتى عم الأمان كل أرض بلاده وكان حازما مع خدمه ووزراءه، لينقلب بعد ذلك ويفسد

وخدمه بأشكال مختلفة[1]، ومن جملة من قتلهم ابنه وثمانية من إخوته، وفي آخر عمره تاب عما كان فيه من اللهو والإسراف، بعد وصول رسول الخليفة العباسي المعتضد بالله بعزله وسبب ذلك شكوى أهل تونس منه وقصد جزيرة صقلية[2]، ومنها خرج إلى الجزر القريبة في البحر مجاهدا واستطاع فتح عدة جزر حتى توفي في سنة (289هـ/901م)[3].

خلفه بعده ابنه أبو العباس عبد الله بن إبراهيم ابن أحمد (ت290هـ/902م) الذي كان وقت وصول رسول الخليفة العباسي بصقلية، فأرسل إليه ورجع ليحكم بعد أبيه وقد لبس الخشن واعتزل قصر أبيه، واشترى دار من الطوب وسكنها حتى عمر داره وولى على القضاء محمد بن الأسود الذي كان يقول بخلق القرآن، فكرهه العامة لذلك[4]، وقتل من قبل بعض الخدم في شهر شعبان فكانت ولايته بعد أبيه تسعة أشهر وأحد عشر يوما[5].

تولى بعده أخوه زيادة الله (ت304هـ/916م) واشتغل باللهو واللعب[6]، ما ألب العامة ضده، خصوص مع تفاقم الخطر العبيدي، ورغم محاولته إصلاح الوضع واسترضاءهم بعزل الصديني وتولية حماس بن مروان[7]، لم يفلح الأمر معه لما سبق من سوء سيرته وتأزم الوضع من تراكمات من قبله، وكذا إسرافه في القتل، فقتل عمه أبا الأغلب الزاهد الساكن بسوسه، وقتل أخاه أبا عبد الله الأحول[8]، الذي شكل قتله أعظم الانتصارات لعبد الله الشيعي، كونه كان من القادة البارعين، وممن استطاع إلحاق الهزيمة بعبد الله الشيعي في أولى المعارك

طبعه كما ذكرنا، وانتهى به الأمر غازيا حتى توفي (289هـ/901م) بصقلية، انظر الذهبي: **السير**، ج13، ص ص487-488، أيضا **تاريخ الإسلام**، ج6، ص698.

[1] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص132.

[2] جزيرة بالبحر المتوسط تقع مقابل افريقية تبعد عنها مائة وأربعون ميلا، افتتحها أسد بن الفرات أيام الخليفة العباسي المأمون سنة 212هـ/827م. ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، ط2، دار صادر، بيروت، لبنان، 1995م، ج3، ص ص416-417.

[3] النويري: **المصدر السابق**، ج24، ص138.

[4] **نفسه**، ج24، ص ص142-143.

[5] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص134.

[6] المقريزي: **اتعاظ الحنفاء**، ج1، ص59.

[7] المقريزي: **المصدر السابق**، ج1، ص59.

[8] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص ص132-136.

بمدينة ميلة كما سبق الذكر، كما أرسل تسعة وعشرين رجل من إخوته وبني عمه، إلى إحدى الجزر القريبة حيث تم إعدامهم[1]، وبهربه انتهى الحكم الأغلبي من بلاد افريقية وبدأ عهد الدولة العبيدية.

بعد القضاء على الدولة الأغلبية لم تنتهي مهمة الداعي بالمغرب، إذ كان لابد من القيام ببعض الإجراءات التنظيمية، فكان أولها النداء بالأمان العام على أهل القيروان، وفي هذا الصدد قال ابن عذارى المراكشي أن عبد الله الشيعي كان قد وعد الكتاميين بإطلاق أيديهم على القيروان، وأموالها فساءهم تأمينه لها، فلما كلموه في ذلك أخبرهم بأن هناك حكمة في الأمر فاستكانوا وسلموا الأمر إليه[2]، ونشر النظام وأمر بملاحقة أصحاب الدعارة والعيارة، ومنع الخمر وشرب المسكرات ومعاقبة كل من ضبط بذلك[3]، استثني من هذا الأمان مجموعة من العبيد و إبراهيم بن بربر بن يعقوب التميمي المعروف بالقوس، لتحريضه على الثورة ضد الشيعة[4].

كما أصدر سجلا عام أُرسل إلى البلدان وتوابع الإمارة الجديدة، كجزيرة صقلية التي خصها بإضافة الوعد بالاهتمام بها لقربها من بلاد الكفار، ومما جاء في رسالته إلى أهل صقلية حسب ما أورد ابن عذارى: «وأنتم –معشر أهل جزيرة صقلية– أحق بما أوليته من المعروف والاحسان وأزديته، وأولى به وأقرب إليه، لقرب داركم من دار المشركين وجهادكم الكفرة الظالمين، وسوف أملأ جزيرتكم خيلا ورجالا من المؤمنين الذين يجاهدون في سبيل الله حق جهادة»[5]، كما ولى الحسن بن أحمد بن أبي خنزير على القيروان، وأخاه خلف على القصر القديم، وأرسل عروبة بن يوسف إلى مدينة سوسة، وهذا من أجل السيطرة على المناطق وبث النظام، وكانت أوامره لهم كسائر الإجراءات التي عمد إليها في بث النظام، كمنع المسكرات وحضر التجول ليلا وقتل كل من يخالف ذلك[6].

---

[1] المقريزي: **المصدر السابق**، ج1، ص59.

[2] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص150.

[3] القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص ص246–247.

[4] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص150.

[5] القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص ص 256–257..

[6] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص ص150–151.

لكن الملاحظ للأمر أن عبد الله الشيعي أظهر بعض الجدية والصلاح والزهد والتعفف في التعامل، بغض النظر عن الإجراءات التي كانت في خدمة المذهب الجديد، وكمثال على إظهاره الزهد والصلاح، إعراضه عن الجواري اللاتي خلفهن الأغالبة، وأمره لامرأة الاهتمام بهن وحفظهن لسيدهن حتى يصل أي عبيد الله المهدي[1].

ومن أجل إعطاء الصبغة الشيعية للدولة قام بتولية محمد بن عمر المروزي[2] (ت303هـ/915م) قضاء القيروان[3]، وهذا الأخير كان من المتشيعين القدماء ووكَّل إليه تعيين القضاة بسائر المناطق فكان يكتب في سجلاته: «من محمد بن عمر قاضي القضاة»[4]، وهذا الذي امتحن على يده الكثير من أهل السنة وفقهائها، ولما كانت صلاة الجمعة أمر الخطباء بتغيير صيغة الدعاء، والاقتصار في الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلي، والحسن والحسين وفاطمة[5] دون الصحابة أجمعين كما هو متعارف عليه لدي أهل السنة، لكن الملفت للانتباه أنه لم يأمرهم بالدعاء لشخص أو ولي الأمر على عادة دعاء الخطباء لولي الأمر، فلم يدعوا لنفسه وإنما آلا انتظار وصول الإمام المهدي على حد زعمه[6]، وقام بتغيير صيغة الآذان بإضافة عبارة «حي على خير العمل» ومنع القول بعبارة «الصلاة خير من النوم» في آذان الفجر[7].

---

[1] ابن الأثير: **المصدر السابق**، ج6، ص596.

[2] المروزي: هو محمد بن عمر المروذي–وفي بعض المصادر المروزي– نسبة إلى مدينة مرورذ على نهر الروذ بخرسان وتسمى مرو الصغرى، وهو أول قاضي شيعي للدولة العبيدية تم توليته في شهر رمضان من سنة 296هـ/910م، كان متشيع قديما فلما غلب المذهب الشيعي على المنطقة بادر غليهم ودخل في دعواهم، عانى منه أهل السنة وضيق عليهم وطلبهم في أموالهم وأنفسهم وعانى منه الفقهاء المالكية أيضا فهلك الكثير على يديه، وحين خروج الشيعي نحو سلجماسة استخلفه هو وأخوه أبو العباس فزاد ظلمه وتجبره، وكانت وفاته سنة (303هـ/915م). انظر إدريس الداعي: **تاريخ الخفاء**، ص140، المالكي: **المصدر السابق**، ج2، ص55، ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص173.

[3] النويري: **المصدر السابق**، ج28، ص98.

[4] القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص247.

[5] المقريزي: **المقفى الكبير**، ج28، ص98.

[6] القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص.247

[7] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص150.

وفي رموز الدولة الرسمية، كالعملة والأختام والبنود، طبعها بصبغة المذهب الشيعي بما تحمله من عبارات تميز هذه الفرقة، فالسكة كتب على وجهها: «بلغت حجة الله، ومن الوجه الآخر: تفرق أعداء الله»، ونقش على السلاح «عدة في سبيل الله»، ووسم على الخيول «الملك لله»، وفيما يخص الختم الرسمي للدولة والذي يوضع على البنود والمواثيق والمراسلات فقد كتب عليه «وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم»[1]، كما أرسل من جاءه أبي المقارع الحسن بن أحمد[2] الذي كان خلّفه بإيكجان[3] وأخاه أبو العباس الذي كان محبوسا بطرابلس وجاء معه أبو جعفر الخزري وأم القائم[4]، وأبو العباس هذا رافق عبيد الله في رحلته من سلمية قاصدا بلاد المغرب، وحين وصولها مصر أرسله إلى المغرب ليستطلع له الأمر، فانكشف أمره وحبسه زيادة الله ومنها فر إلى طرابلس[5]، وبعد ضبطه للأمور سار نحو سلجماسة لتحرير إمام زمانه، وكان خروجه في شهر رمضان، وهذا يعني أن الداعي أخذ وقته في تنظيم الأمور وضبطها قبل الخروج لتحرير إمامه من محبسه، واستخلف على إفريقية أبا زاكي تمام بن معارك، رفقة أخيه أبي العباس [6].

---

[1] القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص251، المقريزي: **المقفى الكبير**، ج28، ص98، ابن الأثير: **المصدر السابق**، ج6، ص596.

[2] أبي المقارع: هو الحسن بن أحمد بن نافذ المعروف بأبي المقارع، كان واليا على طبنة من قبل زيادة الله بن الأغلب، وحين محاصرة عبد الله الشيعي للمدينة، وقبل استسلام أبي المقارع جرت بينهما أحداث، فأجعب الشيعي بما رآه من نبله وجزالة منطقه، فأمر بحفظه وظل يرافقه حتى الاستيلاء على إفريقية. انظر محمد بن عبد الله بن الأبار: **الحلة السيراء (**في تراجم الشعراء من أعيان المغرب والأندلس من المائة الأولى للهجرة إلى المائة السابعة**)**، ت علي إبراهيم محمود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971م، ص366.

[3] لقاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص252.

[4] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص150.

[5] المقريزي: **المقفى الكبير**، ج5، ص146.

[6] القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص275.

ثالثا: هجرة عبيد الله المهدي إلى بلاد المغرب وإعلان قيام الدولة العبيدية

حسب ما ذكرت المصادر الشيعية، كان من المفروض هجرة عبيد الله المهدي إلى اليمن، ومن هناك يعلن عن قيام دولته، وهذا ما عزم عليه حين خروجه من سلمية، أو هذا ما بدا لدعاته ومقربيه، وفي هذا الصدد قال الداعي إدريس: «قد أظهر لدعاته أنه يريد اليمن»[1]، فما الدوافع التي أجبرت عبيد الله على إخفاء مكان قصده، حتى على أقرب أتباعه وخاصته لكن المصادر الاسماعيلية من خلال هذا الطرح، تريد إيصال فكرة أن الأئمة بما أوتوا من علم، لا يمكن أن يكون سيرهم وفق الظروف العامة والمتغيرات، وإنما بما لهم من العلم، ومع القراءة العامة للوضع يمكن الجزم أن السفر كان في بدايته نحو اليمن، ومع تغيّر الوضع العام والجو الغير المستقر باليمن، التي كانت المقر الأول للدعوة الإسماعيلية، ثم سرعان ما تحولت إلى مرتع للصراع بين دعاة المذهب الإسماعيلي ممثلة في الداعيين ابن حوشب وعلي بن الفضل[2]، كان هذا الصراع من أجل تسيُّد الحركة الإسماعيلية باليمن[3].

بالمقابل كانت الأخبار الإيجابية ترد من المغرب، مبشرة بالانتصارات الدعوية والعسكرية لعبد الله الشيعي في بلاد المغرب الإسلامي، وأخبار التوسعات والمدن التي تسقط الواحد تلو الأخرى، نتيجة الضعف في البيت الأغلبي وتغلب الفكر الدعوي والسياسي لعبد الله الشيعي، هذه المعطيات أدت إلى تغيير وجهة السفر نحو البلاد المغربية، رغم ما يشوبها من بعد ومخاطر، وما شد من عزيمته أكثر الرسل الكتاميين الذين كان يرسلهم عبد الله الشيعي، كما أنّ اشتهار أمره بين الناس وجد الخليفة العباسي المكتفي[4] في طلبه، حتم عليه الإسراع في الرحيل قبل القبض عليه[5]، وبدأ رحلته من دار الهجرة الأولى بسلمية وهو شاب في كامل

---

[1] إدريس الداعي: **المصدر السابق**، ص148.

[2] علي بن الفضل: أختلف في اسمه وأصله لكن أجمعت المصادر أنه متشيع قديم من أتباع الإثني العشرية تميز بالشجاعة والذكاء والفطنة، ثم تحول إلى الإسماعيلية، ولا تختلف رواية اعتناقه لمذهبهم عن رواية ابن حوشب، كان من الدعاة الذين عملوا باليمن فاستطاع الاستيلاء على صنعاء ثم نكث عهده وأبطل الدعوة للمهدي واتبع دعوة القرامطة وجرت بينه وبين ابن حوشب حروب ووقائع يطول ذكرها، وتوفي سنة (303هـ/915م). النويري: **المصدر السابق**، ج33، ص ص97-98، الزركلي: **المصدر السابق**، ج4، ص319.

[3] المقريزي: **اتعاظ الحنفاء**، ج1، ص41.

[4] نقصد الخليفة العباسي علي ابن أحمد بن المعتضد، الملقب بالمكتفي (ت295هـ/908م).

[5] المقريزي: **اتعاظ الحنفاء**، ج1، ص41.

قوته، ورافقه في رحلته ابنه الذي كان لازال غلاما صغيرا حتى وصل مصر[1]، معرجا في رحلته على طبرية والرملة من أرض فلسطين[2]، وكان وصوله مصر على ما ذكر المقريزي سنة (291هـ/903م)[3].

تنكر عبيد الله المهدي في زي التجار حين وصوله مصر، غير أن كتب الخليفة العباسي ببغداد إلى الوالي على مصر عيسى النوشري كشفت أمره بالمنطقة، لكن بعض المقربين من والي مصر أفشوا لعبيد الله المهدي خبر انكشاف أمره وخرج قاصدا المغرب، ففرق صاحب مصر العسكر في طلبه، وخرج هو بنفسه في طلبه ليدركه بضواحي الإسكندرية، وبعد استجوابه رق لحاله وأطلقه، بعد أنه شك في أنّه مجرد تاجر، وزاد يقينه بكونه مجرد تاجر عودة عبيد الله في طلب كلبة لابنه، نسيت بالبستان الذي أتى به إليه لاستجوابه، فزال عنه الندم من إطلاقه بعد لوم خاصته له على ذلك[4].

سار المهدي ومن معه بما يحمل من المتاع والأموال، ولما وصل إلى موضع يقال له الطاحونة[5]، هجم عليه اللصوص فأخذوا بعض المتاع منه، وكان من جملة ما أخذ وحز في نفسه بعض الكتب التي «فيها علم من علوم الأئمة»، وقيل أنّ ابنه أبا القاسم استرجعها حين حملته الأولى على مصر[6]، لكن هذه الرواية يشوبها شيء من الريبة فكيف للعبيدي وهو ملاحق من قبل عديد الجهات، وفار متخفي أن يحمل هذه الكتب التي تعد دليل على شخصيته، وكيف للنوشري أن يقبض عليه ويطلقه دون أن يلاحظ ما يحمله معه[7].

---

[1] القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص159.

[2] إدريس الداعي: **المصدر السابق**، ص ص148-149.

[3] المقريزي: **اتعاظ الحنفاء**، ج4، ص305.

[4] النويري: **نهاية الأرب**، ج28، ص101، المقريزي: **اتعاظ الحنفاء**، ج1، ص45، وأضاف المقريزي وابن الأثير أنه أعطاه مالا وأغراه به فأطلق سراحه المقريزي: **المقفى الكبير**، ج4، ص ص306-307، ابن الأثر: **المصدر السابق**، ج6، ص589

[5] منطقة بين برقة والإسكندرية أنظر المقدسي: **المصدر السابق**، ج1، ص245.

[6] القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص161.

[7] موسى هيصام: **المرجع السابق**، ج1، ص161.

بالمقابل هناك رواية أكثر إقناع وهي أن المهدي وهو بمصر، أرسل أحد دعاته إلى سلمية ليأتيه ببعض حاجاته وأن يوافه في طرابلس[1]، ولما وصل إلى طرابلس أوفد أبا العباس المخطوم إلى القيروان، لجس النبض واستطلاع الأخبار على أن يلحقه إلى مضارب كتامة حيث كان قصده[2]، فلما وصل أبو العباس إلى القيروان كان زيادة الله على علم بعبور المهدي بلاد المغرب فقبض وعليه وسأله عنه، فلما أنكر معرفته بذلك وأنه تاجر صحبهم في قافلة كسائر التجار ولم يعرف حقيقته، فتم حبس أبا العباس لكنه استطاع أن يبعث بخبر إلى المهدي ويحذره، فأقام أبو العباس بحبسه في القيروان أيام ثم هرب إلى طرابلس[3]، وحين وصول الخبر إلى عبيد الله المهدي غير طريقه نحو قسطيلة[4]، بعدما فارق طرابلس وتملص صاحبها من القبض عليه[5]، ومنها دخل إلى سلجماسة ونزل على رئيسها اليسع بن مدرار[6](ت296هـ/909م) الذي أكرمه وأحسن جواره، بالمقابل أغدق المهدي عليه بالصلات والهدايا مما كان يحمله معه، واستمر هكذا الوضع حتى وصل كتاب زيادة الله إلى اليسع بن مدرار ينبئه بحقيقة أمره فقام بسجنه[7].

بعد وصول الأخبار لعبيد الله بسجن صاحب الزمان–عبيد الله المهدي–، وضبطه لأمور القيروان كما أسلفنا الذكر سار لتحريره، وكان خروجه في شهر رمضان عام (296هـ/909م)[8]، وأسهبت المصادر في وصف عظم مشهد خروج عبد الله الشيعي نحو

---

[1] إدريس عماد الدين الداعي: **تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب** الجزء الخاص من كتاب عيون الأخبار، ت محمد اليعلاوي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1985م، ص151.

[2] القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص161.

[3] المقريزي: **المقفى الكبير**، ج5، ص145.

[4] قسطلية: اسم لمنطقة بالمغرب الأدنى وهي ضمن إقليم توزر كانت في ذلك الوقت حصن كبيرا. الإدريسي: **المصدر السابق**، ج2، ص732.

[5] إدريس الداعي: **تاريخ الخلفاء**، ص152.

[6] اليسع بن مدرار بن اليسع بن سمكو بن واسول المكناسي، حكم دولة بني مدرار الصفرية (270–296هـ/883–909م)، تبعيته كانت للدولة العباسية وفي وقته وصل عبيد الله إلى المنطقة وتغلبت الدولة العبيدية. ابن خلدون، **المصدر السابق**، ج6، ص 171.

[7] القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص165.

[8] القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص275.

سلجماسة، وأن بلاد المغرب قد ارتجت لخروجه وهابته القبائل وانحازت عن طريقه[1]، وفي طريقه جاءه محمد بن خزر شيخ قبائل زناتة البربرية وبايعه وتم استخلافه على المنطقة، ولاقاه بطبنة على ما أورد النعمان لخوف قبيلة زناتة منه أن يفني أهلها[2]، وأخضع من كان بطريقه من القبائل.

وفيما يخص عبيد الله المهدي الذي كان تحت رحمة اليسع بن مدرار صاحب سلجماسة، فإنه قام بسجنه ولما علم بقدوم عبد الله الشيعي زاد في التضييق عليه من أجل معرفة علاقته به، كما قام بالتفريق بينه وبين ابنه وسجن كل واحد منهما في سكن لوحده، وهذا من أجل التحقيق معهم وعدم اتفاقهم على قول واحد في حال أرادوا التحايل عليه، وعمد إلى بعض مرافقيه[3] بالعذاب من أجل الاعتراف بالحقيقة فلم يظفر منهم بشيء[4]، وذكر النعمان أن المهدي اعترف بحقيقة نسبه إلى البيت العلوي لكنه رجل تاجر، وأنكر معرفة أو رؤيته لعبد الله الشيعي[5].

حين سماع الداعي بخبر التضييق على إمامه جرت مراسلات بينه وبين صاحب سلجماسة، يطمئنه فيها ويبرر قصده المنطقة من أجل رد الجميل، على حسن معاملته لسيده، غير أن الأخير لم يستجيب وقتل الرسل، فجد في المسير حتى يلحق صاحبه خوفا من هلاكه، وحين وصوله إلى مشارف المدينة، خرج إليه اليسع بن مدرار وتقاتلوا نهارا وحين جن الليل هرب اليسع بن مدرار تاركا المهدي ومن معه، فبات العبيديون في غم على صاحبهم حتى

---

[1] ابن الأثير: **المصدر السابق**، ج6، ص597، ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج4 ص47، المقريزي: **اتعاظ الحنفاء**، ج1، ص65، القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص275، إدريس الداعي: **الصدر السابق**، ص156.

[2] ذكر ابن الأثير والمقريزي نفس الشيء عن عظم الحدث عند خروج عبد الله الشيعي، وخوف القبائل وانحيازها عن طريقه وعن مبايعته من قبل البربر، كقول ابن الأثير: «وأتته رسلهم فدخلوا في طاعته»، لكن لا نجد ذكر لمحمد بن خزر. ينظر القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص276، ابن الأثير: **المصدر السابق**، ج6، ص597.

[3] ذكر إدريس الداعي ثلاثة أشخاص ممن كانوا معه، وتعرضوا للسجن والأذى من أجل الاعتراف بحقيقة المهدي ولكنهم صبروا حتى وصول النجدة من قبل الداعي، ومن ذكرهم جعفر الحاجب، وهو صاحب كتاب استتار الأئمة، وشخص آخر يقال له الطيب، بالإضافة أبا يعقوب القهرمان، ومما ذكر جعفر الحاجب في تعذيبه أنه كسرت أسنانه، وأدخل القصب بين لحمه وأضافره. ينظر إدريس الداعي: **المصدر السابق**، ص158.

[4] النويري: **المصدر السابق**، 28، ص103، القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص ص277-278.

[5] القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص277.

انفرج الصبح وجاء أهل المدينة يعلمونهم بهرب اليسع ومن معه، وهذا ما أورده عديد المؤرخين كابن الأثير والقاضي النعمان[1].

تغنت المصادر الشيعية كالقاضي النعمان في كتابه افتتاح الدعوة، بحرارة اللقاء الأول بين عبيد الله المهدي، وأنصاره حين استخراجه من سجنه بسلجماسة، وفرحهم حين رؤيته وما كان من حفاوة اللقاء، وسيره وسط الجموع هو وابنه على فرسين كانا قد أعدا له، يقودهما الداعي وهو يقول: «هذا مولاي ومولاكم أيها المؤمنون»[2]، وقام بترتيب مراسم المبايعة والمهدي مقيم بفسطاط أُعد لذلك[3]، لكي يتسنى لجميع الأتباع رؤيته والحفاظ على أمنه قاموا بتنظيم الأمر، بأن يبقى مع المقربين من أتباعه كعبد الله الشيعي وجعفر الحاجب[4]، ثم يمر باقي الأتباع على شكل أفواج، في كل فوج عشرة ثم خمسين حتى يصل العدد إلى خمسمائة في الفوج، حسب درجة القوم والمكانة والمرتبة الدعوية، على أن يمر كبار الدعاة وشيوخ القبائل أولا[5].

بالمقابل هناك بعض المؤرخين أوردوا رواية تستدعي النظر والتمحيص الدقيق مفادها، قتل اليسع بن مدرار لعبيد الله المهدي قبل هربه، وأن عبد الله الشيعي عند دخوله وجده مقتولا وعنده رجل يهودي ممن يخدمه، فقام بتقديمه على أنه هو المهدي خوفا من انقلاب الأتباع عليه، وأنه هو الحاكم الأول للدولة العبيدية وبعد وفاته خلفه ابن عبيد الله المهدي القائم[6] رغم أنّ الحركة الإسماعيلية يشوبها الكثير من الغموض والتستر، كما أن المؤرخين الشيعة ذكروا تعرض عبيد الله الشيعي للكثير من المحن وهو بالمنطقة، دون الإطناب في ذكر تلك المحن،

---

[1] إدريس الداعي: **المصدر السابق**، ص159، القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص279، ابن الأثير: **المصدر السابق**، ج6، ص597.

[2] القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص279.

[3] ابن الأثير: **المصدر السابق**، ج6، ص598.

[4] جعفر الحاجب: هو أبو الفضل جعفر بن علي، ولد (260هـ/874م) وتوفي أوائل حكم المعز بعد(341هـ/953م)، وذكر الداعي إدريس أنه يوم استنقذ عبد الله الشيعي من سجنه بسلجماسة، كان جعفر بن علي واقفا على باب المهدي يقدم الناس ويعرفهم له، ومنذ ذلك اليوم سمي الحاجب. انظر الداعي إدريس: **اتعاظ الحنفاء**، ص161، ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص159.

[5] موسى لقبال: **المرجع السابق، ص** ص322-223.

[6] ابن خلكان: **المصدر السابق**، ج3، ص118، النويري: **المصدر السابق**، ج28، ص104.

أضف لذلك هروب اليسع بن مدرار من المنطقة تاركا ملكه، أيضا أمر يشوبه الكثير من الغموض، مع أنه في بادئ الأمر أحسن إلى عبيد الله المهدي وأكرمه، فكان ذلك الإحسان كفيلا ربما ليشفع له عند عبيد الله وأتباعه، كما أن عبد الله الشيعي راسله قبيل وصوله إلى المنطقة وأقره الأمان، فما الذي دفعه إلى قتل المراسيل الذين بعثهم الداعية الشيعي وبعد ذلك الفرار، مع العلم أنه كان على علم بقوة الجيش القادم فلماذا لم يتخير الاستسلام والدخول في الطاعة، أو مواصلة القتال حتى ينهزم؟؟؟

لكن هذا القول فيه شك حول صدق مقتل عبيد الله في سلجماسة، وتقديم رجل آخر مكانه، رغم وجود ابنه القائم الذي لم يأتي أحد على ذكر مقتله، فكان الأحرى بعبد الله الشيعي تقديم ابنه القائم الذي هو الخليفة الفعلي، بدل تقديم عبد يهودي وفي وجود خليفة الإمام، والذي كان بعمر يسمح له بتولي زمام الأمور بمرافقة أتباعه، فيشير النعمان إلى وقت خروجهم من سلجماسة أن عبيد الله شاب لم يخالط الشيب رأسه «والقائم حين طر شاربه»[1]، فلو قُتل المهدي فعلا، لكان عبد الله الشيعي استمر في تسيير الأمور مع إقرار الإمامة للقائم، حتى يبلغ أشده ويستطيع تسيير الأمور بنفسه، دون اللجوء إلى الحيلة الساذجة هذه.

نرجع إلى تحليل الحلول التي كانت أمام اليسع بن مدرار، فكان مخيرا بين قتل عبيد الله المهدي وابنه ووأد حركته في المهد، خاصة لما كانت لها من معارضة داخل المدن الكبرى وعند بعض القبائل، وعدم ابتعاد ابن الأغلب كونه كان لازال بطرابلس[2]، أما الحل الثاني أن يحسن إلى السجناء كي ينال رضى أتباعهم، ويدخل في دعواه وولائهم فيما بعد، أو يخلي سبيلهم حتى إذا انشغل أتباعه به وبمن معه هرب ابن مدرار هو ومن معه، ولكنه اختار الحل الأخير، والذي كانت عليه اغلب المصادر[3]، أي أن اليسع أخلى سبيل عبيد الله المهدي واستغل انشغال أتباعه بملاقاته ومشاهدته ليهرب بما استطاع من مال وأتباع.

---

[1] أي نبت شعر شاربه وهو ما ينبئ عن اشتداد قوته وصلاح أمر ليكون الإمام. انظر القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص287.

[2] القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص288.

[3] موسى لقبال: **المرجع السابق، ص** ص322-223.

بعد هذه الأحداث وهرب اليسع بن مدرار، مكث المهدي وأتباعه بعدها أربعين يوما بالمنطقة، في طلب اليسع حتى قبض عليه وقتله هو ومن هرب من خواصه كما استولى على أمواله[1]، وكان القبض عليه بعد عشرة أيام من هربه[2]، وأرسل كتاب إلى القيروان لتهدئة الأمور التي بدأت تخرج عن السيطرة، يصف لهم فيه ما مر به وما آلت إليه الأمور[3].

نظم المهدي بعد ذلك المنطقة وضمها لملكه، وعين عليها واليا وهو إبراهيم بن غالب المزاتي[4]، وترك معه حامية عسكرية لحفظ النظام هناك تكونت من خمسمائة فارس من قبيلة

[1] وخالف الداعي إدريس النعمان في قتل عبيد الله لليسع حيث نقل عن جعفر الحاجب أن موته كان بسبب انقطاعه عن الأكل والشرب لمدة، وأن المهدي عفا عنه بعدما ترجاه لذلك. انظر القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص281، إدريس الداعي: **المصدر السابق**، ص162.

[2] القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص285.

[3] إدريس الداعي: **المصدر السابق**، ص ص 163-166، القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص285.

[4] إبراهيم بن غالب المزاتي وفي بعض نسخ ابن خلدون المراسي، والمزاتي نسبة إلى مزاتة وهي قبيلة بربرية من لواتة، لم تدم ولايته طويلا وقيل خمسين يوما ثم ثار به أهل سلجماسة وقتلوه رفقه الحامية التي تركت معه. انظر البكري: **المصدر السابق**، ج2، 839، ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج6، ص173.

كتامة[1]، خرج بعدها قاصدا القيروان فعرج على تيهرت[2]، وذكر الداعي إدريس أن بعض أتباعه استقبلوه على الطريق إلى القيروان، مثل المروذي والهاشمي اللذان استقبلاه في تيهرت[3].

وعلى الطريق إلى القيروان أخضع بعض القبائل في طريقه حتى وصل دار الهجرة بايكجان[4]، غداة عبوره المنطقة أخذ الأموال التي كانت مخزنة عند قبائل كتامة، ثم أكمل طريقه حتى وصل بلاد وصل رقادة، فكان في انتظاره عبد الله الشيعي الذي سبقه لتحضير مراسم الاستقبال الخاصة به، وكان معه أخوه أبو العباس وشيوخ القيروان وغيرهم من وجوه البلد، فكان وصوله البلد في 18 ربيع الثاني من سنة 297هـ الموافق ل03 جانفي 910م[5]، وقال النويري في العشرين[6]، واختلفت المصادر السنية عن الشيعية في رسم الصورة العامة لدخول عبيد الله المهدي القيروان، فالقاضي النعمان والداعي إدريس يعطيان المنظر صبغة من الفرح والبهجة، والاحتفال كأن الأمر يتعلق بفتح من فتوح المسلمين، أو استرداد ما ضاع منها، وكذا

---

[1] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص154.

[2] هنا نجد تضارب بين الروايات التاريخية فالقاضي النعمان يورد أن عبد الله الشيعي في طريقه إلى سلجماسة قام محمد بن خزر بملاقاته في مدينة طبنة ومبايعته، دون ذكره في طريق عودته رفقة عبيد الله المهدي، فيما هناك رأي آخر لابن عذارى المراكشي حيث يورد في روايته بعض التناقض، جاء فيها أن محمد بن خزر بن صيلات الزناتي جاء مدينة تيهرت وأخرج منها دواس بن صيلات، وكان هدفه قطع طريق العودة على عبد الله الشيعي ومن معه، ثم إن أهل تيهرت حاربوا محمد بن خزر فقتلوه وأعادوا دواس، وفي الصفحة الموالية يورد أن العبديين في طريق عودتهم وصلهم خبر محمد بن خزر فساروا نحوه وهرب، كما أن ابن عذارى يورد اسم محمد بن خزر في أخبار لاحقة، وهذا ما يؤكد عدم مقتله وإنما فرضية هروبه أقرب للصواب، كما أن إدريس الداعي يذكر أن أحمد بن خزر (والذي لم نجد من المصادر من ذكره بهذا الاسم)، قصد تيهرت وقام ببعض السلب ليهرب بعد وصول خبره عبد الله الشيعي وإرساله لبعض الأولياء نحوه فهرب منهم، ومن خلال المقارنة بين الروايات يمكن الجزم أن محمد بن خزر قام بمبايعة عبد الله الشيعي تخوفا منه، ليحاول بعد ذلك اعتراضه في طريق العودة لكن الامكانيات التي لديه لم تسمح له فهرب نحو الصحراء. القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص276، ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص ص155-156، إدريس الداعي: **المصدر السابق**، ص166.

[3] المروذي هو القاضي، أما الهاشمي فهو رجل من آل المطلب لقيه المهدي في طريقه إلى سلجماسة برفقة ولده، فسار هما وبعد ذلك اتجها إلى القيروان بأمره، وظل الوالد في القيروان وخرج ابنه رفقة عبد الله الشيعي في حملته، لتحرير عبيد الله المهدي. إدريس الداعي: **المصدر السابق**، ص152.

[4] **نفسه**، ص166.

[5] **نفسه**، ص170

[6] النويري: **المصدر السابق**، ج28، ص104.

عن الأبهة والهالة التي رسموها حول المهدي وهو راكب فرسه، وجميع الحاضرين نزلوا إكبارا وإجلالا له، وإضاءة وجهه وسطوعه كالقمر، وغيرها من الأوصاف المبالغ فيها[1].

خالفتها رواية أهل السنة إذ كان خروج من خرج منهم تظاهرا ومراءاة له وخوف من عواقب الأمور، فخالط قلوبهم الخوف والريبة خاصة بعد سؤالهم له الأمان، فأمنهم على أنفسهم وأهليهم وأعرض عن المال، وفي هذا الصدد يذكر صاحب كتاب البيان المغرب: «وسألوه تجديد الأمان لهم –فقال–(أنتم آمنون في نفسكم أو ذراريكم!) ولم يذكر الأموال»[2]، وهذا رغم تكرارهم السؤال وإلحاحهم في الطلب من أجل تبين الأمور القادمة.

بدخول عبيد الله المهدي بدأ عهد جديد لبلاد المغرب الإسلامي، من خلال سيطرة كيان جديد على المنطقة، ممثلا في الدولة العبيدية الشيعة، وأول حكامها عبيد الله المهدي، فكان بداية سيطرتها مع الداعي عبد الله الشيعي، الذي أرسى ركائزها سنة (296هـ/909م)، وتم أمرها بتولية أول حكامها، عبيد الله المهدي في ربيع الثاني سنة (297هـ/909م)، وبهذا زالت كيانات مختلفة حكمت المنطقة لعقود من الزمن، كان أولها الدولة الأغلبية التي استمر حكمها لما يزيد عن المائة واثنتا عشرة سنة، منذ تولي أول أمرائهم إبراهيم بن الأغلب سنة (184هـ/800م)، وزالت دولة بني مدرار ممثلة في آخر ملوكها اليسع بن مدرار والتي حكمت منطقة سلجماسة ما يربو عن المائة والثلاثين سنة، كما زال حكم الدولة الرستمية[3] والتي سيطرت على أواسط المغرب الإسلامي، وعاصمة حكمها مدينة تيهرت، التي استمر حكمها لمائة وستين عام، فكان هذا الانجاز ثمرة عمل من السنين في بلاد المغرب، بدأ بالداعيين أبو سفيان والحلواني، اللذان ذللا بلاد المغرب لصاحب البذر الداعية عبد الله الشيعي، الذي مكن للدولة وأرسى دعائمها، حتى الإعلان الرسمي لقيام الدولة، بدخول أول الأئمة العبيديين واستلامه زمام الأمور.

---

[1] إدريس الداعي: **المصدر السابق**، ص169، القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص292.

[2] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص158.

[3] ذكر ابن عذارى أن عبد الله الشيعي في مسيره إلى سلجماسة دخل مدينة تيهرت بالأمان وقتل آخر ملوكها من الإباضية يقظان بن أبي اليقظان وبعث رأسه ورؤوس جماعة من أتباعه إلى القيروان فطيف بها وولى عليها دواس بن صولات اللهيصي، والذي سيذكر ابن عذارى هجوم محمد بن خزر على تيهرت وهو بها. ينظر ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص153.

المبحث الثالث: السياسة العامة لأئمة الدولة العبيدية

كانت السياسة العامة للدولة العبيدية في بدايتها قائمة على اللين والهدوء، متوارية تحت غطاء الدين والورع والزهد، ممثلة في شخصية الداعي عبد الله الشيعي الذي أظهر التعامل الجيد مع الأهالي والعلماء، وعمل على نشر الأمن وأظهر الصلاح في ذلك، كما كف أيدي الناس عن النهب والتخريب بمدينة رقادة التي هرب منها الوالي الأغلبي زيادة الله[1]، وحين وصوله مدينة رقادة لاقاه وجوه وفقهاء البلد وسلموا عليه، فكان رده عليهم في غاية اللطف والاحترام بلى رقى إلى حد التواضع ومجانبة الكبر، كما نقل النعمان قائلا: «فأقبل عليهم بوجهه ورد عليهم أحسن رد، وأمرهم فركبوا دوابهم، ودعا بهم فاستصحبهم، وأمنهم في أنفسهم وأموالهم»[2].

يوافقه المؤرخ السني ابن عذارى على ذلك في تأريخه لنفس الحدث في قوله: «وسألوه الأمان، فأمنهم، (وصوب فعلهم)، ووعدهم بالإحسان والعدل فيهم»[3]، فكان الوضع في تلك المرحلة يستدعي التعامل بنوع من اللين، حتى تثبيت دعائم الدولة وإرساء ركائزها، لما أملته الظروف من كون صاحب الدعوة لم يصل البلاد بعد، ومصيره مجهول، خصوصا بعد الأخبار التي كانت ترد من سلجماسة عن الوضعية التي هو فيها، من سجن وتضييق من قبل صاحبها اليسع بن مدرار.

من الأحداث التي توضح بعض الجوانب من السياسة التي انتهجها الداعي، ما حصل يوم القضاء على الدولة الأغلبية ودخول مدينة القيروان، مَنَعَ الجند الكتاميين من استباحتها، رغم امتعاضهم من ذلك ورغبتهم في استباحتها والاستيلاء على خيراتها، لوعود كان قطعها لهم الداعي قبل ذلك في أن يمكنهم من القيروان، حال الاستيلاء عليها، ولكنه تملص من ذلك ومنعهم بدعوى حكمة لا يمكنهم الإحاطة بها[4]، ويورد الداعي إدريس حادثة مشابهة جرت عن سوء تفاهم ودون علم الداعي، حدث أن الداعي العبيدي عادته علة مصاب بها، وهي داء

---

[1] النويري: **المصدر السابق**، ج24، ص148.

[2] القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص244.

[3] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص150.

[4] **نفسه**، ج1، ص150.

الحصاة أقعدته عن جنده قريبا من بعض الحصون بنواحي تبسة، في تلك المرحلة قام بعض أتباعه بتأمين أصحاب الحصن دون علمه، فلما فتح لهم أهله أبوابه أغاروا عليهم وانتهبوه، فحين سمع بذلك غمه الأمر، وقام رغم مرضه وجد في طلب الفاعلين من أجل معاقبتهم، كما حرص على رد ما قدر على استخلاصه مما نهب[1].

ومن مظاهر اللين في التعامل مع أهل السنة لدى الداعي عبد الله الشيعي هي، كبح جماح أخيه أبو العباس الذي كان أسن منه، واعلم من عبد الله ولازم المهدي بسلمية إلى أن خرج معه في رحلته نحو المغرب[2]، ولعل ملازمة أبي العباس للمهدي هو ما أثر في نفسيته وجعله أكثر تعصبا للمذهب الشيعي، إضافة إلى شخصيته الميالة للمناظرات والجدل، فحين طلبه لفقهاء المالكية من أجل المناظرة، وبعد ذلك إرغامهم على التشيع وتهديد من لم يتشرق من الفقهاء بنفيهم من المدينة[3]، هنا تدخل عبد الله الشيعي ومنع أخاه محتجا عليه بقوله: «إن دولتنا دولة حجّة وبيان، وليست دولة قهر واستطالة، فاترك النّاس على مذاهبهم،»»[4].

أيضا عمد إلى منع الجدل والمناظرات العلمية، بعد فشل دعاته في الثبات أمام حجج الفقهاء المالكية من أهل المنطقة، ومال أخوه أبو العباس إلى استخدام القوة في نشر المذهب الإسماعيلي، والقضاء على المذهب السني وقلعه من المنطقة[5]، ومما يؤكد تصدي عبد الله الشيعي لسياسة الشدة، وضبطه لجماح أتباعه خاصة المتعصبين منهم كأخيه والقاضي المروذي، هو العودة لقمع الجانب السني بمجرد خروج عبد الله الشيعي ناحية سلجماسة، من أجل استنقاذ عبيد الله، هنا قام أبو العباس بحملة جديدة على جميع المذاهب السنية بالمنطقة، وهذا بعد عيد الفطر أي بعد أيام فقط من خروج أخيه في شهر رمضان، كانت هذه المرة بدعم القاضي المروذي والذي عرف أيضا بعدائه الشديد لأهل السنة والجماعة، حيث أمر بإظهار

---

[1] الداعي إدريس: **المصدر السابق**، ص ص126-127.

[2] المقريزي: **المقفى الكبير**، ج5، ص145.

[3] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص150.

[4] النويري: **المصدر السابق**، ج28، ص99.

[5] علي محمد الصلابي: **الدولة الفاطمية**، ط1، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، 1427هـ/2006م، ص ص44-45.

قول آل محمد وأن لا يظهر أحد من كتب مالك وأبي حنيفة في مجال الفقه أبدا[1].

من خلال هذه التصرفات بدأ الناس يدركون حقيقة الدولة العبيدية وما آلت إليه الأمور، ولعل هذا الأمر هو الذي سبب اضطرابات وبداية تداول العامة لحقائق هذا المذهب الجديد، والتي سماها مؤرخو الدولة العبيدية الشنائع وعزوا ظهورها إلى انقطاع أخبار الداعي وإمامه، ما حتم على عبيد الله بأن يرسل كتاب إلى المنطقة يوضح فيه المستجدات وما تم من أمور جديدة[2].

ولا شك في أن هذه السياسة مكنت الداعي من تكوين قاعدة شعبية كبيرة بالمغرب الإسلامي خاصة من قبيلة كتامة، كانت الداعم الأساسي للمذهب الإسماعيلي العبيدي بالمغرب، فشكلوا النواة الأولى للجيش والذي وصل تعداده للآلاف، حتى قبل وصول عبيد الله المهدي وظهر ذلك في عديد المعارك منها معركة الأربس، كما خرج من أبناء المنطقة الدعاة الذين ساهموا في تغلغل المذهب في أغوار وشعاب بلاد المغرب البعيدة، ومنهم كان القادة والولاة على مختلف المناطق، واستمر بعضهم في الولاء حتى بعد هجرة الحكام العبيديين نحو المشرق، وحين استقرارهم بمصر وانتقال السلطة العبيدية نحوها، حيث اعتمدت على العناصر الكتامية في توطيد حكمها هناك.

هذا عن مرحلة ما قبل تأسيس الدولة وإعلان قيامها، وفيما يلي أئمة الدولة العبيدية بالغرب الإسلامي والسياسة العامة لكل منهم، وأهم منجزاتهم وما قاموا به.

---

[1] الداعي إدريس: **المصدر السابق**، ص158.

[2] القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص283، الداعي إدريس: **المصدر السابق**، ص158.

أولا: عبيد الله المهدي (297-322هـ/910-934م)

مع وصول عبيد الله المهدي[1] إلى إفريقية وتسلمه زمام الأمور بدأ عصر جديد في السياسة العامة للدولة العبيدية، واتضحت الصورة قبل استقراره في عاصمة دولته الناشئة رقادة فقد نقلت لنا المصادر حتى الشيعية منها كالداعي إدريس أنّ عبيد الله المهدي في طريقه إلى القيروان، عرج على ايكجان التي كانت تعرف بما اصطلح عند القوم دار الهجرة، وأردف قائلا أنّه: «أمر بإحضار الأموال التي بأيدي الدعاة والمشايخ، ...فأمر بقبضها منهم وشدها أحمالا»[2]، ورغم التعقيب على الحادثة من قبل القاضي النعمان، على أن الحادثة أبانت على حد قوله عن أصحاب القلوب الفاسدة، والغير مخلصين للإمام وللدعوة بصفة عامة[3]، لكن المدقق في الأمر يتبن له عكس ذلك، بل أبانت عن الواقع الحقيقي لسياسة الدولة في كنف الحاكم الجديد، والذي حسب معتقده يمثل السلطة الوحيدة، على الصعيدين الديني والسياسي ويحق له الاستئثار بالحكم والمال.

اتضحت الصورة أكثر حين وصول عبيد الله المهدي مدينة القيروان، وطُلب منه تجديد الأمان حين خرج لملاقاته الأعيان والفقهاء، فأمنهم على أنفسهم وأهلهم فقط، حين طلب الأهالي تجديد الأمان، وقد نقل ابن عذارى رد عبيد الله المهدي في قوله: «أنتم آمنون في نفسكم أو ذراريكم»[4]، وأعرض ذكر الأموال فلما جددوا له السؤال عن الأموال أعرض عنهم، وهنا اتضحت النية الخبيثة في استباحة أموال المسلمين وحتى أنفسهم وأهلهم، لمن أعرض عنهم أو أبدى أي مقاومة، وخلال هذه الأمثلة اتضحت السياسة العامة لعبيد الله المهدي.

فكان ذو شخصية قيادية عمل منذ وصوله البلاد الاستئثار بالحكم وتركيزه في يده، فبدأ ذلك بالجانب المالي، وبمجرد السيطرة عليه ستذلل باقي النواحي، وغداة وصوله إلى عاصمة ملكه في 18ربيع الثاني 297هـ/ 04جانفي 910م[5]، بدأ بعديد التنظيمات السياسية والإدارية

---

[1] كما أسلفنا الذكر فقد اختلف في نسبه والذي ادعاه أنه عبيد الله بن محمد بن الحسين بن محمد بن إسماعيل بن جعفر، ولد بسلمية سنة 160هـ وقيل بالكوفة، ينظر ابن حماد: **المصدر السابق**، ص35.

[2] الداعي إدريس: **المصدر السابق**، ص167.

[3] القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص289.

[4] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص158.

[5] إدريس الداعي: **المصدر السابق**، ص170.

والدينية، ومن أول جمعة[1] بعد توليه زمام الأمور أخرج توقيعا أمر بقراءته على المنابر في البلدان مع ضبط صيغة الدعاء[2]، والتي كانت على نسق دعاء الشيعة باستثناء الصحابة رضوان عليهم من الدعاء والثناء.

كان هذا اليوم التنصيب الرسمي لعبيد الله على الدولة وإعلان قيام الخلافة الشيعية العبيدية بالمغرب، وتلقبه بإمرة المؤمنين والجلوس للناس ومبايعتهم له يوم الجمعة 21 ربيع الثاني 297هـ/ 07 جانفي 910م[3]، كما كتب كتاب آخر طويل إلى البلدان يتحدث فيه عن ما أنعم الله عليه من الولاية وتحقق وعده، والدعاء والثناء والوعد، والوعيد، تضمن هذا الخطاب الخطوط العامة لسياسة التي سيسير عليها، فمن خلال افتتاح الكتاب أظهر الصرامة في التعامل مع المخالفين، وخص بالثناء أشياعه الذين نصروه حتى حصل حقه، وذكر منهم جند كتامة الذين كان لهم الفضل الكبير في ذلك في قوله: «وجعل أوليائه وأنصار حقه أولى البصائر النافذة من سادات العرب وأنجاد كتامة»[4]، كما توعد المخالفين بالنكال والهوان ودون استثناء، فلا يسلم إلا من دخل في طاعته وكان من أشياعه في قوله: «ووليه عزيز ممنوع، وعدوه ذليل مقموع»، وبهذا من دخل في طاعته وأسباب ولايته وحب آل البيت فبشراه بالنجاة والفلاح، من خالفه فيدخل ضمن دائرة الكفر والالحاد، وهؤلاء الذين توعدهم بالوبال وأن يدوخ أطراف البلاد في سبيل تمكين دعوته والقضاء عليهم[5].

ثم عمد إلى التنظيمات الإدارية وعين الهيئة الحاكمة والحاشية والقادة، فاختار مقربيه وحجابه من الذين رافقوه في رحلته من سلمية، فمن المناصب التي وجدت منصب الحجابة والذين كانوا على هذا المنصب أبو الفضل جعفر بن علي، وأبو أحمد جعفر بن حميد وأبو

---

[1] حسب محقق افتتاح الدعوة أن أول جمعة كانت موافقة لتاريخ 21 ربيع الثاني ص297هـ، القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص293.

[2] فكانت صيغة الدعاء: (اللهم صل على عبد وخليفتك القائم بأمور بلادك وعبادك، عبد الله أبي محمد الإمام المهدي بالله أمير المؤمنين...) انظر إدريس الداعي: **المصدر السابق**، ص170.

[3] القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص299، إدريس الداعي: **المصدر السابق**، ص174.

[4] القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص296.

[5] **نفسه**، ص297.

سعيد عثمان بن سعيد المعروف بمسلم السلجماسي، وإسماعيل الحاضن[1]، وعين على مصلحة الكتابة أبو اليسر الشيباني كاتب بني الأغلب[2]، ودون الدواوين ونذكر منها ديوان الخراج يشمل الضرائب الخاصة بالأرض وينضوي تحت أيضا ديوان الضياع[3]، ووضع على رأسه أبو القاسم بن القديم[4] وهو من عمال الأغالبة[5]، وديوان العطاء الذي كان مخصصا للنفقات وأعطيات الجند والموظفين وعمال الدولة، فكان من نصيب عبدون بن حباسة.

من الدواوين التي استحدثها عبيد الله المهدي ديوان الكشف[6]، لم تفدنا المصادر بمهام هذا الجهاز، لكن يمكن الجزم أن شبيه بجهاز المخابرات، من أجل كشف المعارضين والمناوئين للنظام، وله علاقة بصاحب الخبر الذي كان من مهامه نقل الأخبار للسلطة[7]، كما خصص ديوانا لأموال الهاربين مع بني الأغلب، ولا شك أن هذا لكثرة ما تركه الأغالبة من أموال بعد هربهم، وأشار النعمان إلى كثرة ما تم استعادته من أموال بني الأغلب التي نهبت[8]، ووضع على بيت المال أبا جعفر الخزري، والسكة أقر عليها أبا بكر الفيلسوف المعروف بابن القمودي

---

[1] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص159.

[2] **نفسه**، ج1، ص159.

[3] القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص303.

[4] أبو القاسم زيادة الله بن القديم: من عمال الأغالبة أقره عبيد الله على ديوان الخراج وما يشمله، وبقي في خدمة الأئمة العبيديين حتى رحيل المعز ناحية مصر فتركه رفقه الزيريين للسيطرة على الجانب المادي للدولة، واستمر بالمنطقة حتى توفي مسجونا سنة 366هـ بسبب خلاف جرى بينه وبين أحد عمال الزيريين عبد الله بن محمد الكاتب وكان بلكين ميالا للأخيرة فتم اعتقاله وحبسه حتى مات. انظر ابن الأثير: **المصدر السابق**، ج7، ص306، ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص ص 159، 230.

[5] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص159.

[6] ذكر ابن عذارى عن تولية أبو جعفر البغدادي ديوان الكشف، مشتركا مع عمران بن أبي خالد بن أبي سلام في حوادث سنة 298هـ، ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص162، القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص303.

[7] عبد الحفيظ رحيمي: **أجهزة الأمن الداخلي في الدولة الفاطمية ببلاد المغرب 297-363هـ/911-974م**، مجلة الخلدونية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد التاسع جوان 2016م، جامعة ابن خلدون، تيارت، الجزائر، ص56، إسماعيل سامعي: **المرجع السابق**، ص169.

[8] القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص303.

وهو من الوجوه الأغلبية أيضا، كما أقر على القضاء المروذي، وعلى قضاء رقادة أفلح بن هارون الملوسي، وأقر بعض العمال على مناطقهم مثل بن أبي خنزير على ولاية القيروان[1].

كما أكرم كبار كتامة وفرقهم على ولايات الأقاليم والمناطق، وأوسع في إكرامهم وحثهم على الظهور في أحسن حلة وهندام[2]، وكان شرط ولاية الأقاليم الولاء فهؤلاء الولاة كانوا ممن قدموا خدمات وأخلصوا في ولائهم للدعوة الإسماعيلية، منهم ماكنون بن ضبارة الذي استخدمه على ولاية طرابلس[3]، كما عين على ولاية سلجماسة إبراهيم بن غالب المزاتي[4]، فيما بقي الداعي عبد الله وأخوه أبو العباس وكبير كتامة آنذاك أبو زاكي تمام بن معارك من وجوه السلطة لكن دون تعيينات رسمية.

الملاحظ في تنظيماته وتعييناته تنويع عبيد الله المهدي في جهازه الإداري واعتماده على وجوه قديمة خدمت لصالح الدولة في فترة الداعي، كما أقر بعض الوجوه من الكتاب وغيرهم من بقايا العناصر الأغلبية، بالمقابل عمد إلى وجوه جديدة خاصة ممن رافقه من بلاد الشام وخصهم بالوظائف القريبة منه، والتي تتطلب اتصال دائم به مثل الحجابة، وبيت المال لما له من أهمية وتحكم في زمام السلطة، كما استخدم الموالي والعبيد من السودان والروم وقربهم إليهم وأقر بعضهم على الدواوين في أعمالهم[5]، وبهذا سار على نهج الدولتين الأموية والعباسية، في استخدام العناصر الغير عربية من العبيد والموالي على المناصب وتقريبهم، هذه الإجراءات وغيرها مهدت لعديد الاضطرابات والقلاقل منذ توليه الحكم، كانت هذه الاضطرابات سواء من أتباع الدعوة القدامى والذي أحسوا بنهج السياسة الجديدة التي تسير نحو إقصائهم التام من المشهد العام، مع ظهور وجوه جديدة على السطح مع بقاء السلطة التامة بيد المهدي وتتمحور

---

[1] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص159.

[2] إدريس الداعي: **المصدر السابق**، ص176.

[3] ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج4، ص47.

[4] إبراهيم بن غالب المزاتي من رجال كتامة من فرع لواتة، ولاه عبيد الله سلجماسة حين مغادرته لها فلم أكثر من خمسين يوما حتى ثار به أهلها وقتلوه ومن كان معه من الحامية الشيعية في ربيع الأول من سنة 298هـ، وبايعوا الفتح بن ميمون بن مدرار الملقب بواسول. ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص156، انظر أحمد بن علي القلقشندي: **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، **ت** محمد حسين شمس الدين وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، 2012م، ج5، ص161.

[5] إدريس الداعي: **المصدر السابق**، ص177، القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص304.

عليه، ورفع شأن الحاكم وإحاطته بهالة من التقديس والإجلال، واستفراده المطلق بالحكم الديني والدنيوي، باعتباره إمام الزمان وسليل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحب الحق والشريعة، وما يرافق منصب الإمام من خوارق، وعلم بالغيب ونفاذ البصير وحسن التدبير على حد زعمهم.

على عكس فترة حكم الداعي والتي عرفت نوعا من المشاركة والتشاور في السلطة، من قبل العناصر الفاعلة ووجوه كتامة، كما أظهر عبيد الله التشيع القبيح كما أسلفنا، وسكوته عن المغالين في مدحه وسب الصحابة وضيق على أهل السنة، بما تم من تغييرات وفقا لمتطلبات المذهب الإسماعيلي، من أجل العمل به والتمكين له، بمرافقه ما استحدثه من أجهزة كديوان الكشف السابق ذكره، وقيامه بأفعال غريبة كإتلاف آثار من سبقه واستبدال أسماء من بناها باسمه، فهذه الأفعال مهدت أيضا لثورات من الجانب السني خاصة المالكي، والذين ظهر لهم وجوب مجابهة المد الجديد، بعد اتضاح الرؤية وحجم الهوة بينهم وبين ما ورثوه من سنة وتراث مالكي، فلم تكن فترة ولايته مرحلة استقرار وعرفت عديد الأحداث منها.

1-مقتل عبد الله الشيعي:

رغم ما نقلته المصادر الشيعية كالقاضي النعمان في كتابه افتتاح الدعوة والداعي ادريس، حول سبب قتل وتصفية عبيد الله المهدي لداعيته عبد الله الشيعي، ورأت بأن المسبب لذلك أخ الداعي أبو العباس بعد فترة الحكم والسيطرة، وتصرفه في الأمور حين قدومه على أخيه الداعي وإكرامه له، خاصة بعد خروج عبد الله الشيعي نحو سلجماسة، فلم تقدر نفسه على مفارقة ذلك الحكم ولم يستسغ أفول نجمه ونجم أخيه وتراجع مكانتهم، أمام حضور المهدي عند عامة الناس، فداخله الحسد وراح يوسوس لأخيه حسب ما نقله الداعي إدريس في قوله[1]: «ملكت أمرا وانطاع لك جميع الناس، فجئت بمن غير سياستك ونقصك رئاستك...»[2]، فنهاه عبد الله أول الأمر ثم بدأ يميل لكلامه حتى فاتح المهدي بالأمر، وأشار عليه بعدم تغيير السياسة التي سار عليها هو مع الكتاميين.

[1] القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص308.

[2] إدريس الداعي: **المصدر السابق**، ص181.

بل حتى قولهم بأن قتله كان خطأ وإن كان يستحق الموت على فعلته، لكن المهدي عفا عنه وكان يريد قتل أبا العباس فقط[1]، ورغم تعدد الأسباب التي احتج بها المؤرخون وبرروا بها قتل عبيد الله لداعيته، غير أن هذا الأمر سنة بأن يقوم أصحاب الدول والثورات بالتصفيات والقتل، بعد التمكين لأمرهم والوصول للهدف، والأمثلة من التاريخ كثرة منها قتل أبو جعفر المنصور لأبي مسلم الخرساني عقب قيام الدولة العباسية.

هناك أيضا رواية لابن عذارى توحي بأن صاحب فكرة العصيان هو عبد الله الشيعي نفسه، حيث شكك الأتباع حول مهدوية عبيد الله، حيث نقل ابن عذارى كلام الشيعي في ذلك قائلا: «إن أفعاله قبيحة، ليست تشبه أفعال المهدي الذي كتب أدعو إليه، وأخشى أن أكون قد غلطت فيه وعرض لي... وأن المهدي يأتي بالآيات البينات»[2]، عكس المصادر الشيعية التي تورد أن أبا العباس هو الذي بدأ ينشر الشك وسط الأتباع، فقال لهم أن الإمام يأتي بالمعجزات، حتى جاءه أحد كبار كتامة اسمه هارون بن يونس ويقال له شيخ المشايخ فقال له حسب ما أورد صاحب نهاية الأرب في قوله: «قد شككنا في أمرك فأتنا بآية إن كنت المهدىّ كما قلت»[3]، فأمر عبيد الله بقتله، هنا تشكل ما يشبه الحزب المعارض وبدأوا في التخطيط لعزل عبيد الله في بداية حكمه، واجتمعوا في دار أبا زاكي تمام بن معارك في ذي الحجة من سنة (297هـ/910م) بنواحي مدينة تنس[4]، وكان ممن شارك في هذا الاجتماع عروبة بن يوسف.

تذكر المصادر الشيعية عن اجتماع هذا الفريق والإحاطة بقصر عبيد الله من أجل الإطاحة ثم تراجعهم عن ذلك، وأيضا الدخول عليه بنية القتل وعدم التنفيذ[5]، هذا التردد وعدم السرعة في تنفيذ المخطط، أعطى الوقت لعبيد الله من أجل مجابهة الوضع واستباق الأحداث، فبدأ حملة التصفية لرؤوس الفتنة وأبعد أبا زاكي نحو طرابلس، أين أمر عمه وعامله المخلص

---

[1] القاضي النعمان: **المجالس**، ص183.

[2] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص161.

[3] النويري: **المصدر السابق**، ج28، ص107.

[4] مدينة من آخر مدن إفريقية ناحية المغرب تبعد عن وهران ثمانية مراحل وبينها وبين البحر ميلين. ينظر الحموي: **المصدر السابق**، ج2، ص48.

[5] القاضي النعمان: **المصدر السابق**، ص312، إدريس الداعي: **المصدر السابق**، ص184.

أبا يوسف بقتله، فأوهم أبا زاكي توليته على طرابلس وأرسله إلى هناك، بالمقابل بعث إلى عامله هناك بقتله حال وصوله،[1] بالموازاة مع ذلك جهز خطة من أجل التخلص من عبد الله وأخوه أبا العباس فقتلهما في طريقهما إلى قصر عبيد الله ونفذ العملية عروبة ابن يوسف الملوسي وجبر بن مناسب الميلي في 15 جمادى الأولى من سنة 298هـ/911م[2]، رافق ذلك حملة تصفية لوجوه المعارضة مثل ابن القديم الذي اتهم بتدعيمهم بالمال، لكن عفي عنه ومنهم ابن أبا زاكي.

كان لهذه العملية ردود فعل من الجانب الكتامي بدأت بمدينة رقادة، واضطر المهدي إلى الخروج بنفسه من أجل تهدئة العامة ثم تتبع أصحابها فقتلهم، أيضا قام الكتاميون بإقليم الزاب بالانخلاع عن الدولة ومبايعة طفل عرف بالمارطي، واسمه كادوا بن معارك فجعلوا يصلون ناحيته وزعموا انه المهدي، واستطاعوا السيطرة على عدة مدن حتى خرج إليهم ابنه القائم وقضى على الحركة في ذي القعدة من سنة (299هـ/912م)[3]، وبقيت آثارها حتى وفاة المهدي عبيد الله، وبمقتل عبد الله الشيعي تم القضاء على أهم شخصية ساهمت في التأسيس للدولة العبيدية بالغرب الإسلامي، وصفا الجو لحكامها ممن إدعوا النسب للبيت العلوي.

2-بناء المهدية:

من أهم الآثار والأعمال التي قام بها عبيد الله المهدي تأسيسه لمدينة المهدية، فكان بداية العمل عليها مع مطلع القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، وسكنها في شهر شوال من سنة (308هـ/921م)[4]، بعد أن أتم بناء سورها والقصور وبعض الدور الخاصة بحاشيته، ولم يكن قيامه بهذه الخطوة دون غايات ودوافع بل كان له عديد الأسباب، فلم يهنأ بالعيش

---

[1] المقريزي: **اتعاظ الحنفاء**، ج1، ص168.

[2] قال ابن خلدون أن من قام بالعميلة رفقة عروبة أخوه حباسة يوسف، فيما اتفق ابن عذارى مع القاضي النعمان عن المنفذ واختلفا في التاريخ حيث يورد ابن عذارى أن تاريخ الحادثة النصف من شهر ذي الحجة، نقلت المصادر تغسيله لهما والصلاة عليهما ودفنهما وترحم على أبي عبد الله ولم يترحم على أخيه أبي العباس لكونه السبب في هلاك وبعد الداعي على جادة الصواب. ينظر ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص164، القاضي النعمان: **المصدر السابق**، ص316، ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج4، ص48.

[3] إدريس الداعي: **المصدر السابق**، ص ص189-191.

[4] إ **نفسه**، ص209.

في رقادة لولائها للأغالبة، أما القيروان فكانت مركزا لأهل السنة معادية للشيعية، ودار الهجرة بايكجان كانت بعيدة ولا تصلح للاتصال بباقي أرجاء المغرب الإسلامي، ولعل أن السبب الرئيسي والذي اتفقت عليه جل المصادر هو فتنة أبي يزيد الخارجي، فيتحدث النعمان في المجالس والمسايرات أنّ سبب بناء المهدية، يرجع إلى استشراف المهدي لفتنة تظهر ونفاق يشتمل على أكثر أهل الأمة[1]، ويقصد بها فتنة أبي يزيد ووافقه المقريزي في ذلك فيصرح في حديثه عن بناء المهدية مايلي: «وكان يجد في الكتب خروج أبي يزيد النكاري على دولته»[2]، ولا نسلم بما ذهب إليه المؤرخون الشيعية، على أن المهدي كان يعلم بقيام أبي يزيد بعينه وكا يذكر صفاته، لكن يمكن القول أن درايته بأمور السياسة والحكم، جعله يستشرف قيام أهل المغرب عليه ولو بعد حين.

فيما كان البكري أكثر موضوعية في طرحه من المصادر الشيعية، في أسباب بناء المهدية، فمن الأسباب التي عدها بالإضافة إلى فتنة أبي يزيد، أضاف أسباب أخرى منها ثورة أهل القيروان وقتلهم الكتاميين، والسبب الآخر محاولات الاغتيال التي تعرض لها المهدي من قبل الجند الكتاميين، وما آلت إليه الأمور عقب تصفية الداعي عبد الله وبعض الوجوه الكتامية[3]، فكانت الدوافع التي حتمت عليه بناء المهدية أمنية بالدرجة الأولى، من أجل ضمان أمنه وأمن مقربيه وحاشيته.

راع المهدي في اختياره لموقع المدينة جانب الحصانة الطبيعية، فبعد معاينته للمواضع المحتملة لبناء عاصمته الجديدة، لم يجد موضعا أحسن ولا أحصن من المهدية، وعن جغرافيتها فهي شبه جزيرة متصلة بالبر عبر طريق واحد «كهيئة كف متصلة بزنذ»[4]، ودَعَّمها بتحصينات هو قام بها، فأورد ابن الأثير في هذا الصدد قائلا: «وجعل لها سورا محكما وأبوابا عظيمة

---

[1] النعمان: **المجالس**، ص542.

[2] المقريزي: **اتعاظ الحنفاء**، ج1، ص70، جاء في المصادر الإسماعيلية أن عبيد الله لما رأ إعجاب الناس من منعة وعلو أسوار مدينة المهدية كان يقول: هذا كله عدة لساعة واحدة من النهار ولم يفهم ما يقصد حتى جاءت فتنة أبي يزيد فوقف على المدينة ساعة ثم انصرف. القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص328، ص333.

[3] البكري: **المصدر السابق**، ج2، ص681.

[4] ابن الأثير: **المصدر السابق**، ج6، ص641.

وزن كل مصراع مائة قنطار»[1] ، وصنعت بعض البوابات من الحديد المحض دون الخشب[2]، حتى تغنى بعض الشعراء بحصانتها وأبراجها وأبواب الحديد، مثل الشاعر ابن حبوس الذي أنشد في وصف حصانة المهدية قائلا:

بَاب حَدِيد وأبراج ثَمَانِيَة ... تسخر الْعقل فِيهِ أَي تسخير[3].

كما بنى البيوت من الصخر من أجل تقويتها، وحصنها من الجانب البحري بواسطة الأبراج لمنع دخول السفن، وتحسبا لحصار المدينة بنى مخازن الطعام، ومواجل الماء وأكثر منها[4]، ومن المؤكد أن بناء المهدي لمدينة المهدية واختياره لموضعها، ينم عن فهم للواقع المغربي، وأن البلاد ستعرف عديد الانتفاضات والثورات، خاصة من خلال العصبية القبلية بين البتر والبرانس، فكان هدفه أن تكون ملاذ آمن له ولأهل بيته[5]، فحين أتم بناءها نقل المقريزي أنه قال: «اليوم آمنت على الفاطميات يعني بناته»[6]، فلما داهمها صاحب الحمار وصل إلى موضع كان قد حدده المهدي[7] من قبل، لم يستطع دخولها لمناعتها وقوة تحصيناتها، ومما اهتم به المهدي في اختيار موقع بناء عاصمته مراعاة التوجه البحري للدولة، لما كانت تواجهه بلاد المغرب الإسلامي من هجمات من قبل البيزنطيين، فسعى من خلالها إلى السيطرة على الحوض الغربي للبحر المتوسط والقضاء على النفوذ الأموي أيضا.

---

[1] **نفسه:** ج6، ص641.

[2] إدريس الداعي: **المصدر السابق**، ص209.

[3] ابن حماد: **المصدر السابق**، ص42.

[4] المقريزي: **المصدر السابق**، ج1، ص71.

[5] عبد الحميد حسين حمودة: **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي**، ط1، الدار الثقافية للنشر، القاهرة مصر، 2006م، ص393

[6] المقريزي: **اتعاظ الحنفاء**، ج1، ص71.

[7] ذكرت المصادر أن المهدي لما فرغ من بناء سور المدينة أمر برمي سهم ناحية الغرب، فحين سقط السهم قال إلى هنا يصل صاحب الحمار، ويذكر أيضا لما رأى إعجاب الناس بحصانة ومنعة المدينة كان يقول إنما أعددناه لساعة من الدنيا فلم يفهموا قصده فلما جاء أبو يزيد وصل إلى ذلك المكان فوقف ساعة ثم انصرف. ابن الأثر: **المصدر السابق**، ج6، ص640، القاضي النعمان: **المجالس**، ص542.

أيضا من الأعمال التي قام بها عبيد الله إرسال حملتين ناحية مصر، تحت قيادة ابنه القائم كانت الأولى[1] بين سنتي (301-302هـ/914-915م)، تمكن فيها القائد العبيدي مصالة بن حبوس دخول الإسكندرية، ووافاه القائم بها ليتوسعوا حتى الفسطاط والجيزة، أُرغموا بعد ذلك على الانسحاب أمام المد العباسي بقيادة مؤنس الخادم[2]، وحملة ثانية[3] بين سنتي (306-309هـ/919-921م)، كانت هذه المرة الحملة البرية مدعمة بأسطول بحري، تمكن الزحف البري من دخول الإسكندرية، فيما دمر الأسطول البحري فيما عرف بمعركة «رشيد»[4]، ورغم محاولات القائم الصمود أمام القوات العباسية، إلا أنه فشل في ذلك وانسحب ناحية الغرب، وقبل انسحابه راح يذكر المشارقة بأحقية أسرته بالخلافة من خلال الخطب والقصائد.

وكتعقيب على هاتين الحملتين تورد المصادر الشيعية بأن المهدي كان علم بفشلهما فيقول النعمان في المجالس معقبا على هاتين الحملتين: «ولقد أنهض المهدي بالله قرة عينه ومهجة نفسه القائم إلى مصر كرتين وعالم بأنها لا تفتح على يديه، ولكنه أراد تأكيد حجة الله عليهم بدعوته»[5]، وهذا مما لا يصدقه العقل من ترهات الإسماعيلية، فالرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن ليعلم الغيب، وما بشر به مما سيفتح الله على المسلمين إنما هو من المعجزات التي خص بها الله تعالى أنبيائه، وبشر بوحي من الله ولم يعلمها من مكنون نفسه، فكيف لبشر دونه أن يعلم الغيب.

هذا عن السياسة العامة التي سار عليها عبيد الله المهدي، أول أئمة الدولة العبيدية بالغرب الإسلامي، وبعض أهم إنجازاته، الذي استمر في حكم المنطقة حتى وفاته في (15ربيع

---

[1] إدريس الداعي: **المصدر السابق**، ص194، ابن الأثير: **المصدر السابق**، ج6، ص639، النويري: **المصدر السابق**، ج28، ص41.

[2] مُؤْنِس الخادِم: (231-321هـ/846-933م) أحد قادة الدولة العباسية في فترة حكم المعتضد، تلقب بالمظفر بعد تغلبه على العبديين في حملتهم الثانية، بلغ من الحضوة والنفوذ مبلغ الملوك، وندب لحرب المغاربة العبيديين، قتله الخليفة العباسي القاهر. ينظر الزركلي: **المصدر السابق**، ج7، ص335، المقريزي: **المصدر السابق**، ج1، ص72.

[3] إدريس الداعي: **المصدر السابق**، ص206، المقريزي: **المصدر السابق**، ج1، ص71، النويري: **المصدر السابق**، ج28، ص41.

[4] ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج4، ص50.

[5] القاضي النعمان: **المجالس**، ص476.

الأول 322هـ/ 03مارس934م) بعد إصابة بمرض لمدة قصيرة، وعمره ثلاثة وستون سنة[1]، بعد نجاحه في تأسيس الدولة العبيدية وتثبيت أركانها، فكان أول أئمة دور الظهور وخروج الدعوة الإسماعيلية العبيدية من دور الستر، دامت ولايته أربع وعشرون سنة وشهرا وبضعة أيام، استطاع فيها بسط سيطرته على الشمال الإفريقي وكبح الثورات البربرية، خاصة من قبيلة زناتة، وأرسل حملات خارج بلاد المغرب، ودعم الجانب البحري للدولة، وبسط نفوذه على جزيرة صقلية، ولعل أهم ما خلد اسمه تأسيسه لمدينة المهدية عاصمة دولته.

[1] إدريس الداعي: **المصدر السابق**، ص239، النويري: **المصدر السابق**، ج28، ص113

ثانيا: القائم بأمر الله (322-334هـ/934-945م)

بعد وفاة عبيد الله المهدي تولى من بعده ابنه محمد، الذي أخذ له والده البيعة من قبل وسماه ولي عهد المسلمين[1]، وهو أبو القاسم محمد[2] ويقال له نزار بن عبيد الله المهدي، ولد بسلمية سنة (280هـ/893م)[3]، تمت البيعة له بعد وفاة أبيه ثم جددت بعد سنة من وفاته، بعد إخفاء خبر وفاة والده عبيد الله حتى استتبت الأمور إليه وضبطها[4]، عرف بشدة التعلق بوالده واشتهر عنه الركوب بمظلة[5]، فلما هلك والده أظهر الحزن وبالغ فيه حتى أنه لم يرقد على سرير، ولا ركب دابة صيد ولا ركب من باب قصره كما تخلى عن المظلة، وأقل من الخروج من قصره حزنا وغما عليه حتى أطال في ذلك[6]، ومن ناحية الحكم فقد عرف بغلوه الشديد في المذهب الإسماعيلي، ومحاولة بسط سلطانه السياسي والفكري والديني على أهل المغرب، قال عنه أبو شامة: «ولما هلك (يقصد هنا عبيد الله المهد) قام ابنه المسمى بالقائم مقامه وزاد شره على شر أبيه أضعافا مضاعفة وجاهر بشتم الأنبياء»[7]، وهو ما ذهب إليه الذهبي في قوله: «كان مهيبا شجاعا، قليل الخير، فاسد العقيدة»[8].

---

[1] القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص324.

[2] بعض المصادر تورد أن اسمه عبد الرحمان والأصح هو محمد ويستدل ابن حماد على ذلك بتسميته مدينة المسلية بالمحمدية وهذا برهان على أن اسمه محمد وليس عبد الرحمان. انظر ابن حماد: **المصدر السابق**، ص46.

[3] وقيل كان مولده سنة 277هـ وقيل 278هـ خالف ابن حماد المصادر وقال بأن تاريخ مولده كان 308هـ وتوليه الخلافة يوم وفاة أبيه وعمر اثنان وأربعون سنة، وربما هذا تصحيف من المحقق أو الناسخ، وحسب عمره يوم توليه الخلافة فإن مولده عند ابن حماد يكون 280هـ، وهو الراجح عند عديد المؤرخين. انظر ابن حماد **المصدر السابق**، ص53، المقريزي: **المصدر السابق**، ج1، ص74، الذهبي: **السير**، ج15، ص152.

[4] قال النويري وابن الأثير بأنه أخفى خبر وفاة أبيه سنة كاملة وهذا خلاف ما قال به الداعي إدريس الذي جعلها مائة يوم، ولم يفصل ابن حماد في الخلاف حيث قال أنه قيل شهر وقيل سنة. ينظر ابن الأثير: **المصدر السابق**، ج7، ص21، النويري: **المصدر السابق**، ج28، ص113، إدريس الداعي: **المصدر السابق**، ص239.

[5] مما انفرد به ملوك بني عبيد عن سائر الملوك، المظلة والتي تكون محمولة على رمح ومزينة بالأحجار والحلي، يمسكها فارس من الفرسان يعرف بصاحب المظلة. انظر ابن حماد: **المصدر السابق**، ص48.

[6] القاضي النعمان: **المصدر السابق**، ص331، ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص209، المقريزي: **المصدر السابق**، ج1، ص86.

[7] أبو شامة: **المصدر السابق**، ج2، ص218.

[8] الذهبي: **السير**، ج15، ص257.

منذ اعتلائه سدة الحكم أراد توطيد سياسته القائمة على عدم التساهل مع المخالفين للمذهب الإسماعيلي، ومحاولة فرضه بالقوة كما جاهر بالعقائد الإسماعيلية الفاسدة، من سب للأنبياء وتكفيرهم وحتى سب النبي صلى الله عليه وسلم، في قول مناديه بالأسواق: «ألعنوا عائشة وبعلها ألعنوا الغار ومن حوى»[1]، وفي عهده جرى تعليق رؤوس الحيوانات على أبواب الدكاكين، وكتابة أسماء الصحابة عليها، كما عرف العلماء المهانة والنكال في عهده وأباد العديد منهم، وجرت له مراسلات مع القرامطة بالبحرين، وأمرهم بإحراق المصاحف والمساجد هناك[2].

كانت له محاولات للاستيلاء على مصر ففي سنة (323هـ/935م)، سار جيش من عنده نحو برقة لتدعيم الحاميات الكتامية والقيام بحملة على مصر، وصلت هذه الحملة نحو الإسكندرية لكن سرعان ما انجلت أمام القوات الإخشيدية[3] الممثلة للخلافة العباسية هناك، تحت وقع خسائر كبيرة وقتل وأسر بعض قادة البربر والعناصر الكتامية[4]، ويرجع فشل هذه الحملة وتراجعها لما عرفته بلاد المغرب من ثورات على الحكم العبيدي، بسبب السياسة العامة للقائم، ولا نعزي قيام هذه الثورات إلى طبيعة حكم القائم ومحاولة نشر وفرض المذهب الشيعي على الأهالي فقط، بل أيضا للسياسة المالية للدولة العبيدية الأثر البالغ في تأليب العامة على السلطة، أضف إلى ذلك ما كان لبعض الدعاة من استغلال المناصب، والغلو ونشر الأفكار المنحرفة[5].

---

[1] أبو شامة: **المصدر السابق**، ج2، ص218.

[2] الذهبي: **السير**، ج15، ص152.

[3] الدولة الإخشيدية: من بين الدول الإسلامية التي استقلت عن الدولة العباسية في مصر والشام، ونسبتها إلى محمد بن طغج الملقب بالإخشيد، حيث قلده الخليفة العباسي الراضي بالله ولاية مصر بعد تصديه للحملة العبيدية عليها سنة 323هـ/935م، واستمرت الدولة الإخشيدية في حكم مصر حتى القضاء عليها من قبل القائد العبيدي جوهر الصقلي. ينظر ابن خلكان: **المصدر السابق**، ج5، ص61، ابن الأثير، **المصدر السابق**، ج7، ص280.

[4] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص209.

[5] فاطمة بالهواري: **الفاطميون وحركات المعارضة في المغرب الإسلامي**، دار المسك للطباعة والنشر، تلمسان، الجزائر، 2011م، ص43.

ومن بين الانتفاضات التي ظهرت في فترة حكمه ثورة ابن طالوت القريشي(323هـ/935م)[1]، ولكن تبقى ثورة أبي يزيد الخارجي أخطرها على القائم العبيدي وعلى الدولة العبيدية بالمنطقة منذ نشأتها حتى انتقالها إلى مصر، إذ كادت تفني الدولة وتقضي عليها، لينتهي عصر القائم محصورا بالمهدية عاصمة ملكه ويهلك (334هـ/946م)[2].

ثالثا: المنصور بنصر الله أبو طاهر إسماعيل (334-314هـ/946-953م)

[1] ادعى هذا الرجل أن من أبناء المهدي واتبعه البربر، سار نحو طرابلس واستولى عليها ليكتشف أتباعه فيما بعد أنه ليس كما يدعي فانقلبوا عليه وقام بقتله وإحضار رأسه إلى القائم. انظر القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص332.

[2] الزركلي: **المصدر السابق**، ج6، ص258.

هو أبو طاهر إسماعيل بن محمد بن عبيد الله المهدي صاحب المغرب، ولد بالمهدية سنة (302هـ/914م)[1]، كانت بداية حكمه صعبة جدا، لمرور الدولة بعديد الاضطرابات وانحصار ملكها بالعاصمة المهدية وبعض ضواحيها فقط، أما باقي المناطق كان قد تمكن منها الخارجي مخلد بن كيداد، وكان وقت وفاة القائم لايزال بمنطقة سوسة محاصرا لها، ما اضطر المنصور العبيدي إلى إخفاء وفاة أبيه القائم، وأبقى كل مراسيم الدولة على حالها فلم يتلقب بأمير المؤمنين على عادة من سبقه، وفي هذا الجانب يقول المقريزي: «فكانت كتبه ترسل من إسماعيل ولي عهد المسلمين»[2]، ولم يغير السكة والبنود ولا الدعاء في الخطبة، وأخفى وفاة أبيه حتى على المقربين من شيعته وأتباعه، حتى أنه نهض وقام بدفنه سرا دون القيام بأي مراسم أو جنازة رسمية[3]، واستمر على تلك الحالة حتى قضاءه على ثورة صاحب الحمار (336هـ/948م)، أين تم إعلان الخلافة وتلقب بإمرة المؤمنين وخطب على المنابر باسمه كما أسس مدينة المنصورية[4]، ونقل عاصمة الدولة إليها، لما كان له في المهدية من الفتن والضيق، بل ويشير النعمان أن القائم أراد الانتقال عنها أيضا لكن المواضع التي خطط لنقل مدينته إليها كان قد سبقه إليها الخارجي[5].

أما عن تسييره لأمور البلاد بعد التجربة التي مر بها وسبقه أسلافه إليها، من فشل نشر المذهب الشيعي وضبط أمور البلاد تحت وطأ التهديد والعنف، سار هذا الإمام وفق سياسة جديدة ومغايرة لمن سبقه، إذ اختار سياسة اللين والمداهنة، وإظهار التعايش السلمي

---

[1] ذكر المقريزي وابن حماد تواريخ مختلفة بين 299هـ حتى 304هـ، وأضاف ابن حماد أنه تولى البلاد وعمره اثنين وثلاثون سنة ومن فالراجح أن مولده كان سنة 302هـ وهو ما ذهب إليه الزركلي وابن عذارى وغيرهم أيضا. انظر ترجمته: ابن حماد: **المصدر السابق**، ص59، المقريزي: **المصدر السابق**، ج1، ص86، الزركلي: **المصدر السابق**، ج، ص322، إدريس الداعي: **المصدر السابق**، ص340، ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص219.

[2] المقريزي: **المصدر السابق**، ج1، ص86.

[3] إدريس الداعي: **المصدر السابق**، ص ص230-231، المقريزي: **المصدر السابق**، ج1، ص86.

[4] المنصورية: تعرف أيضا باسم صَبْرَةُ، مدينة بالقرب من القيروان وتبعد عن رقادة ثلاثة أميال، أسسها ثالث ملوك بني عبيد، وصممها دائرية الشكل مثل مدينة بغداد من أجل الأمور الدفاعية، فكان ذلك في 337هـ، كما قام بنقل أسواق القيروان إليها وأصحاب الصناعات، انظر البكري: **المصدر السابق**، ج2، ص672، الحميري: **الروض المعطار**، ج1، ص345، الحموي: **معجم البلدان**، ج3، ص393.

[5] القاضي النعمان: **المجالس**، ص323.

مع باقي المذاهب المتواجدة بالمنطقة، في محاولة لاستمالة الأهالي حتى أنه أجزل في العطاء عقب القضاء على ثورة الخوارج، ووكل قاضيا مالكيا بتوزيع العطايا على الفقراء والمحتاجين من أهل القيروان[1].

نجحت هذه السياسة إلى حد ما في الحفاظ على الهدوء النسبي للبلاد، والتقليل من الثورات والفتن بين العامة، ولاقت الاستحسان والاعتراف حتى من بعض المؤرخين من الجانب السني كالقاضي عبد الجبار بن أحمد الذي أثنى عليه بقوله: «كان محسنا لرعيته فصيح اللسان خطيبا منصفا، كما أنه وعد الناس بتغيير السياسة العامة ولا يسير على طريق والده وجده، أيضا عدم الاعتراض للمخالفين من المذاهب الأخرى ووفى بهذه الوعود التي قطعها»[2]، كما أنهى ما كان ظاهرا في المدن من عادة سب أصحاب رسول الله صلى عليه وسلم، التي انتشرت في أيام سلفه وعاقب من قام بذلك، بل وحث أهل القيروان على قتل من يفعل ذلك ضامنا لهم الدعم وعدم الملاحقة.

لم تكن هذه السياسة عن طيب منه وإنما خوفا من الأحداث التي سبقت وحذرا من أن تتكرر[3]، ولتبرير حسن نواياه قام بإقرار أبو أحمد بن الوليد على قضاء القيروان[4]، أيضا قام بتولية محمد بن أبي المنظور[5] القضاء العام للدولة، فكان هذا القاضي من المالكية أُجبر على تولي القضاء فاشترط في ذلك أن لا يأخذ أجرا من العبيديين، ولا يركب دوابهم، ولا يحضر

---

[1] إدريس الداعي: **المصدر السابق**، ص378.

[2] عبد الجبار بن أحمد القاضي: **تثبيت دلائل النبوة**، دار المصطفى، شبرا، القاهرة، ج1، ص602.

[3] الدباغ: **المصدر السابق**، ج1، ص26، عبد الجبار بن أحمد القاضي: **تثبيت دلائل النبوة**، دار المصطفى، شبرا، القاهرة، ج1، ص602.

[4] أبو أحمد بن أبي الوليد خطيب ورجل صالح تولى قضاء القيروان أيام أبي مخلد بن كيداد كما كان له الخطابة والصلاة بجامعها، كان رصالح عادلا لا يخاف في الحق لومة لائم، توفي 344هـ. انظر الدباغ: **المصدر السابق**، ج3، ص61.

[5] هو أبو عبد الله محمد بن أبي المنظور وعند الدباغ المنصور، القاضي أصله من الأندلس أغلق على نفسه بأنه أقسم ألا يسمع أحدا من أهل القيروان، ولاه المنصور العبيدي القضاء فتولاه دون أن يأخذ عليه شيئا من أجر، فكان عادلا شديد في أحكام الله ضرب يهوديا حتى الموت بسبب سب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، توفي سنة سبعة وثلاثين وثلاث مائة. انظر الدباغ: **المصدر السابق**، ج3، ص ص45-47، محمد بن حارث الخشني: **قضاة قرطبة وعلماء إفريقية**، ت عزت العطار، ط2، مكتبة الخانقجي، القاهرة ، مصر، 1415هـ/1994م، ص227.

مراسم الحزن والفرح معهم فكان له ذلك[1]، وكان توليته من أجل تأليف قلوب العامة واستمالتهم، خصوصا بعد الذي لاقوه من ثورة أبي يزيد والتفاف الناس حولها، ومن أجل الوصول إلى هدفه على أتم وجه في كسب ولاء العامة، قام أيضا ببعض الإصلاحات المالية من إسقاط لبعض الضرائب والإتاوات التي أثقلت كاهل السكان، بل وأسقط كل من العشر والصدقات[2] وجميع المستحقات المالية للدولة، على كافة الناس مسلمين وأهل الذمة في سنة (335هـ/946م)، وإسقاط باقي الإتاوات في السنوات التي تليها مع الإبقاء على العشر والزكاة فقط[3].

رغم نفي المنصور سعيه لكسب العامة من خلال سياسته، وإنما حسن سيرة سيسير بها وعدل، وإشهاده الله على ذلك حسب ما نقله ابن عذارى عنه في قوله: «قد علم الله سبحانه حسن نيتي فيكم، وما أضمره من خير لكم»، إلا أن عديد الحوادث اللاحقة تؤكد عكس ما ذهب إليه، وإن تفرد ابن عذارى بأخبار عن قتل ومجازر قام بها المنصور حين عودته إلى القيروان عقب القضاء على ثورة أبي يزيد[4]، وذهبنا إلى أن هذا الحادث لربما يكون معزول، وعملية انتقام وعقاب لمن ساند الثائر أبي يزيد ليس إلا، لكن هناك حوادث أخرى تدعم طرح ابن عذارى في تشديد المنصور على أهل السنة، منها أمره بقتل إمام ومؤذن مسجده بعد أن شهد بعض أتباعه عليهما بأن الأول لا يقرأ بالبسملة، والثاني لا يقول بحي على خير العمل في الآذان[5].

---

[1] الذهبي **السير**، ج15، ص ص156-157، الدباغ: **المصدر السابق**، ج3، ص ص45-47.

[2] قال محقق الكتاب أن العشر هنا يقصد العشر المفروض على البضائع المنقولة والصدقات تعني الزكاة العادية ففي الفقه الإسماعيلي هي من حق الأئمة وبالتالي الدولة على عكس الفقه السني حيث حدت الآية الكريمة الأوجه الثمانية لصرف الزكاة. انظر إدريس الداعي: **المصدر السابق**، ص279.

[3] نفسه، ص279.

[4] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص221.

[5] المقصود هو الشيخ أبو عبد الله محمد بن أبي المهزول، من أصحاب أبي إسحاق السبائي، فكان لا يقرأ البسملة في صلاته على ما ذهب إليه الشيعة وأيضا كان المؤذن بمسجده لا يقول بحي على خير العمل (كان يقيم بنواحي بنزرت) فلما شاع عنه ذلك جاءت كتب المنصور بالرجوع على ذلك فبعث من يشهد عليهما وحين أرسل بأمر قتلهما، كان قد سبقه الأجل إليهما وقيل أنّ ابن أبي المهزول دعا بأن يوميتهما الله قبل أن يبتلهم بأمر عند بني عبيد. انظر المالكي: **المصدر السابق**، ج2، ص372.

وهناك حادثة أخرى وهي إعدام قاضي برقة محمد بن إسحاق[1] والسبب في ذلك أنه خالفهم في تحديد العيد بالحساب الفلكي وفضل الثبات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك، ففضل الموت على إفطار الناس يوم من شهر رمضان ويبوء بذنبهم وإن لم يتم أمر القتل لِسِبَق الأجل لهما، إلا أن هذه الحوادث بدحض ما جرى من ثناء على المنصور.

يمكن إجمال القول أن فترة حكم المنصور عرفت بعض الليونة في التعامل مع أهل السنة، ليس لعدل ولا لحسن سيرة، وإنما لاعتبارات أمنية وما عرفته الدولة من تهديد، لكن لم تخلو فترة حكمه من عمليات التضييق والتنكيل بأهل السنة متى واتت الظروف لذلك، هذا جعل الفقهاء المالكية وعامة الناس يتعاملون بحذر معه، دون الوثوق التام في السلطة العبيدية، ومنه نجحت السياسة العامة للمنصور في ضبط أمور البلاد على حد ما، إذ استطاع تهدئة الأمور وإعادة بسط نفوذ الدولة على عدة مناطق، كجزيرة صقلية والتي عرفت عديد الاضطرابات تزامنا مع ثورة أبي يزيد، كما أعاد بسط نفوذ الدولة على المغربين الأدنى والأوسط، وإن بقيت بعض المناطق خارجة عن الدولة، كما عرفت فترته حكمه بعض الفتوحات ناحية صقلية وتوسعات على حساب النفوذ البيزنطي، لتنتهي فترة حكمه بوفاته إثر مرض ألم من برد أصابه في إحدى رحلاته للصيد، فكانت وفاته في آخر شوال (341هـ/953م)[2].

---

[1] هو محمد بن إسحاق الحبلي (ت341هـ/953م) تولى قضاء برقة صلبه العبيديون حتى مات وكان السبب في ذلك أنه جاءه عامل العبيديين على المدينة وأخبره بأن كتب الخليفة وصلت بأن غدا العيد فرد عليه إن رأى الهلال، وحدث أن لم يثبت رؤيته تلك الليلة فرض في اليوم الموالي الخروج لخطبة وصلاة العيد، ولا يكون سببا في إفطار الناس يوما من رمضان، فاستدعاه المنصور وعرض عليه انكار الامر مقابل العفو عنه فرفض مفضلا الموت على الحق. انظر ترجته: المالكي: **المصدر السابق**، ج2، ص ص403-404.

[2] إدريس الداعي: **المصدر السابق**، ص511.

رابعا: المعز لدين الله معد بن إسماعيل (341-362هـ/953-972م)

هو أبو تميم معد بن إسماعيل بن أبي القاسم بن عبيد الله وتلقب المعز لدين الله، ولد بالمهدية في رمضان سنة (319هـ/931م)، فكان حين تسلمه الولاية يبلغ من العمر اثنان وعشرون سنة، أخفى وفاة والده التي كانت أواخر شوال كما قلنا وبقي في تدبير وضبط الأمور حتى ذي الحجة أين أعلن خلافته وتمت المبايعة له[1]، عرف عنه الأدب واهتمامه بالعلوم إذ يعد من الحكام المذكورين في هذا المجال، قال عنه قاضيه النعمان أنه: «نظر في كل فن وبرع في كل علم»[2]، وذكر المقريزي ما يدل على اهتمامه بالعلم، ففي أحد الأيام استقبل بعض شيوخ كتامة في مجلس كان به الكثير من خزائن الكتب وقلم ودواة، فأخبرهم أنه حال غيابه عنهم وخلوته، لا يكون كسائر الملوك يهتم بالملذات والشهوات، بل يهتم بتأليف الكتب والرد على المشككين والمخالفين لهم[3].

كما عزا إليه النعمان فكرة القلم المخزن للحبر، فهو من جاء بالفكرة وشرحها لبعض صناعه حتى طبقوا الأمر وأنتجوا قلم يخزن الحبر، وتكتب به دون الحاجة للدواة[4]، أما عن سياسة دولته فقد سلك طريق التودد ومحاولة التقرب من المذاهب المختلفة خاصة المذهب المالكي من أهل السنة، وحرص على عدم إثارة حفيظة الفقهاء المالكية، فوسع عليهم في مجال الفتيا والاجتماع بطلبتهم والتعليم وحتى كتابة الوثائق على مذاهبهم[5]، ولعل هذه المعاملة وحسن سيرته في مجانبة الغلاة من أصحاب الفرق والتودد لأهل السنة هي ما دفع بعض المؤرخين[6]

---

[1] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص221، المقريزي: **اتعاظ الحنفاء**، ج1، ص93.

[2] القاضي النعمان: **المجالس والمسايرات**، ص148.

[3] تقي الدين المقريزي: **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1418هـ، ج2، ص187.

[4] القاضي النعمان: **المجالس والمسايرات**، ص ص319-320 تامر عارف: **المعز لدين الله الفاطمي**، ط1، دار الآفاق العلمية، بيروت، لبنان، 1402هـ/1972م، ص68.

[5] فاطمة بالهواري: **المرجع السابق**، ص300.

[6] قيل فيه: أنه من أعظم ملوك بني عبيد صيتا وأكثرهم قدرا، لم يعرف غير التشيع أي من البدع فيما عادا ذلك كان يطيل في الصلاة، محاربا لبعض البدع التي عهدها الشيعة كتشييع الجنائز بالعمائم والمناديل، أيضا قام بمحاربة القرامطة كان مظهرا للتّشيّع، معظما لحرمات الإسلام، حليما، كريما، وقورا، حازما، سريّا، يرجع إلى عدل وإنصاف في الجملة. انظر لسان الدين ابن الخطيب: **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام**، ت

إلى الثناء عليه ومنهم الذهبي الذي قال في شأنه: «كان عاقلا لبيبا حازما ذا أدب وعلم ومعرفة وجلالة وكرم يرجع في الجملة إلى عدل وإنصاف ولولا بدعته ورفضه لكان من خيار الملوك»[1].

ومن حسن تعامله مع أهل السنة ذكر بعض الكتاب أنه كان يؤذن بآذان أهل السنة ولا تذكر عبارة حي على خير العمل في عهد المعز[2]، لكن هذا الأمر كان لفترة محدودة من بدايات حكمه، لوجود ما يفند ذلك إذ أورد ابن عذارى ضمن حوادث تسعة وأربعون أنه: «وجه أبو تميم المعز لدين الله القاضي إلى أئمة المساجد والمؤذنين يأمرهم لا يؤذنوا إلا ويقولوا فيه: (حي على خير العمل) وأن يقرؤوا (بسم الله الرحمن الرحيم) في أول كل سورة»[3]، ولكن هذه المعاملة لم تكن عن قناعة منه أو رحمة ومودة بأهل السنة، إنما حتمها الواقع وأملتها الظروف ويؤكد هذا الطرح ما ذهب إليه النعمان في مجالسه عن ورود أخبار أهل السنة على المعز على غير ما يشتهي وهو يمهلهم ولا يهملهم ويصلهم ولا يقطعهم[4].

كما جرت بينه وبينهم مناظرات على قاله النعمان، منع من ناظره فيها العودة إلى الحق خوفه من فقدان مركزه بين العامة لو رجع عن قوله[5]، بالمقابل لم يكن هناك استجابة من الفقهاء المالكية وبقوا على حذر في تعاملهم مع السلطة العبيدية، إذ لم تنطلي عليهم كياسة وسياسة المعز، لما رأوه من خداع ومكر لدى من سبق من خلفاء الشيعة، ولما علموه من تقلب أحوالهم وخداعهم وتلون عقائدهم حسب أصل عقيدتهم التقية، وكمثال على هذا الشيخ السبائي الذي كان يجاهر بذم العبيديين والنيل، حتى قال المعز: «رجل في بيت من قصب، بقرب الفحص يشتمنا، ما قدرنا عليه بشيء»، ورغم المحاولات العديدة منه في استمالته بوساطة من

كسروي علي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ/2002م، ج1، ص236، محمد بن العماد: **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ت محمود الأرناؤوط، ط1، دار ابن كثير، بيروت–دمشق، لبنان–سوريا، 1406هـ/1986م، ج4، ص347.

[1] الذهبي: **السر**، ج15، ص168.

[2] فاطمة بالهواري: **المرجع السابق**، ص ص299–300.

[3] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص223.

[4] القاضي النعمان: **المجالس والمسايرات**، 395.

[5] نفسه، 365.

قاضيه المالكي، إلا أنه لم يفلح ولم يمنعه من قتله إلا خوفه على نفسه ومعرفته بفضل السبائي واستجابة دعوته[1].

لم تكن الوسطية التي ظهر بها المعز في بعض الحالات سوى تصنع ومجاراة للوضع، وتساهله مع بعض الفقهاء المالكية، لم يكن إلا على خوف من تكرر الثورات والانقلابات التي سبقت، خاصة وأن المعز صاحب نشأة إفريقية وعاصر حكام الدولة الثلاثة الذين سبقوه، وإن لم يكن قد وعى في عهد المهدي، إلا أنه كان على إطلاع ومعرفة بما يجري فيما بعد على عهدي جده وأبيه، وما يدعم الرأي الأخير ويوضح الصورة أكثر حول شخصيته، ومدى دهائه وفي كون المعتز واعتدال عقيدته إنما كان مصطنعا، ما أوردته المصادر حول الغلو الذي عرف به، فقد أشار ابن عذارى إلى ادعاء معد من بني عبيد النبوة، ومعد هو اسم المعز، فجعل من نادى فوق صومعة:»(أشهد أن معد رسول الله!) فارتج البلد لذلك وداخل أهله الرعب»[2].

وما يقوى حجة ابن عذارى على نقله هذا تلك الأبيات التي تغنى بها شاعره ابن هانئ الأندلسي، وغلا في مدحه فيها دون أن ينهره عن ذلك وأقره عليها[3]، بل وجعله من مقربيه وشاعره الخاص وحزن على هلاكه قائلا: «كنّا نرجو أن نفاخر به شعراء المشرق، فلم يقدّر

---

[1] القاضي عياض: **المدارك**، ج6، ص71.

[2] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص282.

[3] من أشعاره في مدح المعز:

مَا شِئْتَ لاَ مَا شَاءتِ الأَقْدَارُ ... فَاحُكُمْ فَأنتَ الواحِدُ القَهارُ

فَكَأنَّمَا أنتَ النَّبيُّ مُحَمدٌ ... وَكَأنَّمَا أنصَارُكَ الأنصَارُ.

وقوله أيضا:

أقسمتُ لولا أن دعيت خليفةً ...لَدُعِيتَ من بعدِ المسيح مسيحا.

شَهِدَتْ بحخركَ السّمواتُ العُلى...وتنزّلَ القرآنُ فيك مديحا.

ينظر ابن هانئ الأندلسي: **المصدر السابق**، ص74، ص146.

لنا ذلك»[1]، فلو كان من عترة النبوة ومن أبناء فاطمة كما ادعى لاقتدى بجده علي بن أبي طالب في موقفه من غلاة الشيعة[2]

أما عن منجزاته وما تم تحقيقه، بدأت بإعادة بسط نفوذ دولته على المغرب بحملات عديدة، قاد الأولى بنفسه ووصلت حتى ناحية الأوراس، وقضى على جموع هوارة قائده بلكين بن زيري بن مناد[3]، ومنه بدأ فصل جديد من بروز فرع آخر من البربر غير كتامة، ألا وهو فرع صنهاجة، وكان هذا الوضع واضح من خلال استقبال المعز لزيري بن مناد بالمنصورية والإغداق عليه بالعطايا والنعم[4]، ثم تلتها حملة أخرى بقيادة جوهر الصقلي[5] وشارك فيها أيضا زيري بن مناد الصنهاجي انطلقت الحملة سنة (347هـ/956م)، استطاع هذا الجيش تدويخ بلاد المغرب الإسلامي، وإخضاع جل المناطق للسلطة العبيدية وصولا إلى البحر المحيط، إذ ذكر المقريزي أن الحملة وصلت حتى هناك في قوله: «حتى أتى البحر المحيط، فأمر باصطياد سمكة منه، وسيّرها في قلة من ماء إلى المعز»[6].

---

[1] ابن العماد: **المصدر السابق**، ج4، ص330.

[2] ذكرت المصادر أن بعض غلاة الشيعة أول خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه جاءوا إليه فقالوا: أنت هو، يقصدون أنه هو الله تعالى الله عن ذلك، فقام بضرب أعناقهم وحرق جماعة منهم. الذهبي: **السير**، جزء الخلفاء الراشدون، ص244

[3] ابن حماد: **المصدر السابق**، ص83.

[4] محمد سهيل طقوش: **تاريخ الفاطميين في شمالي افريقية ومصر والشام**، ط2، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1428هـ/2007م، ص152.

[5] أبو الحسن جوهر بن عبد الله الرومي، المعروف بالكاتب، من أصل رومي كان قد جلبه أحد الخدم على ثم عمل لدى المنصور وشارك في بعض حملاته على ذكره إدريس الداعي، ثم عمل كاتب لدى المعز وترقى حتى صار قائد القواد، قاد حملته الشهيرة على المغرب والتي وصلت حتى المحيط، ثم كانت له حملات ناحية الشرق فاخضع مصر وقام ببناء القاهر وسماها المعزية نسبة لسيده المعز العبيدي، أيضا صاحب جامع الأزهر، قال عنه الذهبي «كان جوهر هذا حسن السيرة في الرعايا، عاقلا أدبيا، شجاعا، مهيبا، لكنه على نحلة بني عبيد التي ظاهرها الرفض»، توفي سنة 381هـ. انظر ترجمته: إدريس الداعي: **المصدر السابق**، ص605، الذهبي: **السير**، ج16، ص467، أبو شامة: **المصدر السابق**، ج4، ص28، ابن خلكان: **المصدر السابق**، ج1، ص375، ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص221ص245.

[6] المقريزي: **الخطط**، ج2، ص187.

كما قضى على الشاكر بالله بن واسول صاحب سلجماسة وأحمد بن بكر[1] صاحب فاس، ولم يبقى من النفوذ الأموي على بلاد المغرب سوى ثغري طنجة وسبتة، لتختم الحملة سنة (348هـ/960م) بعودة جوهرة إلى إفريقية حاملا الأسرى في أقفاص[2]، وإن لم يدم نفوذ العبديين على المناطق التي سيطروا عليها، وكانت هناك ردة فعل سواء من الأمويين أو من القبائل البربرية خاصة فرع زناتة فيما بعد، واستعادة المناطق، إلا أن الحملة أعادت تشكيل موازين القوى وهيبة الدولة بالمنطقة.

على العموم فإن الدولة العبيدية منذ تأسيسها كانت ذات طموحات مشرقية للسيطرة على مراكز الدولة الإسلامية، وتجلى ذلك منذ قيام الدولة من خلال الحملات التي أرسلت ناحية الديار المصرية من قبل أول حكام الدولة عبيد الله المهدي، لتتراجع الحملات فيما بعد بسبب الانشغال بالمشاكل والفتن الداخلية، عاودت هذه الأهداف الظهور مع استقرار الأوضاع على عهد المعز العبيدي، الذي اهتم في بداية حكمه بإعادة بسط نفوذه على بلاد المغرب الإسلامي غربا، كما لم يُغفل الجانب الشرقي من حدود دولته من أجل بسط نفوذه عليها، ثم تحول طموحه نحو الانتقال والسيطرة، إذ قام بتولية أفلح الناسب على برقة كما كان له عامل سرت وهو باسيل الصقلي وعلى أجدابية ابن كافي الكتامي[3].

استطاع افلح بسط نفوذه على المنطقة ومراقبة الديار المصرية[4]، ليكلفه فيما بعد بعمل آخر وهو بداية التحضير لحملته نحو المشرق، وهذا من خلال تأمين الطريق بحفر الآبار وبناء القصور بين إفريقية وبرقة من أجل تسهيل الحملة، كما قام بتحضير التمويل المناسب للحملة من خلال استخراج خزائن المهدية وجمع الضرائب، وفي سنة (355هـ/965م) توفي كافور الإخشيدي، فاستغل المعز الوضع وأرسل حملته تحت قيادة جوهر الصقلي انطلقت من المغرب في ربيع الآخر 358(هـ/969م) بجيش يفوق المائة ألف يضم أتباع العبديين خاصة

[1] هو أحمد بن بكر بن أبي سهل الجذامي.

[2] ابن الأثير: **المصدر السابق**، ج7، ص223.

[3] الصلابي: **المرجع السابق**، ص80.

[4] إدريس الداعي: **المصدر السابق**، ص671.

من بربر كتامة والصقالبة[1]، استطاع السيطرة عليها ليؤسس بها مدينة القاهر ودار ملك المعز، وبنا جامع الأزهر.

انتقل المعز لدين الله العبيدي بعد أن مهد قائده جوهر الأوضاع فسار من المغرب أواخر سنة (361هـ/973م) حاملا معه أمواله التي أذابها على شكل طاحونتين، فقصد جزيرة سردانية مكث بها مدة حتى لحق به أهله وكمل تحميل متاعه ثم قفل قاصدا الديار المصرية، القاهرة في رمضان سنة (362هـ974م)[2]، مسندا ولاية المغرب إلى بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي بعد أن أوصاه بعدم الرأفة بالبربر واللين معهم، وعدم التساهل مع أهالي البوادي في الجباية، حسب ما ذكر المقريزي في قوله: «إياك أن ترفع الجباية عن أهل البادية، ولا ترفع السيف عن البربر»[3].

وخلاصة للفصل يمكن الجزم بعدم انتساب حكام الدولة العبيدية القائمة بالغرب الإسلامي إلى البيت العلوي، فالمثبتون لنسبهم من المؤرخين لا ترقى حججهم أن تكون دليل علميا قاطعا على ذلك، أضف إلى ذلك تضارب الآراء حول عدد الأئمة في مرحلة الستر وأسمائهم بين المثبتين للنسب أنفسهم، بل حتى نفي النسب عن أول الأئمة عبيد الله المهدي مرة وإثباته في مرة أحيانا أخرى وتجد هذا الأمر متكرر عند نفس المؤرخ، ولا يقتصر على كاتب واحد بل العديد منهم.

بالمقابل نجد أن حجج وأدلة النافين للنسب أقوى وأكثر إقناعا واتزانا رغم عدم اتفاقها على أصلهم الصريح، ونعذرهم لكون هؤلاء الأدعياء مجهولو النسب، مدلسون يصعب التحقيق في أمرهم، ويدعم هذا الرأي تلك المحاضر التي كتبت في حقهم، وما تحمله توقيعاتها من أسماء لها وزنها العلمي، ولها دراية بعلم الأنساب، ضمت هذه التوقيعات أسماء لأشخاص حتى من العلويين أنفسهم، مع الكثير من الحوادث والأخبار التاريخية التي تدعم هذا الرأي.

قبل تأسيس الدولة العبيدية بالمغرب الإسلامي مر التحضير لذلك بعديد المراحل واستغرق عدة سنوات، فبدأ بمرحلة الدعوة عبر إرسال العديد من الدعاة، من أجل نشر الفكر

---

[1] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص280.

[2] ابن الأثير: **المصدر السابق**، ج7، ص300.

[3] المقريزي: **اتعاظ الحنفاء**، ج1، ص100.

الشيعي بالمنطقة، مستغلين في ذلك الأوضاع السياسية للبلاد، وفساد بعض أنظمة الحكم وأيضا استغلال حب المسلمين لآل البيت من أجل خدمة مشروعهم.

لم تكن الدعوة في أولها صريحة، وإنما تستر وراء الإسلام الصحيح والعدل وحب آل البيت، أما عن حقيقة توجههم وعقيدتهم لم يكن يصرح بها إلا للخاصة والمقربين، وحين تكوين قاعدة شعبية وأتباع مخلصين خاصة من قبيلة كتامة، بدأت العمليات العسكرية عبر عدة معارك كانت أهمها معركة الأربس، والتي أعتبرت عند عديد المؤرخين النهاية الحقيقة لدولة الأغالبة وبداية الحكم العبيدي بالمنطقة.

وبعد كل هذه التحضيرات وصل عبيد الله المهدي إلى المنطقة بعد رحلة طويلة ليبدأ العصر الحقيقي للدولة العبيدية، وبوصوله ظهر الوجه الحقيقي للمذهب الدخيل على المنطقة وأصحابه، وتغيرت السياسة العامة من اللين وإظهار الصلاح، إلى إظهار التشيع الفاسد، وسياسة ردعية سواء في الجوانب المادية أو الدينية لكل مخالف أو مناهض للحكم العبيدي في المنطقة.

استمرت هذه السياسة في عهد الحاكم العبيدي الثاني القائم بأمر الله، بل وزادت أضعافا مما هدد بزوال الدولة العبيدية عبر عديد الثورات، لكن تغيرت السياسة إلى اللين والمداهنة للحفاظ على المصالح العامة للدولة في فترة حكم من جاء بعد ذلك، بعد تيقنهم من عدم نجاعة السياسة الردعية والقمع وكذا المساس بمقدسات المسلمين.

ليدرك المعز العبيدي أن البقاء بالمغرب ليس بالحل الأمثل، ولابد بالانتقال بالدولة ناحية المشرق، لتحقيق الأهداف المرجوة بالسيطرة على العالم الإسلامي، لعدة اعتبارات منها عدم السيطرة على أهل المغرب وكثرة ثوراتهم وعدم تقبلهم للمذهب الشيعي، أيضا من أجل السيطرة على العالم الإسلامي لابد من أن يكون مركز الحكم بالمشرق أو أماكن أكثر قربا وبلاد المغرب الإسلامي لم تحقق ذلك.

الفصل الثالث الصدام الفكري بين الدولة العبيدية وفقهاء المالكية وأسباب التنافر.

المبحث الأول: الاختلافات بين المذهب المالكي والإسماعيلي وأسباب المقاومة السنية للوجود العبيدي

أولا: في باب العقائد

ثانيا: في باب العبادات

ثالثا: أبواب أخرى

المبحث الثاني: رد فعل فقهاء المالكية على التواجد العبيدي بالغرب الإسلامي

أولا: العلماء الذين تشرقوا وصار ضمن فريق العبيديين

ثانيا: الفقهاء الذين تساهلوا في الحكم عليهم

ثالثا: الفقهاء المعادون للسلطة العبيدي

المبحث الثالث: الأساليب التي انتهجها فقهاء المالكية في مقاومة المد الشيعي

أولا: المقاومة من خلال الإجماع على تكفير بني عبيد وظلالهم

ثانيا: الصمود والتحدي في مواجهة العبيديين، من أجل تثبيت عامة الناس والاقتداء بهم

ثالثا: المقاطعة الدينية والسياسية للدولة العبيدية

رابعا: الاهتمام بالجانب التكويني من خلال الوعظ داخل البيوت وتعليم أبناء الأهالي الموالين لبني عبيد سرا

خامسا: الجدل والمناظرات الفقهية بين فقهاء المالكية والعبيديين

تمهيد

لم يكن الرفض السني للوجود العبيدي ببلاد الغرب الإسلامي اعتباطيا، بل استند إلى عد أسباب أدت إلى التعارض، فما جاء به هؤلاء الدخلاء من تعاليم وعبادات وعادات، لم ير لها أهل المنطقة من أثر لدى من سبقهم، سواء لدى الفاتحين من أصحاب رسول الله صلى عليه وسلم والتابعين الذين وفدوا معهم، أو من أهالي المنطقة الذين تنقلوا إلى مختلف البقاع الإسلامية ونهلوا العلم من مصادره الصحيحة، فكانت هذه الخرافات واضحة لكل من له دراية ولو قليلة بالدين الإسلامي، ولاحظ العلماء وعامة الناس مدى الانحراف العقائدي الواقع لدى الوافدين الجدد على المنطقة، والتزييف الكبير للدين، بل وأيقنوا الغاية الحقيقية لهم، ألا وهي ضرب الإسلام والقضاء عليه بتحريفه عن أصله الصحيح، تحت غطاء التشيع لأهل البيت وحبهم والدفاع عنهم.

وما كان انتسابهم لآل البيت إلا لتحقيق أهداف ومخططات أخرى، أرادوا الوصول إليها عبر هذا الطريق، واتضحت الصورة أكثر بعد استقرار العبيديين في الغرب الإسلامي والكشف عن حقيقة مذهبهم ومعتقدهم، فكان هناك ردة فعل من فقهاء وعامة المالكية بالمنطقة على ما بدر منهم لعدة أسباب، وهذا ما سنحاول الوقوف عليه في هذا الفصل، من خلال دراسة أسباب الرفض السني للمذهب الإسماعيلي، ومختلف ردود الأفعال التي كانت لدى أهل المنطقة تجاهه.

المبحث الأول: الاختلافات بين المذهب المالكي والإسماعيلي وأسباب المقاومة السنية للوجود العبيدي

أولا: في باب العقائد

استنادا إلى عقيدة أهل السنة والجماعة، لا يُقبل ممن يقول بوجود أكثر من إله، أو يغير في صفة الصلاة، أو الزكاة، أو الصوم، أو نفي الإيمان بالله أو الملائكة، أو الكتب أو الرسل، وغيرها من الثوابت الإسلامية، أما غيرها من الفروع فيجوز للمسلم الاجتهاد فيها وفق الكتاب والسنة، إذا توافرت فيه بعض الشروط[1]، وعقيدة أهل السنة واضحة في أصول الدين، بالرغم من وجود بعض الفروقات بين المذاهب الفقهية لأهل السنة، إلا أنها في أمور فرعية من الدين، تنوعت أسباب هذا الخلاف وتحكم فيها عدة عوامل.

منها انتشار الصحابة رضوان الله عليهم في مختلف المناطق والبقاع من أجل الجهاد والفتوحات، واستقرارهم هناك، فنقل كل واحد منهم ما عاينه وتعلمه من الرسول صلى الله عليه وسلم، وتفاوت بعضهم على بعض فيما نقلوه، بحكم طول الصحبة، والقرب من الرسول صلى الله عليه وسلم وغيرها من الأمور، فما بلغ بعضهم من أقوال وأفعال الرسول صلى الله عليه وسلم، لم يبلغ البعض الآخر، وتم نقل ما فقهوه واتبع أهل كل بلد من ساكنهم من الصحابة، أيضا من أسباب الاختلاف هو التنوع الحاصل بين الفقهاء في طرق الاجتهاد، ما نتج عنه بعض الخلاف في بعض الأحكام الشرعية[2]، وفي الأخير تبقى الأمور للكتاب والسنة، فما أُختلف فيه صاحب الحق من يملك الدليل.

لكن الاختلاف بين المذهبين السني والشيعي لم يكن في أمور فرعية من الدين، بل تعدى ذلك إلى الاختلاف في الأصول، وكباقي الفرق الضالة كالخوارج فقد خالفت جماعة المسلمين في الأصول، ولا يسعنا المجال لدراسة كل الاختلافات العقدية بين السنة والشيعة فالموضوع أُلفت فيه مجلدات، ولكن حاولنا سياقة بعض الأمثلة حول أهم الخلافات العقدية والتي كانت السبب في الصدام بين المذهبين في بلاد الغرب الإسلامي، خاصة تلك التي

---

[1] مانع بن حماد الجهني: **المرجع السابق**، ج1، ص16.

[2] أحمد تيمور باشا: **المذاهب الفقهية الأربعة**، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، 1421هـ/2001م، ص ص10-30.

طبقت عمليا وجاهروا بها وعاينها أهالي المنطقة، فكان لها تأثير مباشر عليهم، ولزمهم مواجهة الأمر، أيضا استثنيا بعض الأمور التي تم ذكرها في مباحث أخرى كموضوع الإمامة والتقية، وعليه فمن الأسباب التي أدت إلى الرفض السني للوجود العبيدي نذكر.

1-الغلو في أئمتهم وإلحاقهم بأوصاف لا تليق بهم:

ومن أمثلة الغلو في أئمتهم ادعائهم للرسالة وللألوهية والنبوة، وهذا ما يتنافى وعقيدة المسلمين جمعاء فقد ادعى عبيد الله المهدي الرسالة عند وصوله القيروان، وزعم عبد الله الشيعي أن من علامات المهدي أنه مكتوب بين كتفيه «المهدي رسول الله، كما بين كتفي نبي الله صلى الله عليه وسلم خاتم النبوة»[1]، وهذا تشبيه بالنبي صلوات الله عليه، ولا يُخَص بعلامات النبوة إلا من اصطفاهم الله من الأنبياء والرسل، وهناك رواية أخرى تدعم ادعاء هذا الدعي للنبوة، وذلك حين وصوله مدينة رقادة أرسل من أحضر له فقيهين من أهل المنطقة، فلما دخلا عليه وكان جالسا على سرير ملكه وعلى جنبه بعض أتباعه، فقال بعضهم: أتشهدان أن هذا رسول الله في إشارة إلى عبيد الله، فكان رد الفقيهين بلفظ واحد: «والله الذي لا إله إلاّ هو لو جاءنا هذا والشمس عن يمينه والقمر عن يساره يقولان إنه رسول الله ما قلنا إنّه رسول الله»، فأمر عبيد الله بذبحهما والتنكيل بجثتيهما وقد فعل ذلك[2]، وقال بعض شعرائهم:

فَكَأَنَّمَا أنتَ النَّبيُّ مُحَمدٌ ... وَكَأَنَّمَا أنصَارُكَ الأنصَارُ[3].

وادعى معد بن إسماعيل[4] النبوة ونودي من فوق صومعة الجامع: «أشهد أن معد رسول الله»، فأترج البلد من ذلك وداخل نفوس الناس الرعب لهول ما سمعوا، كما ادعى الحاكم العبيدي أنه عُرج به إلى السماء وهذا لما دخل القاهرة، فطلب من أتباعه تزويده بحَسَنِ الغذاء وما ينقى البشرة، وانقطع عن العامة فترة ثم عاد وعليه حرير أخضر وجواهر على وجهه، وزعم

---

[1] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص162.

[2] المالكي: **المصدر السابق**، ج2، ص49.

[3] القائل هنا شاعر الدولة العبيدية ابن هانئ الأندلسي. انظر ابن هانيء: **المصدر السابق**، ص146.

[4] ابا تميم معد بن إسماعيل المنصور الملقب بـ المعز لدين الله رابع خلفاء الدولة الفاطمية بإفريقية وأول خلفائها بمصر ولد بالمهدية سنة 319هـ، وتولى الحكم وعمره 22 سنة، توفي سنة 365هـ. ينظر المالكي: **المصدر السابق**، ج2، ص427، ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص221.

أن الله رفعه إليه في السماء[1]، وهذا على الغالب زعما منه التشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم في حادثة المعراج الشهيرة.

لم يقفوا عند هذا الحد من الغلو في أئمتهم بل تعدوه إلى حد تأليه أئمتهم فكانت أيمان أتباعه أول دخولهم إفريقية «وحق عالم الغيب والشهادة، مولانا المهدي الذي برقادة»[2] والحلف بغير الله يعد من كبائر الشرك بإجماع فقهاء أهل السنة،[3] وهناك من أتباعهم من صلى إلى رقادة يوم كان عبيد الله مقيما بها فلما ارتحل إلى المهدية غير قبلته نحوها، وكان يقول لست ممن يعبد ما لا يرى، وكان يطلب من مهديه الارتقاء إلى السماء، ويصدح لعامة الناس أنه المهدي يعلم الغيب[4]، وذكر الدباغ أن ابن غازي وهو أحد فقهاء المالكية الذين تشرقوا كان ممن قال لعبيد الله: «أنت أنت»[5]، ويقصد بقوله أنت أي «الله»، تعالى سبحانه عن ذلك علوا كثيرا، فهؤلاء العبيديين كانوا زنادقة باطنيين على دين المجوس يقولون بتناسخ الأرواح، واعتقاد حلول الجزء الإلهي في أئمتهم، وفي ذات السياق نقل ابن تغري قائلا: «قال الحاكم لداعيه: كم في جريدتك؟ قال ستة عشر ألفا يعتقدون أنّك الإله»[6] وهذا الكفر هو البواح، ومن أمثلة كفرهم المدائح التي قالها شعراؤهم في حقهم كالشاعر ابن هانئ الأندلسي الذي قال:

مَا شِئْتَ لَا مَا شَاءَتِ الْأَقْدَارُ ... فَاحْكُمْ فَأَنْتَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ[7]

---

[1] ابن تغري: **المصدر السابق**، ج4، ص74.

[2] بن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص160.

[3] عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ألا إن الله عز وجل ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت). انظر **صحيح مسلم**: ج3، كتاب الأيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله، ص1262، رقم الحديث [1646].

[4] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص186.

[5] القاضي عياض: **تراجم أغلبية**، ص284.

[6] ابن تغري: **المصدر السابق**، ج5، ص341.

[7] ابن هانئ: **المصدر السابق**، ص146.

قال الذهبي «فلعن الله المادح والممدوح، فليس هذا في القبح إلا كقول فرعون {أنا ربكم الأعلى}»[1]، وحين مدحه لم ينكر على الشعراء غلوهم في ذلك بل وأجازهم عليه[2] وقوله أيضا:

حَلَّ بِرِقَّادَةَ الْمَسِيحُ ... حَلَّ بِهَا آدَمُ وَنُـــــــــوحُ

حَلَّ بِهَا أحمد المصطفى ... حَلَّ بِهَا الكبش والذبيح

حَلَّ بِهَا اللَّهُ ذُو الْمَعَالِي ... فَكُلُّ شَيْءٍ سِوَاهُ رِيـــحُ

قال الذهبي تعقيبا على هذه البيت أن هذا القول أعظم من كفر النصارى لأن النصارى يعتقدون بأن الجزء الناسوتي من الإله حل بعيسى، فيما يعتقد هؤلاء أن الله حل في جسد الأنبياء وجميع الأئمة تعالى الله عن ذلك[3].

هذه الكبائر لم تلق قبول لدى العامة من أهل المغرب، فكيف بالعلماء وأهل الفضل وقد نقل لنا المؤرخون بعض هذه الردود التي تدل على مدى الوعي الديني لدى المغاربة، ومدى استهتارهم بترهات العبيديين واستهزائهم بهم، منها ما نقله ابن عذارى المراكشي في كتابه البيان المغرب، قائلا: لما غلا بعض الأتباع في عبيد الله، وكان يجول في الأسواق ويدعي أن عبيد الله إله، ويطلب منه الارتقاء إلى السماء، كما كان يدعي علمه الغيب فاقترب منه أحد الرجال من أهل المنطقة، وهمس في أذنه: «عبيد الله الذي تقول زان! ابن الزانية! فإن كان يعلم ما قلت لك، فلينتصر!»[4]، فما كان رد ذلك العبيدي إلا أنه نسب الحلم وعدم العجلة في العقاب لعبيد الله المهدي، هذا عكس ما اشتهر به من تنكيل وقتل لمخالفيه حسب ما ذكرنا، وهناك حادثة أخرى كُتب فيها بيتين للعبيدي ووصلت إليه دون الإفصاح عن كاتبها جاء فيهما[5]:

بِالظُّلمِ وَالجُوْرِ قَدْ رَضِينَا ... وَلَيْسَ بِالكُفْرِ وَالحمَاقه

---

[1] شمس الدين الذهبي: **تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام**، ت بشار عماد معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي، 2003م، ج12، ص367.

[2] ابن عذارى: **المصدر السابق** ج1، ص160.

[3] الذهبي: **تاريخ الإسلام**، ج12، ص367.

[4] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص186.

[5] جاء في النجوم الزاهرة ;وفيات الأعيان وتاريخ الإسلام أن هذه الأبيات كتبت للعزيز بالله نزار رابع الخلفاء والذي حكم بعد والده معد الملقب بالمعز بالله وكان بداية حكمه سنة 365هـ: صعد العزيز يوماً آخر المنبر، فرأى ورقة فيها مكتوب: بالظلم والجور قد رضينا ... وليس بالكفر والحماقة. انظر **نفس المصدر**، ج1، ص160. ابن خلكان: **المصدر السابق**، ج5، ص373، ابن تغري: **المصدر السابق**، ج4، ص116، الذهبي: **تاريخ الإسلام**، ج8، 601.

إِنْ كُنْتَ أُعْطِيتَ عِلمَ غَيْبٍ ... فَقُلْ لَنَا كَاتِبَ البِطَاقَهْ

فحاول عبيد الله المهدي الوصول إلى كاتب هذين البيتين ولم يفلح في ذلك وقد وقعت في نفسه واستشاط منها، هذه أمثلة فقط عما كانت عليه ردود الأهالي من المنطقة، على غلو العبيديين وإلحادهم.

2-الوقيعة في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

معروف على الشيعة عموما التبرؤ من أمهات المؤمنين وزوجات الرسول صلى الله عليه وسلم والطعن فيهن، خاصة ابنتا الشيخين أبا بكر وعمر عائشة وحفصة رضوان الله عليهم أجمعين، وعلى منوالهم سار حكام بني عبيد بالمغرب الإسلامي وذلك ما جاء في البيان المغرب حيث يذكر صاحبه مايلي: « وأظهر عبيد الله التشيع القبيح وسب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأزواجه»[1]، كما اتهموا زوجتي النبي صلى الله عليه وسلم ببغض علي رضي الله عنه، وقد نقل العديد من المؤرخين المعاصرين والقدامى للشيعة عبارات نسبوها للأئمة من آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، في البراءة من زوجات رسوله الكريم ولعنهن، يقول أكبر مراجعهم محمد باقر المجلسي: «وعقيدتنا في التبري أننا نتبرأ من الأصنام الأربعة: أبا بكر وعمر وعثمان ومعاوية، ومن النساء الأربع: عائشة، وحفصة، وهند، وأم الحكم، ومن جميع أشياعهم وأتباعهم، وأنهم شر خلق الله على الأرض»[2]، ويزيدون على ذلك افترائهم على جعفر الصادق أنه كان يلعنهم دبر كل صلاة.

وأمنا عائشة رضي الله عنها من أكثر الناس تعرضا للتهجم من قبل الرافضة، ورغم نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن الطعن في زوجاته والوصية بهم خيرا، وذكر فضلهن كقوله صلى الله عليه وسلم: (فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ)[3]،

---

[1] ابن عذارى: **المرجع السابق**، ج1، ص159.

[2] عبد الله شبر: **حق اليقين في معرفة أصول الدين**، ط1، مؤسسة الأعلمي للطباعة، بيروت، لبنان، 1418هـ/1997م، ج1، ص512، عبد القادر بن محمد عطا: **الصاعقة في نسف افتراءات الشيعة على أم المؤمنين عائشة**، ط1، دار أضواء السلف، الرياض، 1425هـ/2004م، ص45.

[3] مسلم: **المصدر السابق**، ج4، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة، ص1895، رقم الحديث [2446].

ومن طعونهم في عائشة تلقيبها بأم الشرور والحميراء[1] وهو تصغير لحمارة، جاء في منهاج السنة النبوية أن من حماقات الشيعة تمثيل ما يبغضون بالجماد أو بالحيوان، ويعاقبونه على أنه ما يبغضون، كاتخاذهم نعجة حمراء لكون عائشة تسمى الحميراء عندهم، ويعذبونها بنتف شعرها وغير ذلك معتقدين أن ذلك عقوبة لعائشة[2].

من جملة ما اتهموا به عائشة رضوان الله عليها التحريض على قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، وأنها لما شكى الناس عثمان واصطناعه الأعاجم وتركه العرب قالت: «اقتلوا نعثلا قتل الله نعثلا فقد بدل دين الله أولا وآخرا»[3]، كما أن لهم عليها افتراءات كثيرة كرميها بالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكثرة الأحاديث المروية عنها، ومنع دفن الحسين مع جده، وقذف زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم مارية القبطية[4]، والأدهى من ذلك اتهامها بالفاحشة وأن مهديهم سيقيم عليها الحد وقت رجعته[5]، وفي هذا الافتراء معارضة للقرآن الكريم الذي برأها من فوق سبع سموات وتوعد أصحاب الإفك بالهوان في الدنيا قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ

---

[1] يقول بعض الشيعة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد عائشة تصارخ فاطمة وتنتقص من أم المؤمنين خديجة، فلما شكتها له قال لها: (مه يا حميراء فإن الله تعالى بارك في الودود الولود، وإن خديجة رحمها الله ولد مني طاهرا وهو عبد الله وهو المطهر، وولدت مني القاسم، وفاطمة، وأم كلثوم، ورقية، وزينب، وأنت ممن أعقم الله رحمه فلم تلدي شيئا)، انظر محمد باقر المجلسي، **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار**، ت عبد الرحيم الشيرازي، ط3، دار صادر، بيروت، لبنان، 1403هـ/1983م، ج16، ص3، عبد القادر بن محمد عطا: **المرجع السابق**، ص117.

[2] ابن تيمية: **منهاج السنة**، ج1، ص49.

[3] القاضي النعمان: **أساس التأويل**، ص367.

[4] وجاء في الرواية أن عائشة رضي الله عنها نقلت أن مارية القبطية كانت تتهم بابن عم لها، وأن ابنها ابراهيم ليس من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن حاجة الرسول صلى الله عليه وسلم للولد أدعى ولد غيره له، ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يقول الناس قال لعلي رضي الله عنه: «خذ هذا السيف فانطلق فاضرب عنق ابن عم مارية حيث وجدته»، فوجده على نخلة يخترف رطبا، فلما نظر إلى علي ومعه السيف رعب منه فسقطت الخرقة، فإذا هو لم يخلق الله عز وجل له ما للرجال، فقلب الشيعة نقل عائشة للخبر على أنها هي من اتهم أم المؤمنين مارية القبطية. أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله: **المستدرك على الصحيين**، ت مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ/1990م، ج4، كتاب معرفة الصحابة، ص41، عبد القادر بن محمد عطا: **المرجع السابق**، ص ص116-117.

[5] عبد القادر بن محمد عطا، **المرجع السابق**، ص116 وما بعدها.

مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ}[1]، والعشر آيات كلها تبرئة لها كما جاء في البخاري وغيره[2]، ومعارضة لرسوله الكريم الذي شهد بفضلها ومعارضة لملائكته الكرام[3].

حكم فقهاء المالكية في الطعن في زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم، روي عن مالك بن أنس: «أنه قال من سب أبا بكر جلد ومن سب عائشة قتل، قيل له: لم، قال لأنه خالف القرآن»[4]، وقول مالك بمخالفة القرآن استنادا إلى تبرئة عائشة من الله عز وجل بعد حادثة الإفك الشهيرة، فمن أنكر براءتها بعد ذلك، فقد خالف القرآن الكريم وكلام الله تعالى، كيف لا وهي زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنة الصديق رضي الله عنه، بل هي أفضل أزواج النبي عليه الصلاة والسلام، ما عدا خديجة قد اختلف العلماء في أيهما أفضل، وهي أحب الناس إليه عليه الصلاة والسلام، فقد سئل من أحب الناس إليك فقال: (عائشة)[5]، يقول القاضي عياض أن الله عز وجل كما عظم سبه تعالى، أيضا عظم سب عائشة أم المؤمنين، لأن سبها هو سب وأذى لنبيه الكريم وقد قرن الله سبحانه وتعالى أذى النبي صلى الله عليه وسلم بأذى الله تعالى، فكان عقوبة ذلك القتل[6]، كونها رضي الله عنها حبيبة رسول الكريم وزوجته في الجنة.

3-سب الصحابة والوقيعة فيهم وتكفيرهم

أجمع جمهور علماء السنة على أن الصحابة عدول لا يجوز للمسلم أن ينتقصهم، بل وجب عليه ذكر محاسنهم والإعراض عما شجر بينهم، وقد كان دأب الشيعة على العموم والإسماعيلية خاصة سب صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإظهار ذلك علنا والطعن في إسلامهم، وزعموا أن الصحابة رضوان الله عليهم قد ارتدوا بعد وفاة الرسول صلى الله عليه

---

[1] سورة النور: رقم الآية [11].

[2] محمد بن إسماعيل البخاري: **صحيح البخاري**، حمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، دار طوق النجاة، دمشق، 1422هـ، ج6، كتاب تفسير القرآن، ص101، رقم الحديث [4750]، السعدي: **المصدر السابق**، ج1، ص193

[3] عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال لها: «يا عائشة هذا جبريل يقرأ عليك السلام»، فقالت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، ترى ما لا أرى. البخاري: **المصدر السابق**، ج4، كتاب بدأ الخلق، باب ذكر الملائكة، ص112، رقم الحديث [3217].

[4] القاضي عياض: **الشفا**، ص493.

[5] البخاري: **المصدر السابق**، ج5، كتاب أصحاب النبي، باب فضائل أبي بكر، ص5، رقم الحديث [3662].

[6] القاضي عياض: **الشفا**، ص493.

وسلم إلا قلة قليلة منهم، وقد جاء في البيان المغرب أنه قد غلى عبيد الله المهدي في ذلك، وأظهر التشيع القبيح وسب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأزواجه، ما عدا علي بن أبي طالب، والمقداد بن الأسود، وعمار بن ياسر، وسلمان الفارسي، وأبي ذر الغفاري، وزعم أن أصحاب النبي رضي الله عنهم ارتدوا بعده غير هؤلاء الذين سميناهم[1]، وفي هذا السياق يقول الأستاذ إحسان إلاهي ظهير: "فهذه هي عقيدة القوم من أولهم إلى آخرهم، دين الشتائم والسباب، فلم يكتفوا بسب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بل كفروا جلهم"[2].

كما كان منهم من يطوف بالأسواق وينادي بلعن وسب الصحابة رضوان الله عليهم، كحسين الأعمى السباب والذي كان يطوف بالأسواق وينادي بعبارات مسجوعه لُقِّنها، وصل في بعضها إلى سب الرسول صلى الله عليه وسلم، منها قوله لعنة الله عليه على ما نقله القاضي عياض في مداركه قائلا: «العنوا الغار وما وعى، والكساء وما حوى»[3]، نقل أيضا القاضي عياض أنهم قاموا بتعليق رؤوس الأكباش والحمر، على أبواب الحوانيت، ووضعوا عليها قراطيس، كتبت فيها أسماء الصحابة[4]، خاصة في عهد الإمام الثالث من حكام بني عبيد إسماعيل والذي تكنى بالمنصور، وتمادى في ذلك بعده إمامهم الحاكم بمصر، الذي أمر بأن يكتب في الجوامع والشوارع بسب الصحابة أجمعين[5].

هذه الأفعال منافية لما ألفه أهل السنة من تعاليم الدين الإسلامي والمذهب الذي كانوا عليه، من تعظيم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، واعتقادهم بأن سب الصحابة من المنكرات العظيمة، فمن سبهم وأبغضهم فهو مرتد عن الإسلام كافر، وفي هذا الصدد نقل القاضي عياض أن الإمام مالك سئل هل هناك حق في الفيء لمن سب أصحاب رسول الله

---

[1] ابن عذارى: **المرجع السابق**، ج1، ص159.

[2] وعندهم جميع الصحابة ارتدوا بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم إلا المقداد ابن الأسود، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، ومنهم من يضيف عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان وعمر بن الحمق، ويستدلون على ذلك بقوله تعالى: {أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ} سورة آل عمران: آية [144]، وقد رد عليهم فقهاء المالكية وأبطلوا فهمهم الخاطئ للآية كما سنورد في مبحث الجدل والمناظرات العلمية، انظر: إحسان إلهي ظهير: **الشيعة والسنة**، ص49 وما بعدها.

[3] القاضي عياض: **المدارك**' ج5، ص303.

[4] **نفسه**،' ج5، ص303.

[5] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، 285.

صلى الله عليه؟ «قال لا ولا كرامة قال من أين قلت ذلك؟ قال الله: ليغيظ بهم الكفار. فمن عابهم فهو كافر ولا حق للكافر في الفيء»[1]، وقد وردت عديد الآيات والأحاديث الدالة على فضل الصحابة رضوان الله عليهم وسبقهم للخير والإسلام ومن جملة تلك الآيات قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ}[2]، وقوله تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ}[3]، وهذا الآيات تتضمن الثناء على الصحابة من المهاجرين والأنصار، وقد نص النبي صلى الله عليه وسلم على مكانة الصحابة رضوان الله عليهم في عديد الأحاديث نذكر منها قوله صلى الله عليه وسلم: (لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ)[4]، ومن هذا الحديث يتضح لنا حكمان أولهما حرمة سب الصحابة، والثاني عظمة منزلتهم عند الله تعالى.

هناك رأيان لعلماء أهل السنة حول من سب الصحابة: أولهما عدم تكفير الساب وإنما يعزر بالجلد والحبس حتى يتوب عن فعلته إذا لم يكن معتقدا كفرهم، وإلا يسجن حتى الموت، والثاني من سبهم وهو مستحل لذلك فلا شك في كفره وعقوبته القتل[5]، قال القاضي أبو يعلى في هذا الصدد: «الذي عليه الفقهاء في سب الصحابة إن كانت مستحلا لذلك كفر، وإن لم يكن مستحلا فسق»[6]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمة: «من زعم أن الصحابة ارتدوا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا نفرا قليلا لا يبلغون إلا بضعة عشرا نفسا أو أنهم فسقوا كافة فهذا لا شك في كفره»[7]، وقال الإمام مالك: «من شتم أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم:

---

[1] القاضي عياض: **المدارك**، ج2، ص46.

[2] سورة الأنفال: الآية رقم [72].

[3] سورة آل عمران: الآية رقم [110].

[4] مسلم: **المصدر السابق**، ج4، كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة، ص967، رقم الحديث [2450]، ناصر الدين الألباني: **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، ط1، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1415هـ/1995م، ج4، ص556، رقم الحديث [1923].

[5] إبراهيم النعمة: **ما ينبغي أن يعرفه المسلم عن الصحابة**، ط1، دار المأمون للطباعة والنشر، فلسطين، 1432هـ2011م، ص81.

[6] ابن تيمية: **حكم سب الصحابة**، ط1، المطبعة الفنية، القاهرة، 1398هـ/1978م، ص12.

[7] نفسه، ص12.

أبا بكر، أو عمر، أو عثمان، أو معاوية، أو عمر بن العاص، فإن قال: كانوا على ظلال وكفر قتل، وإن شتمهم بغير هذا من مشاتمة الناس نكل به نكالا شديدا»[1].

لا شك أن العبيدين يدخلون في الفريق الثاني، ونقصد به المستحلين لسب الصحابة والمعتقدين بأن ذلك يقربهم لله زلفى، وقد أفتى مجموعة من فقهاء الكوفة وغيرهم بقتل من سب الصحابة ومن أجل ذلك كفروا الرافضة[2]، وعلى هذا المنوال كانت فتاوي بعض فقهاء المالكية من أهل المنطقة كالإمام سحنون وابن أبي زيد القيرواني[3](ت386هـ/996م)، وغيرهم كثير

---

[1] القاضي عياض: **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، ت عامر الجزار، دار الحديث، القاهرة، 1425هـ/2004م، ص493.

[2] أحمد بن محمد السعدي: **الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة**، ت عبد الرحمان بن عبد الله/كامل محمد، ط1، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1417هـ/1997م، ج1، ص142.

[3] هو أبو محمد عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن النفزاوي القيرواني مولدا ومنشأ وحياةً ومدفنا، ولد بالقيروان سنة(310هـ/922م) ، وتوفي بها في الثلاثين من شعبان (ت386هـ/996م) ودفن بالقيروان ، وقيل نسبه إلى نفزة مدينة بالجنوب التونسي ، وقيل أنه سليل الأندلس واستقرت عائلته بالقيروان نتيجة الهجرة وهو من قبيلة نفزة بشاطبة، قال صاحب كتاب الإكمال: «وأما النفزي أوله نون مفتوحة وفاء ثم زاي، فهو أبو محمد عبد الله ابن أبي زيد الفقيه القروي صاحب الرسالة والمختصر، أحد الأئمة في مذهب مالك» ، لذا قيل أنه يلقب بالنفزي، سمع من عدة شيوخ بإفريقية، كابن اللباد وابن الربيع وعبد الله بن مسرور وأبو العرب ابن تميم، فكان طلبه العلم عسير أيام العبيديين، لما مارسته من ضغوطات على العلماء ومنعها حلقات العلم وسجن وقتل العلماء فيروي: القاضي عياض أنه لما سجن ابن اللباد في داره ومنع من التدريس والإسماع كان يأتيه الطلبة خفية إلى بيته «وكان منهم أبو محمد التبان، وابن أبي زيد، وغيرهم، وكانوا ربما جعلوا الكتب في أوساطهم، حتى تبتل بأعراقهم» ، وفي رحلة حجه سمع من أبي سعيد بن الأعرابي، ومحمد بن الفتح، والحسن بن نصر السوسي، وغيرهم. سمع منه وكان من طلبته العديد من أهل المغرب منهم: أبو القاسم البراذعي، الفقيه عبد الرحيم بن العجوز السبتي، والفقيه عبد الله بن غالب السبتي، وعبد الله بن الوليد بن سعد الأنصاري ، وأبو بكر أحمد بن عبد الرحمن الخولاني، له عديد المؤلفات منها النوادر والزيادات على المدونة ومختصرها وهذين الكتابين من أهم الكتب في الفقه والفتيا بالمغرب، بالإضافة إلى كتاب على الأبواب، وكتاب الاقتداء بمذهب مالك، وكتاب الرسالة ، وكتاب الثقة بالله والتوكل على الله، وكتاب المعرفة والتفسير، وكتاب إعجاز القرآن، وكتاب النهي عن الجدال، ورسالته في الرد على القدرية، ورسالته في التوحيد ، وله عديد المؤلفات في شتى العلوم إذ تذكر كتب التراجم أن له مؤلفات في علوم القرآن ، والحديث ، وعلم الكلام ، والفقه، والعقيدة، والمواعظ، والنصح. انظر ترجمته: الدباغ: **معالم الإيمان**، المصدر السابق، ج3، ص109، الذهبي: **السير**، ج17، ص10، الذهبي: **تاريخ الإسلام**، ج8، 647، القاضي عياض: **المدارك**، المصدر السابق، ج4، ص492/496 المالكي: **الديباج، المصدر السابق**، ج1، ص430، ابن تغري: **المصدر السابق**، ج4، ص200، ابن مخلوف: **المرجع السابق**، ج1، ص143، علي بن هبة الله بن ماكولاك: **الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب**، ط1، دار الكتب العلمية –بيروت–لبنان، 1411هـ/1990م، ج1، ص ص583–584.

ممن كان يرى بكفر بني عبيد وعدم انتسابهم للإسلام[1].

4-تعطيل الشرائع ودعوتهم إلى الإباحية:

كان من جملة ما ألب عامة وعلماء المغرب الإسلامي على العبديين تعطيلهم لشرائع الله وإسقاطها عمن دخل دعواهم، وإسقاط الفرائض والمعلوم من الدين بإيعاز من عبيد الله المهدي، فقد جاء في رياض النفوس أنه لما جاء جماعة من أهل المغرب للدخول في دعواه أمر بإدخالهم الداموس[2]، ودخل عليهم يمشي على أربع كالحيوانات، ومعناه حسبه ما أعلمهم أنهم مثل البهائم، سقطت عنهم العبادات كالصلاة والزكاة والصوم، وكان يرتدي فروا مقلوبا، ومعنى ذلك أنه قلب لهم الدين وأدخلهم دينا جديدا، وقال لهم «بح» وخرج، ومعنى ذلك أن كل شيء أضحى مباحا لهم، من زنا وشرب للخمر وجميع ما حرم الله تعالى على عباده المسلمين[3]، وشاع هذا بين أتباعهم فاستحل بعض الغلاة من أتباعهم الخمر والزنا، وأكل لحم الخنزير وفطر شهر الصوم، وجاهروا بذلك في باجة وتونس[4].

بل وجاهروا به في الأسواق والأزقة، فنقل المالكي أن بعض أتباعهم كان يجول في أزقة سوسة راكبا على دابته وهو يردد: « يا ريان لا قود ولا دية»، قاصدا بذلك أن لا يوجد حرام ولا حلال ولا دية ولا حد[5]، ورغم سجن وقتل البعض منهم من قبل السلطة العبيدية، لكن

---

[1] قال سحنون من كذب أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عليا أو عثمان أو غيرهما يوجع ضربا، وحكى ابن أبي زيد القيرواني عن سحنون من قال في ابي بكر وعمر وعثمان وعلي إنهم كانوا على ضلال وكفر قتل ومن شتم غيرهم من الصحابة بمثل هذا نكل النكال الشديد، السعدي: **المصدر السابق**، ج1، ص141.

[2] الداموس لعله تصحيف قالت به العامة والصواب ديماس وجمعه دياميس وسمي بذلك لظلمته، وهو القبر، والديماس سجن كان للحجاج بن يوسف، والديماس هو السَّرَب، و(السرب) بفتحتين بيت في الأرض، ومن خلال هذه التعريفات، يتضح لنا أنه كان يملك غرفة أو غرف تحت الأرض لأغراض معينة، وهذا غير بعيد عن العبيديين وما تميزوا به من خرافات ودجل ومعلوم أن سالكي هذا الطريق لابد لهم من أماكن مظلمة، وبعيدة عن الأنظار لممارسة طقوسهم بعيدا عن الأنظار. انظر صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي: **تصحيح التصحيف وتحرير التحريف**، ت السيد الشرقاوي، ط1، مكتبة الخانقجي، القاهرة، مصر، 1407هـ/1987م، ج1، حرف الدال المهملة، ص253، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الرازي: **مختار الصحاح**، ت يوسف الشيخ، ط5، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، 1420هـ/1999م، ج1، مادة سرب، ص145.

[3] المالكي: **المصدر السابق**، ج2، ص ص504-505.

[4] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص185.

[5] المالكي: **المصدر السابق**، ج2، ص505.

لم يكن هذا من باب العقوبة لمستحلي المحارم، بل عقوبة على عدم كتمان ما أطلعهم عليه من استباحة المحرمات وخيانة علم الباطن وإظهاره للعامة، وذكر ابن حوقل أن من جملة ما أباحه لهم داعي المهدي أبو عبد الله الشيعي، بذل أولادهم للضيوف يمارسون عليهم الفاحشة أيضا، حتى لو وقعت نفس الضيف على أكابر الفرسان فلا يمتنع عن بذل نفسه، واعتبروا ذلك من باب الكرم والفضل ومن أعرض عنه فإنه نقص وعار أن يمتنع[1].

وفي المناطق البعيدة كان يُرسل الدعاة بهذا الانحلال فان قبله الناس نشروه، حتى أن بعض القبائل بكتامة شاع عندهم الزنا فكان الرجل يدخل على زوجة جاره فيزني بها، ثم يخرج باصقا على وجه زوجها ويقول له «تَصَبّر فإذا صبر عد كامل الإيمان وسمي من الصابرة»، هذا ما ألب عليهم الأهالي فقتلوا بعضهم[2]، ومن عواقب هذه الأفعال أنها أورثت انحلال خلقيا لدى عديد البربر الداخلين في دعواهم، وجرت بهم عادات لا تمت للإسلام ولا لأهل المنطقة بصلة، حتى صار الحياء شبه منعدم، فهذا المقدسي في حديثه عن إقليم المغرب ومخلفات العبديين يذكر أنهم كانوا «يدخلون الحمّامات بلا ميازر إلاّ القليل»[3].

لم يقتصر انتشار الأفكار الإسماعيلية الغالية والمنحلة على الحواضر ومراكز الحكم العبيدي كالقيروان ورقادة، بل شملت جل المناطق منها باجة وسوسة وجبل الونشريس ومنطقة تاهرت، وهذا بواسطة مجموعة من خاصة الدعاة الغالين والمنحرفين، وتجلت صورة هذا الغلو في الإباحية والتحلل من القيود، وإباحة الغوغاء وانتهاك الحرمات والأعراض[4]، وهذا مناف لما عهده المسلمون من ستر العورة، هذه الأفعال هو ما دفع فقهاء القيروان للإفتاء بعدم جواز الدخول في مذهبهم، ولو كان جزاء ذلك القتل، لأنهم زنادقة مرتدون عن الإسلام معطلون لشرائع الله، كما أفتى بذلك أبو محمد الكراني حينما ما سئل عن من أجبر على الدخول في

---

[1] محمد ابن حوقل: **صورة الأرض**، دار صادر، أفست ليدن، بيروت، لبنان، 1938م، ج1، ص95.

[2] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص185.

[3] أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي: **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، 1411هـ/1991م، ج1، ص239.

[4] موسى لقبال: **المرجع السابق**، ص425.

دعواهم أو يقتل فكان رده: «يختار القتل،... لأن المقام في موضع يطلب من أهله تعطيل الشرائع»[1].

[1] القاضي عياض: **المدارك**، ج7، ص276.

ثانيا: المخالفة في العبادات

1- الصلاة

فبدلوا صفة الآذان المأثورة عند عامة المسلمين، بأن أضافوا بعد (حي على الصلاة) (حي على خير العمل)، وأسقطوا من أذان الفجر (الصلاة خير من النوم)[1]، وعلى حد زعمهم فهذه الصيغة من استحداث الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أضافها وابتدعها مخالفا لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم[2]، وشددوا على الأئمة في ذلك ولهم عديد الجرائم في حق من خالف أمرهم، وعند أهل السنة صيغة الآذان على ما ثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث عبد الله بن زيد[3] رضي الله عنه، والذي أقره عليه النبي صلى الله عليه

---

[1] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص151.

[2] عند الفاطميين أن جعفر الصادق روى عن الحسين بن علي، عندما سئل عن قول الناس في الآذان أنه رؤيا رآها عبد الله بن زيد فقال لهم: «الوحي يتنزل على نبيكم، وتزعمون أنه أخذ الأذان عن عبد الله بن زيد والأذان وجه دينكم، وغضب صلوات الله عليه» وحسب روايتهم فإن الله بعث في الآذان والإقامة ملكا فذكر للرسول صلى الله عليه وسلم الآذان والإقامة، فكان الآذان بصيغتهم أي «حي على خير العمل» على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر، حتى عهد الخليفة عمر بن الخطاب الذي أمر بحذفه، لكي لا يتهاون الناس عن الجهاد إذا سمعوا أن الصلاة خير العمل على حسب روايتهم. انظر القاضي النعمان: **دعائم الإسلام**، ج1، ص143.

[3] هو الصحابي الجليل أبو محمد عَبْد اللَّهِ بْن زيد بْن عبد ربه بْن زيد بْن الحارث الأنصاري الخزرجي وأمه سعدة بنت كليب بن يساف، هو الذي أُري الآذان، شهد بيعة العقبة وغزوة بدر والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وحمل راية بني الحارث بن الخزرج في فتح مكة، توفي رضي الله عنه بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين وهو ابن أربع وستين سنة، وصلى عليه عثمان بن عفان رضي الله عنه. عنه انظر الذهبي: **السير**، ج2، ص375، **تاريخ الإسلام**، ج2، ص205، أبو الحسن علي بن أبي الكرم ابن الأثير: **أسد الغابة**، دار الفكر، بيروت، 1409هـ/1989م، ج3، ص143، ابو القاسم عبد الله بن محمد البغوي: **معجم الصحابة**، ت محمد الأمين بن محمد الجكني، ط1، مكتبة دار البيان، الكويت، 1421هـ/200م، ج4، ص57، أبو عبد محمد بن سعد: **الطبقات الكبرى**، ت إحسان عباس، ط1، دار صادر، بيروت، لبنان، 1968م، ج3، ص536.

وسلم[1]، وأيضا آذان أبي محذورة الذي علمه النبي صلى الله عليه وسلم له[2]، وهذه الصيغة التي كان يُؤَذَّن بها على عهد رسول الله صلى الله عليه واستمر بها الصحابة بعد وفاته، قال الفقيه المالكي ابن أبي زيد القيرواني عن وجوب الآذان في المساجد والجماعات، وأن الإقامة لابد منها ولو كان الرجل مقيما للصلاة وحده، ولا يؤذن لصلاة قبل وقتها وقد ذكر صيغة الآذان: الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله...[3]، وأضاف انه إذا كان في

---

[1] جاء في مسند الإمام أحمد وسنن أبي داود عن عبد الله بن زيد قال: لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناقوس ليضرب به للناس في الجمع للصلاة طاف بي وأنا نائم رجل يحمل ناقوسا في يده، فقلت له: يا عبد الله أتبيع الناقوس؟ قال: ما تصنع به؟ قال: فقلت: ندعو به إلى الصلاة، قال: أفلا أدلك على ما هو خير من ذلك؟ قال: فقلت له: بلى، قال: تقول الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدا رسول الله، أشهد أن محمدا رسول الله، حي على الصلاة، حي على الصلاة، حي على الفلاح، حي على الفلاح، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، ثم استأخر غير بعيد ثم قال: تقول: إذا أقيمت الصلاة، الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدا رسول الله، حي على الصلاة، حي على الفلاح، قد قامت الصلاة، قد قامت الصلاة، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، فلما أصبحت أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته بما رأيت، فقال: «إنها لرؤيا حق إن شاء الله، فقم مع بلال فألق عليه ما رأيت فليؤذن به، فإنه أندى صوتا منك «ولما سمع عمر بن الخطاب الآذان قال بأنه رأى نفس الرؤيا». انظر أبو داود سليمان بن الأشعث: **سنن أبي داود**، ت محمد محي الدين، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ج1، كتاب الصلاة، باب كيفية الآذان، ص135، رقم الحديث [499]، أحمد بن حنبل: **المصدر السابق**، ج26، كتاب المدنيين، باب حديث عبد الله بن زيد، ص402، رقم الحديث [16478].

[2] عن أبي محذورة قال: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقنه الأذان تسع عشرة كلمة، والإقامة سبع عشرة كلمة: الله أكبر الله أكبر، الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدا رسول الله، أشهد أن محمدا رسول الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدا رسول الله أشهد أن محمدا رسول الله، حي على الصلاة، حي على الصلاة، حي على الفلاح، حي على الفلاح، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، والإقامة مثنى مثنى لا يرجع». انظر أحمد بن حنبل: **المصدر السابق**، ج45، مسند القبائل، باب حديث أبي حديث أبي محذورة، ص225، رقم الحديث [27252]، أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي: **المسند**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1400هـ، ج1، ص30، رقم، أبو داود: **المصدر السابق**، ج1، ص137، رقم[502]، أبو عبد الرحمان أحمد بن شعيب النسائي: **المجتبى من السنن، السنن الصغرى للنسائي**، ت عبد الفتاح أبو غدة، ط2، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، 1406هـ/1986م، ج2، ص4، رقم [631]، أبو الحسن علي بن الدار قطني: **سنن الدار قطني**، ت شعيب الأرناؤوط وآخرون، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1424هـ/2004م، ج1، ص435، رقم [901].

[3] قال مالك: الأذان الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمدا رسول الله أشهد أن محمدا رسول الله، قال: ثم يرجع بأرفع من صوته بها أول مرة فيقول: أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمدا رسول الله أشهد أن محمدا رسول الله، قال: فهذا قول مالك في رفع الصوت، ثم حي على الصلاة حي على الصلاة حي على الفلاح حي على الفلاح، الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، قال: وإن كان الأذان في صلاة الصبح في سفر أو

صلاة الصبح زيد عبارة «الصلاة خير من النوم» مرتين بعد حي على الفلاح[1]، كما ذكر أن الإقامة تكون بتوتير ألفاظ الآذان[2]، وهذا لما روي عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بلالا أن يشفع الآذان ويوتر الإقامة[3].

كما قالوا بوجوب قراءة (بسم الله الرحمن الرحيم) في أول كل سورة[4]، حيث جاء في دعائم الإسلام لقاضي العبيديين النعمان في حديث ساقه عن أئمته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنهم كانوا يجهرون في قراءة البسملة قبل الفاتحة والسورة التي يصلى بها في الصلاة الجهرية ويخافتون بها في الصلاة السرية[5]، وعند أهل السنة المسألة خلافية فقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان «يجهر بـ «بسم الله الرحمن الرحيم» تارة، ويخفيها أكثر مما يجهر بها، ولا ريب أنه لم يكن يجهر بها دائماً في كل يوم وليلة خمس مرات أبداً حضراً وسفراً، ويَخفى ذلك على خلفائه الراشدين[6]، قال ابن قدامة أن الجهر بها غير مسنون، وعليه كان أكثر أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والتابعين، وممن ذكرهم الخلفاء الأربعة وابن مسعود وابن الزبير، ومن التابعين الأوزاعي والثوري ...[7].

الثابت عند المالكية أن النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء من بعده، أنهم كانوا لا يفتتحون بالبسملة في الفريضة وهو الشائع عندهم قولا وعملا، والنافلة يفتتح بالبسملة إن أراد وفي أوائل السور، وفي حالة قراءة سورتين تواليا في هذه الحالة وجب الفصل بينهما بالبسملة

حضر؟ قال: الصلاة خير من النوم مرتين بعد حي على الفلاح. مالك بن أنس الإمام: **المدونة**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ/1994م، ج1، ص157.

[1] كان بلال رضي الله عنه يؤذن ويدعو رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصلاة فجاء ذات يوم ودعاه فقيل له أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نائم «فصرخ بلال بأعلى صوته الصلاة خير من النوم، قال سعيد بن المسيب: فأدخلت هذه الكلمة في التأذين إلى صلاة الفجر». انظر أحمد بن حنبل: **المصدر السابق**، ج26، ص399، رقم الحديث: [16477].

[2] ابن أبي زيد القيرواني: **رسالة ابن أبي زيد القيرواني**، ت مصطفى كامل الطهطاوي، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، 2005م، ص ص42-43.

[3] الإمام مالك: **المدونة**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ/1994م، ج1، ص158.

[4] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص223.

[5] القاضي النعمان: **دعائم الإسلام**، ج1، ص159.

[6] ابن قيم الجوزية: **زاد المعاد في هدي خير العباد**، ط27، مؤسسة الرسالة، بيروت/مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، 1415هـ /1994م، ج1، ص198.

[7] أحمد بن قدامة المقدسي: **المغني لابن قدامة**، مكتبة القاهرة، مصر، 1388هـ / 1968م، ج1، ص345.

ما خلا سورة التوبة فإنها بدون بسملة [1]، ومما سبق قال بعض أهل العلم: فالسنة الإسرار بالبسملة، ولا بأس بالجهر بها في بعض الأحيان جمعاً بين الأدلة.

ومما خالف فيه العبيديون المالكية التسليم عند الفراغ من الصلاة «ويسلموا تسليمتين»[2]، وهذا خلاف ما كان عليه المالكية بالقول بتسليمه واحدة قال مالك رحمه الله: «وكما تَدْخُلُ فِي الصَّلاَةِ بتكبيرة وَاحِدَة فكذلك تخرج منها بتسليمه وَاحِدَة»[3]، وهذه التسليمة كافية للإمام للخروج من الصلاة وبالنسبة للمأموم يسلم تسليمه على يمينه للخروج من الصلاة، والثانية على يساره ردا على الإمام وعلى من كان على يساره إن وجد[4]، فالتسليمة الواحد تجزأ للتحلل من الصلاة.

أيضا منعوا صلاة الضحى[5] ويروون في ذلك حديثا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، قال فيه: «ولا تصلوا ضحى، فإن الصلاة ضحى بدعة»[6]، وصلاة الضحى سنة مستحبة عند أهل السنة وباتفاق المذاهب الفقهية الأربعة[7]، لعديد الأحاديث الواردة في ذلك كقول أبي هريرة رضي الله عنه: (عَهِدَ إِلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ثَلَاثٍ، لَا أَدَعُهُنَّ أَبَدًا: «لَا أَنَامُ إِلَّا عَلَى وِتْرٍ، وَفِي صَلَاةِ الضُّحَى، وَصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ»)[8]، وللمواظبة على هذه السنة أجر وفضل عظيم من الله عز وجل، ومن حافظ عليها غفرت ذنوبه ولو كانت كزبد البحر[9].

---

[1] ا بن أبي زيد القيرواني: **النَّوادر والزِّيادات على مَا في المدَوَّنة من غيرها من الأُمهاتِ**، ت عبد الفتاح محمد الحلو، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999م، ج1، ص172.

[2] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص223.

[3] ابن أبي زيد القيرواني: **النَّوادر والزِّيادات**، ج1، ص189.

[4] محمد بن محمد الحطاب: **مواهب الجليل**، ط3، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1412هـ/1992م، ج1، ص ص526-527.

[5] هي الصلاة التي تؤدى وقت الضحى أول النهار ويدخل وقتها من ارتفاع الشمس قيد رمح حتى استواء الشمس وقت الزوال، وعن عدد ركعاتها فأقلها اثنان، وتصلى أربع أو ست أو ثمان ركعات. ينظر حسين بن عودة العوايشية: **الموسوعة الفقهية الميسرة في فقه الكتاب والسنة المطهرة**، ط1، المكتبة الإسلامية عمان، الأردن، دار ابن حزم، بيروت، 1423هـ1424هـ، ج2، ص167.

[6] القاضي النعمان: **دعائم الإسلام**، ج1، ص213.

[7] حسين بن عودة العوايشية: **المرجع**، ج2، ص167.

[8] احمد بن حنبل: **المصدر السابق**، مسند أبي هريرة، ج13، ص158، ر قم الحديث [7725].

[9] الحطاب: **المصدر السابق**، ج2، ص67.

قاموا بتقديم صلاة الظهر قبل الزوال وصلوا العصر وقت الظهر فتنة للناس[1]، فكان ميقات هاتين الصلاتين عندهم واحد «إذا زالت الشمس دخل وقت الصلاتين الظهر والعصر»[2]، وجعلوا صلاة الظهر، عند الزوال وربما وقعت قبله، وجعلوا صلاة العصر وقت صلاة الظهر[3]، وعند أهل السنة وقت صلاة الظهر من زوال الشمس إلى أن يصير ظل كل شيء مثله بعد فيء الزوال، ويستحب تأخيرها إلى أن يزيد ظل كل شيء ربعه وقت الحر[4]، ويقصد بالزوال ميل الشمس عن كبد السماء فيكون الظل صباحا ناحية الغرب إلى «أن تصير الشمس في وسط السماء فإذا مالت الشمس إلى جهة المغرب أخذ الظل في الزيادة وذلك هو الزوال»، ولا بد من وضوح زيادة الظل حتى يدخل وقت الظهر ويستمر حتى يصير ظل كل شيء مثله[5]، وكل هذا وقت اختياري، لكن يفضل تقديمها أول الوقت بعد صلاة الراتبة، وقد اتفق أهل العلم أن أول وقت صلاة الظهر زوال الشمس ولا يجب تقديمها على ذلك، ومن قدمها فلا تجزئ سواء كان مقيما أو مسافرا[6].

فيما يخص صلاة العصر ففيها وقت اختياري: من أول الوقت حتى تصفر الشمس والضروري: إذا اصفرت الشمس فهذا وقت الضرورة إلى أن تغيب[7]، أي من آخر وقت الظهر حتى تصفر الشمس ولا نقصد بالاصفرار اصفرار الشمس في ذاتها بل انعكاس صفرتها على الأرض أو جدار قال مالك: «وصفرتها إنما تعتبر في الأرض والجدر لا في عين الشمس»، وهناك قول بأن آخر وقتها إلى يصير ظل كل شيء مثليه[8].

---

[1] الحسن بن محمد شواط: **مدرسة الحديث في القيروان**، ط1، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض، 1411هـ، ج1، ص73.

[2] القاضي النعمان: **دعائم الإسلام**، ج1، ص137.

[3] القاضي عياض: **المدارك**، ج8، ص114.

[4] ابن أبي زيد: **الرسالة**، ص40.

[5] الحطاب: **المصدر السابق**، ج1، ص383.

[6] **نفسه**، ج1، ص388.

[7] عبد العزيز بن باز: **مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله**، جمع محمد بن سعد الشويعر، ج10، ص383.

[8] الحطاب: **المصدر السابق**، ج1، ص389.

وفي صلاة الجمعة قالوا بالقنوت[1] فيها، ويقول مؤرخهم النعمان أن العامة يروون أن القنوت كان زمن الخلافة العباسية، فلما جاءهم الأمر من أئمة البيت تركوها مخالفة لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقنوتهم يوم الجمعة في الركعة الثانية بعد قراءة سورة المنافقين وهذا قبل الركوع[2]، وعند أهل السنة فالقنوت مشروع في جميع الصلوات عند النوازل، وليس خاصا بصلاة معينة أو وقت معين إلا في النوازل التي تصيب المسلمين، كالحروب والقحط والأوبئة والأمراض، وهذا اتباع لسنة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم فعن أنس قال: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قنت شهرا يدعو على أحياء من أحياء العرب، ثم تركه)[3].

أما القنوت يوم الجمعة فهناك خلاف وذهب أكثرهم أنه لا يقنت يوم الجمعة لأنه يكتفي بالدعاء في الخطبة، ولم يثب عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قنت يوم الجمعة، وقد روي أن «مالك سأل بن شهاب عن القنوت يوم الجمعة فقال محدث» وقد ذكر أنه بدعة، وقد انتشر زمن في الخلافة العباسية فلما كان عهد عمر ابن عبد العزيز تركه[4]، وهذا خلاف ما قالت به الشيعة في أن القنوت يوم الجمعة ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم وأن أهل السنة تركوه مخالفة لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم.

كما تركوا الترضي على صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبة الجمعة، فكانت صيغة الترضي عندهم اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، وقالوا بأن الله يخص يوم الجمعة بملائكة لا تكتب إلا الصلاة على محمد وعلى آل محمد[5]، بل وتمادوا في سب الصحابة في خطبهم وأظهروا ضروبا من الكفر وخلت المساجد من المصلين في الجمعات[6]، وقطع الناس صلاة الجمعة حتى وصل الأمر ببعضهم إلى الوصول ناحية المسجد ثم يقول

---

[1] القنوت اصطلاحاً: هو الدعاء في الصلاة في محلٍّ مخصوصٍ من القيام ويقال أن القنوت هو الدعاء، وأن القانت الداعي، وأن القنوت يطلق على الدعاء بخير وشر. انظر أحمد بن علي بن حجر: **فتح الباري في شرح صحيح البخاري**، ت محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ، ج2، ص490.

[2] القاضي النعمان: **دعائم الإسلام**، ج1، ص184/183، ص207.

[3] مسلم: **المصدر السابق**، ج1، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب القنوت، ص469، رقم الحديث [677].

[4] يوسف بن عبد الله القرطبي: **الاستذكار**، ت سالم محمد/محمد علي المعوض، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1421هـ/2000م، ج2، ص493.

[5] القاضي النعمان: **دعائم الإسلام**، ص180.

[6] الحسن بن محمد شواط: **المرجع السابق**، ص73.

في سره «اللهم اشهد اللهم اشهد»[1]، ويقفل بعد ذلك راجعا فصليها ظهرا أربع ركعات فقطعت الصلاة دهرا لما كان فيها من البدع والمنكرات.

منعوا صلاة القيام في رمضان لكونها بدعة جاء بها عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، وفي روايتهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم تكن صلاته في رمضان إلا كصلاته في سائر الأيام، وأنه صلى بعض الليالي وقام قوم خلفه فلما أحس بهم دخل إلى بيته، وفي صباح اليوم الثالث صعد المنبر وقال: «أيها الناس، لا تصلوا غير الفريضة ليلا في شهر رمضان ولا في غيره في جماعة، إن الذي صنعتم بدعة»[2]، وعند أهل السنة صلاة التراويح سنة مؤكدة[3]، لقول صلى الله عليه سلم في حديث أبي هرير: (كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرَغِّبُ فِي قِيَامِ رَمَضَانَ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَأْمُرَهُمْ بِعَزِيمَةٍ، فَيَقُولُ: « مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)[4].

قال ابن أبي زيد: والقيام بها في المساجد جماعات أو منفردا وهو أحسن لمن قويت همته[5]، وهناك خلاف حول أفضلية صلاة التراويح جماعة في المسجد أو منفردا في البيت، فقال جماعة من الأحناف والليث بن سعد وابن عبد الحكم وغيرهم بأفضلية الجماعة في قيام رمضان[6]، وقال مالك والشافعي: «قيام رمضان لمن قوي في البيت أحب إلينا»[7]، وردا على من يقول من الشيعة أن عليا لم يقم مع الصحابة، قد روي عن أبي عبد الرحمن السلمي أن

---

[1] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص277.

[2] القاضي النعمان: **دعائم الإسلام**، ج1، ص213.

[3] حسين بن عودة: **المرجع السابق**، ج2، ص142.

[4] أحمد بن حنبل: **المصدر السابق**، مسند أبي هريرة، ج13، ص198، رقم الحديث [7787]، البخاري: **المصدر السابق**، ج1، ص16، رقم [37]، مسلم: **المصدر السابق**، ج1، ص523، رقم [759]، أبو داوود: **المصدر السابق**، ج2، ص49، رقم [1371]، الترميذي: **المصدر السابق**، ج3، ص162، رقم 808، النسائي **المصدر السابق**، ج3، ص201، رقم [1602]

[5] ابن أبي زيد: **الرسالة**، ص87.

[6] والذاهبون إلى هذا القول يستدلون بفعل الرسول صلى الله عليه وسلم وأن عدم المواظبة عليها مخافة أن تكتب على المسلمين وتشق عليهم، وكذلك قيام الصحابة فرادى وجماعات حتى جمعهم عمر بن الخطاب على أبي بن كعب وقد استحسن الصحابة ذلك ولم ينكروا، ومما يستدلون به أيضا حديث أبي ذر: «إنه من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة». ينظر الترميذي ، **سنن الترميذي**، ج3، ص163، وقوله صلى الله عليه وسلم وقوله صلى الله وسلم: «اقتدوا بالخلفاء»، ابن قدامة: **المصدر السابق**، ج2، ص125.

[7] **نفسه**، ج2، ص124.

عليا رضي الله عنه قام بهم في رمضان، وأنه مر علي على المساجد وهي مضاءة بالقناديل في رمضان فقال: «نور الله على عمر قبره، كما نور علينا مساجدنا»[1]، ولم يكن ترك قيام رمضان من قبل رسول الله صلى الله عليه إلا رفع للحرج على المسلمين ومخافة أن تفرض عليهم ويشق عليهم ذلك فيأثم من يتركها.

2-الصيام :

كما هو معلوم عند أهل السنة فصوم شهر رمضان فريضة، يبدأ الصيام فيه برؤية الهلال، ويفطر برؤيته أيضا ثلاثون أو تسعة وعشرون يوما[2]، وهذا لقوله تعالى {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ..}[3]، فالصوم عند المالكية فرض عين يكون بمشاهدة الهلال أو شهادة عدلين[4]، والمقصود بالعدلين الذكران المكلفان المسلمان الحران، فلا يصام بشهادة رجل واحد ولا برجل وامرأة ولا برجل وامرأتين[5]، ومن شاهد الهلال[6] عليه بإعلام الإمام فقد يكون هناك من رآه أيضا فتتوفر

---

[1] ابن قدامة: **المصدر السابق**، ج2، ص124.

[2] ابن أبي زيد: **الرسالة**، ص83.

[3] سورة البقرة: الآية رقم: [185].

[4] أبو بكر بن حسن الكشناوي: **أسهل المدارك «شرح إرشاد السالك في مذهب إمام الأئمة مالك»**، ط2، دار الفكر، بيروت، لبنان، ج1، ص414.

[5] محمد بن عبد الله الخرشي: **شرح مختصر خليل للخرشي**، دار الفكر، بيروت، ج2، ص234.

[6] اختلف العلماء في صوم من رأى الهلال وحده فمنهم من يقول وجب عليه الصوم لقوله صلى الله عليه وسلم)صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته) ومن رأى بأن الصوم والفطر مع الجماعة لقوله صلى الله عليه وسلم (الصوم يوم تصومون، والفطر يوم تفطرون، والأضحى يوم تضحون)، وعليه وجب على من رأى الهلال ورد الإمام شهادته اتباع الجماعة وعدم مخالفة المسلمين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في هذه المسألة أن فيها ثلاثة أقوال: الأول أن يصوم ويفطر سرا وهو قول الشافعية، والثاني أن يصوم ولا يفطر إلا مع الجماعة وهو قول أحمد ومالك والحنفية، والثالث يصوم ويفطر مع الجماعة وهو الراجح عنده للحديث السابق (الصوم يوم تصومون....).انظر ابن تيمية: **مجموع الفتاوي**، ت عبد الرحمان بن محمد قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1416هـ/1995م، ج25، ص115، حسين العوايشة: **المرجع السابق**، ج3، ص211/210.

شهادة العدلين، فان لم يوجد غيره رد الإمام شهادته، ولكن هو وجب عليه الصوم[1]، وإن كان هلال الفطر قال فلا يفطر درءا للفتنة ولينوي الفطر بقلبه ويمسك عن الأكل والشرب[2].

فان حال ما يمنع رؤية الهلال كالغيم أو الغبار، فيكمل عدة الشهر ثلاثين يوما سواء شهر شعبان أو شهر رمضان[3]، قال أشهب: «فإن غم أكمل شعبان ثلاثين يوما، فإن غم هلال شوال أكمل رمضان ثلاثين يوما»[4]، لقوله صلى الله عليه وسلم: (إِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَصُومُوا، وَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَأَفْطِرُوا، فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَاقْدِرُوا لَه)[5]، وهذا دليل على وجوب الصوم والإفطار لرؤية الهلال، ولا يلزم رؤية الهلال من جميع أهل البلد، فان رآه بعضهم وثبت وجب الصيام على جميع المكلفين[6]، ولا يجوز صوم يوم الشك تحرزا واحتياطا أن يكون من شهر رمضان جاء في النوادر والزيادات: «ولا يُجْزئ من صامه تحريًا وإن وافقه» ولا بأس في صومه تطوعا[7]، وعليه فصوم رمضان والفطر للعيد مبني على ثلاثة أشياء: رؤية الهلال فان لم تكون هناك رؤية فبشهادة عدلين، فان لم تكن هناك شهادة فبإتمام عدة الشهر ثلاثين يوما[8].

خالف العبيديون والشيعة عموما السنة وما هو متواتر عند المسلمين بالاعتماد على الرؤية الشرعية للهلال لصوم رمضان، واستبدلوا ذلك بالحساب الفلكي القائم على إتمام عدة الشهر ثلاثين يوما[9]، استنادا إلى علم الباطن والظاهر عند الإسماعيلية فقالوا الهلال كالظاهر لأنه مشاهد والحساب كالباطن لأنه معقول، فقاموا بالحساب من أول السنة فان وافق الهلال حسابهم قالوا بأن الباطن وافق الظاهر وإلا فقد غم[10]، ثم جعلوا الشهور القمرية شهرا تاما

---

[1] خلف ابن أبي القاسم البراذعي: **التهذيب في اختصار المدونة**، ت محمد الأمين ولد محمد سالم بن الشيخ، ط1، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، 1423هـ/2002م، ج1، ص351.

[2] ابن أبي زيد: **النوادر والزيادات**، ج2، ص7.

[3] الكشناوي: **المرجع السابق**، ج1، ص415.

[4] ابن أبي زيد: **النوادر والزيادات**، ج2، ص5.

[5] مسلم: **المصدر السابق**، ج2، كتاب الصوم، باب وجوب الصوم لرؤية الهلال، ص759، رقم الحديث: [1080].

[6] الكشناوي: **المرجع السابق**، ج1، ص415.

[7] ابن أبي زيد: **النوادر والزيادات**، ج2، ص7.

[8] الحطاب: **مواهب الجليل**، ج2، ص381.

[9] موسى هيصام: **المرجع السابق**، ج1، ص259.

[10] رزق الله أيوب إبراهيم: **التاريخ الفاطمي الاجتماعي**، ط1، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، لبنان، 1997م، ص238.

ثلاثين يوما وشهرا ناقصا تسعة وعشرون يوما فكان شعبان ناقصا ورمضان ثلاثون يوما[1]، كما ينسبون إلى جعفر الصادق جدول في حساب الشهور وهو مفترى لا علاقة لجعفر به جاء شخص آخر، كما قالوا أن خامس رمضان الماضي هو أول رمضان القادم[2]، فكان اعتمادهم الكامل على الحساب الفلكي في تحديد ميعاد دخول شهر رمضان وموعد عيد الفطر، بل وأجبروا الناس على الفطر في رمضان دون تحري الهلال وفقا لحساباتهم في تحديد بدايات الصوم والفطر والشهر القمري على العموم[3].

قول أهل السنة لا يجوز العمل بالحساب الفلكي[4] وهذا قول المالكية[5] «أن الهلال لا يثبت بقول المنجم»[6]، وفي هذا الصدد قال العبدري: «لا ينظر في الهلال إلى قول المنجمين لأن الشرع قصر ذلك على الرؤية، أو الشهادة، أو إكمال العدة، فلم يجز إثبات زيادة عليه»[7]، وهذا ما أجبر علماء المالكية بمخالفة العبديين، والفتوى بوجوب تحري الهلال رغم ما تعرضوا له من مضايقات وصل الحد إلى السجن والقتل، رغم كل هذا لم ينثنوا عن التمسك بصحيح السنة وتعدي حدود الله ، والإفتاء بالفطر في يوم رمضان أو الصوم دون رؤية الهلال.

ومما خالف فيه العبيديون أهل السنة صوم المسافر، فقال العبيديون بوجوب الفطر في السفر ولا يجوز للمرء أن يصوم، وإن صام رمضان في سفر وجب عليه القضاء، ولا تعتد الأيام التي صامها وإنما هي إمساك عن الطعام والشراب، ويسوقون في ذلك حديث عن جعفر الصادق رحمه الله، أن رسول الله صلى عليه وسلم سافر مع جماعة فأمرهم بالإفطار فمن امتنع منهم عن الفطر سماهم العصاة، وهذا مخالفا لما جاء القرآن بوجوب الفطر في السفر[8]،

---

[1] أميرة الشيخ رضا: **الفاطميون تاريخهم وآثارهم في مصر**، مكتبة ناشرون، بيروت، لبنان، 1998م، ص213.

[2] ابن تيمية: **مجموع الفتاوي**، ج25، ص ص133، 179، 180.

[3] الدباغ: **المصدر السابق**، ج2، ص49.

[4] الكشناوي: **المرجع السابق**، ج1، ص202.

[5] أبو العباس أحمد الصاوي: **بلغة السالك لأقرب المسالك المعروف بحاشية الصاوي على الشرح الصغير**، دار المعارف، بيروت، ج1، ص685.

[6] الحطاب: **مواهب الجليل**، ج2، ص387.

[7] محمد بن يوسف العبدري: **التاج والإكليل لمختصر الخليل**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1416ه/1994م، ج3، ص289.

[8] القاضي النعمان: **دعائم الإسلام**، ص276.

أما عند أهل السنة وباتفاق أصحاب المذاهب الأربعة فإنه يجوز للمسافر الصوم وأيضا يجوز له الفطر[1]، وهذا لقوله تعالى: { وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}[2]، وحديث أبي سعيد الخذري الذي قال فيه: (كُنَّا نُسَافِرُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رَمَضَانَ، فَمِنَّا الصَّائِمُ، وَمِنَّا الْمُفْطِرُ، فَلَا يَعِيبُ الصَّائِمُ عَلَى الْمُفْطِرِ، وَلَا الْمُفْطِرُ عَلَى الصَّائِمِ)[3]، قال الإمام مالك: «والصوم في السفر أحب إليّ لمن قوي عليه»[4]، وهذا طبعا إذا لم يكن في صومه مشقة وإضرار بنفسه، فكمال الدين الإسلامي في جلب المنافع ودرء المضار، وإذا صام المسافر معرضا نفسه للتهلكة هذا خلاف ما أمر به الله تعالى ونبيه الكريم وما تبعه فيه صحابته الكرام رضوان الله عليهم.

3-الزكاة:

قال العبيديون بفرض الزكاة[5] يدفعها أغنياء المسلمون على أن تدفع للأئمة وهم من يقومون بصرفها في أوجهها، وأنه لا يعلم مقدار كل مستحق للزكاة من الأوجه التي ذكرت في الآية{ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}[6] التي وضحت الأصناف المستحقين للزكاة، فهو يتغير حسب الزمان ولا يعلم مقداره إلا إمام الزمان، ونفوا جواز دفع الزكاة لمن تولى المسلمين من غير أئمتهم حتى الخلفاء الراشدون رضوان الله عليهم، فمانعي الزكاة في خلافة أبي بكر رضي الله عنه مخطئون في منعها وفي نفس الوقت محقون في منعها عن أبي بكر على حد زعمهم.

فكيف يعطى العاملون عليها، ومن استعملهم ليس الإمام وكيف يعطى المؤلفة قلوبهم وهم لم يتألفوا الأئمة، وكيف تصرف في سبيل الله والجهاد، وعندهم الجهاد لا يقوم إلا بالأئمة،

---

[1] ابن تيمية: **مجموع الفتاوي**، ج25، ص211.

[2] سورة البقرة: الآية رقم [184].

[3] أحمد بن حنبل: **المصدر السابق**، ج18، مسند المكثرين من الصحابة، ص49، رقم الحديث [11470].

[4] البراذعي: **المصدر السابق**، ج1، ص355.

[5] هي الركن الثالث من الإسلام مقدار من مال مخصوص لمالك مخصوص على وجه مخصوص بشرط الحول والنصاب. حسين بن عودة العوايشة: **المرجع السابق**، ج3، ص11.

[6] سورة التوبة: الآية رقم [60].

كما أن الله عز وجل حرم أموال الصدقات على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته وإن دخلوا ضمن مجموع مستحقيها من فقراء ومساكين وعاملين عليها، وقول جعفر الصادق «لا تحل الصدقة لي ولأهل بيتي الصدقة أوساخ الناس»[1].

حسبهم فقد عوض الله عز وجل الأئمة وأهل البيت بالخمس وينقل النعمان في ذلك قول جعفر الصادق بعد أن سئل هل تدخل الزكاة ضمن ما حرم على أهل البيت: « نعم، قد عوضنا الله في ذلك بالخمس»[2]، واصطلحوا عليه تسمية الغنيمة وهذا من قوله تعالى: { وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[3]، وقد فسرت الغنيمة في الآية على أنه كل ما يكتسبه الإنسان في حياته ولا يقتصر على ما أخذ من أيدي المشركين[4].

فالخمس يخرج فيما يفضل على مؤونة سنته، من أرباح التجارة وسائر المكاسب ويدخل ضمنها العمل في الزراعة والمهن كالتعليم والبناء وما شابه، وما كسب من العبادات الإستيجارية كالحج وتعليم الأطفال، بل وأدخلوا ضمنها ما حصل بغير الاكتساب كالهدية والهبة والوصية وعوض الخلع والمهر، يعنى كل مكسب وإفادة للإنسان سواء قليلة أو كثيرة فإن للإمام خمسه[5]، فالخمس واجب في كل مكسب فان أخرج الخمس ووصل ماله الزكاة أخرج الزكاة، وحذروا من التغافل والتراخي عن إخراجه، فهو أمانة وعدم إخراجه خيانة للأمانة ولله ورسوله، واستدلوا في ذلك بقول جعفر الصادق: «الخمس لنا أهل البيت، ليس للناس معنا فيه شيء، ونحن شركاء معهم في أربعة أخماس ما شهدناه معهم، والخمس لنا دونهم نعطي منه يتامانا وفقرائنا ومساكيننا وابن سبيلنا، وليس لنا ولهم في الصدقات شيء»[6].

---

[1] القاضي النعمان: **دعائم الإسلام**، ص241، ص258.

[2] **نفسه**، ص260.

[3] سورة الأنفال: رقم الآية [41].

[4] القاضي النعمان: **الهمة**، **ص** ص80-81.

[5] ناصر بن عبد الله الفقاري: **الخمس عند الشيعة الإمامية وجذوره العقدية**، ط1، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة، السعودية، 1437هـ/2016م، ص ص25-27.

[6] القاضي النعمان: **الهمة**، ص80.

قسموا هذا الخمس على حسب تأويلهم للآية فخمس الله يعود للرسول صلى الله عليه وسلم، وبعد وفاته يرجع لإمام الزمان، وخمس لأولي القربى وهم الأسس قرابة الرسول صلى الله عليه وسلم وأوصيائه وخلفاءه بعد موته، واليتامى وهم الأئمة أيضا على حد زعمهم كون الإمام فرد منقطع لا مثيل له في زمانه، والمساكين وهم حجج الأئمة، وابن السبيل وهم طبقات الدعاة كونهم يهيمون في الأرض لتبليغ دعوة إمام الزمان[1]، فجحدوا من نصت عليهم الآية في الخمس وحصروها في أئمتهم وأتباعهم المقربين أكلا لأموال الناس بالباطل، كما قرن القاضي النعمان الآية الكريمة التي ذكرت مستحقي الزكاة، ففسر الفقراء بالنطقاء، والمساكين هم الأسس، والعاملين عليها هم الأئمة، وفي الرقاب فهم الدعاة[2]، وبهذه التأويلات رخص أئمة العبيديين أكل أموال الناس وصاغوا في ذلك البراهين والحجج معتمدين على علم الباطن كما زعموا.

تبعهم في ذلك فقهاء الشيعة عبر العصور من أجل تحصيل المال بغير وجه حق، وشددوا في الوعيد لمن منع الخمس وكفروا من استحل منعه، كونه أكل مال اليتيم والأئمة هم اليتامى[3]، بل واستحلوا أموال المسلمين فقالوا: «مال الناصب وكل شيء يملكه حلال»[4]، وهذا حسب القاعدة الفقهية عندهم، القائلة بأن كل شيء في الدنيا ملك لهم، كونه لِلّه عز وجل، وما كان لله كان للرسول صلى الله عليه وسلم، وما كان للرسول فهو لهم، ويحرضون أتباعهم على نهب أموال المسلمين سواء بحق أو بغير حق، كالسرقة والنصب، ثم ما عليه إلا دفع الخمس لتصبح حلالا، وافتروا في ذلك حديث لجعفر الصادق: الصادق عليه السلام، قال: «خذ مال الناصب حيثما وجدته وادفع إلينا الخمس»[5] أي معليه إلا دفع الخمس لتحليلها وله التصرف فيها حلال طيبا كما يشاء، وهذا ما يسر لهم جمع أموال طائلة استخدموها في نشر دعوتهم والتمكين لها، وللتأثير على العامة والعلماء ومحاولة استمالتهم بالمال وفتنهم، كبعض الفقهاء

---

[1] لقاضي النعمان: **تأويل الدعائم**، ص76.

[2] القاضي النعمان: **مفاتيح النعمة**، ص ص37-38.

[3] ناصر بن عبد الله الفقاري: **الخمس عند الشيعة**، ص34.

[4] حسن البروجردي: **جامع أحاديث الشيع**، المطبعة العلمية، لبنان ج8، ص533.

[5] يوسف البحراني: **الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة**، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين، مدينة قم، إيران، 1397هـ، ج18، ص155.

الأحناف والمالكية الذين تشرقوا طمعا في المال كما سنورد لاحقا، وهناك دلائل تاريخية على حصولهم على ما لا يحصى من الأموال، ذكرتها المصادر عن الأموال التي جمعها العبيديون في سلمية في نفق تحت الأرض[1].

عند أهل السنة القول بخمس مكاسب المسلمين يعطى للأئمة أو من ينوب عنهم، فلا اعتبار له في الكتاب ولا السنة ولا عند صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا حتى عند أهل بيته[2]، فالخمس ثابت في الكتاب والسنة ولكن له ضوابط وفي مجالات معدودة وهي «الغنيمة» «والفيء» والركاز»[3]، وحصروا الغنيمة في المال المكتسب من الجهاد وقتال الكفار عكس الشيعة الذين جعلوا الغنيمة شاملة لكل ما يحصله المرء من مكاسب كما سبق الذكر، وقد اتفق العلماء في أن الصدقة لا تجوز لرسول الله وآل بيته لقوله صلى الله عليه وسلم: (إن الصدقة لا تحل لنا، وإن موالي القوم من أنفسهم)[4]، كما أنها لا تجوز لبني هاشم وبنو الحارث وبنو عبد المطلب لانهم من آل محمد[5]، فكانت نفقة رسول الله صلى الله عليه وسلم مما أفاء الله عليه من أموال بني النضير، ومصارف الفيء مذكورة في الآية الكريمة[6]، قال مالك أن خمس الغنائم والركاز سبيله سبيل الفيء، فيعطى منه الفقراء والمساكين وابن السبيل، ثم يساوى

---

[1] المقريزي: **المصدر السابق**، ج1، ص27.

[2] ابن تيمية: **منهاج السنة**، ج6، ص105.

[3] الغنيمة هي المال المأخوذ من أعداء الإسلام عن طريق الحرب وتسمى أيضا الأنفال، والفيء ما حصله المسلمون من أموال الكفار من غير حرب ولا قتال وهو ما أفاء الله به عليهم، والركاز كما عرفه مالك هو المعدن أو المال المدفون من عهد الجاهلية وحصل دون ما طلب أو عناء كثير ولا نفقة. انظر حسين بن عودة العوايشة: **المرجع السابق**، ج3، ص87، ج7، ص197، ص245.

[4] الألباني: **المصدر السابق**، ج4، ص149، رقم الحديث [1613].

[5] ابن تيمية: **منهاج السنة**، ج4، ص294.

[6] {مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ * لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ}، سورة الحشر: الآيات [7-10].

بين الناس فقيرهم وغنيهم، كما يصرف في المصالح العامة للدولة، كبناء المساجد والطرق وتدعيم التحصينات والسلاح وسد الثغور والحروب وغيرها[1].

اختلف العلماء في خمس الغنيمة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، فقال بعضهم سقط بموت النبي صلى الله عليه وسلم، وقالت طائفة هو لذوي قربى ولي الأمر، أما قول أكثر السلف أما الخمس يصير إلى ولي الأمر يقسمه باجتهاده في طاعة الله والرسول كما الفيء مصرفهما واحد[2]، وفي هذا الصدد يقول الإمام مالك: « ويسلك بخمس الركاز مسلك خمس الغنيمة والفيء»[3]، كما قال مالك وجمهور السلف حسب ما نقل ابن تيمية: «أن مصرف الخمس والفيء واحد، وأن الجميع لله والرسول»[4] والخلاف بينهما في تخميس الفيء والراجح على قول الجمهور بأنه لا يخمس[5].

[1] ابن أبي زيد القيرواني: **النوادر والزيادات**، ج3، ص198.

[2] ابن تيمية: **منهاج السنة**، ج6، ص104.

[3] ابن أبي زيد القيرواني: **النوادر والزيادات**، ج2، ص298.

[4] ابن تيمية: **منهاج السنة**، ج6، ص109.

[5] **نفسه** ج6، ص107.

ثالثا: أبواب أخرى

1-تقييد حرية فقهاء المالكية والتضييق عليهم

إلى جانب التواجد العسكري والسيطرة على بلاد المغرب الإسلامي، حاول العبيديون نشر مذهبهم الشيعي الإسماعيلي، وبحكم سيطرة المذهب المالكي على بلاد الغرب الإسلامي، إذ كان يمثل السواد الأعظم من حيث عدد المنتسبين للمذهب، والمكانة التي كان يحظى بها العلماء وفقهاء المالكية بين عامة الناس، وكذا تعلق المغاربة بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم على مذهب إمام دار الهجرة أنس بن مالك رحمه الله، فإن التشريعات التي جاء بها العبيديون لاقت الرفض الكامل من المغاربة، ما عدا حالات قليلة من قبائل البربر، لتناقض هذه التعاليم الدينية، مع ما عهده الأهالي من تعاليم الإسلام التي انتشرت بينهم، فرفضوا الأخذ بالمذهب العبيدي، مستندين في ذلك على آراء وفتاوي فقهاء المالكية من أهل المنطقة، هذا ما شكل عثرة في طريق العبيديين من أجل السيطرة الفكرية ونشر مذهبهم، وكان لزاما عليهم من أجل نجاح أهدافهم، محاربة المذهب المالكي ورجالاته، من خلال عدة آليات وطرق كانت في معظمها ردعية وشديدة في حق العلماء نذكر منها:

تحريم الفتوى بمذهب الإمام مالك رحمه الله ومعاقبة كل من سولت له نفسه العمل بذلك، وسنوا لذلك عقوبات بين الضرب المبرح، والتشهير، والطواف بالفقيه أو المفتي على مذهب مالك بالأسواق والأزقة، من أجل إذلاله أولا وإرهاب العامة كي لا يأخذوا عن هؤلاء الفقهاء[1]، وكذا ثني باقي الفقهاء من الإفتاء على مذهب الإمام مالك، وأباحوا الفتيا لمن تشرق واخذ بمذهبهم، جاء في رياض النفوس في هذا الصدد: «وأمر الفقهاء أن لا يفتوا ولا يكتبوا وثيقة إلاّ من تشرّق وكفر»[2]، أي من دخل مذهبهم الذي يزعمون أنه مذهب جعفر الصادق[3].

مصادرة مصنفات أهل السنة وإتلافها ومنع تداولها، ومعاقبة كل من وجد عنده من كتب الفقه المالكي أو ما يمت لها بصلة، فلما مات الشيخ عبد الله التجيبي خلف ما يزيد عن سبعة قناطير من الكتب، قام العبيديون بالاستحواذ عليها ومصادرتها لقصر العبيدي ومنع

---

[1] الحسين شواط: **المرجع السابق**، ص76.

[2] المالكي: **المصدر السابق**، ج2، ص56.

[3] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص159.

الناس منها، وكانت هذه الكتب في شتى العلوم فأخذ ما ينفعه منها وأتلف الباقي[1]، وأرسل إلى سعدون بن أحمد الخولاني[2] (ت325هـ/935م) بعض أتباعه فحمل إليه مقيدا ومعه كتبه، بعد أن بلغه أنه يملك كتب في الفقه المالكي ويجتمع إليه الناس[3]، ووجدوا الموطأ عند رجل فقاموا بضربه والطواف به عقابا على امتلاكه كتاب في الفقه المالكي[4].

منع فقهاء المالكية من تصدر حلقات الذكر في المساجد والتدريس والاجتماع بطلبتهم، مع التمكين لدعاتهم من الشيعة لنشر ظلالاتهم وبدعهم ومحاربة الإسلام والسنة، ولم يبق إلا نشر العلم وطلبه سرا في الأماكن البعيدة والمعزولة، بعيدا عن العبيديين وأعينهم كقصور الرباط والمقابر، فكان بعض المشايخ يستتر بحائط المقبرة ويلقى الدروس على طلبته[5]، كما قام بعضهم الآخر بإلقاء الدروس في بيوتهم، مثلما فعل السبائي[6] (ت356هـ/966م)، الذي أمر بفتح بيته لنشر العلم ومحاربة الفكر العبيدي، بعد التضييق الذي تعرضوا له وقال في

---

[1] المالكي: **المصدر السابق**، ج2، ص423.

[2] الخولاني: أبو عثمان سعدون بن أحمد الخولاني، من العلماء المرابطين بقصر المنستير، أدرك سحنون ولم يسمع منه لكنه سمع من ابنه محمد، له رحلة إلى المشرق فسمع بمصر من محمد بن عبد الحكم وغيره، ومن سمع منه ابن أبي زيد وربيع القطان، فكان عظيم الشأن رفيع القدر وله عديد الفضائل والمحاسن وحسن نظر وفقه، توفي (ت325هـ/935م) وهو ابن مائة عام سليم العقل. انظر ترجمته: انظر ترجمته الدباغ: **معالم الإيمان**، ج3، ص177، القاضي عياض: **المدارك**، ج8، ص59، ابن فرحون: **المصدر السابق**، ج1، ص17المالكي: **المصدر السابق**، ج2، ص251، ابن مخلوف: **المرجع السابق**، ج1، ص123.

[3] المالكي: **المصدر السابق**، ج2، ص259.

[4] محمد بن الحسن بن العربي: **الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1416هـ/1995م، ج2، ص81.

[5] الدباغ: **المصدر السابق**، ج3، ص39.

[6] أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد السبائي: أحد العلماء العاملين ومن أولياء الله المعدودين، سمع من أبي جعفر بن نصر وأبي جعفر القصري، وممن صحبه وكان يتذاكر العلم عند ابن أبي زيد، والقابسي وابن شبلون، كان يقتدي به أهل القيروان في حال النوازل ويقلدونه وكان رحمه الله ذا فراسة مستجاب الدعاء، وله في ذلك كرامات نقلها عنها من عاصره ومن بركة دعائه أن عصمه من العبيديين وهو مقيم بالقرب منهم مجاهر بعدواتهم، وكان الفقيه أبو جعفر بن نصر يقول: «لو وزن إيمان أبي إسحاق بإيمان أهل المغرب لرجحهم»، ومن الفقهاء الذين لهم مآثر ضد العبيديين سنذكرها في محلها. أنظر ترجمته: الدباغ: **المصدر السابق**، ج3، ص63وما بعدها، القاضي عياض: المدارك،ج6، ص54، ابن فرحون: **المصدر السابق**، ج1، ص262، المالكي: **المصدر السابق**، ج2، ص469، ابن مخلوف: **المرجع السابق**، ج1، ص140، أحمد بن محمد الحسني: **أزهار البستان في طبقات الأعيان**، تق عبد السلام العمراني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971م، ص61.

ذلك: «افتحوا باب داري، نأخذ في ذمهم، والتحذير منهم»[1]، وكان ابن التبان[2] (ت371هـ/981م) وابن أبي زيد يأتيان شيخهم ابن اللباد[3] (ت333هـ/944م) سرا ويجعلان الكتب تحت ثيابهم حتى تتبلل من العرق خوفا من العبيديين[4] «فكان من يأخذ عن العلماء إنما يأخذ سرا وعلى حال رقبة وخوف»[5]، فقاموا بحبس بعضهم وفرض الإقامة الجبرية على البعض الآخر فلا يبرحون بيوتهم[6].

2-التضييق على المذهب السني ومحاولة طمسه بشتى الطرق:

هذا من خلال سياسة الترهيب التي استخدمها العبيديون لإرغام العامة على الدخول في مذهبهم والتنكيل بمن رفض ذلك، وطبقوا ذلك عن طريق عدة آليات منها منع التجمعات خوفا من الثورة وخروج الناس عليهم[7]، فمنعوا الاجتماع إلى العلماء والسماع منهم كما سبق الذكر، ثم عمدوا إلى تفريق التجمعات التي تكون حول الجنائز كالجنازة التي حضرها أبو إسحاق

---

[1] القاضي عياض: **المدرك**، ج6، ص55.

[2] أبو محمد ، عبد الله بن إسحاق المغربي ابن التبان، عالم القيروان، وشيخ المالكية، تلميذ اللبيدي، في بداية طلبه للعلم قال: «كنت في أول ابتدائي ادرس بالليل، فكانت أمي تنهاني عن القراءة بالليل، فكنت آخذ المصباح واجعله تحت الجفنة وأتعمد النوم، فإذا رقدت أخرجت المصباح وأقبلت على الدرس»، قال القاضي عياض: ضربت إليه آباط الإبل من الأمصار لذبه عن مذهب أهل المدينة، وكان حافظا بعيدا من التصنع والرياء ، فصيحا، كبير القدر، عالماً بالفقه والنحو والحساب والنجوم، من تلاميذه: أبو القاسم التستري، ومحمد بن ادريس بن الناظور، وأبو محمد بن يوسف الحجي، وأبو عبد الله الخرّاط وابن اللبيدي، توفي سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة، انظر ترجمته: الدباغ: **معالم الإيمان**، المصدر السابق، ج2، ص432 الذهبي: **السير**، ج16ن ص319، القاضي عياض: المدارك،ج6، ص248، المالكي: **المصدر السابق**، ج2، ص316، ابن مخلوف: **المرجع السابق**، ج1، ص143، محمد محفوظ: **المرجع السابق**، ج1، ص ص150-151.

[3] ابن اللباد: هو أبو بكر محمد بن محمد بن وشاح اللخمي، فقيه وعالم من أهل القيروان، (ولد سنة 25هـ/864م)، أخذ عن يحي بن عمر وحمديس القطان وغيرهم، وممن أخذ عنه ابن أبي زيد وابن التبان وابن حارث، قال عنه الذهبي العلامة مفتي المغرب وبحر من بحور العلم، عرف عنه التقلل من الدنيا كما أنه كان مستجاب الدعاء وله في ذلك آثار، من الفقهاء الذيهن عانوا من تضييق العبديين فبقي ممنوع من الفتيا والسماع واجتماع الناس إليه حتى وفاته سنة (433هـ944م). انظر ترجمته: القاضي عياض: **المدارك**، ج5، ص286، المالكي: **المصدر السابق**، ج2، ص283، الذهبي: **السير**، ج15، 360، الزركلي: **المصدر السابق**، ج7، ص19، محمد محفوظ: **المرجع السابق**، ج2، ص199.

[4] الدباغ: **المصدر السابق**، ج3، ص25.

[5] الفاسي: **المرجع السابق**، ج2، ص183.

[6] الدباغ: **المصدر السابق**، ج3، ص39.

[7] الحسن شواط: **المرجع السابق**، ص76.

الجبنياني (ت399هـ/1008م)، فهم معد بن نزار إلى الخروج إليهم، بعد أن وصله خبر الحظوة التي ينالها الجبنياني واجتماع الناس من حوله، لكن أثناه عن الخروج إليهم تحذير وزراءه، من أبي إسحاق وبركة دعائه[1].

نذكر أيضا من آليات التضييق، منع التجول بالليل وفق ساعات محددة، تبدأ بإعلان ذلك عن طريق البوق، فمن وجد بعد ذلك يقتل، وسخروا لذلك العسس والحرس والرصد الشديد، يتمركز هؤلاء العسس في نقاط مختلفة ومعهم الكلاب المدربة لترصد المخالفين[2].

كما أنشأوا ما عرف عندهم «بديوان الكشف»[3]، وممن تولى هذا الديوان أبو جعفر البغدادي وعمران بن أبي خالد بن أبي سلام[4]، وكانت مهمة هذا الجهاز الكشف عن المخالفين لعقائد الشيعة الإسماعيلية من القضاة والمفتين والفقهاء والتخلص منهم[5]، وممن تعرض للمضايقات من هذا الجهاز أبو إسحاق الجبنياني، حيث ترصد له شيخ كتامي خلف حصير في المسجد، وشاهد طريقة آذانه وصلاته، فلما فرغ خرج عليه وألبه على عدم الالتزام بالمذهب الشيعي في الآذان والبسملة والتسليم، وهدده بشكواه للعبيدي، ولكن نجاه الله بفضل منه تعالى، واستجابة دعاءه على الرجل الذي عمي بعد ذلك، فأثنى ذلك معد عن تتبعه وعقابه[6].

لعل أغرب ما تم روايته عن سياسة العبيديين في محاولتهم لطمس المعالم السنية وكل ما يرتبط بالمنهج السني في البلاد، وتعرية البلاد من تراثها المذهبي المالكي، في محاولة يائسة لضرب تاريخ المنطقة، هو أمر عبيد الله بإزالة الأسماء من على المساجد والبنايات والحصون والقصور والقناطر، التي تؤرخ لمؤسسيها وبناتها وأن يكتب بدل ذلك اسمه[7]،

---

[1] القاضي عياض: **المدارك**، ج6، ص238.

[2] الدباغ: **المصدر السابق**، ج3، ص70.

[3] ديوان الكشف: لم تفدنا المصادر بمهام هذا الجهاز لكن يمكن الجزم أن شبيه بجهاز المخابرات حاليا، فأسس من أجل كشف المعارضين والمناوئين للنظام، وله علاقة بصاحب الخبر الذي كان من مهامه نقل الأخبار للسلطة. انظر القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص303 عبد الحفيظ رحيمي: **المرجع السابق**، ص56، إسماعيل سامعي: **المرجع السابق**، ص169.

[4] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص162.

[5] موسى هيصام: **المرجع السابق**، ج2، ص278.

[6] القاضي عياض: المدارك، ج6، ص238.

[7] المالكي: **المصدر السابق**، ج2، ص56، ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص159.

بالإضافة إلى مصادرة أموال الربط والأحباس التي كانت قوت لطلبة العلم ومن يقوم على نشر العلم والفقه، وملاذ لمن انقطع عن الدنيا وسبل نفسه في سبيل الله، سواء لنشر العلم أو للجهاد والدفاع عن عورات المسلمين، كما صادر الأسلحة التي كانت بها وبالحصون[1].

[1] **نفسه**، ج2، ص56.

المبحث الثاني: رد فعل فقهاء المالكية على التواجد العبيدي

اختلفت ردود فعل فقهاء المالكية بالغرب الإسلامي تجاه بنو عبيد إبان دخولهم البلاد وسيطرتهم عليها، فكان موقف أغلبهم الإنكار العلني والمعاداة الصريحة لهم قولا وفعلا، فيما ركن بعض الفقهاء إلى العبيديين وانظموا إلى دعواهم لأسباب مختلفة، لكن أعدادهم قليلة مقارنة بمن خالفوا وعادوا العبيديين، وحتى بمن انضم للدعوة الإسماعيلية صراحة من الفقهاء الأحناف، وهذا حسب ما أورد الخشني في كتابه قضاة قرطبة وفقهاء القيروان في قوله: «ذكر من تشرق ممن كان ينسب إلى علم، من أهل القيروان»[1]، كإسحاق ابن أبي المنهال وجعفر بن أحمد بن وهب[2] وغيرهم كثير.

الملاحظ عن الأسباب التي دفعت إلى تشرق هؤلاء الفقهاء، كانت في معظمها أسباب دنيوية وطمعا في المال والمناصب، ولم تكن قناعة بالمذهب وطمعا في نيل الأجر والفلاح يوم القيامة، فيما بقي بعض الفقهاء على مالكيتهم، لكن أبدوا بعض التعاطف والميول إلى العبيديين، ويمكن تقسيم الفقهاء حسب موقفهم من الدعوة العبيدية إلى ثلاث أقسام: فئة اختارت صف الدولة العبيدية وانظموا إليها صراحة، وفئة رغم تمسكها بمالكيتها ومرجعيتها الدينية، إلا أنها أبانت عن بعض التعاطف مع العبيديين، سواء هذا التعاطف ترجم عن طريق الأفعال، أو كان بإعطاء بعض الحق فيما ذهب إليه العبيديون، أما القسم الثالث فكان موقفهم الإنكار والمعاداة الصريحة لهم، وهذا القسم انطوى على فئتين رئيسيتين، فئة فضلت التزام الصمت واعتزال الوضع طلبا للسلامة ودرءا للفتنة، وهؤلاء قلة مقارنة بالفئة الثانية، والتي اختارت مواجهة المذهب الدخيل على المنطقة، بكل الوسائل والطرق الممكنة، وهم الذين مثلوا غالبية الفقهاء وأهل العلم من بلاد الغرب الإسلامي.

---

[1] الخشني: **قضاة قرطبة**، ص291 وما بعدها.

[2] جعفر بن احمد بن وهب ذكر الخشني أنه تولى مظالم القيروان من قبل ابن أبي المنهال. الخشني: **قضاة قرطبة**، ص291.

أولا: العلماء الذين تشرقوا وصاروا ضمن فريق العبيديين

تباينت الأسباب التي دفعت بعض الفقهاء المغاربة إلى التشرّق وانضمامهم لبني عبيد، فكانت في غالبيتها أسباب دنيوية بحتة، وصدرت من فقهاء ليسوا بالبارزين كثيرا حتى وهم على مالكيتهم، ما عدا قلة قليلة، وقد ذكرت المصادر كالخشني في كتابه قضاة قرطبة وعلماء القيروان، وصاحب معالم الإيمان، بعض المالكية الذين تشرقوا عن طيب خاطر منهم، واتبعوا المذهب الإسماعيلي للدولة العبيدية وتركوا المذهب المالكي، ومنهم أبو ربدة بن خلاد الذي تشرق أول دخول العبيدين وأوصى بجميع أمواله للسلطان حين وفاته[1]، وهذا ما ينم عن تأثر بعض المالكية بالفكر الشيعي.

فيما كان البعض متشيعين قبل وصول العبيديين إلى بلاد المغرب، فلما دخل العبيديون البلاد التحقوا بهم، مثل أبو عبد الله الكندي المعروف بابن اللقاطة، الذي تشرق أول قيام الدولة العبيدية، وفي هذا الصدد قال الخشني في وصف دخول ابن اللقاطة المذهب الشيعي: «وكان عراقيا منذ القدم»[2].

بل وصل الحد ببعضهم إلى التشيع والغلو في المذهب الشيعي كزرارة بن أحمد الذي تشرق وولي قضاء المهدية وكان من المغالين،[3] ومن الفقهاء الذين ذكروا بالغلو في أئمة العبيديين ابن عازي تشرق وكان يقول له «أنت أنت»[4]، يقصد أن المهدي هو الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، وابن غازي هذا كان رجل من المتصوفة يسكن الثغور ويطلب العلم، وكان ممن يحضر مجالس جبلة بن حمود الصدفي فإذا سمع بعض الكلام المؤثر تظاهر بالبكاء، فصدقت فراسة الصدفي فيه، إذ قال لهم حسب ما جاء في المدارك: «ليس يموت على الإسلام»[5].

---

[1] ربدة ابن خلاد: ذكر الخشني أنه ابن عم قاسم ابن خلاد الذي كان قد وُعِد بقضاء باجة فلما تشرق تم الاستغناء عنه الخشني: **قضاة قرطبة**، ص22.

[2] ترجم له الخشني في كتابه قضاة قرطبة أنظر **نفسه**، ص294.

[3] نفسه، ص295.

[4] الدباغ: **تراجم أغلبية**، ص284.

[5] القاضي عياض: المدارك، ج4، ص375.

فيما تشيع بعض الفقهاء طلبا للرياسة والحكم أو طمعا في المناصب، مثل إسحاق ابن أبي المنهال[1] الذي ولي قضاء صقلية ثم القيروان[2]، وهو الذي أُمتحن على يديه ابن اللباد وقام بسجنه، والسبب في ذلك أن ابن اللباد كان حاضرا المسجد يصلي على جنازة، وجاء ابن أبي المنهال بجنازة أخرى فلما فرغ ابن اللباد، تقدم إسحاق للصلاة على الجنازة الثانية، فلم يصلي ابن اللباد خلفه[3]، وأُمتحن على يده الكثير من العلماء والفقهاء.

من الفقهاء الذين تشرقوا طلبا للمناصب والرياسة أيضا على سبيل المثال، قاسم بن خلاد الواسطي الذي وعد بقضاء باجة[4]، وجعفر بن أحمد بن وهب الذي تولى قضاء القيروان[5]، وأحمد بن بحر الذي تولى مظالم القيروان ثم طرابلس[6]، ولا طالما كانت مغريات المناصب والنفوذ سببا في حياد الكثير من العلماء عن جادة الصواب، والتاريخ مليء بالكثير من الأمثلة على ذلك، فلا يثبت أمام هذه المغريات إلا من رحم الله تعالى.

فيما تبع فقهاء آخرون دعوى بني عبيد من أجل الحصول على الوظائف، خاصة خطة الكتابة مثل عبد الملك بن محمد الضبي المعروف بابن البرذون[7]، أخو المقتول[8]، الذي غلب عليه حب النقود فكان يشتغل في كتابة الوثائق، وقد حصل مال وفيرا من وظيفته في كتابة الوثائق، ومثله أبو بكر بن سليمان الذي تشرق من أجل العمل ككاتب وجمع من عمله مالا

---

[1] إسحاق بن أبي المنهال: من كبار الفقهاء الأحناف الذين انضموا للدعوة العبيدية، تولى قضاء صقلية في عهد عبيد الله المهدي ثم نقل إلى القيروان، وجرى عزله ثم إعادته وبقي على ذلك حتى وفاة المهدي أين ثبته ابنه القائم على قضاء القيروان حتى مات، فكانت وفاته بعد (330هـ/941م)، ولم نعثر على تاريخ محدد للوفاة. عنه انظر ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص ص 182، 188، 189، النويري: **المصدر السابق**، ج28، ص117.

[2] الخشني: **قضاة قرطبة**، ص293.

[3] القاضي عياض: **المدارك**، ج5، ص282.

[4] الخشني: **قضاة قرطبة**، ص292.

[5] **نفسه**، ص292.

[6] محمد الجود القيرواني: **تاريخ قضاة القيروان**، ت أنس العلاني، ط1، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون (بيت الحكمة)، تونس، 2004م، ص96.

[7] الخشني: **قضاة قرطبة**، ص284.

[8] يقصد هنا ابراهيم بن محمد الضبي المعروف بابن البرذون وهو من أوائل من قتل من بني عبيد رفقة ابن هذيل، بعد ثباتهما على الحق ضد أبي العباس المخطوم أنظر ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص154.

كثيرا[1]، وهذا لأن العبيديين كانوا لا يعينون لهذه الوظائف إلا الموالين لهم ومن كان على مذهبهم[2]، ضمن السياسة العامة لهم في نشر مذهبهم والتضييق على المذاهب السنية الأخرى.

أيضا كان وراء الحصول على هذه الوظائف جمع مال كبير، وهذا لبسط العبيديين أيدي عملائهم ومن كان في خدمتهم في الاستيلاء على أموال من جرت عليهم دوائرهم، بتملك ما خلفوه من أموال وعبيد مثل ما فعله ابن أبي خنزير مع ما تركه ابن خيرون[3] بعد قتله،[4] ومثال آخر ما حدث مع أبو سعيد المعروف بالوكيل الذي كان من أهل الحديث ويحفظ أربعة ألاف حديث، كما بسط الله له في رزقه فكان من أصحاب المال الوافر، وحين مات نزل أبو معلم الكتامي وابن أبي خنزير أبو زيد الباهري، على داره وأخذوا أربعة آلاف مثقال بالإضافة للبز والجواهر، ولم يقفوا عند هذا الحد بل تعرضوا لابنه وعاقبوه وضرب بالسياط[5].

كما كانت هناك أساب مختلفة أخرى للتشيع، مثل حالة ربيع بن سليمان المعروف بابن الكحالة، الذي كان من رجال سحنون، والسبب في تشيعه أنه أُبتُليَ بغلام عند بني عبيد فتشرق حبا له[6]، ومن المالكية من كان ضعيف الشخصية قليل العزم فكان سببا في تشيعه، كأبو بكر القمودي، كان مالكيا في بدايته وناظر أبا العباس الشيعي وأفحمه، فأخذ أبو العباس يشير إليه ويقول والله إنك لتضعف أمرك عند أهلك، متأملا أن يدخل مذهبهم فخاف من سفك دمه، ولم يكن بشجاعة ابن الحداد[7]، وقال ابن عذارى أنه كان المسؤول عن ضرب السكة في دولتهم[8]، ومن أشهر من صار إلى المذهب الإسماعيلي وخدم العبيديين:

---

[1] الخشني: **قضاة قرطبة**، ص294.

[2] المالكي: **المصدر السابق**، ج2، ص56.

[3] هو أبو جعفر محمد بن خيرون المعافري الأندلسي الذي قتله عبيد الله المهدي بسعي من المروذي القاضي، فبطحه على بطنه وأمر السودان بالقفز على ظهر بأرجلهم حتى مات واستولى ابن أبي خنزير على أمواله، وكان هذا من سنة 300هـ/912م. وهو غير ابن خيرون المقرئ الذي توفي سنة 306هـ. انظر المالكي: **المصدر السابق**، ج2، ص52، ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج2، ص54

[4] المالكي: **المصدر السابق**، ج2، ص56.

[5] الخشني: **قضاة قرطبة وعلماء افريقية**، السيد، ص229.

[6] الخشني: **قضاة قرطبة**، ص292.

[7] نفسه، ص280.

[8] ابن عذارى: **المرجع السابق**، ج1، ص151.

القاضي النعمان

أبو حنيفة النعمان محمد بن المنصور بن أحمد بن حيون، المعروف بالقاضي النعمان (ت363هـ/974م)، اختلف في تحديد تاريخ ميلاده وكان على الغالب في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري بالقيروان، أما عن مذهبه فالشائع أنه كان مالكي المذهب ثم تشيع وفي هذا الصدد قال ابن خلكان: «وكان مالكي المذهب ثم انتقل إلى مذهبه الإمامية»[1]، وهو ما ذهب إليه الذهبي في قوله: «كان مالكيا، فارتد إلى مذهب الباطنية»[2]، وأضاف في «تاريخ الإسلام» أن ذلك كان من أجل الرياسة[3]، فيما ذهب بعض مؤرخي الشيعة أنه كان إماميا وآخرون أنه إسماعيليا[4]، والمرجح عندنا أنه كان مالكيا على مذهب عموم أهل القيروان والمغرب.

بدأ خدمته للدولة العبيدية في عهد أول خلفائها عبيد الله المهدي (ت322هـ/934م)، وجاء على لسانه حسب ما أورد في مجالسه قائلا: «وخدمت المهدي من آخر عمره تسع سنين وشهورا وأيام»[5]، مما يعني أن بداية خدمته للدولة العبيدية كان حوالي (312/924حتى 313/925م)، تقلد عدة مناصب للدولة العبيدية كالإمامة والخطابة نيابة عن المهدي، سواء بالقيروان أو المنصورية، ودرّس الناس بالجامع ونشر عقائد الإسماعيلية، ومن الوظائف التي تقلدها جمع الكتب واستنساخها، كما عمل على نقل الأخبار للمهدي وأحوال البلاد، أيضا يعد أول من تولى القضاء ولقب قاضي القضاة، فكان قاضيا على القيروان والمنصورية والمهدية وجميع أعمال إفريقية[6]، عاصر ثلاث أئمة عبيديين وهم المهدي وولده المنصور والمعز الذي رحل بالدولة إلى مصر وبها توفي القاضي النعمان.

خلف العديد من المؤلفات في الفقه الإسماعيلي، والعقيدة والتأويل، والسير والتراجم، والأدب والتاريخ، والوعظ والمناظرة وغيرها من الفنون، وتعتبر كتبه عمدة في التاريخ والعقائد

---

[1] ابن خلكان: **المصدر السابق**، ج5، ص416.

[2] الذهبي: **السير**، ج16، ص150.

[3] الذهبي: **تاريخ الإسلام**، ج8، ص221.

[4] القاضي النعمان: **المجالس والمسايرات**، مقدمة المحقق، ص6.

[5] نفسه، ص79.

[6] نفسه ص79وما بعدها.

الإسماعيلية خاصة في البلاد المصرية والمغربية، بحكم أن الفترة التي سبقته تميزت بالسرية والاعتماد على الرجال والدعاة في نشر المذهب، وتعد كتاباته من أقدم المصادر لدراسة التاريخ الإسماعيلي، فهي عمدة كل باحث والأصل الذي ينهل منه كل علماء المذهب[1]، ويفوق عدد مؤلفاته الخمسون مؤلفا ما عدا الضائع منها والذي لم يصلنا، ومن بين مصنفاته المتوفرة للقراء والباحثين نذكر على سبيل المثال كتاب افتتاح الدعوة، والمجالس والمسايرات، آداب إتباع الأئمة وغيرها من الكتب.

هذه أمثلة عن الفقهاء والمذكورين الذين مالوا إلى المذهب الإسماعيلي، غداة حكم الدولة العبيدية لبلاد المغرب الإسلامي، وكما رأينا من الأمثلة التي أوردناها، أنّ أغلب المنتمين للمذهب الشيعي العبيدي ممن كان ينسب إلى أهل العلم، أو حتى طلبته، كان السبب وراء اختيارهم المذهب الشيعي والدخول في الدعوة العبيدية، أسباب دنيوية كانت في معظمها من أجل الحصول على الوظائف والمناصب في أنظمة الحكم، ومنها تحصيل الأموال والجاه واكتساب مكانة وسط المجتمع لم يصلوا إليها بعلمهم.

[1] إسماعيل سامعي: **القاضي النعمان وجهوده في إرساء دعائم الخلافة الفاطمية والتطور الحضاري ببلاد المغرب ق4هـ/10م**، ط1، مركز الكتاب الأكاديمي، العراق، 1431هـ/2010م، ص334.

ثانيا: الفقهاء الذين تساهلوا في الحكم عليهم

لم يكن دخول الدولة العبيدية إلى بلاد الغرب الإسلامي بالأمر البسيط، ولم يكن خطرها على الدين الإسلامي أقل من الخطر على الساكنة والأهالي، كون العقيدة الإسماعيلية الباطنية هدفها النيل من الإسلام وضرب عقيدته السمحاء، وتحريفها عن مرادها الحقيقي في عبادة الله عزوجل وتوحيده، لذلك لم يتوانى كل من كان له دراية وعلم من أهل المنطقة في مقاومة أفكارهم بكل الوسائل المتاحة، ولم يتساهل العلماء مع من أبان بعض التعاطف مع العبيديين أو تساهل قليلا معهم، بل حتى من أنصفهم في بعض الأحكام عليهم.

لأن المرحلة كانت تستدعي المقاومة الكاملة للمد الشيعي وعدم التراجع أبدا، كون القضية قضية ثوابت وأصول لا يجوز المساس بها، ومن هذا المنطلق ظهر قسم من الفقهاء من أهل المنطقة، ورغم بقائهم على سنيتهم وتمسكهم بالمذهب المالكي، إلا أنهم تعرضوا للمقاطعة والترك من قبل عامة وعلماء البلد، وهذا لإظهارهم بعض التساهل أو التعاطف في الحكم على العبيديين ودولتهم ومعتقداتهم، وشذوا عن باقي الفقهاء في وقت كان لابد من تظافر الجهود وتكاثفها، ومن هؤلاء الفقهاء نذكر على سبيل المثال لا الحصر

أبو عثمان سعدون بن أحمد الخولاني: أدرك سحنون ولم يسمع منه، سمع من ابن سحنون ومحمد بن عبد الحكم ومن تلاميذه ابن اللباد والاشبيلي وربيع القطان، كان من العلماء الورعين مرابطا بقصر المنستير ذو مكانة رفيعة وذِكر محمود، وقيل أن الجان كان يخاطبه ويقضي له الحوائج[1]، ذكر أن هناك من حذر عبيد الله منه ومن اجتماع الناس إليه فأرسل من أحضره، فجيء به مقيدا وأحضرت معه كتبه، فلما رأت زوجة عبيد الله ذلك حذرته من أن يدعو على ولده وهو رجل صالح فأكرمه وخلى سبيله[2]، وقيل أن عبيد الله دعاه فذكر له بأحاديث في فضل علي فأكرمه وأثنى عليه، وكان يأتيه في التعازي والتهاني مداراة له[3]، كما كان عبيد الله يرسل له الأضاحي وبعض الأعطيات فيقبلها منه ويوزعها على المحتاجين[4]

---

[1] محمد بن فتوح الميورقي: **المصدر السابق**، ج1، ص123.

[2] المالكي: **المصدر السابق**، ج2، ص ص260-261.

[3] لدباغ: **المصدر السابق، ص** ص406-409.

[4] المالكي: **المصدر السابق** ج2، ص260.

مات (ت325هـ/935م) وعمر قرابة القرن[1]، وقال المالكي (ت227هـ/937م)[2]، قال الخشني أنه لقيه سنة (310هـ/920م) وكان بين _95 و97_ أي أنه عاش أكثر من قرن[3]، فهذه الأمور البسيطة لم يكن ليقبلها فقهاء القيروان من أقرانهم لسد جميع أبواب الفتنة العبيدية على المسلمين

أبو القاسم خلف بن أبي القاسم البراذعي الأسدي[4] ويعرف بالبراذعي ومن كُناه أيضا أبو سعيد، صاحب محمد بن أبا زيد والحسن القابسي، له عدة كتب منها كتاب «التهذيب» و«اختصار المدونة» وأيضا كتاب «تمهيد مسائل المدونة»[5]، ومما أشتهر من كتبه التهذيب والتي كان يعتمد عليه الفقهاء في المناظرة[6]، لم يستقر بالقيروان وارتحل إلى صقلية وكان ذا مكانة عند حكامها وهناك اشتهرت كتبه[7] أما عن وفاته فلم نجد تاريخ لذلك فيما اطلعنا عليها وأشار الذهبي أنه بقي إلى بعد الثلاثين وأربع مائة (430هـ/1038م)[8].

كان منبوذا عند أهل القيروان حتى أن الفقهاء أفتوا بعدم الأخذ عنه، والتخلص من كتبه وعدم قراءتها، وقيل أنّ السبب في ذلك دعاء شيخه عليه لأنه كان ينتقصه، ويطلب مثالبه[9]، وقيل أنّه وُجد بخط يده مدح لبني عبيد في بيت مشهور جاء فيه:

أُولئكَ قَومٌ إِنْ بَنَوْاْ أَحسنُوْا الْبنَا ... وإِن وعَدُوْا أَوْفوا وإِنْ عَقدُوا شَدُّوْاْ[10].

---

[1] الدباغ: **المصدر السابق**، ص409، محمد بن فتوح الميورقي: **المصدر السابق**، ج1، ص122.

[2] المالكي: **المصدر السابق**، ج2، ص260.

[3] الخشني: **االمصدر السابق**، السيد، ص219.

[4] أبو القاسم خلف بن أبي القاسم البراذعي الأسدي من أصحاب محمد بن أبا زيد والحسن القابسي، له عديد المؤلفات في الفقه المالكي، عاش إلى ما بعد (430هـ/1038م). انظر ترجمته ابن فرحون: **الديباج**، ج1، 349 القاضي عياض: المدارك، ج7، ص256، الذهبي: **السير**، ج17، ص523، الذهبي: **تاريخ الإسلام**، ج9، ص485، الدباغ: **معالم الإيمان**، ج3، ص146في محمد بن محمد بن ابن سالم بن مخلوف: **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، تع عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، 1424هـ/2003م، ج1، ص156.

[5] القاضي عياض: المدارك، ج7، ص ص256-257.

[6] ابن فرحون: **المصدر السابق**، ج1، ص350

[7] **نفسه**، ج1، ص349

[8] الذهبي: **السير**، ج17ص523

[9] يقصد عبد الله أبو محمد بن أبي زيد القيرواني صاحب النوادر والزيادات، والرسالة المشهور. الذهبي: **السير**، ج17ص523

[10] ابن فرحون: **المصدر السابق**، ج1، ص350

قيل أنّ السبب في ذلك تأليفه كتاب يصحح فيه نسب العبيديين، وأن لهم حقا في الإمامة[1]، وفي تلك الفترة كان هناك شبه إجماع من النسابة والفقهاء على عدم نسب العبيديين، بل رأى بعضهم أن الأولى الطعن فيهم حتى ولو كان نسبهم صحيح، فلا اعتبار للانتساب إلى بيت شريف وأنت مبدل لدين الله، وكي لا يغتر عامة المسلمين بنسبهم إلى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي هذا الصدد نقل صاحب معالم الإيمان قائلا : «مع أن المطلوب سد هذا الباب حينئذ ولو كان صحيحا حتى تهرب العامة والخاصة منهم»[2]، أي حتى لو كان نسب العبيديين صحيحا وجب السكوت عليه وعدم تصحيحه وإيضاح ذلك للعامة، من باب سد الذرائع ودفعا للناس عن الإفتتان بهم وبما كانوا عليه من زيغ وظلال.

أبو إسحاق إبراهيم بن حسن التونسي[3] له شروح على كتاب ابن المواز وعلى المدونة، أما عن موقفه من العيبديين فإنه في عهد المعز بن باديس سنة (427هـ/1035م)، أفتى بأن الشيعة على ضربين من يستحق القتل وهو كافر مباح الدم، والفئة الثانية يزوجون ويورثون ولا يسقط عنهم الإسلام، وهم الذين يفضلون علي رضي الله عنه على باقي الصحابة[4]، وله في ذلك قصة ومناظرة سنذكرها في عنوان الجدل والمناظرات العلمية، وكان هذا السبب في نبذه من فقهاء المالكية وتركه ومقاطعته.

أبو جعفر محمد بن محمد خيرون المعافري الأندلسي: ولد بالأندلس ونشأ بها ثم استقر بالقيروان له رحلة إلى العراق وسمع من يحي بن معين وابن المديني ثم رجع إلى القيروان واستوطن بها[5]، قال ابن الفرضي: «قدم بقراءة نافع على أهل إفريقية، وكان الغالب على قراءتهم حرف حمزة، ولم يكن يقرأ بحرف نافع إلا الخواص، حتى قدم ابن خيرون فاجتمع عليه

---

[1] القاضي عياض: **المدارك**، ج7، ص258

[2] الدباغ: **معالم الإيمان**، ج3، ص150

[3] أبو إسحاق إبراهيم بن حسن بن يحي المعافري التونسي ممن أخذ عنهم أبي عمران الفاسي، ومن تلاميذه ابن سعدون وعبد العزيز التونسي، له إجازة في القراءات، توفي رحمه الله سنة 443هـ1063م1 انظر ترجمته الدباغ: **معالم الإيمان**، ج3، ص177، القاضي عياض: **المدارك**، ج8، ص59، ابن فرحون: **المصدر السابق**، ج1، ص17.

[4] القاضي عياض: **المدارك**، ج8، ص59.

[5] محمد بن فتوح الميورقي: **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس**، الدار المصرية للتأليف والنشر – القاهرة، 1996م، ج1، ص54.

الناس، ورحل إليه أهل القيروان من الآفاق»[1]، وقيل أنه كان رجل ورعا فقيها، قال الخشني أنه ألف لعبيد الله كتاب «نسب الشيعة وأخبارهم» وكان مرشحا ليلي القضاء[2]، وكان من ضمن العلماء الذين قتلهم بنو عبيد، وذلك أن ابن المروذي كان قد وشى به بسبب بغضه لبني عبيد ومعاداته لهم، فأحضره ابن أبي خنزير وبطح على الأرض وداسه العبيد بأرجلهم حتى مات[3]، قيل أنه لما عذب وضرب ألف سوط من أجل معرفة مكان أمواله رد عليهم «والله لو أن تحت قدمي جبا مملوءا بمال الدنيا كلها ما أخرجت لكم منه درهما واحدا واني قد عصيت الله عزّ وجلّ فيكم فسلطكم عليّ، فاضرب ما شئت وعذب كيف شئت»[4]، ولعله يقصد بالعصيان الذي ارتكبه الكتاب الذي ذكره أنه ألف في نسب الشيعة، توفي رحمه الله (ت301هـ/914م)[5].

رغم أن ما ذهب إليه بعض الفقهاء وما قاموا به لم يكن بالخطأ الجسيم، ولا بالجريمة التي بعاقب عليها الشرع ولا القانون، إلا أن الفترة والظرف كان تستدعي عكس ذلك، وهذا سدا للطرق المؤدية إلى افتتان الأهالي بالدعوة العبيدية، خاصة من لا علم ولا دراية له بالأمر، إذا ما رأى بعض التساهل أو الليونة في الحكم عليهم من قبل العلماء والمشايخ، لذلك حرص فقهاء المالكية على البقاء صفا واحدا وكلمة واحدة، في عدم التراجع أبدا، وبل ومقاطعة وهجر من خالف الجماعة في أمر بن عبيد ودولتهم.

---

[1] محمد ابن الفرضي: **تاريخ علماء الأندلس**، ت عزت العطار، ط2، مكتبة الخانقجي، مصر، 1408هـ/1988م، ج2، ص112.

[2] الخشني: **قضاة قرطبة وعلماء إفريقية**، ص229.

[3] المالكي: **المصدر السابق**، ج2، ص52.

[4] **نفسه**، ج2، ص52.

[5] محمد محفوظ: **تراجم المؤلفين التونسيين**، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1994م، ج2، ص264.

ثالثا: الفقهاء المعادون للسلطة العبيدية

1-من فضل التزام الصمت واعتزال الوضع :

إلى جانب ذلك فقد فضل بعض أهل السنة من المحسوبين من أهل العلم التزام الصمت واعتزال الوضع، وهذا إما تجنبا للفتنة أو خوفا على النفس، بسبب ما تعرض له أهل السنة من اضطهاد وتنكيل من قبل بني عبيد وأتباعهم، فيما فضل بعضهم مقاطعة الدولة ورفض التعامل معها، وحتى مقاطعة المجتمع فانغلقوا على أنفسهم وتقوقعوا، والسبب في ذلك فساد الزمن الذي يعيشون فيه[1]، ومن هؤلاء نذكر أبو عبد الله محمد البرانسي (ت357هـ/967م) الذي آثر الصمت والانغلاق على نفسه وعدم التكلم، بسبب السياسة الفاطمية وفسادها العقائدي، وهذا تعبيرا عن موقفه المعادي للدولة[2]، فكان يقضي رجب وشعبان ورمضان صامتا لا يتكلم ولا يرد السلام إلا بالإشارة، وقد عقب صاحب معالم الإيمان بالإنكار عليه لكون رد السلام بالإشارة[3] منافي للسنة[4] وهو ما أكده في قوله: «إن رد السلام بالإشارة ليس بصواب ولا يقتدى به في هذا لان السلام لا يكون إلا بالنطق , وكذلك الرد»[5]، فكانت هذه طريقة البعض في الاحتجاج على الوضع ومقاومة المد الشيعي العبيدي.

فيما فضل بعضهم الخروج نهائيا واعتزال المدن والحواضر هربا من الفتنة التي ألمت بالبلاد، وهذا الذي فعله أبو محمد يونس بن محمد الورداني (ت297هـ/910م)[6]، الذي روي

---

[1] الهنتاتي: **المرجع السابق**، ص166.

[2] علّاء كامل صلّح العيساوي ومحمد حلو خلف الفرطوسي: **الفتاوى التي أصدرها فقهاء المالكية وأثرها على الدولة الفاطمية لغاية سنة (267هـ/297م)**، مجلة حولية المنتدى، العدد13، كلية الآداب، جامعة البصرة، العراق، 2018م، ص104.

[3] من السنة السلام بالكلام بدءا وردا ولا يجوز السلام بالإشارة وهذا مخالفة لبعض الكفرة في ذلك؛ ولأنه خلاف ما شرعه الله، لكن لو لكن لو أشار بيده إلى المسلم عليه ليفهمه السلام لبعده مع تكلمه بالسلام فلا حرج في ذلك؛ لأنه قد ورد ما يدل عليه، وهكذا لو كان المسلم عليه مشغولا بالصلاة فإنه يرد بالإشارة، كما صحت بذلك السنة.. انظر خالد بن عبد الرحمان الجريسي: **الفتاوي الشرعية في المسائل العصرية من فتاوي علماء البلد الحرام**، ط1، مؤسسة الجريسي للتوزيع، السعودية، 1420هـ/1999م، فتاوي الآداب، ص1623، رقم 14.

[4] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {ليس منا من تشبه بغيرنا، لا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى، فإن تسليم، اليهود الإشارة بالأصابع، وتسليم النصارى الإشارة بالكف} الألباني: **السلسلة الصحيحة**، ج5، ص227، رقم الحديث [2194].

[5] الدباغ: **المصدر السابق**، ج3، ص ص74-75.

[6] هو أبو محمد يونس بن محمد الورداني، كان كثير الملازمة لسحنون، وروي أنه اطلع على جميع كتبه، وهو من أهل العلم والفضل والورع، والسبب في قلة ذكره ما جرى من اعتزاله الناس كما ذكرنا، وممن أخذ عنه أبو العرب ومحمد بن عثمان،

أنه غداة دخول عبيد الله المهدي إفريقية، خير أهله بين الهجرة عن البلد والانقطاع عنهم، أو يشتغل برعاية البقر وينقطع عن الناس، فكان أحب إليهم أن يبقى بينهم، وصار رحمه الله يخرج إلى الوديان وسفوح الجبال يرعى البقر صباحا، ولا يعود إلى منزله إلا في المساء، حاملا معه ما تيسر من زاد، ومصحفه متجنبا الناس، ومغيرا الطريق كلما رأى شخصا هب نحوه، فكان ذلك دأبه حتى مات[1]، وعلى حسب فعله كان يقصد هدي النبي صلى الله عليه وسلم، في اتقاء الفتنة حال عمومها وانتشارها، في قوله صلى الله عليه وسلم: (يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الرَّجُلِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ، وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ)[2].

ومثال آخر عن اعتزال الحياة العلمية اتقاء شر بني عبيد، هو ما فعله أبو عبد الله محمد بن أبي المنظور[3] (ت337هـ/948م) أصله من الأندلس له رحلة إلى المشرق، وكان كبير السن والقدر عند السنة، فولّاه إسماعيل ابن أبي القاسم ابن عبيد الله قضاء القيروان[4] بعد ثورة أبي يزيد والهدف من ذلك تهدئة نفوس العامة كما قال الذهبي[5]، لكن بشروط وضعها هو وكان قد أشار إليها القاضي عياض في قوله: «كان شرط على إسماعيل حين ولاهم أن لا يأخذ لهم صلة، ولا يركب لهم دابة، ولا يقبل شهادة من قاربهم»[6]، هذا في عهد ثالث أئمتهم، لكن قبل ذلك وجراء الفتن والتضييق الذي تعرض له العلماء من قبل العبيديين ومن كان تحت رايتهم، اعتذر ابن أبي المنظور أن يدرس أو يُسمع أحدا من أهل القيروان، وتحجج على ذلك

كانت وفاته 299هـ/977م وقيل 300هـ/912م. عنه انظر محمد بن محمد الأندلسي: **الحلل السندسية في الأخبار التونسية**، ط1، مطبعة الدولة التونسية، 1287هـ، ص131، محمد بن سالم مخلوف: **المصدر السابق**، ج1، ص11، المالكي: **المصدر السابق**، ج2، ص45.

[1] الدباغ: تراجم **أغلبية**، ص337.

[2] أحمد بن حنبل: **المصدر السابق**، مسند المكثرين من الصحابة، حديث أبي سعيد الخذري، ج17، ص79، رقم الحديث: [11032].

[3] انظر ترجمته الذهبي: **تاريخ الإسلام**، ج7، ص710، المالكي: **المصدر السابق**، ج2، ص357، القاضي عياض: **المدارك**، ج5، ص329، الدباغ: **معالم**، ج3، ص44.

[4] المالكي: **المصدر السابق**، ج2، ص358.

[5] الذهبي: **تاريخ الإسلام**، ج7، ص710.

[6] القاضي عياض: **المدارك**، ج5، ص329.

بيمين غليظة حلفها[1]، ولم يكن ذلك سوى سببا اتخذه لاعتزال الحياة العلمية، والابتعاد عن مضايقات العبيديين وأتباعهم.

فيما فضل بعض الفقهاء الانتقال والهجرة وتغيير المدن التي اشتهروا بها والانتقال عنها إلى مدينة أخرى، أو الخروج من المدن وسكنوا الرباطات بعيدا عن أعين الناس والعبيديين، فرارا بدينهم وطلبا للسلامة من بطش الدولة الفاسدة، منهم أبو عبد الله محمد بن بسطام الضبي[2] (ت313هـ/926م)، قيل أن أصله من البصرة سمع من جملة من الفقهاء، وكان له رحلة للمشرق جلب فيها بعض الكتب المالكية الغير متوفرة في البلاد، ككتب المغيرة وكتب ابن كنانة، وقد انتقل من القيروان إلى سوسة، هربا من ملاحقات العبيديين، ومنهم أبو عبد الله محمد التاهرتي (ت313هـ/926م)، والذي انتقل من تاهرت بالمغرب الأوسط إلى مدينة سوسة هربا من متابعات العبيديين «محتسبا للحراسة على المسلمين»[3]، لوجود رباطات بأطراف مدينة سوسة، كان ينقطع إليها الزهاد وطلبة العلم والمجاهدون.

أما عمر بن عبد الله بن يزيد المعروف بابن الإمام الصدفي (ت350هـ/961م) فكان يسكن قصر ابن الجعد[4]، ولما دخل العبيديون كان يقصد رباط المنستير[5] فإذا تكاثر الناس في الرباط، وكان ممن يطلبه الناس للسماع منه، وكذلك للدعاء والتبرك، كان يرتحل إلى سوسة

---

[1] الدباغ: **المصدر السابق**، ج3، ص44.

[2] المالكي: **المصدر السابق**، ج2، ص181، قاسم علي سعد: **جمهرة تراجم فقهاء المالكية** ، ط1، دار البحوث للدراسات الإسلّامية وإحياء التراث، دبي الإمارات، 1423هـ/2002م، ص1037.

[3] المالكي: **المصدر السابق**، ج2، ص182.

[4] هو قصر قبالة رباط المنستير من الجهة الشرقية يبعد عنه حوالي الثلاث كيلومترات، بناه أحد أكبر التجار بالقيروان يدعى ابن الجعد، كان مركزا للعباد والصالحين وطلبة العلم، كما كان له أوقاف خاصة به فكان يعتاش منها من يسكنه، بالإضافة إلى الصيد البحري. انظر الإدريسي: **المصدر السابق**، ج1، ص303، جلول ناجي: **الرباطات البحرية بإفريقية في العصر الوسيط**، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية الاجتماعية، تونس، 1999م، ص ص112-114.

[5] المنستير محرس من محارس سوسة بإفريقية وهو بينها وبين المهدية، وهو خمسة قصور يحيط بها سور واحد يسكنها قوم من أهل العبادة والعلم، ويقال إن الذي بنى القصر الكبير بالمنستير هرثمة بن أعين، وله في يوم عاشوراء موسم عظيم ومجمع كبير. انظر الحموي: **البلدان**، ج5، ص209، الحميري: **الروض المعطار**، ج1، ص551.

وكان له فيها زوجة، فإذا وصل البلاد غير ملابسه وتزين حتى يصبح كهيئة التجار، والناس تبحث عنه ولا تجده وهو بينهم[1].

وآخرون حاولوا الابتعاد عن مراكز السلطة العبيدية وعاصمة الدولة، والإقامة بمدن بعيدة نسبيا عن حكام بني عبيد، وإن كانت تابعة لهم، لعلهم ينجون بأنفسهم من الحكام الظلمة، مثل أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي التلمساني[2] (ت402هـ/1011م) قيل أن أصله من بسكرة أو من المسلية[3]، قال عنه القاضي عياض: « من أئمة المالكية بالمغرب، والمتسمين في العلم، المجيدين للتأليف»[4] كان أكثر علمه بذكائه وإدراكه ولم يتلقى على شيخ مشهور[5]، أقام مدة بطرابلس وبها ألف كتابه شرح الموطأ، ثم انتقل إلى تلمسان هربا من العبديين، ورغم معاداته الصريحة لهم وتكفير من يوالهم ويدعوا لهم على المنابر، إلا أنه فضل الابتعاد وعدم الإقامة قريبا منهم، وهو من العلماء الذين فضلوا الارتحال تجنبا لهم، وعاش بتلمسان حتى وفاته وبها دفن[6]، وهذه الفئة من الفقهاء أظهرت تبلور نفسية وفكر خاص ظهر عند مجموعة من فقهاء الغرب الإسلامي، قوامه اعتزال الحياة العامة، والانزواء في الربط والمحارس أو في الأماكن البعيدة والمدن الغريبة عنهم، بحيث لا يعرفهم أهالي وقاطني تلك الأماكن ولا يعرفون علمهم وفضلهم، وهذا اتقاء الارهاب الذي تعرضوا له من بني عبيد.

رأت بقية من الفقهاء ترك البلاد نهائيا، والتوجه نحو الحواضر الإسلامية ذات الحكم السني سواء بالمشرق أو بالمغرب، فكانت الوجهة المغربية نحو المغرب الأقصى، حيث استقر بعض العلماء أمثال فضل بن سلمة بن جرير الجهني البجائي (ت319هـ/931م)، الذي قيل

---

[1] انظر ترجمته القاضي عياض: **المدارك**، ج6، ص50، المالكي: **المصدر السابق**، ج2، ص455.

[2] أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي التلمساني، أصله من المسلية سكن بطرابلس وبها أملى شرحه لكتاب الموطأ، قال عنه القاضي عياض: « كان فقيهاً فاضلاً متفنناً مؤلفاً مجيداً»، له عدة مؤلفات منها، القاضي في شرح الموطأ، والواعي في الفقه، وكتاب الأموال، وغير ذلك توفي بتلمسان سنة (402هـ/1011م)، ودفن بباب العقبة. انظر، القاضي عياض: **المدارك**، ج7، ص102، ابن فرحون: **المصدر السابق**، ج1، ص165.

[3] رابح خدوشي وآخرون: **موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين**، منشورات الحضارة، بئر التوتة، الجزائر، 2014م، ج2، ص9.

[4] القاضي عياض: **المدارك**، ج7، ص102.

[5] ابن فرحون: **المصدر السابق**، ج1، ص165.

[6] رابح خدوشي: **المرجع السابق**، ج2، ص10.

في مدحه عالم كبير ليس له نظير، رحل إليه الناس من الآفاق للأخذ عنه كمحمد بن عبد الملك الخولاني، وأبو العرب، ومحمد بن النجار، وغيرهم من أهل المغرب والأندلس، من مؤلفاته مختصر المدونة[1]، فيما قطع بعضهم الآخر نحو العدوة الأندلسية، قاصدين المروانيين والدولة الأموية هناك، ومن الذين قصدوا الأندلس أحمد بن الفتح المليلي المعروف بابن الحزاز (ت332هـ/943م) الذي كان قاضيا على مليلة وفر إلى الأندلس سنة (325هـ/945م) هربا من بني عبيد، وقصد على عبد الرحمان الناصر بقرطبة، فأكرمه وولي القضاء بنواحيها حتى وفاته[2]، وتكريم الأمراء من بني أمية للفقهاء المالكية والاحتفاء بهم، كان من العوامل التي شجعت العديد منهم على الهجرة.

فقدت البلاد جراء هذه الهجرات فقهاء وعلماء كان لهم وزن وقيمة إضافية، كانت لتؤثر إيجابيا على ازدهار الحياة العلمية بالمنطقة، لولا الظروف الراهنة والتي حتمت عليهم التعامل مع الأمر كل على حسب علمه وتأصيله للمسألة، وأيضا حسب ظروفه الشخصية، ومن القامات التي أثنى عليها بنو جيله ورفعوا من سعة علمه، وكانت هجرته هذه المرة مشرقية نجد:

الفقيه أبو عبد الله محمد بن نظيف المالكي[3] (ت355هـ/965م)، قال عنه أبو بكر بن اللباد: «كان من العلماء الراسخين البارعين، والأئمة المعدودين، والعلماء المجتهدين»[4]، وكان محمد ابن أبي زيد القيرواني يقول عنه: «لو كان أبو عبد الله بن نظيف بالقيروان لم يسعني أن أجلس هذا المجلس لأنه أولى بذلك مني لفهمه وحفظه وفقهه ودينه وورعه»[5]، فكان من العلماء الذين تركوا البلاد وارتحلوا نحو المشرق، قاصدا مصر وقد ذكر المؤرخون سببين لهجرته أولهما اشتهار أمره وهربا من الرياسة، لكن السبب المتفق عليه والأكثر إقناعا، هو

---

[1] محمد ابن سالم مخلوف، **المرجع السابق**، ج1، ص123.

[2] محمد بن الفرضي: **تاريخ علماء الأندلس**، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1408هـ/1988م، ج1، ص75.

[3] انظر ترجمته القاضي عياض: المدارك، ج6، ص، 206 المالكي: **المصدر السابق**، ج2، ص467، ابن فرحون: **المصدر السابق**، جض2، ص310، ابن الفرضي: **المصدر السابق**، ج3، ص1214، محمد بن محمد ابن سالم: **المرجع السابق**، ج1، ص140.

[4] القاضي عياض: المدارك، ج6، ص206.

[5] ابن فرحون: **المصدر السابق**، ج2، ص310.

الهجرة لكثرة سب السلف أيام اشتداد أمر حكم بني عبيد وبسط نفوذهم على البلاد، فلم تطاوعه نفسه الإقامة في بلد يُسب فيها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، هذه فقط بعض الأمثلة على الفقهاء الذين كانت ردود فعلهم سلبية تجاه النازلة التي ألمت ببلاد المغرب، من سيطرة المذهب الإسماعيلي العبيدي على المنطقة، وكانت في غالبيتها تستند إلى العمل على تجنب الفتنة، أو خوفا على أنفسهم من الهلاك جراء ما ألم بهم من قمع وتقتيل من قبل القوة المسيطرة الجديدة.

2-الفقهاء المناهضون للحكم العبيدي:

بينما كان السواد الأعظم من فقهاء المالكية مناهضين للحكم العبيدي الإسماعيلي بالمنطقة، من منطلقهم الفقهي وثبوت عقيدتهم، على ما استقوه من مذهب إمام دار الهجرة مالك بن أنس، فاتسمت مواقفهم بالثبات، وعدم المداهنة مع العبيديين أو اللين في الحكم عليهم، مع تبيان حكم الشرع فيهم للناس، والصدح بذلك دون الخوف من الموت، أو ما تعرضوا له من تضييق ومتابعات وتعذيب والثبات على ذلك، ومن أمثلة الفقهاء المناهضين للحكم العبيدي، نجد أبو بكر بن البرذون وابن هذيل، من أوائل الفقهاء التي عارضوا الوجود العبيدي بالمنطقة، وثبتا على الحق رغم سجنها وتعذيبها، فلم ينفع ذلك في ردهما عن قول الحق، حتى قتلا سنة (297هـ/909م)[1]، وغيرهم كثير ممن مات من أجل كلمة الحق والثبات عليها.

برز فقهاء آخرون في مجال المناظرة والدفاع عن منهج أهل السنة والجماعة، ملزمين الخصم بالحجج والبراهين من الكتاب والسنة، داحرين ادعاءات الشيعة وترهاتهم، وممن برز في هذا المجال، عثمان بن الحداد (ت302هـ/914م)، فارس ميدان المناظرة الذي أفحم العبيديين وأزلامهم أمثال أبو العباس المخطوم وعبد الله الشيعي[2]، ونذكر أيضا ابن التبان (ت371هـ/981م) الذي كان عالما بالاحتجاج لمذهبه وساهم في دحض ادعاءات الشيعية وممثلهم بلكين بن زيري وإفحام خصومه[3]، وغيرهم كثير فكان كلما أفل نجم عالم من العلماء ظهر من ينوب عنه، سنة من الله بأن لا تخلوا الأرض من الحق وأهله والناصرين له.

---

[1] الذهبي: **السير**، ج14، ص215.

[2] القاضي عياض: **تراجم أغلبية**، ص363.

[3] الدباغ: **معالم الإيمان**، المصدر السابق، ج2، ص432.

فيما كان فقهاء آخرون من أصحاب الشكيمة القوية مجاهدين في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، مرابطين لحماية عورات المسلمين وثغورهم، فلما داهم هذا الطاعون البلاد، غيروا وجهة الجهاد نحو الداخل، فلا أمان لك من الخارج، وداخلك فتن وتزييف أشد، فالعدو الخارجي ظاهر لعامة الناس، أما هؤلاء فكانوا أخطر منهم لتلبيسهم على الأمة أمور دينها وادعائهم وتحريفهم عقيدة المسلمين، لذلك ترك جبلة بن حمود الصدفي (ت297/299هـ/911م)، سكنى الرباط ونزل إلى القيروان ليحرس المسلمين من عدو أصبح بينهم[1]، كذلك محمد بن عبد الله السدري (ت309هـ/921م) الذي عقد على جهاد بني عبيد ولم يخشى إلا الله حين احضره عبيد الله المهدي لسؤاله عن ذلك فأخبره بكل ما يعتقد فيهم، لتتم تصفيته[2]، فتعرض العديد من العلماء للتضييق والطلب والمتابعة.

ركز آخرون على تفقيه الناس ونشر العلم، معارضين بذلك أوامر العبيديين بحظر الفتيا والإقراء والتعليم على مذهب أهل السنة والجماعة خاصة المذهب المالكي، فعرّضوا أنفسهم وأهاليهم للإبادة والتصفية من قبل العبيديين، واستمروا في تبليغ ما حازوه من علم وفقه باذلين في ذلك كل ما يملكون، فلولاهم لا ضاع العلم الصحيح، وانخدع عامة الناس بأكاذيب وتحايل الإسماعيلية، فكان هدفهم إعداد جيل واعي بحقيقة الأمر، حتى إذا حان الوقت اللازم نهضوا بالمذهب وأعادوا الأمور إلى نصابها الصحيح، ومنهم ابن اللباد (ت333هـ/444م)، الذي رغم منعه من نشر العلم، إلا أنه لم يكتم ما أتاه الله عن عباده من فضل وعلم، حتى فتح بيته لتفقيههم، وكانت الطلبة يأتونه خفية للاستزادة من علمه، ويجعلون الكتب تحت ثيابهم حتى تبتل بالعرق[3]، وكذلك تلمذه ابن أبي زيد (ت386هـ/996م)، الذي له عديد المؤلفات في شتى العلوم كالفقه والأصول والشروح، كما كان له الفضل الكبير على أهل المغرب برسالته في تعليم الصبيان[4]، فيما انتشر فقهاء آخرون بمختلف مناطق الغرب الإسلامي، كي لا يترك المجال أمام دعاة الشيعة وحدها فيسهل خداع عامة الناس والمغلوب عليهم.

---

[1] القاضي عياض: **المدارك**، ج4، ص375.

[2] المالكي: **المصدر السابق**، ج2، ص166.

[3] القاضي عياض: **المدارك**، ج5، ص294.

[4] **معالم الإيمان، المصدر السابق**، ج3، ص109.

بعد العودة إلى مذهب أهل السنة والجماعة في ولاية المعز بن باديس منتصف القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي، لم يركن الفقهاء إلى الراحة أو طلبوا لأنفسهم المناصب والمراتب كونهم علماء المنطقة، ولم يداهنوا أو يتقربوا إلى سلطان، بل واصلوا الترفع عن الدنيا وطلب الآخرة بالنصح على الحق، ولو في حظرة السلطان، والإجابة على تساؤلاتهم بما أملاه الشرع لا بما تهواه نفسه، كما ساروا إلى القضاء على بقايا التشيع وآثاره والغلو الذي ساد المنطقة دهرا، وتتبع مخلفاته وتحذير الناس منه، ومن فقهاء هذه الفترة الذين برزوا، أبي الحسن القابسي (ت403هـ/1013م)، الذي كان له فضل كبير في هذه المرحلة، ومنهم الشيخين أبا عمران الفاسي[1] (ت430هـ/1038م)، وأبو بكر الخولاني (ت432هـ/1040م) [2]، اللذان كانا رأسا المالكية قبيل العودة بالبلاد للمذهب السني، فكانا موقفهما واضحا إزاء الدولة العبيدية ومن ينتحلها أو يتولاها، هذه أمثلة عامة عن الفقهاء المناهضين للحكم العبيدي بالمنطقة، ولم نشأ نطنب في ذكرهم لعدم التكرار، كون أغلبهم إما ذكروا بمواقفهم أو المجال الذي برزوا فيه ضمن مباحث أخرى من هذه الدراسة.

[1] القاضي عياض: **المدارك**، ج7، ص243.

[2] الدباغ: **معالم الايمان**، ج3، ص165.

المبحث الثالث: الأساليب التي انتهجها الفقهاء في مقاومة المد الشيعي

أولا: المقاومة من خلال الإجماع على تكفير بني عبيد وظلالهم

بحكم الانتماء الديني (عقيدة أهل السنة والجماعة على المذهب المالكي) لسكان الغرب الإسلامي، كان لابد من توضيح وإصدار حكم حول العبيديين في هذا الجانب، قصد إقناع العامة من أجل تبني موقف واضح استنادا إلى الشرع، ومن خلال تأصيل مسألة الدولة الوافدة وحقيقة مذهبهم، استنادا إلى الموروث المذهبي لأهل المنطقة، القائم على الكتاب والسنة عن طريق مذهب إمام دار الهجرة مالك بن أنس، أفضى إلى الخروج بإجماع غالبية فقهاء المنطقة على كفر بني عبيد وظلالهم، وخروجهم من الملة الإسلامية، والحكم عليهم حكم أعداء الإسلام من مشركين ونصارى، والتعامل معهم يكون بنفس الحكم بل وأشد من ذلك.

هذا ما نقله القاضي عياض عن إجماع علماء القيروان ومنهم أبو محمد بن أبي زيد، وأبو الحسن القابسي، وأبو القاسم ابن شبلون، وأبو علي بن خلدون، وأبو بكر الطبني، وأبو بكر بن عذرة في قوله: «أن حال بني عبيد، حال المرتدين والزنادقة، بما أظهروه من خلاف الشريعة، فلا يورثون بالإجماع، وحال الزنادقة بما أخفوه من التعطيل. فيقتلون بالزندقة»[1]، وفي هذا السياق قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأخبارهم عن العلماء مشهورة بالإلحاد والمحادة لله ورسوله، والردة والنفاق»[2]، لذلك أفتى الفقهاء بكفرهم، ولم يكن هذا الحكم اعتباطيا أو دون سند علمي وتأصيل، بل اعتمد على الانحرافات التي وقعوا فيها، والمحظورات التي أباحوها، وكذلك ما كان منهم من تعطيل وتحريف وافتراء على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وآل بيته.

بل هناك من شدد أكثر من ذلك في الحكم عليهم كأبو القاسم الدهان[3]، الذي حكم على أنهم أشد من الكفار من خلال قوله: «وهم بخلاف الكفار، لأن كفرهم خالطه سحر بمن اتصل بهم، خالطه السحر»[4]، ولم يعذروا حتى من دخل في مذهبهم بالإكراه، لأن حاله حال

---

[1] القاضي عياض: **المدارك**، ج7، ص277.

[2] ابن تيمية: **منهاج السنة**، ج4، ص101.

[3] الاستشهاد منقول في كتاب المدارك للقاضي عياض تحت اسم الشيخ أبو القاسم الدهان، وفي معالم الإيمان أبو القاسم بن الدهان، ولم نوفق في الوصول إلى ترجمة حول الشخصية والشيخ المنسوب إليه هذه الفتوى والقول. الدباغ: **معالم الإيمان**، ج2، ص265، القاضي عياض: **المدارك**، ج7، ص278.

[4] نفسه، ج7، ص278.

المرتد عن دينه، وكان الواجب عليه الفرار من الموضع الذي سيطروا عليه ولا يعذر بالخوف بعد معرفته حالهم[1]، ويقصد هنا عامة المسلمين أما أهل العلم فقد سبق القول بوجوب إقامتهم لتثبيت العامة ومن بقي من المسلمين، وانتشرت هذه الفتاوي بين عامة المسلمين، فكانت حصنا منيعا لهم من الوقوع في فتنة المذهب الإسماعيلي والانضواء تحت رايته[2].

كذلك نهى فقهاء المغرب الإسلامي حتى من التظاهر بالدخول في مذهبهم، وعلى هذا القول كان الشيخ ابن أبي زيد القيرواني، وشدد على عدم جواز ذلك، ولو كان هذا الدخول من التحايل والتظاهر بذلك ثم العودة عنه، بداعي الخوف أو حفظا لنفسه، بعد أن تظاهر أهل طرابلس بالدخول في مذهبهم[3]، وعلى رأيه كان الشيخ جبلة بن حمود، وهذا ما يفسر دعاءه على من خرج للقاء عبيد الله المهدي حين وصوله البلاد بعدم السلامة، والهلاك[4]، لاعتقادهم الجازم بأن بني عبيد من الكفرة ولا يجوز لمؤمن موالاة الكافر، ولا الاحتفاء به والثناء عليه فيما يخالف فيه الشرع.

ولم يستثنى في المقاطعة والتبرؤ منه، كل من والاهم من الخطباء وكان يدعوا لهم عقب الصلوات والخطب، فلما سئل ابن عذرة[5] عمن يخطب لبني عبيد فقال لهم أليس في دعائهم والثناء على إمامهم الحاكم يقولون «اللهم صل على عبدك الحاكم، وورّثه الأرض؟»، فقالوا نعم، فشبه ذلك بمن يدعوا الله ويثني على رسوله ثم يقول أبو جهل في الجنة، فهو بقوله

---

[1] القاضي عياض: **المدارك**، ج7، ص276.

[2] الحسين شواط: **المرجع السابق**، ص79.

[3] الدباغ: **المصدر السابق**، ج2، 265.

[4] المالكي: **المصدر السابق**، ج2، ص42.

[5] ابن عذرة: هو أبو بكر إسماعيل بن إسحاق، من فقهاء القيروان له رحلة نحو المشرق وأخذ عن أبي بكر الأبهري وغيره، وغلب عليه الزهد والعبادة، أثني عليه ابن أبي زيد وهو من أصحابه وطبقته، وحين سئل عمن يثني عن بني عبيد من الخطباء فضرب لهم مثالا بمن يثني على الله ورسوله ويحسن الدعاء ثم يقول أنّ أبا جهل في الجنة فلا شك في كفره، وكذلك الحاكم العبيدي أشد من أبي جهل. انظر ترجمته: القاضي عياض: **المدارك**، ج7، ص275.

هذا كافر[1]، والحاكم أشر من أبي جهل[2]، وسئل الداودي[3](ت402هـ/1011م)، عن نفس المسألة فكان جوابه: «كافر يقتل. ولا يستتاب، وتحرم عليه زوجته، ولا يرث ولا يورث ماله في المسلمين. وتعتق أمهات أولاده»[4]، وهذا لما للخطباء وأئمة المساجد من التأثير على العوام من الأهالي، وتوجيه الفكر الشعبي والرأي العام، وما كان للأئمة والخطباء من مكانة خاصة لدى عامة المغاربة ولازال الحال إلى اليوم، إذ يعتبر الكثير من الناس إمام المسجد أو الخطيب يوم الجمعة القدوة المجسدة أمامه في الطريق إلى معرفة الدين الصحيح، فكان على الفقهاء لزاما التحذير ممن زاغ عن جادة الصواب منهم وانحرف عن المنهج السني الصحيح.

---

[1] قاعدة من قواعد أهل السنة أنه لا يجوز الشهادة لمعين بالجنة أو النار، إلا من شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم أو شهد الله له في كتابه وإلا فلا، أما من لم يشهد له الله ولا رسوله لا بجنة ولا بنار فإنا لا نشهد له بذلك لا هذا ولا هذا، أما من مات على الشرك الأكبر فإن الله لا يغفر له أبدا والجنة عليه حرام نعوذ بالله من ذلك وهو مخلد في النار أبد، والقول بأن أبا جهل في الجنة معارضة لما ثبت من السنة والقرآن بأنه في النار، وهذا القول يعتبر من موجبات الردة قال القاضي عياض: والمجمع عليه، نُكَفِر من لم يُكَفِر من دان بغير ملة الإسلام، أو تردد أو شك في تكفيرهم. أنظر شهاب الدين أحمد الخفاجي: **نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض**، تع محمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1997م، ج6، ص359، عبد العزيز ابن باز: **مجموع الفتاوي**، جمع محمد الشويعر، ج14، ص343، فتوى رقم 22.

[2] القاضي عياض: **المدارك**، ج7، ص275.

[3] هو أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي المسيلي مولدا والطرابلسي نشأة والتلمساني وفاة أصله عربي يعود لقبيلة أسد، له عدة مؤلفات منها «كتاب الإيضاح في الرد على القدرية» و »كتاب الأصول»، كان طلبه للعلم على من عاصره لكن لم يشتهر ملازمته لشيخ معتبر، وتتلمذ على يده مجموعة من طلبة العلم منهم أحمد بن محمد الفزازي أبو عبد الله البوني وغيرهم، توفي رحمه الله سنة402هـ/1011م بتلمسان. وهو من الفقهاء الذين فضلوا الهجرة من القيروان بسبب تسلط العبيديين وله في ذلك خبر مع الفقهاء سنورده في محله. انظر ترجمته القاضي عياض: **المدارك**، ج7، ص102، ابن فرحون: **المصدر السابق**، ج1، ص165، ابن مخلوف: **المصدر السابق**، ج1، ص164، الداودي: **كتاب الأموال**، مقدمة المحقق، ص44.

[4] القاضي عياض: **المدارك**، ج7، ص275.

ثانيا: الصمود والتحدي في مواجهة العبيديين من أجل تثبيت عامة الناس والاقتداء بهم

من أهم وسائل المقاومة التي اتخذها رجال المالكية في مواجهة بني عبيد، هي الصمود في وجه الدولة العبيدية، وعدم إيثار السلامة والفرار، وهذا من أجل تثبيت عامة المسلمين، ومن كان يسكن البلاد، باعتبار العلماء هم القدوة التي يحتذي بها ممن هم دونهم من المشايخ وطلبة العلم، ويستمر التأثير حتى يصل لذلك العامي الذي لا زاد له من العلم سوى تقليد من يثق فيهم من أهل الدراية والبصيرة، وهذا يعتبر حملا ثقيل على العلماء إذ مصير الأمة مرتبط بهم، فهذا السبائي (ت356هـ/966م) كان يقتدي به أهل القيروان في حال النوازل ويقلدونه[1]، لذلك لم يقتصر العلماء على أنفسهم فقط، بل وقفوا ضد من دعا إلى ترك البلاد والخروج كأحمد بن نصر الداودي التلمساني (ت402هـ/1012م)، الذي أنكر على علماء القيروان الإقامة مع العبيدين، فكانت إجابتهم «أسكت لا شيخ لك»[2]، وأن حقيقة بقائهم هناك تثبيت لعامة المسلمين، ولو خرج أهل العلم والفضل من البلاد لتشرق من بقي من الأهالي بالآلاف، لذلك فضل الفقهاء اختيار أقل الشرين، ألا وهو الإقامة بينهم ومزاحمتهم في الأمر عوض الهجرة وترك البلاد لهم[3].

وهذا ما ذهب إليه الفقيه أبو محمد الكراني توفي بعد(440هـ/1048م)[4]، الذي أفتى أن إقامة العلماء والمتعبدين بالبلاد التي دخلها العبيديون هو مبني على مقارعتهم والمباينة لهم، حتى لا يخلو العدو بالمسلمين فيفتنهم في دينهم[5]، وهذا ما ذهب إليه جمهور فقهاء

---

[1] المالكي: **المصدر السابق**، ج2، ص469.

[2] في هذا الصدد أورد القاضي عياض أن الداودي كان فقيهاً فاضلاً حافظا وله عديد المؤلفات وسبب قولهم لأن درسه كان وحده، ولم يتفقه في أكثر علمه عند إمام مشهور، وإنما وصل الى ما وصل بإدراكه، وأنه أنكر على العلماء الإقامة بن أصحاب البدع، فيما كانت مخالفتهم له من باب تثبيت العامة وإلا لما بقوا فرجحوا خير الشرين انظر، القاضي عياض: **المدارك**، ج7، ص102.

[3] **نفسه**، ج7، ص103.

[4] هو أبو محمد منّ الله بن علي الكراني الباجي، فقيه مالكي، واسند عنه أبو طاهر الفارسي حفيد محرز بن خلف ومؤلف مناقبه طائفة من أخبار جده وأحواله، فكان يسكن باجة القمح بتونس، كما عاصر أبو طاهر الذي كان حي حتى حدو440هـ. أنظر القاضي عياض: **المدارك**، ج7، ص276، المالكي: **المصدر السابق**،ج2، هامش الصفحة168.

[5] القاضي عياض: **المدارك**، ج7، ص277.

المالكية المعاصرين للوضع، أمثال ربيع بن القطان والممسي وابن أبي زيد القيرواني وجملة من الفضلاء وأصحاب العلم، إذ لم يكتفي الفقهاء بإصدار الفتاوي وحسب، بل طبقوا ذلك عمليا لاعتقادهم الجازم بكفر بني عبيد، ويتضح هذا في رد ابن البرذون وقوله: «أعن الإسلام تستتيبني»[1]، وكان هذا الرد وهو على مشارف الموت، بعد أن هم ابن أبي خنزير بإعدامه وطلب منه الرجوع عن قوله في مسألة التفضيل، بل ورفض حتى التظاهر بالدخول في مذهبهم أمام العامة وفضل الموت على ذلك،[2] لكونه ممن يقتدى به، وقوله هذا سيفتن به الكثير من عامة الناس، وربما دخلوا في مذهب العبيدي، ويبوء هو بذنبهم إذا ما قلدوه وظنوا أنه فعلا دخل في مذهبهم، لذلك فضل عذاب الدنيا على عذاب الآخرة.

[1] الدباغ: **المصدر السابق**، ج2، ص264.

[2] الدباغ: **المصدر السابق**، ج2، ص264.

ثالثا: المقاطعة الدينية والسياسية للدولة العبيدية

أيضا من أساليب المقاومة السنية للوجود العبيدي، المقاطعة للمؤسسات والأجهزة العبيدية، فلا يختصمون إلى قضاتهم ولا يقصدون مراسمهم واحتفالهم، فشملت المقاطعة العامة لكل ما له صلة بالتشيع أو نظام حكمهم القائم، وحتى مقاطعة الصلاة خلف أئمتهم، وأول مثال على هذه المقاطعة ما فعله جبلة بن حمود الصدفي (ت297هـ/911م)[1]، في أول جمعة خطب فيها عبيد الله بجامع القيروان، وكان جبلة حاضرا المسجد بالصفوف الأولى، والذي تذكره المصادر أنه لما سمع ما ألقي من منكرات وبدع فيها، وقف وكشف عن رأسه لكي يعرفه الناس وخرج إلى آخر المسجد وهو يردد قائلا: «قطعوها قطعهم الله»[2]، فسار على نهجه أهل السنة في مقاطعة الصلاة خلف أئمة العبيين، ومنهم من كان يوم الجمعة يغتسل ويستعد للصلاة بالطيب، ولبس الثياب، ويقصد المسجد فإذا وصل، يشهد الله على قصده الصلاة ثم يرجع إلى داره، وهذا لما سبق ذكره من البدع التي كانت تحدث من الخطباء يوم الجمعة آنذاك[3].

ولتبيان الأمر لعامة الناس عن مدى انحرافهم قاطع العلماء حتى جنائزهم، رغم ما في حضور الجنائز من أجر عظيم، فهذا الجبينياني ذكر القاضي عياض أنه صلى مرة على جنازة امرأة، وجاء بعض الكتاميين بجنازة أحد كبرائهم، فما كان منه رحمه الله إلا إتمام دفن

---

[1] هو أبو يوسف جبلة بن حمود بن عبد الرحمان الصدفي من أبناء القادمين مع حسان بن النعمان، أسلم جده على يد عثمان بن عفان رضي الله عنه، سمع من سحنون وابن رزين، وداوود بن يحي وغيرهم من المشارقة والمغاربة والمصريين، قال عنه موسى القطان من أراد دخول دار عمر بن الخطاب، فليدخل دار جبلة بن حمود لتقلله وزهده حتى أنه نابذ أباه لمصاحبته أمراء بني الأغلب، وكان «سحنون إذا رأى جبلة مقبلا يقول: إن عاش هذا الشاب فسيكون له نبأ وهو أزهد أهل زمانه» .كان يقيم بقصر الطوب ثم انتقل إلى تونس وأسمع الناس بها، وكان من أشد الناس شدة مع أهل البدع، ذا فراسة فقد تتفرس في بعض من كان يحضر عنده، لتصنعهم البكاء فأله أحدهما العبيدي وانكب على خدمتهم الآخر، خاصة بني عبيد وله مواقف معهم نوردها في محلها، اختلف في وفاته قال: القاضي عياض وابن فرحون: 299هـ، وقال ابن عذارى 296هـ، وقال المالكي 297هـ، أنظر ترجمته القاضي عياض: المدارك،ج4، ص ص471-478، الذهبي: **تاريخ الإسلام**، ج6، ص921، ابن فرحون: **المصدر السابق**، ج3، 323، المالكي: **المصدر السابق**، ج2، ص ص27-38، محمد ابن سالم مخلوف: **المرجع السابق**، ج1، ص110.

[2] القاضي عياض: **المدارك**، ج4، ص376.

[3] الدباغ: **المصدر السابق**، ج3، ص77، القاضي عياض: **المدارك**، ج6، ص260.

المرأة والانصراف رفقة من كان معه[1]، وقاطعوا كل صلة أو هبة تأتي من العبيديين، وترفعوا عن ذلك في حياتهم وحتى بعد وفاتهم، لهذا عمدوا إلى الإسراع في غسل وتكفين ودفن من مات من أهل السنة قبل بلوغ الخبر ملوك بني عبيد، لكي تكون الجنازة على مذهب أهل السنة ولا يداخلها أي بدع من الشيعة، فقد دأب حكام العبيديين وجرت عاداتهم بإرسال كفن وحنوط وغير ذلك من لوازم تحضير الميت للدفن، إذا مات من كان مذكور أو ذو مكانة بين عامة الناس من الأهالي حتى وإن لم يكن على مذهبهم، وربما يرسل من يصلي عليه نيابة عن الإمام، فلما قبض أبو إسحاق السبائي بادر المشايخ الذين حضر وفاته إلى غسله وتكفينه، وكان السبب في ذلك حسب ما صرح القاضي عياض في قوله: «مخافة أن يوجه لهم معدّ كفناً على عادتهم»[2].

من أشكال المقاطعة تحريض العامة على رفض دفع الضرائب لمن استطاع ذلك[3]، وأيضا الدعوة إلى مقاطعة النظام المالي كما فعل الداودي (ت402هـ/1011م) في كتاب «الأموال»[4]، وجاء هذا الكتاب فترة الفتن والاضطرابات الدينية، عقب ما خلفه العبيديون من إشكالات بسبب الفهم المغالط للآيات وبعض الأحاديث، خاصة فيما يخص النوازل وما طرأ من أمور لم تكن من قبل، فكان له أهمية كبيرة لكونه الكتاب الوحيد في الغرب الإسلامي الذي يعالج القضايا المالية والاقتصادية منذ القرن الرابع الهجري[5].

وشملت المقاطعة حتى من يتعاطف معهم أو يتقاعس في الطعن فيهم من الفقهاء، مثل الذي حدث مع الفقهين خلف أبو القاسم البرادعي وابن خيرون، وكان السبب في ذلك أن

---

[1] القاضي عياض: **المدارك**، ج6، ص238.

[2] **نفسه** ج6، ص75.

[3] إبراهيم التوهامي: **جهود علماء المغرب في الدفاع على عقيدة أهل السنة**، ط1، موسسة الرسالة ناشرون، دمشق، سوريا، 1426هـ/2005م، ص323.

[4] بشير بويجرة علي الشريف: **جهاد فقهاء المالكية، وأساليب مقاومتهم للدولة الشيعية العبيدية**، مجلة الحوار المتوسطي، مج11، العدد3، جامعة بلعباس، الجزائر، ديسمبر 2020م، ص125.

[5] أحمد بن نصر الداودي: **كتاب الأموال**، ت رضا محمد شحادة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2008م، مقدمة المحقق، ص44، ص78.

الأول كتب في تصحيح نسب العبيديين ووجد بيت يمدحهم فيه[1]، كما كان يقبل هدياهم[2] فأمر الفقهاء بطرح كتبه وعم التلقي عنه ومقاطعته، أما ابن خيرون فقيل أنه كتب كتاب في نسب الشيعة[3]، لكن هذه المقاطعة كانت آنية حتمتها الظروف الراهنة وكان لا بد منها، لردع الفقهاء عن التغاضي أو الميول مع بني عبيد، ودليل ذلك العودة لكتب البرادعي والإقبال عليها، وحتى هو نفسه كان يعلم بميول الناس عنه فأنشد يقول:

خُذْ اَلعُلومَ وَلَا تَعبَأ بِنَاقِلِهَا وَأُقْصُدْ بِذَلَكَ وَجهَ الخالقِ البارِيْ

أَصُل اَلروايةِ كَالأشجارِ مُثمرةٌ اِجْنِ اَلثمر وَخلِّي العوْدَ لِلنَّارِ[4]

أضف إلى ذلك مقاطعة حتى من كان صحيحا في بعض ما ذهب إليه في بعض الأمور مثل الحكم الشرعي في حق الشيعة، لكن الظروف الراهنة كانت توجب عليه السكوت عن الأمر لتجنب فتنة الناس، مثل مقاطعة فقهاء المالكية واستتابتهم لأبي إسحاق التونسي[5] (ت443هـ/1051م)، الذي أفتى بأن الشيعة على نوعين النوع الأول كافر دمه مباح ويجوز ضربه، والنوع الثاني الذين يقولون بتفضيل علي على باقي الصحابة رضوان الله عليهم، فلا يكفرون بقولهم ويجوز مناكحتهم[6]، ورغم أن ما ذهب إليه أبي إسحاق صحيح في هذا الباب من تقسيم الشيعة وفي عدم تكفيره للمفضلة[7] من الشيعة، وهو الذي ذهب إليه السلف من الأمة

---

[1] القاضي عياض: المدارك، ج7، ص256.

[2] الدباغ: **المصدر السابق**، ج3، ص150.

[3] الخشني: **المصدر السابق**، ص229.

[4] الدباغ: **المصدر السابق**، ج3، ص150.

[5] أبو إسحاق التونسي: هو أبو إسحاق إبراهيم بن حسن بن إسحاق التونسي فقيه وعالم ومحدث، من شيوخه أبي بكر بن عبد الرحمان وأبي عمران الفاسي، ومن تلاميذه عبد الحميد بن الصايغ، قال عنه القاضي عياض: «وكان جليلاً فاضلاً، إماماً صالحاً، منقبضاً متبتلاً» له شروحات وتعاليق على كتاب ابن المواز والمدونة، امتحن سنة (418هـ/1074م)بسبب فتواه التي قسم بها الشيعية غلي قسمين كما أوردنا في المتن، وخرج من القيروان إلى المنستير، ليعود لاحقا وتوفي بها سنة (ت443هـ/1051م)، وحضر جنازته المعز بن باديس، القاضي عياض: **المدارك**، ج8، ص58، سالم ابن مخلوف: **المرجع السابق**، ج1، ص161.

[6] القاضي عياض: **المدارك**، المصدر السابق، ج8، ص59.

[7] المفضلة: من فرق الشيعة وهم الذين يفضلون عليا على باقي الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، ومنهم الزيدية ومذهبهم جواز إمامة الفاضل على المفضول، وأن خير الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، لكن فوض الأمر لأبي بكر رضي الله عنه، لمصلحة رآها الصحابة رضوان الله عليهم، وقاعدة دينية راعوها، وتطييب للقلوب

والإمام أحمد والذي رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية[1]، لكن كان الواجب عليه عدم التساهل وإصدار تلك الفتوى في ذلك الوقت، وفي هذا السياق يقول الدباغ: «مع أن المطلوب سد هذا الباب حتى ولو كان صحيحا حتى تهرب العامة والخاصة من قربهم»[2]، ومن شدة حرص العلماء في مقاطعتهم والتبرؤ ممن داهنهم أو مال إليهم، ولو كان ذلك من ناحية المداراة واتقاء شرهم، وفي ذلك لما بلغ جبلة بن حمود أن بعض من أهل القيروان خرج لملاقاة عبيد الله الشيعي، مخافة منه دعا: «اللهم لا تُسلِّم من خرج يُسلِّم عليه. واغتمّ لذلك غمّا شديدا»[3]، وهذا لخوفهم من افتتانهم به، وكذا اغترار العبيدي بكثرة الناس التي لاقته فتأخذه العزة بما هو ذاهب فيه ويغتر بذلك.

رابعا: الاهتمام بالجانب التكويني من خلال الوعظ داخل البيوت وتعليم أبناء الأهالي الموالين لبني عبيد سرا

بعد التضييق الذي تعرض له فقهاء المالكية بالمنع من اعتلاء المنابر أو تقلد أي وظيفة رسمية، تمُكن لهم من التعريف أو العمل على مذهب أهل السنة والجماعة، بل ومنعوا حتى من إقامة المجالس وَحِلَق الذكر بالمساجد للتحديث والوعظ، ليصل التضييق على المالكية إلى حد مصادرة مصنفاتهم، ومنعهم من الإفتاء على المذهب المالكي، هذه الإجراءات لم تثني العلماء من الصدح بالحق والدفاع عن العقيدة الصحيحة لسلف الأمة، ومحاربة عقيد العبيديين الفاسدة، والاستمرار على نشر العلم فهذا أبو إسحاق السبائي (ت356هـ/966م) يقول: «افتحوا باب داري، نأخذ في ذمهم، والتحذير منهم»[4]، فكان رحمة الله عليه يفتح داره للطلبة للأخذ عنه حتى أصبح بيته مثل المسجد، وهذا لكثرة من كان يرتاده من طلبة العلم[5].

كون علي قتل الكثير من المشركين وربما هناك حديثو العهد بالإسلام ممن مزال في قلبه ثأر، فكانت المصلحة تقديم أبا بكر لسبقه في الإسلام وسنه ولينه. عبد المجيد بن سالم المشعبي: **منهج ابن تيمية في مسألة التكفير**، مكتبة أضواء السلف، الرياض، السعودية، 1418هـ/1997م، ج1، ص223.

[1] ابن تيمية: **مجموع الفتاوي**، ج3، ص352، عبد المجيد المشعبي: **المرجع السابق**، ج1، ص224.

[2] الدباغ: **المصدر السابق**، ج3، ص152.

[3] المالكي: **المصدر السابق**، ج2، ص42.

[4] القاضي عياض: المدارك، ج6، ص57.

[5] الحسين شواط: **المرجع السابق**، ص79، القاضي عياض: المدارك، ج6، ص64.

وهذا أبو بكر بن اللباد (ت333هـ/944م)، رغم منعه من الفتوى والسماع وحتى اجتماع الطلبة حوله، كان الطلبة يأتونه سرا للأخذ عنه، منهم ابن أبي زيد وابن التبان، ومعلقا على ذلك يقول المالكي: «وكانوا ربما جعلوا الكتب في أوساطهم وحجرهم حتى تبتل بعرقهم خوفا منهم على أنفسهم من بني عبيد أن ينالوهم بمكروه»[1]، ومثلهم أحمد بن نصر الهواري[2] (ت319هـ/931 م)، الذي منعه العبيديون من إلقاء دروسه بمسجد رحبة القريشيين والإفتاء على مذهب مالك، وتم سجنه لذلك وبعد خروجه من السجن كان يجتمع إليه الناس في بيته للأخذ عنه[3].

ومن العلماء من كان يتوارى بحائط المقبرة ليدلي بعلمه لطلبته،[4] خوفا من بني عبيد ووُشَاتهم بعد أن مُنع البعض من الاجتماع بالناس حتى في دراه، وهُددوا بالقتل والسجن على ذلك، فكان من جملة ما يتداوله هؤلاء الفقهاء في حِلقهم ودروسهم بالإضافة إلى الفقه المالكي والعقيدة، كانوا أيضا يسعون لتعرية أكاذيب العبيديين وفضحهم وتبيان شنائعهم، وما هم عليه من الانحراف، وما آلت إليه الأمور من تزييف في عقيدة المشارقة، مقارنة بما كان عليه السلف والصحابة رضوان الله عليهم، لذلك كان الشيخ السبائي رحمه الله يكثر من ذكر فضائل الصحابة والثناء عليهم[5]، والذود عنهم بالحجج والبراهين من الكتاب والسنة، مبينا للعامة كبر

---

[1] المالكي: **المرجع السابق**، ج2، ص ص287-288.

[2] هو أبو جعفر أحمد بن نصر بن زياد الهواري ولد سنة (239هـ/853م)، سمع من ابن سحنون وابن عبدوس وغيرهم وممن أخذ عنه ابن حارث وأحمد بن حزم، وجمع كثير، كان من العلماء الحافظين قليلي الكتابة والتدوين، وهو أول من أدخل كتاب ابن المواز إفريقية، كان غالب عمله على مذهب مالك، وهو من العلماء الذين جرت عليهم دوائر العبيديين وسجن من قبل ابن أبي المنهال، توفي رحمه الله (319هـ/931 م) قال الذهبي مات 317هـ، انظر ترجمته: الدباغ: **المصدر السابق**، ج3، ص6، ابن فرحون: **المصدر السابق**، ج1، ص157، المالكي: **المصدر السابق**، ج2، ص183، ابن مخلوف: **المرجع السابق**، ج1، ص122، الذهبي: **تاريخ الإسلام**، ج7، ص318.

[3] الدباغ: **المصدر السابق**، ج3، ص8.

[4] محمد بن الفتح المؤدب كان ممن عقد للخروج على بني عبيد ومنعه الكبر من ذلك، قال الدباغ وكان يخرج إلى حائط مقبرة باب السلم يقرأ على أصحابه، مستترا على العبيديين لمنعهم التدريس والإفتاء على فقهاء المالكية توفي رحمه الله 334هـ.الدباغ: **المصدر السابق**، ج3، ص39.

[5] الحسين شواط: **المرجع السابق**، ص79.

جرم من ينتقص منهم، أو يرميهم بما ليس فيهم من الانحراف والردة التي اتهموا بها من قبل الإسماعيلية.

رافق العمل في البيوت بعيدا عن أعين العبيديين، إنشاء المدارس النظامية لنشر العلم، كلما ما سمحت الفرصة بذلك لكسر شوكة العبديين، وهو ما أدى لالتفاف الطلبة وعامة الناس حول الفقهاء والعلماء، كما كان له الأثر في نشر المذهب المالكي، والحفاظ على ما تم تحقيقه من مكاسب سابقة، وتكوين جيل جديد حمل لواء الدفاع عن المذهب[1].

أيضا من الحيل التي لجأ إليها فقهاء المغرب من المعلمين والمؤدبين للصبيا، عمدوا إلى تعليم أبناء البربر من الصنهاجيين والكتمايين، خاصة ممن كان آبائهم موالين للدولة العبيدية أو أعوان لها، لخلق جيل سني على المنهج الصحيح، وكان يعمدون إلى تعليمهم مجانا دون أخذ الأجر منهم، وهذا من أجل استمالتهم وتقريبهم إلى منهج أهل السنة، مثل الذي كان يعمل به أبو إسحاق الجبنياني (ت399هـ/1008م)[2]، الذي «كان يتعلم عنده جماعة من أولاد الكتاميين، ولا يأخذ منهم شيئاً،... فخرج كل كتامي علمه على الكتاب والسنّة»[3].

ولعل ثمار هذه الحيلة التي عمد إليها فقهاء المالكية قد آتت أكلها ولو بعد حين، وتجلى ذلك في الانتقال المذهبي من المذهب الشيعي إلى المذهب المالكي السني، والانفصال عن الدولة العبيدية من قبل المعز بن باديس، هذا الأخير كان قد تتلمذ على يد وزيره أبي الحسن بن أبي الرجال، حسب ما ذكر ابن عذارى، وأضاف أنه دأب تعليمه مذهب أهل السنة والجماعة دون علم من الشيعة ولا من أهل القيروان، ولم يكتشف أمره إلا في أحد الأعياد، حين خرج إلى الصلاة على فرسه فكبا به، وترضى على الخليفتين أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، فلما

---

[1] موسى هيصام: **المرجع السابق**، ج1، ص354.

[2] هو أبو إسحاق إبراهيم ابن أحمد الجبنياني: الفقيه العابد من أهل صفاقس، كان من أعلم الناس باختلاف العلماء، كان قليل الفتوى إلا إذا رأى شخصا يتكلم بما لايجوز أو من أخطأ في الصلاة أمامه فيصحح له، وكان رحمه الله مستجاب الدعوة، يهابه العبيديون لاستجابة دعائه، قال عنه ابن أبي زيد: طريق أبي إسحاق خالية لا يسلكها أحد في الوقت، توفي رحمه الله سنة (399هـ/1008م). انظر ترجمته: ابن فرحون: **المصدر السابق**، ج1، ص264، المالكي: **المصدر السابق**، ج2، ص201، ابن القاضي عياض: المدارك، ج6، ص222، الذهبي: **تاريخ الإسلام**، ج8، ص808.

[3] القاضي عياض: المدارك، ج6، ص246.

سمعه بعض الشيعة هموا بقتله، فانتفض حرسه ومن كان يكتم سنيته من أهل القيروان لحمايته، وحدثت مقتلة عظيمة في الشيعة[1].

خامسا: الجدل والمناظرات الفقهية بين فقهاء المالكية والعبيديين

الجدل والمناظرة هو تردد الكلام بين شخصين، هدف كل واحد منهما تصحيح ما يذهب إليه وإبطال قول الشخص الثاني[2]، وفيه يقول الباجي أنه من أرفع العلوم لأنه الوسيلة لمعرفة الاستدلال وتمييز الحق «ولولا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت حجة ولا اتضحت محجة»[3]، لكن الخوض في الجدل وإثارة المسائل العقائدية وأمور القدر وأسماء الله وصفاته، من سمات الشيعة والمعتزلة والخوارج، وعلى العموم تجنب أهل السنة من فقهاء وعلماء الحديث الخوض في هذه النوع من الصراعات، لِوُرُوْدِ نهي عن ذلك من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم[4]، وقد سار فقهاء المدرسة المالكية والمغاربة منهم على وجه التحديد على تجنب الخوض في الجدل، على نهج الإمام مالك الذي نهى عن ذلك، وفي هذا الصدد يقول صاحب كتاب المنهاج في ترتيب الحجاج: «فإني أهل عصرنا عن سبل المناظرة ناكبين، وعن سنن المجادلة عادلين،...مرتبكين ارتباك الطالب لأمر لا يدري تحقيقه»[5]، ويتضح من خلال كلامه، أنهم لم يكونوا متحمسين للأمر محجمين عنه، مع الخوف والارتباك في الخوض فيه.

لكن الظروف الراهنة ووصول تيارات عقائدية ومذهبية تخالف منهج السنة، حتم على فقهاء المالكية الخوض في هذه المجالات، فكانت لهم مواقف برعوا فيها وأفحموا أصحاب الضلالات بالحجج والبراهين، ومع تولي الأغالبة لولاية القيروان تدعم المذهب الحنفي من جانب السلطة فكان الأمراء الأغالبة «متحيزين للمذهب الحنفي في الفروع، ناصرين للمذهب المعتزلي في العقائد لتبعية هذه البلاد لحكم الخلافة العباسية في بغداد، في فترة كان خلفاؤها

---

[1] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص273.

[2] عمر الجيدي: **مباحث في المذهب المالكي بالمغرب الإسلامي**، ط1، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، 1993م، ص167.

[3] أبو الوليد الباجي: **المنهاج في ترتيب الحجاج**، ت عبد المجيد تركي، ط3، دار صادر، بيروت، لبنان، 2001، ص8.

[4] عبد الحميد بن حمره: **المدارس الكلامية بإفريقية إلى ظهور الأشعرية**، ط1، مطبعة دار العرب، تونس، 1406هـ/1986، ص26.

[5] أبو الوليد الباجي: **المصدر السابق**، ص7.

يتبنون المذهبين وينصرونهما، بل وكانوا يفرضونهما على الناس فرضاً، لكن سواد أهل إفريقية كانوا تبعا لعامة العلماء بها على مذهب مالك، مذهب أهل السنة والجماعة»[1]، فوقع على عاتق فقهاء المالكية الدفاع عن مذهبهم ومن هنا اكتسبوا خبرة في المجال وكانت بوادر الخوض في هذا الفن.

بعد دخول العبيديين المنطقة وما تعرض له أهل السنة خاصة المالكية من تضييق، كان الجدل والمناظرات الفقهية من بين أنجع الوسائل لدحض مزاعم العبيديين وخرافاتهم، خاصة أن تلك المناظرات كانت لها انعكاسات ايجابية على عامة الناس من سكان الغرب الإسلامي، بفضل الوعي الذي ظهر بينهم من خلال شهود تلك المناظرات، فكانت المناظرة تجري في رقادة أو القيروان وتنتشر أخبارها في جميع البلاد[2]، وتناقل العامة قبل الخاصة ما دار فيها من حجج لعلماء المالكية على العبيديين واضحت حديث المجالس، وبرز في هذه المناظرات العديد من العلماء كانوا الحصن المنيع في الذب عن أهل السنة ومعتقداتهم، ودحض خرافات وترهات العبيديين.

نقلت لنا بعض المصادر تلك المناظرات أو أجزاء منها، وحفلت الكتب السنية بذكر ما دار فيها، حيث بدأت هذه المناظرات منذ بدايات الوجود العبيدي بالمنطقة، فكان أبو عبد الله الشيعي يعقد مجالس للدعوة والسماع على القبائل الكتامية، وبعد بسط نفوذه وسيطرته على القيروان كانت له مناظرات مع أهل المنطقة[3]، وكانت تعقد ما اصطلح عليها «مجالس الحكمة»[4]، أشار الداعي إدريس إلى إحدى تلك المناظرات دون الإفصاح عن ما دار فيها،

---

[1] محمد بن الحسن شراحبيلي، **تطور المذهب المالكي في الغرب الإسلامي حتى نهاية العصر المرابطي**، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، المغرب، 61421هـ/2000م، ص160.

[2] موسى لقبال: **المرجع السابق**، ص412.

[3] الهنتاتي: **المرجع السابق**، ص58.

[4] كما ذكرنا سابقا أن الدين عند الباطنية ظاهر وباطن والباطن منه يختص به الأئمة وحدهم، فهذا العلم الباطن يتم تحت إشراف الإمام أو من ينوب عنه، فمجالس الحكمة هي أماكن جلوس الداعي أو الإمام إلى أتباعه الداخلين في الدعوة في أوقات معينة من الأسبوع لتدارس العلم الباطن كما أن هناك مجالس لتدارس الفقه الإسماعيلي وبعض العلوم الأخرى، وأيضا مناظرة المخالفين. مختار عمارة: **مجالس الحكمة في الدولة الفاطمية وأهدافها المذهبية والسياسية (1151-909م /725-292هـ)**، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية، مجلد12، عدد1، الجزائر، 2001، ص212.

والتي كانت حسبه بين أبي العباس[1] وفقهاء المالكية، واكتفى بالفخر بقوة حجاج أبي العباس قائلا: «واجتمع شيوخ القيروان وفقهائها إلى أبي العباس، وناظر الفقهاء في الإمامة وفيما خالفوا فيه أهل البيت في الفتيا فقطعهم في ذلك وعجبوا من قوة حجاجه ونفاذ عقله»[2].

بعد وصول عبيد الله المهدي المغرب كان في بعض الأحيان يتصدر تلك المجالس بنفسه، في محاولة منه للتأثير على الطرف المقابل وإرهابه وهذا بحكم مكانته وسلطته[3]، وممن تصدر تلك المجالس من الطرف العبيدي بالإضافة لعبيد الله المهدي والداعي أبو عبد الله الشيعي وأخوه أبي العباس، نجد القاضي محمد بن عمرو المروزي[4]، وأبي موسى هارون بن يونس المعروف بشيخ المشايخ الأربابي، كما ذكر القاضي النعمان أنه كلف بتولي تلك المجالس والتي استحدثها المعز في قصره، كانت هذه المجالس بالأساس لبسط العقيدة الإسماعيلية وفقهها، ونشر علم الباطن الذي خص به الأئمة ونشر حكمتهم وما جادوا به من وصايا لخاصتهم من الدعاة والحجج ومن ينوب عنهم غاية إيصالها لمن يستحق من أتباعهم[5].

هذا وبرز في الجانب السني عديد الفقهاء الذين ذادوا عن دين الله عز وجل من التحريف والأباطيل والدجل الذي ساقه باطنية بني عبيد، رغم ما تعرضوا له من مضايقات واضطهاد غير أنهم أبوا إلا أن يدافعوا عن دين الله من التحريف، وعلى رأس المتكلمين والمقارعين لعبيديين بالحجج نجد:

---

[1] أبو العباس محمد بن أحمد بن زكريا أخو أبي عبد الله الشيعي يكنى بالمخطوم، كان أكبر من عبد الله الشيعي سنا، أحد كبار دعاة الإسماعيلية في زمانه، قال عنه ابن عذارى: و»كان أبو العباس المخطوم عجولا، كثير الكلام،» رافق عبيد الله المهدي من سلمية إلى بلاد المغرب وتم القبض عليه من قبل الأغالبة وسجن ثم فر إلى طرابلس وبعد الإستلاء على رقادة التحق بأخيه، وبعد تولي المهدي العبيدي أمر المغرب، صار يؤلب أخاه عليه كونه حكم هو صاحب الحكم وسلمه للمهدي بعدما فعل كل شيء ووصل ذلك إلى مسامع المهدي فقتلهما كلاهما سنة 298هـ/910م. انظر المقريزي: **اتعاظ**، ج5، 264، القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص269 الداعي ادريس: **الخلفاء**، ص156 ابن عذارى: **البيان**، ج1، ص150.

[2] الداعي إدريس: **المصدر السابق**، ص142.

[3] هيصام: **المرجع السابق**، ج2، ص495.

[4] محمد بن عمرو المازوري أول قاضي شيعي بالقيروان (ت303هـ/915م) الداعي إدريس: **الخلفاء**، المصدر السابق، ص140.

[5] القاضي النعمان: **المجالس**، ص ص10-11.

أبو عثمان سعيد بن الحداد[1] (ت302هـ/914م)[2]، امتاز ابن الحداد بالتفوق في المناظرات فقد ناظر أبا العباس، وعبيد الله المهدي وقبله داعيته أبو عبد الله الشيعي، قال عنه الذهبي : « له مقامات كريمة، ومواقف محمودة في الدفع عن الإسلام، والذب عن السنة، ناظر فيها أبا العباس المعجوقي أخا أبي عبد الله الشيعي»[3] وشهد بذلك العديد من المؤرخين كالدباغ الذي قال عنه: «أوجد رجال زمانه في المناظرة والرّد على الفرق، مقّدما في ذلك»[4]، وقال الزبيدي: «وكان الجدل أغلب الفنون عليه، وكان دقيق النظر جداً، ثابت الحجة، شديد العارضة، حاضر الجواب، صحيح الخاط»[5]، قال عنه ابن الحارث: «كانت لأبي عثمان مقامات كريمة ومواقف محمودة في الدفاع عن الإسلام والذب عن السنة ناظر فيها أبا العباس خيطوم، أخا الشيعي»[6]، حفظ لنا الخشني أربع مجالس من المناظرات التي قام بها أبو سعيد

---

[1] أبو عثمان سعيد بن محمد بن صبيح بن الحداد الغساني ت(302هـ/914م) قال وأضاف الذهبي شيخ المالكية والمغربي ، اختلف في تاريخ وفاته وقال القاضي عياض أنه مات سنة 302هـ ، ويقال سعيد الحداد، فشائع عند أهل القيروان تسمية الحداد لحدة الذهن، لكن سمي ابن الحداد لجده لأمه، وكان يذم التقليد ويقول هو من نقص العقول، أو دناءة الهمم، ذو تكوين مغربي بحت ولم تكن له رحلة إلى المشرق على عادة فقهاء المالكية ، أخذ عن علماء المنطقة مثل سحنون بن سعيد، وأبي سنان زيد بن سنان الأسدي ت(244هـ858م)، ومن تتلمذ على يديه أبو بكر بن اللباد وأبو العرب محمد بن تميم ت(333هـ/944م) ، كان مالكيا من أصحاب سحنون ثم مال إلى مذهب الشافعي، وصار يسمى المدونة بالمدودة فهجره المالكية إلى أن ناظر العبيديين فأحبوه وعادوا لصحبته ، وينفي القاضي عياض عنه ميوله إلى الشافعية وسبه المدونة ، متمكن في عديد العلوم كالنحو والتفسير وفقيه مجتهد عالم بأخبار افريقية وعلمائها، له عديد المؤلفات ككتاب توضيح المشكل في القرآن، والمقالات؛ ردَّ فيه على أهل المذاهب أجمعين، والاستيعاب، والأمالي، وعصمة المسلمين، والعبادة الكبرى والصغرى، والاستواء، وغيرها، أنظر ترجمته: أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي: **طبقات النحويين واللغويين**، ت: أبو الفضل محمد إبراهيم، ط2، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1984م، ص239، القاضي عياض: **تراجم أغلبية**، ص352، الذهبي: **السير**، المصدر السابق، ج14، ص205، المالكي: **المصدر السابق**، المصدر السابق، ج2، ص57، الخشني: **قضاة قرطبة**، ص201، الدباغ: **معالم الإيمان**، المصدر السابق، ج2، ص295، الطالبي: **المرجع السابق**، ص363، الذهبي: **السير**، الصدر السابق، ج14، ص206، محمد محفوظ: **المرجع السابق**، ج2، ص106.

[2] القاضي عياض: **تراجم أغلبية**، ص363.

[3] الذهبي: **السير**، الصدر السابق، ج14، ص206.

[4] الدباغ: **معالم الإيمان**، المصدر السابق، ج2، ص297.

[5] الزبيدي: **المصدر السابق**، المصدر السابق، ص239.

[6] القاضي عياض: **تراجم أغلبية**، ص355.

مع العبيديين والتي تزيد عن الأربعين مجلس وأملاها على أصحابه وسماها المجالس[1]، تميز بالشجاعة في مواجهة العبيدين، فلما حذره ابنه محمد خوفا عليه من غدر وبطش العبيديين، كان جوابه كله ثقة بالله واتكال عليه فقال: «حسبي من له غضبت وعن دينه ذببت»[2]، وتكلم يوما في مجلس العبيدي فغضب وقام إليه أحد الكتاميين يقال له موسى بن هارون، بالرمح فمنعه عبيد الله ثم قال لسعيد مخوفا أن هذا الرجل إن غضب يغضب لغضبه اثنا عشر ألف، لكونه أحد شيوخ القبائل الكتامية ويلقب بشيخ المشايخ، فكان رد أبي عثمان بأنه يدافع عن دين الله ويغضب لغضبه الواحد القهار الذي أهلك من هم أعتا قوة كعاد وثمود[3].

بالإضافة إلى أبي سعيد، برز العديد من الفقهاء في هذا الميدان، كانوا فيه الحصن المنيع أمام المد العبيدي بالحجج والبراهين نذكر منهم أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن حسين الضبي ويعرف بابن البرذون[4] (ت297هـ/912م)، الذي قتل على يد حسن بن أبي خنزير[5] رفقة أبي بكر بن هذيل[6]، وكان ابن البرذون فقيها بارعا[7] قال عنه المالكي أنه من رجال ابن الحداد ومن أقوى الشباب في الجدل والمناظرة وإقامة الحجة على مخالفيه[8]، كان يقول: إني

---

[1] الزبيدي: **المصدر السابق**، ص240.

[2] المالكي: **المصدر السابق**، ج2، ص64.

[3] **نفسه** ج2، ص63.

[4] أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن حسين الضبي ويعرف بابن البرذون، قتل على يد حسن بن أبي خنزير بأمر من أبي العباس الشيعي، سنة 298هـ وقال الدباغ 299هـ رفقة أبي بكر بن هذيل ، وهذا التاريخ غير ثاب لأن أبا العباس وأخوه قتلا 297هـ ، وربما كان هذا تاريخ استشهادهما لأنهما من أول ضحايا العبيديين، وتم التنكيل بجثتيهما وصلبا على أحد أبواب القيروان ، سمع من عيسى بن مسكين ويحي بن عمر وابن جبلة وغيرهم من رجال سحنون، كان فقيها بارعا قال عنه المالكي أنه من رجال ابن الحداد ومن أقوى الشباب في الجدل والمناظرة وإقامة الحجة على مخالفيه ، كان يقول: إني أتكلم في تسعة عشر فنا من العلم ، وقيل عنه أنه لم يكن نشأ في القيروان من هو أقوى منه في المناظرة والحجة. أنظر ترجمته القاضي عياض: **تراجم أغلبية**، ص391، ابن فرحون: **المصدر السابق**، ج1،ص266، المالكي: **المصدر السابق**، ج2، ص47، الدباغ: **معالم الإيمان**، ج2، ص261، الذهبي: **السير**، ج14، ص215، الذهبي: **تاريخ الإسلام**، ج6، ص935.

[5] الدباغ: **معالم الإيمان**، ج2، ص261.

[6] ابو بكر بن هذيل كان من الفقهاء الورعين المتعففين، وكانت زوجته تغزل الكتان ويبعه ومنه قوته توفي سنة 297هـ بعد جلده رفقة ابن البرذون من قبل العبيديين. عنه انظر القاضي عياض: **تراجم أغلبية**، ص394.

[7] **نفسه**، ص261.

[8] المالكي: **المصدر السابق**، ج2، ص47.

أتكلم في تسعة عشر فنا من العلم[1]، وقيل عنه أنه لم يكن نشأ في القيروان في عصره من الشباب من هو أقوى منه في المناظرة والحجة والرد على المخالفين[2]، ومنهم محمد الرقادي[3] (ت316هـ/926م) الذي قال عنه الخشني: «كان حادا حاذقا، بصيرا لحدود المناظرة، حاضر الجواب، مليح المناظرة وألف كتبا كثيرة في ذلك»[4]، وأيضا أبو محمد عبد الله ابن أبي زيد القيرواني (ت386هـ/996م)، القيرواني مولدا ومنشأ وحياةً ومدفنا[5]، لقبه الذهبي «مالك الصغير»[6]، وقال عنه: «كان ذابا عن مذهب مالك قائما بالحجة عليه بصيرا بالرد على أهل الأهواء»[7]، «وقيل فيه أيضا لولا الشيخان والمحمدان لذهب المذهب»[8]، يقصد المذهب المالكي.

كذلك ممن برز في هذا المجال نجد أبو محمد عبد الله بن إسحاق المغربي ابن التبان (ت371هـ/981م)، عالم القيروان، وشيخ المالكية قال القاضي عياض: ضربت إليه آباط الإبل من الأمصار لذبه عن مذهب أهل المدينة، وكان حافظا بعيدا من التصنع والرياء ، فصيحا[9]، توفي سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة[10]، كان شجاعا مقداما، و «وكان عالماً بالاحتجاج لمذهبه»[11] وعقب خروج العبيديين نحو مصر واستخلاف الزربين على بلاد المغرب الإسلامي، عمل أمراءهم على عقد مجالس المناظرة واستفزاز فقهاء المالكية ، خاصة في عهد أميرهم الأول بلكين بن زيري (362ت/373هـ)، وتولى المناظرة عن الجانب الشيعي عبد

---

[1] القاضي عياض: **تراجم أغلبية**، ص389.

[2] المالكي: **المصدر السابق**، ج2، ص47.

[3] محمد الرقادي القيرواني ترجم له الخشني ب الفقيه المناظر، قال أنه نشأ أيام ابن الحداد وكان يدافع على المذهب على طريقته، اشتهر بعده ولم يصاحبه، وقال أيضا أنه غرق سفره إلى مصر على متن رقارب موكلا على تجارة، توفي 316هـ926م. الخشني: **قضاة قرطبة**، ص284.

[4] **نفسه**، ص284.

[5] الدباغ: **معالم الإيمان**، ج3، ص109.

[6] الذهبي: **السير**، ج17، ص10.

[7] الدباغ: **معالم الإيمان**، المصدر السابق، ج3، ص110.

[8] فالشيخان ابن أبي زيد وأبو بكر الأبهري، والمحمدان محمد بن سحنون ومحمد بن المواز، الدباغ: **معالم الإيمان**، ج3، ص110.

[9] القاضي عياض: **المدارك**، المصدر السابق، ج6، ص248.

[10] الدباغ: **معالم الإيمان**، المصدر السابق، ج2، ص432.

[11] القاضي عياض: **المدارك**، المصدر السابق، ج6، ص248.

الله المعروف بالمحتال، وكان صاحب الرياسة على القيروان، فلما طلب أهل العلم للمناظرة في محاولته لتشييعهم، وكان من جملتهم ابن التبان «فقال لهم ابن التبان: أنا أمضي إليه، وأكفيكم مؤونة الاجتماع، ويكون كل واحد منكم في داره»، وهذا بعد قرارهم الفرار[1].

من بين المواضيع التي ناظروا فيها عبيد الله المهدي ولاية علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فدعا عبيد الله المهدي سعيد ابن الحداد إلى عنده، وزعم أن أهل القيروان يكرهون عليا، فرد عليه سعيد بحبهم له واستشهد على علو شأنه بقول شيخه سحنون: «علي بن أبي طالب إمامي في الدين أهتدي بهديه واستنّ بسنّته وأقتفي أثره»[2] فذكر له العبيدي حديث غدير خم: (من كنت مولاه فعلي مولاه)[3]، وأردف قائلا فما بال الناس لا يكونوا عبيدنا، فأجابه سعيد بأن المقصود هنا ولاية الدين وليس ولاية الرق، واستشهد بقوله تعالى: {مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ (79) وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}[4]، فما لم يكن لنبي الله لم يكن لغيره، وعلي لم يكن نبيا إنما كان وزيرا لرسول الله صلى الله عليه، فصرفه من المجلس بشرط كتم ما دار بينهما[5].

وناظره يوما بأن القرآن الكريم يقر بأن محمد صلى الله عليه وسلم رسول الله، وليس بخاتم النبيين واستدل بقوله تعالى: {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا}[6]، فرد عليه أبو عثمان بأن هذه الواو ليس واو ابتداء ولكن

---

[1] القاضي عياض: **المدارك**، ج6، ص252.

[2] المالكي: **المصدر السابق**، ج2، ص82.

[3] عن أبي الطفيل عنه قال: لما دفع النبي صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع ونزل غدير خم، ...ثم قال: كأني دعيت فأجبت وإني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض، ثم قال: «إن الله مولاي وأنا ولي كل مؤمن «. ثم أخذ بيد علي رضي الله عنه فقال:» من كنت وليه، فهذا وليه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه «، الألباني: **المصدر السابق**، ج4، ص331، رقم الحديث [1750].

[4] سورة آل عمران: رقم الآية [79-80].

[5] الذهبي: **السير**، المصدر السابق، ج14، ص207.

[6] سورة الأحزاب: الآية رقم [40].

من واوات العطف كقوله تعالى: {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}[1]، وهذه الصفات خاصة بالله عز وجل وحده[2].

كما أنّ لهم عديد المناظرات كانت في معظمها عقدية، وشملت عدة مواضيع من بينها الإمامة وولاية علي ابن أبي طالب، وهناك أيضا شبهة ارتداد الصحابة، ومعنى السنة، وتحيز عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم حنين، وبعض مصادر التشريع عند أهل السنة كالقياس والإجماع[3]، وقد ساهم إتقان ابن الحداد اللغة العربية والنحو، وإلمامه بأيام العرب وأشعارهم ، فقد ذكره الزبيدي في ضمن معجم النحويين، كما أنه متكن من علوم القرآن وتفسيره، وحضور شخصيته وجوهرية صوته وسرعة البديهة، ساهمت في تفوقه من خلال الرد على مناظريه واستحضار الأدلة[4]، هذه الصفات أهلته ليكون حصنا منيعا للسنة ضد المد العبيدي.

من مناظرات ابن البرذون ذكر المالكي في رياض النفوس أنّه لما وصل عبيد الله رقادة، جاء بابن البرذون وابن هذيل فلما وصلا مجلسه، كان معه أبو عبد الله الشيعي وأخوه، فقال لهما أبو العباس أن يشهدا بأن العبيدي رسول الله، فقالا: «والله الذي لا إله إلاّ هو لو جاءنا هذا والشمس عن يمينه والقمر عن يساره يقولان إنه رسول الله ما قلنا إنّه رسول الله، فأمر عبيد الله حينئذ بذبحهما جميعا وأمر بربطهما إلى أذناب البغال»[5]، فكان أمر عبيد الله بأن يدخلا في دعوة بني عبيد أو يجلدا حتى الموت، فأثارا الموت على عذاب الآخرة كونهما قدوة للناس ويتبعهم العامة فيما يفعلانه وحتى قول ذلك دون العمل به رفضاه لمكانتهما واقتداء الناس بهما[6].

من جملة ما ناظر فيه العبيديين قضية ولاية الفاضل والمفضول، وحاج العبيديين أن علي كان يقيم الحدود بين يدي أبي بكر رضي الله عنهما، ولو لم يكن إمام هدى لما استحق

---

[1] سورة الحديد: الآية رقم [3].

[2] الدباغ: **المصدر السابق**، ج2، ص30.

[3] المالكي: **المصدر السابق**، ج2، ص ص70.85.

[4] الدباغ: **المصدر السابق**، ج2، ص296.

[5] المالكي: **المصدر السابق**، ج2، ص49.

[6] القاضي عياض: **تراجم أغلبية**، ص392.

معونته[1]، فأمر بحبسه وجلد ابن هذيل خمسمائة سوط وقتل ابن البرذون[2]، فقيل إنه أخطأ فجلد ابن البرذون وقطع رأس ابن هذيل، فلما أخرج ابن البرذون لقطع رأسه طُلب منه التراجع عن مذهبه مقابل العفو عنه، فقال له: «أعن الإسلام تستتيبني؟»[3] فقُتل رحمه الله.

عقب خروج العبيديين نحو مصر واستخلاف الزريين على بلاد المغرب، عمل أمراءهم على عقد مجالس المناظرة واستفزاز فقهاء المالكية ، خاصة في عهد أميرهم الأول بلكين بن زيري (373/362هـ)، وتولى المناظرة عن الجانب الشيعي عبد الله المعروف بالمحتال، وكان صاحب الرياسة على القيروان، فلما طلب أهل العلم للمناظرة في محاولته لتشييعهم، وكان من جملتهم ابن التبان فقال لهم ابن التبان حسب ما أورد القاضي عياض: «أنا أمضي إليه، وأكفيكم مؤونة الاجتماع، ويكون كل واحد منكم في داره»[4]، وهذا بعد تشاورهم وطرحهم الفرار كحل للنجاة من الامر.

ومن بين مناظراته مع العبيديين مناظرة أفضلية عائشة أم فاطمة، فقد سئل أعائشة أفضل أو فاطمة رضي الله عنهما، فكان جوابه بأن الفضل لعائشة وسائر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أفضل من فاطمة، واستدل بقوله تعالى: { يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا}[5]، فاحتج عليه بعضهم بفضل فاطمة كون فاطمة أبوها رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وأمها خديجة، وزوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وولداها سيدا شباب أهل الجنة، وعائشة أمها أم رومان وأبوها عبد الله ابن أبي قحافة، فكان رده أن أفضلية عائشة ونساء النبي صلى الله عليه وسلم لأمرين،[6] أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم إذا مات عنها زوجها لا يجوز لها الزواج

---

[1] جاء في معالم الإيمان أنه قال: كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقيم الحدود بين يدي عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فلو لم يكن عنده إمام هدى مستحقا للتقدمة لما فعل ما فعل» فلما بلغ ذلك أبا عبد الله الشيعي ذلك قال كان يوسف الصديق عونا للعزيز رغم ما كان عليه وأمر بقتله، انظر القاضي عياض: **تراجم أغلبية**، ص391، الدباغ: **معالم الإيمان**، ج2، ص262.

[2] **نفسه**، ج2، ص264.

[3] القاضي عياض: **تراجم أغلبية**، ص391.

[4] القاضي عياض: **المدارك**، ج6، ص252.

[5] سورة الأحزاب: الآية رقم [32].

[6] القاضي عياض: **المدارك**، المصدر السابق، ج6، ص254.

من غيره والأمر الثاني أنها معه يوم القيامة في الجنة، وفاطمة مع علي ومنزلة النبي صلى الله عليه وسلم أعلى في الجنة.

أرادوا مناظرته في أفضلية أهل البيت فسخر منهم، لكون من أراد مناظرته لم يكن يحفظ سوى حديثين في ذلك الباب، وأخطأ فيهما، وابن التبان كان يحفظ أكثر من سبعين حديثا في فضائل أهل البيت فقط، وناظره عبيد الله في أفضلية أبي بكر وعلي رضي الله عنهما، واحتج بالقول: «أيكون أبو بكر أفضل من خمسة، جبريل عليه السلام سادسهم»[1]، فرد عليه ابن التبان أيكون علي أفضل من اثنتين الله ثالثهما[2]، وبعد أن فضحهم وأفحمهم في المناظرات، أرادوا استمالته وأخذ البيعة عنه لما له من مكانة وحظوة بين الناس، فكان رده عليهم بأن قال: «شيخ له ستون سنة، يعرف حلال الله وحرامه، ويرد على اثنين وسبعين فرقة، يقال له هذا؟ لو نُشِرتُ بين اثنين، ما فارقت مذهب مالك»[3]، فكان ابن التبان من بين أشد المدافعين عن السنة سرا وعلنا، مقارعا العبيديين الحجة بالحجة والبدعة بالسنة والكذب بالدليل من الكتاب والسنة.

كما حدثت مناظرات أخرى أتم نقل أغلبها في كتب وتراجم ومؤلفات أهل السنة، وما دار فيها وما تناولته من موضوعات، ومن بين تلك المناظرات أيضا التي ذكرها القاضي عياض في مداركه، وكان من الجانب المالكي عثمان بن خلف، المعروف بابن أخي هشام الربعي الخياط[4] (ت373هـ/893م)، وهو من أهل القيروان، وقد جادلوه بقول المالكية بقتل من

---

[1] يقصد هنا حديث العباءة المشهور: قالت عائشة: خرج النبي صلى الله عليه وسلم غداة وعليه مرط مرحل، من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال {إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا} سورة الأحزاب: الآية رقم [33]، مسلم: **المصدر السابق**، ج4، ص1884، رقم الحديث [2424].

[2] القاضي عياض: **المدارك**، ج6، ص254.

[3] الدباغ: **معالم الإيمان**، ج3، ص93.

[4] ابن أخي هشام: هو أبو سعيد خلف بن عمر –وقيل عثمان بن عمر وقيل عثمان بن خلف– المعروف بابن أخي هشام الحناط الربعي، جاء في المدارك للقاضي عياض والديباج لابن فرحون الخياط ولعله تصحيف، لأنّ لقبه بالحناط، كما أنّ القاضي عياض يذكر أنه كان يبيع الحنطة، ولعل ذلك سبب تلقيبه بالحناط، ويعرف أيضا بمعلم الفقهاء، ولد بالقيروان حوالي (297هـ/911م)، من شيوخه ابن نصر وأبو بكر بن اللباد ومن تلاميذه خلف بن تميم الهواري، من فقهاء القيروان وإمام زمانه، عرف بالتواضع والإخلاص ولم يعرف عنه الرياء، مدحه ابن أبي زيد بسعة علمه، اختلف في سنة وفاته والراجح

سب عائشة رضي الله عنها، وعقوبة من فعل ذلك الجلد، وبهذا خالفتم القرآن والسنة، واستدلوا على مقالتهم بقوله تعالى: { وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}[1]، وجلد الرسول صلى الله عليه وسلم لأصحاب عائشة[2]، فكان رده أن أولئك جلدوا حد القذف قبل أن يبرأها الله تعالى من فوق سبع سنوات، وبعد أن نزل قرآن بتبرئتها ومن قذفها بعد ذلك فقد اعترض على القرآن ومن اعترض على القرآن أو رد حرفا منه فهو كافر بالإجماع.[3]

في عهد المعز بن باديس (406-454هـ/1016-1062)، والذي حسم أمر الشيعة ببلاد المغرب الإسلامي وحمل الناس على المذهب المالكي[4]، حدثت مناظرة علمية ولكن هذه المرة من نوع آخر إذ كان طرفي المناظرة من فقهاء المالكية ، وكان سبب تلك المناظرة أن الشيخ أبا إسحاق التونسي (ت443هـ/1051م)، سئل في مسألة طلاق ورجعة وكان ولي النكاح من الشيعة،[5] فأفتى بأن الشيعة على نوعين النوع الأول كافر دمه مباح ويجوز ضربه، والنوع الثاني الذين يقولون بتفضيل علي على باقي الصحابة رضوان الله عليهم، فلا يكفرون بقولهم ويجوز مناكحتهم[6].

قيل أن هذه الفتوى جاءت بعد ما تعرض له الشيعة من مضايقات عقب رجوع المعز بن باديس إلى المذهب المالكي، وقد أنكر جميع فقهاء القيروان عليه هذه الفتوى، واحتجوا أن أهل الزهد والورع كالسبائي والقطان كانوا من أشد الناس معاداة لبني عبيد، وطلبوا من الرجوع

(273هـ/893م) وحضر جنازته بلكين الزيري وجميع حاشيته. القاضي عياض: **المدارك**، ج6، ص210، ابن فرحون: **المصدر السابق**، ج1، ص374، الدباغ: **معالم الإيمان**، ج3، ص99، قاسم علي: **المرجع السابق**، ج1، ص450.

[1] سورة النور: الآية [24].

[2] قام الرسول صلى الله عليه وسلم بعد حادثة الإفك بإقامة حد الجلد على رجلين وامرأة وهم مسطح وحسان، وحمنة بنت جحش وهي أخت زينب بن جحش رضي الله عنها زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم، انظر الذهبي: **تاريخ الإسلام**، ج1، ص183.

[3] القاضي عياض: **المدارك**، المصدر السابق، ج6، ص212.

[4] ابن خلكان: **المصدر السابق**، ج5، ص233.

[5] الدباغ: **معالم الايمان**، ج3، ص177.

[6] القاضي عياض: **المدارك**، ج8، ص59.

عن فتواه[1]، ولما وصل الأمر المعز جمعه مع بعض الفقهاء عنده في المقصورة وناظروه وأظهر الرجوع عن مقالته[2].

كان مخالفة علماء القيروان له في الأمر سد للذرائع، خاصة بعد ما لاقوه من تعطيل وتظليل من بني عبيد، وأنهم زنادقة كفرة، ومن دخل في دعواهم وإن لم يقل بقولهم، فقد تولى الكفار وهذا منهي عنه شرعا، وأن هذه الفتوى افتتن بها كثير من الخلق بمصر والشام أين لازلت دعوى بني عبيد مستمرة[3]، أي لم يزل خطرهم بعد عن الأمة الإسلامية.

أنكر الشيخ أبا إسحاق الرجوع عن فتواه بعد ذلك وأصر عليها، فأخرج الفقهاء فتاوي في الرد عليه ونظمت الأبيات في ذلك، ثم أصدر ما يشبه المرسوم من المعز تم تلاوته يوم الجمعة على المنبر في الموضوع، وأحضر أبو إسحاق المقصورة رفقة الشيخ اللبيدي والفقيه أبا الحسن والقاضي أبي بكر، وكان هذان الفقيهان من أشد الناس على العبيديين وناظروه في المسألة، وحَكَمَ عليه اللبيدي أن يعلن توبته أمام العامة على المنبر، أن يقول: «كنت ضالاً فيما رأيته ونطقت به. ثم رجعت عن ذلك الى مذهب الجماعة»[4]، فطلب بقوله أمامهم فقط وبحضور السلطان، فقبلوا بشرط أن يعلن ذلك ويذيعه على نفسه وانتهت المسألة[5]، وعقَّب القاضي عياض على هذه المسألة أن الحق كان مع أبي إسحاق لكن للظروف الراهنة كان الأحرى به التزام أمر الجماعة وعدم مخالفتهم.

---

[1] الدباغ: **معالم الايمان**، ج3، ص181.

[2] نفسه، ص183.

[3] القاضي عياض: **المدارك**، ج8، ص60.

[4] **نفسه**، ج8، ص62.

[5] **نفس المصدر**، ج8، ص62.

سادسا: حركة التأليف والرد على العبديين

نشط عديد فقهاء المالكية في حركة التأليف، وأُعتبر تصنيف الكتب شكل من أشكال المقاومة السنية المالكية للوجود العبيدي، وهذا من خلال الكتابة حول الأفكار والمعتقدات التي أثارها العبيديون، حتى وإن لم يكن طابعها العام ردا صريحا على العبيديين، لكن الملاحظ لما حوته بين طياتها ومواضيعها يدرك الهدف منها، بحيث شملت هذه المصنفات حكم الشرع على منهج أهل السنة والجماعة، استنادا إلى المأثور من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة رضوان الله عليهم، وكذا نقولات واجتهادات التابعين وكبار العلماء الربانيين، الذين لهم وزن وأثر في قلوب عامة المسلمين، فأثبتت هذه المؤلفات رأي أهل السنة والجماعة في بعض المسائل في مجال الفقه والعقيدة والتشريع وغيرها، ونقضت أراء العبيديين في هذه المجالات وأبطلتها

فقد ألف إبراهيم بن عبد الله الزبيري المعروف بالقلانسي[1] (ت359هـ/969م)، كتاب في «الإمامة والرد على الرافضة»، وهذا نقدا لأقوال العبيديين في الإمامة وإبطالا لرأيهم وتنويرا لأهل السنة في الموضوع، وقد ضرب سبع مائة سوط وحبس أربع أشهر بسبب تأليفه هذا الكتاب[2]، كما كان لأبي سعيد عثمان بن الحداد كتابا تحت عنوان « المقالات» شمل الرد على جميع المذاهب والفرق[3]، ولا شك أن الكتاب هذا احتوى على الرد أيضا على المذهب الإسماعيلي الشيعي، وما يدعم هذا الرأي سيرة ابن الحداد ومناظراته للعبيديين، واستماتته في الدفاع عن مذهب أهل السنة.

ومن مقال الشيعة بعصمة أئمتهم ألف أبو بكر بن اللباد كتابه «إثبات الحجة في إثبات العصمة للأنبياء» وكتاب «عصمة النبيين»[4]، ولعل سبب تأليفه لهذين الكتابين الرد

---

[1] القلانسي: هو أبو إسحاق عبد الله بن إبراهيم الزبيدي، سمع من حماس بن مروان، وفرات بن محمد وممن أخذ عنه أوبو جعفر الداودي، فقيه وله دراية بعلم الكلام، ممن امتحن في عهد القائم العبيدي فسجن أربعة أشهر وضرب سبعمائة سوط، وقيل أن السبب في ذلك تأليفه كتاب الإمامة والرد على الرافضة، توفي رحمة الله عليه سنة (359هـ/969م). أنظر ترجمته، القاضي عياض: **المدارك**، ج6، ص257، ابن فرحون: **المصدر السابق**، ج1، ص269، محمد محفوظ: **المرجع السابق**، ج2، ص411، ابن سالم مخلوف: **المرجع السابق**، ج1، ص140.

[2] القاضي عياض: **المدارك**، ج6، ص258.

[3] الزبيدي: **المصدر السابق**، ج1، ص239.

[4] القاضي عياض: **المدارك**، ج5، ص288.

على العبديين في قولهم بعصمة الأئمة، ومنها كتاب في فضائل أهل البيت ألفه ابن التبان[1]، وهذا ردا على الرافضة الذين يرمون النواصب، كما يطلقون على أهل السنة بإنكارهم لفضل ورفعة أهل البيت، وقد أفحم ابن التبان العبيديين بإحاطته بفضائل أهل البيت أكثر من هؤلاء الأدعياء الذين يزعمون انتمائهم إليهم ودفاعهم عنهم.

أيضا نجد أبو الحسن القابسي[2] (403هـ/1012م) له عديد المؤلفات منها كتاب «المنقذ من شبه التأويل» وكتاب «الاعتقادات»[3]، وهذان المصنفان كان الرد فيهما على العبديين القائلين بالعلم الظاهر والتأويل الباطني للقرآن، ونجد أيضا ابن أبي زيد القيرواني الذي له عديد التصانيف العقدية والفقهية والتعليمية، في معظمها إثبات للسنة ورد على ادعاءات العبيديين، وعلى رأس تلك المؤلفات نجد «رسالة ابن أبي زيد القيرواني»[4]، وكتاب «النوادر والزيادات» وكذا كتاب «مختصر المدونة»[5]، وفاق عدد مجلدات كتابه النوادر المائة كتاب، احتوى

---

[1] **نفسه**، ج6، ص254.

[2] القابسي: أبو الحسن علي بن محمد بن خلف القرروي المعافري، المعروف بان القابسي، قيل المعافري نسبة لقرية المعافرين بقابس أين ولد سنة (324هـ/926م) من شيوخه ابن مسرور الدباغ، وأخذ عنه أبا عمران الفاسي، واللبيدي وغيرهما، له رحلة حج زار خلاله مصر وسع من جماعة من الفضلاء منهم حمزة بن محمد الكتاني، حاز علم الفقه والحديث وكان أصوليا متكلما، رغم أنه كان ضريرا لا يرى، قال عنه الذهبي العلامة الحافظ فقيه المغرب، له العديد من المؤلفات ذكرت المصادر أكثر من سبعة عشر مؤلفا منها كتاب «الممهد» في الفقه، و»أحكام الديانات» «والمنقذ من شبه التأويل»، وغيرها، ورغم عماه إلا أنّ مؤلفاته من أكثر الكتب صحة وضبطا، توفي رحمة الله عليه (ت403هـ/1012م) ودفن بباب تونس. انظر ترجمته، القاضي عياض: **المدارك**، ج7، ص92، الذهبي: **السير**، ج17، ص158، **ابن خلكان: المصدر السابق**، ج3، ص320، ابن فرحون: **المصدر السابق**، ج2، 101، الزركلي: **المرجع الساق**، ج4، ص326، محمد محفوظ: **المرجع السابق**، ج4، ص45، ابن سالم مخلوف: **المرجع السابق**، ج2، ص145.

[3] الذهبي: **تاريخ الإسلام**، ج9، ص61.

[4] هي رسالة فقهية بلغت من الأهمية أن فاقت شروحها الثلاثين شرحا كما نظمها غير واحد وعليها الكثير من الدراسات وتعد من أهم كتب الفقه المالكية وقد عكف عليها أهل العلم عناية وتدريسا وأثني عليها العديد منهم وبلغت شهرتها العراق ومصر والأندلس وبلاد الحجاز وجل الأراضي الإسلامية وأثنى عليها عديد العلماء المعتبرين. انظر أحمد مصطفى قاسم الطحاوي: **رسالة ابن أبي زيد القيرواني ومعها إيضاح المعاني على رسالة القيرواني**، ط1، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، 2005م، مقدمة المحقق، ص3 وما بعدها.

[5] عبد الله ابن أبي زيد القيرواني: **كتاب الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ**، ت محمد أبو الأجفان/ عثمان بطيخ، ط2، مكتبة الرسالة، المكتبة العتيقة، بيروت، تونس، 1403هـ/1983م، ص43.

بالإضافة إلى النقول الفقهية، شذرات من السير والأخبار، وجمع من المسائل والخلافات والآراء من الأمهات والفروع فهو كنز فقهي وتاريخي[1].

الملاحظ أن مؤلفات أبي محمد كانت في بدايتها تصب في الردود على البدع والخرافات الرافضية، من أجل تثبيت عامة المسلمين على الثبات أمام المغريات والفتن التي كانت تحيطهم من قبل العبيدين، وبعد انتقالهم إلى مصر صارت الكتابات تصب في منحى تجديد الفكر والفقه المالكي[2]، ومعلقا على رسالة ابن أبي زيد يقول الباحث روجي إدريس أن مؤلفه هذا كان يدخل ضمن الدعاية المضادة للدعوة العبيدية، والتي عرفت ركودا قبيل ثورة أبي يزيد الخارجي[3].

انطلاق من تبديع العبيديين لصلاة التراويح ومنع المسلمين من عمارة المساجد في ليالي رمضان كانت مؤلف ابن أبي زيد «فضل قيام رمضان»[4]، وفيه دافع عن مشروعية صلاة التراويح في رمضان، والفضل في ذلك استنادا إلى أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم، وكذا اجتماع الصحابة من بعده في ولاية الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

أما فيما يخص مخالفة الشيعة لجماعة المسلمين حول مواقيت الصلاة، وأيضا في مواقيت الصوم والفطر وتحديد شهر رمضان، ألف عبد الله بن مسرور التجيبي[5](ت346هـ/957م)، كتابه «المواقيت ومعرفة النجوم والأزمان»[6] ومثله ألف أيضا ابن

---

[1] ابن أبي زيد القيرواني: **الجامع في السنن**، ص45.

[2] محي الدين سليمان إمام مديلي: **المرجع السابق**، ص202.

[3] الهادي روجي إدريس: **الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10إلى القرن12م**، تعريب ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992، ج2، ص333.

[4] القاضي عياض: **المدارك**، المصدر السابق، ج6، ص218.

[5] التجيبي: أبو محمد عبد الله بن أبي هاشم مسرور التجيبي –قال عياض بن أبي القاسم–، عرف بابن الحجام، كان مولد (263هـ/876م)، من شيوخه بالقيروان عيسى بن مسكين له رحلة سمع فيها بمصر من جماعة منهم بن أبي مطر، وممن أخذ عن ابن أبي زيد والقابسي، قال ابن فرحون غلب عليه الجمع الرواية، وهو مشهور بجمع الكتب اذ ذكرت المصادر أنّه كان يملك ما يزيد عن السبعة قناطير من الكتب أغلبها بخط يده، صادرتها السلطات العبيدية غداة وفاته كما ذكرنا سابقا، توفي رحمه الله سنة (ت346هـ/957م). انظر ترجمته، القاضي عياض: **المدارك**، ج5، ص330، الذهبي: **السير**، ج15، ص505، المالكي: **المصدر السابق**، ج2، ص422، ابن فرحون: **المصدر السابق**، ج1، الدباغ: **معالم الايمان**، ج3، ص57، ص423، الزركلي: **المرجع الساق**، ج4، ص142، محمد محفوظ: **المرجع السابق**، ج2، ص94.

[6] ابن فرحون: **المصدر السابق**، ج1، ص424.

أبي زيد «تفسير أوقات الصلوات»[1]، وردا على انحرافاتهم في الزكاة ألف ابن أبي زيد «رسالة في اعطاء القرابة من الزكاة»[2]، وألف أبو بكر بن اللباد كتاب في الطهارة وربما كان هذا ردا على الشيعة باعتبارهم يرون أن الطهارة دعامة من دعائم الإيمان[3].

ومن أجل الدفاع عن المذهب المالكي، وعن صحابة رسول الله صلى عليه وسلم والتابعين خاصة من المدنيين، كتب ابن أبي زيد القيرواني كتاب «الاقتداء بأهل المدينة»[4] دفاعا عن إمام دار الهجرة الإمام مالك بن أنس رحمه الله والتعريف بمذهبه والذود عنه والاعتراف بفضله ورسوخه في العلم ألف ابن اللباد كتاب في «فضائل مالك»[5]، وكذلك أبو محمد بن أبي زيد، ومثلهم كتب المؤرخ الكبير أبو العرب[6] (ت333هـ/944م) أيضا كتابا في فضائل مالك[7]، وعلى نحوهم كتب ابن أبي زيد في كتابه «الذبّ عن مذهب مالك»[8].

---

[1] القاضي عياض: **المدارك**، ، ج6، ص218.

[2] محي الدين سليمان إمام مديلي: **المرجع السابق**، ص202.

[3] يوسف بن أحمد حوالة: **الحياة العلمية في إفريقية (المغرب الأدنى) منذ إتمام الفتح حتى منتصف القرن الخامس الهجري**، جامعة أم القرى، السعودية، 1421هـ/2000م، ج2، ص112.

[4] ابن فرحون: **المصدر السابق**، ج1، ص429.

[5] الذهبي: **تاريخ الإسلام**، ج7، ص673.

[6] أبو العرب: هو أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم التميمي، المغربي، كان جده من أمراء إفريقية وبالضبط أمير مدينة تونس، ولد بين سنتي (250-260هـ/864-874م)، فعاش في أسرة عريقة وجد في طلب العلم منذ صغره فاخذ على جماعة الفقهاء منهم أبي داود العطار، وعيسى ومحمد ابني مسكين، وممن أخذ عنه ابناه تمام وتميم، وابن ابي زيد وغيره قال عنه الذهبي: العلامة المفتي ذو الفنون، فكان عالما مفتيا غلب عليه علم الحديث والرجال، كما اشتهر بالكتابة وله العديد من المؤلفات منها « طبقات علماء إفريقية» وكتاب الجنائز وذكر الموت وعذاب القبر» وكتاب الصلاة»، وقيل أنه كتب بخط يده ما يربوا الثلاثة آلاف وخمسمائة كتاب، كان ممن خرج على العبيديين رفقة أبي يزيد الخارجي، توفي سنة (ت333هـ/945م) ودفن بباب سلم. انظر ترجمته، القاضي عياض: **المدارك**، ج5، ص323، الذهبي: **السير**، ج15، ص394، المالكي: **المصدر السابق**، ج2، ص306، الدباغ: **معالم الايمان**، ج3، ص158، ص423، ابن سالم مخلوف: **المرجع الساق**، ج1، ص154، محمد محفوظ: **المرجع السابق**، ج3، ص359.

[7] ابن فرحون: **المصدر السابق**، ج2، ص199.

[8] القاضي عياض: **المدارك**، المصدر السابق، ج6، ص218.

ختاما يمكن الخروج بأن الرفض السني المالكي للدولة العبيدية لم يكن من منطلق دنيوي سياسي أو اقتصادي، وإنما كان ذو خلفية دينية عقدية، استنادا إلى عقيدة أهل السنة والجماعة، بعد الممارسات السلبية التي عاينوها من بني عبيد وأتباعهم، سواء في الجانب العقدي بانحرافهم الواضح تجاه ولي الأمر وغلوهم في أئمتهم، والوصول بذلك حتى إشراكهم في النبوة بل والتعدي حتى تأليههم، والمساس بمقدسات المسلمين والخوض فيها بالطعن والقذف، بدآ بأمهات المؤمنين زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم، وصحابته الكرام رضوان الله عليهم أجمعين، في ضرب صريح للدين الإسلامي، من خلال التشكيك في الرعيل الأول للأمة ونقلة الدين إلى الأجيال اللاحقة، وتجلى ذلك أكثر من خلال ممارساتهم اللاأخلاقية الداعية إلى الانحلال وتعطيل الشرائع وتأويلها.

أيضا في إطار ضرب الإسلام بشكل غير مباشر وطرق ملتوية عمدوا إلى تحريف وتغيير العبادات، سواء من جانب الممارسة والأركان، أو من جانب الوقت مخالفين لصريح الشرع في هذه الأمور، فبدلوا صفة الآذان والصلاة وغيرها كما غيروا أوقاتها إلى جانب الصوم الذي خالفوا السنة في تحديد وقته، فكان الهدف صد الأمة عن ممارسة شعائرها الدينية على الطريقة الصحيحة.

كما كان لهم انحرافات في جانب الزكاة غلب عليها محاولتهم تحصيل الأموال من الناس وأكلها بالباطل، مسوغين لذلك بضروب من التأويلات والحجج الواهية من أجل تحصيلها بطريقة شرعية حسب ما أوهموا أتباعهم.

أيضا من الأسباب التي حتمت المقاومة، التضييق الذي تعرض إليه أهل السنة سواء العامة أو العلماء والفقهاء، ولم يُضمن لهم أدنى حرية دينية، ومنعوا من أدنى الحقوق كالتعليم والفتيا والكتابة، إضافة إلى حملات من القمع والتضييق والإبادة، هذا الوضع وهذه الممارسات كانت لها ردود فعل مختلفة بين الفقهاء وأصحاب الرأي.

منهم من دخل في الدعوى الجديدة، لكن هذه الفئة كانت قليلة واقتصرت دوافعهم على أمور دنيوية، سواء الحصول على المناصب العليا والظهور بمظهر الأبهة والفخامة، أو حتى الحصول على بعض الوظائف ضمن إطار الدولة، والتي كان يشترط فيها أن تكون شيعيا، وغاية كل هذه الأمور مادية من أجل الحصول على المال وجمعه، فيما كانت دوافع البعض

الآخر أقبح من ذلك، في محاولة لإشباع بعض النزوات الشاذة والتحرر من القيود الدينية والاجتماعية، التي أسقطها العبيديون عن أخص اتباعهم في مجالسهم وكتبهم السرية.

فيما حُكم على بعض الفقهاء بالتساهل لمجرد أخطاء بسيطة وقعوا فيها، كالتعامل معهم للضرورة أو التساهل في الحكم عليهم، أو حتى تأليف بعض الكتب التي قد تساهم في التمكين لهم، فهذه الأمور رغم بساطتها، لكن كان لابد من عدم الوقوع فيها لظروف تلك الفترة وما كانت تمر به، إذ وجب الحزم في التعامل وعدم التساهل نهائيا، وهذا من أجل تثبيت عامة المسلمين وعدم افتتانهم، وهذا ما كان عليه غالبية فقهاء المالكية في تلك الفترة بالمعاداة الصريحة للعبيديين وعدم التساهل معهم نهائيا ومعاملتهم معاملة أعداء الإسلام.

فأصلوا مسألة انتمائهم إلى الأمة الإسلامية من عدمه، وخرجوا بحكم تكفيرهم الصريح والمجمع عليه، استنادا لانحرافاتهم في شتى المجالات، وما غيروا في دين الله عز وجل، ورغم معاناتهم الشديدة جراء ذلك، إلا أنهم فضلوا التحدي والمقاومة من أجل إعلاء كلمة الحق ونصرتها، وتثبيت عامة المسلمين على ذلك، مستخدمين في ذلك مختلف الطرق وشتى الأساليب، سواء بتبيان الأمر من خلال الحياة اليومية بالمقاطعة الدينية، كترك الصلاة خلفهم وعدم حضور جمعهم وأعيادهم، أو المقاطعة السياسية بعدم التعامل مع أي إدارة أو هيئة تابعة للدولة.

الاستمرار في الجانب العلمي والتكويني كلما أتيحت الفرصة، وتسخير كل الإمكانيات في ذلك، فكان التعليم يتم سرا بعيدا عن أعين السلطة، سواء في البيوت أو الأماكن المعزولة وفي أوقات مختلفة، إضافة إلى استغلال كل الطرق المتاحة من أجل إيصال كلمة الحق، دون الإغفال عن استهداف السلطة الحاكة نفسها أو أبنائهمن من أجل التوعية وخلق جيل واعي وذو أصول سليمة، وهذا من إدراكهم الراسخ في أهمية التكوين والتعليم الصحيح في إصلاح المجتمع والعودة به لجادة الصواب.

من أهم السبل التي انتهجها فقهاء المالكية في الدفاع عن عقيديهم ومذهبهم الجدل والمناظرات العلمية، من خلال المجالس التي كانت تعقد واللقاءات التي كانت تجمعهم بممثلي السلطة العبيدية، خاصة وأن وتلك المجالس لاقت الحضور الشعبي كلما أتيح ذلك وحتى وإن لم يكن هناك حضور عام، واقتصر على فئة خاصة إلا أن أحداث تلك المناظرات والمجالس

وما تم تداولها فيها يتم تناقله وانتشاره بين الناس، وبالتالي فضح المعتقدات الفاسدة للقوم وإبطالها، فكانت هذه الأساليب وغيرها الحصن المنيع لأهالي الغرب الإسلامي أمام المد الشيعي العبيدي، رافق ذلك كله في الجانب العلمي حركات التأليف التي نشطها العديد من العلماء، وتمحورت حول الكتابة في مختلف مجالات الفقه والعقيدة السنية، من أجل تفقيه طلبة العلم والناس كافة، وتعريفهم بالعقيدة الصحيح القائمة على الكتاب والسنة، إضافة إلى الكتابات المتعلقة بالردود على المعتقدات العبيدية وإبطالها، وهذا المجال وهذه الكتابات تعتبر أيضا شكل من أشكال المقاومة.

الفصل الرابع المقاومة السنية للوجود العبيدي بالغرب الإسلامي حتى القطيعة الزيرية

المبحث الأول: نماذج من ثورات أهل السنة بالمغربين الأدنى والأوسط على العبديين

أولا: المقاومة السنية بالمغرب الأدنى

ثانيا: مقاومة قبائل زناتة بالمغرب الأوسط

ثالثا: المشاركة في ثورة أبي يزيد الخارجي (صاحب الحمار) (332-336هـ/943-947م)

المبحث الثاني: الصراع بين الدولة الأموية بالأندلس والعبيديين

أولا: الصراع الغير المباشر

ثانيا: مرحلة الصدام المباشر

ثالثا: استمرار الصراع بعد رحيل العبيديين نحو مصر

رابعا: الصراع في ظل حكم الدولة العامرية.

المبحث الثالث: المغرب الإسلامي في ظل حكم الزيريين حتى القطيعة الشيعية والعودة إلى المذهب السني

أولا: الأوضاع العامة لبلاد الغرب في ظل حكم الزيريين وعلاقتهم بالعبيديين.

ثانيا: العودة إلى المذهب السني ومقاطعة المذهب الشيعي

ثالثا: دور الفقهاء المالكية خلال هذه الفترة

تمهيد

بدأت إرهاصات المقاومة السنة للدولة العبيدية منذ مرحلة متقدمة، وكانت متوازية مع بداية الدعوة العبيدية في الغرب الإسلامي، ففي مرحلة الدعوة والتوسع العسكري للداعي عبد الله الشيعي واجه العديد من الصعوبات من أجل الوصول إلى هدفه والتمكين للمذهب الشيعي في المنطقة، لكن غياب السلطة العليا والتي كانت تعيش أيامها الأخيرة وعدم إفلاح ولاتها في ضبط الوضع، وكذلك فسادهم، سهل نوعا ما من مأمورية الداعي، رغم ذلك بقي أهل المغرب على تمسكهم بعقيدتهم السنية، وظهر ذلك مذ تولي عبيد الله المهدي لزمام الأمور، إذ لاقى عدة صعوبات في السيطرة على المنطقة والتوسع نحو الغرب كما هو مخطط له.

تصدر فقهاء المغرب هذه المقاومة بعد انكشاف حقيقة الوافد الجديد، بمجرد اعتلاء عبيد الله المهدي سدة الحكم، وبدء الأعمال والممارسات السلبية وتبيان حقيقة توجهه، بالمجاهرة بالمذهب الشيعي الإسماعيلي ومحاولة فرضه على الأهالي، وما حمله من انحرافات خاصة تلك التي مست مقدسات الأمة الإسلامية، والتي تثار غيرة المسلم العاصي الفاجر بمجرد الاقتراب منها فما بالك بالورع التقي.

المبحث الأول: نماذج من ثورات أهل السنة بالمغربين الأدنى والأوسط على العبديين

أولا: المقاومة السنية بالمغرب الأدنى

1-ثورة بقايا الأغالبة في القصر القديم[1]:

بعد مقتل عبد الله الداعي من قبل عبيد الله المهدي، شعر بالخوف بقايا الأغالبة الذين خلفهم زيادة الله آخر حاكم أغلبي بعد فراره من مدينة رقادة (296هـ/909م)، المتكونين من حاشية قصره وبعض السكان، وشعروا بالتهديد الذي يحاوطهم بعد تخلص عبيد الله المهدي حتى من أقرب خدامه وصاحب دعوته، وأدركوا أن عهود الأمان والمواثيق التي أطلقها عبيد الله المهدي، ما هي إلا لحظية وسرعان ما سيتم التراجع عنها، بمجرد مؤاتاة الظروف واستتباب أركان الدولة، فضاع آخر عهد لهم بالأمان تحت ظل هذا الكيان بفقدان الداعي عبد الله، لِما كان له من الوزن في الدولة وتم التخلص منه، حينها التف من بقي منهم حول زعيم لهم يدعى أبو الحسن بن أبي الحجر[2]، وقاموا على عبيد الله المهدي وحكمه في محالو للانقلاب على نظام الحكم العبيدي.

أما شرارة هذه الانتفاضة فكانت مناوشات حدثت بين أحد الكتاميين وساكن من أهل القصر القديم، أدت إلى إخراج الكتاميين من القصر، وإغلاق أبوابه، خلفت هذه الحادثة بعض الإصابات لدى دعاة الشيعة، ليستنجد الكتاميون بمن كان قريبا ويحاصروا القصر فيما استنجد الأغالبة بأهل القروان، عن طريق إشعال النار في صومعة الجامع، فحدثت بينهم معركة قتل فيها جماعة من الكتاميين.

---

[1] القصر القديم: مدين بالمغرب الأدنى شرقي مدينة القيروان تبعد عنها بثلاثة أميال، قيل أن الذي أسسها هو إبراهيم بن الأغلب سنة (284هـ/879م)، وهي مدينة متقنة البناء بها مسجد صومعته مستديرة، وبها فنادق وحمامات وأسواق كثيرة، ومواجل للمياه، فكانت عاصمة ملك ودار إمارة للأغالبة حتى الانتقال إلى مدينة رقادة. انظر البكري: **المسالك والممالك**، **المصدر السابق**، ج2، ص ص 679-680، الحميري: **الروض المعطار**، ص476.

[2] القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص 320.

حين بلغ الخبر عبيد الله المهدي أمر برد الكتاميين عنهم، رغم مجاهرة بقايا الأغالبة بالخروج ولم يقم بقتالهم، فأورد النعمان أنهم أخرجوا «فازاتهم[1] وأخبيهم[2] وضربوها خارجا من القصر القديم مما يلي رقادة، في موضع يقال له الهدف»[3]، استمر هذا العصيان أياما ولما هدأت الأمور أمر المهدي بجماعة ممن أثار الشغب وتم قتلهم بعد القبض عليهم، وإعلان ذلك بتعليق رؤوسهم على أبواب رقادة[4]، ولم يكتفي بهذا الحد بل تم القبض على مجموعة أخرى، أعدم جماعة فيما حبس الباقين وتتبع من تفرق منهم في البلدان[5]، وظل بعض من سجنهم في الحبس حتى ولاية المنصور، أين أطلق عشرين رجلا منهم ونفاهم إلى مصر[6].

كانت هذه الانتفاضة أولى الانتفاضات في قلب مركز الحكم، ومؤشر على المقاومة والتعارض الذي سيلقاه النظام العبيدي من قبل أهل السنة بالمنطقة، وعدم الثقة والتوتر الموجود بين ساكنة المنطقة من جهة، والدولة الشيعية وحكامها من جهة أخرى، وأن كل ما كان يلزمهم هو الفتيل الذي يشعل المقاومة، وأيضا القيادة العامة التي تدير شؤونهم وتوجهم، أما من ناحية التعبئة فكانت غالبية سكان المغرب على استعداد لمقاومة هذا الدخيل، وما يحمله من أفكار مغايرة لما عهدوه، فرغم انحراف بعض الفرق الموجودة بالمنطقة، إلا أنها لم تصل إلى ما وصل إليه هؤلاء الشيعة من زيغ وظلال، والذي أجبر وحتم على العامة قبل النخبة، وعلى الصغير قبل الكبير التبري منهم ولفظهم.

2-ثورة سكان القيروان (299هـ/912م)

عرفت منطقة المغرب الأدنى ثورة أخرى من الجانب السني، ضد السلطة العبيدية في البلاد، وبالضبط بمدينة القيروان حاضرة أهل السنة بالمنطقة، كان سببها بعض الخلافات بين سكان مدينة القيروان من أهل السنة، والعناصر الكتامية التي استوطنت المدينة عقب استيلاء

---

[1] مفردها فازة وهي مظلة تمد بعمود. الصفدي: **المرجع السابق**، مادة الشين المعجمة، ص334.

[2] الأخبية مفردها خباء وهو أحد أنواع بيوت العرب من وبر أو صوف ويكون على عمودين أو ثلاث فقط. ابن منظور: **المصدر السابق**، ج14، فصل الخاء المعجمة، ص323.

[3] القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص321.

[4] إدريس الداعي: **تاريخ الخلفاء**، ص189.

[5] القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص322.

[6] ابن حماد: **المصدر السابق**، ص46.

عبد الله الشيعي على المنطقة، وقد لخص ابن عذارى الحادثة على أنها حدث في العشرين من شهر شعبان (299هـ/912م)، أما عن الأسباب والدوافع الحقيقية لهذه الثورة فتكمن في أنّ الداعي عبد الله كان قد وعد الكتاميين بالسماح لهم بنهب القيروان حال الاستيلاء عليها، فلما تم ذلك أمسكهم عن الأمر كما أسلفنا الذكر، ولم يستسغ الكتاميون هذا الأمر واستغلوا حادثة مقتل الداعي من أجل التحامل على أهل القيروان، لخلو الجو وتغير السلطة التي منحت الأمان لأهل القروان، أما عن بداية هذه الثورة والشرارة التي أشعلت الحرب، فهي تطاول رجل كتامي على أحد التجار من أهل القيروان، حينها تصايح أهل القيروان وهجموا على الكتاميين فقتل منهم زهاء الألف رجل على ما ذكر ابن عذارى[1]، فيما قال النعمان العبيدي بمقتل سبعمائة رجل في ظرف وجيز، ولم تهدأ الأوضاع حتى تدخل ابن أبي خنزير والي العبديين على المدينة آنذاك[2].

أما عن موقف عبيد الله المهدي، فكان اهتمامه في بادئ الأمر منصب على الأسباب التي أدت لتلك الثورة، ومعرفة طبيعتها هل كانت مفتعلة من جهة معينة أو تنظيم ما، فكان سؤاله على ما أوردت المصادر الإسماعيلية، عن قيادة هذه الثورة في قوله: «ألهم رئيس يعزون إليه أو أحد في هذا الأمر يجتمعون إليه»[3] فلما علم أنه من فعل العامة تمثل بأبيات شعرية مذعنا على أنه قضاء الله[4]، كما ذكر صاحب افتتاح الدعوة أنه لم يتابع حتى المتسببين في تلك الأحداث، ومن اشتهر عليهم الإثخان في قتل من سماهم الأولياء، لعدم كفاية الأدلة التي توجب القصاص فيهم[5].

لكن لم يصْدُق عبيد الله في احتسابه الأمر لله عز وجل والعفو عن أهل القيروان، ولم يصدق النعمان في نقل خبر عدم معاقبة المتسببين في الأمر، إذ يشهد بنفسه على معاقبة

---

[1] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص166.

[2] القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص323.

[3] إدريس الداعي: **تاريخ الخلفاء**، ص189.

[4] البيت الذي قاله منسوب لأبي البيداء الرياحي وهو شاعر أعرابي نزل البصرة وأقام فكان له ابن يقال له ديسم مات فوقف على قبره وتمثل قائلا: أحثوا على ديسم من جعد الثرى ... أبي قضاء الله إلا ما ترى. أبو عبد الله محمد بن داوود الجراح: **الورقة**، ت عبد الوهاب عزام، عبد الستار أحمد، ط3، دار المعارف، بيروت، لبنان، 1986م، ص69.

[5] القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص223.

أهالي القيروان بتغريمهم في قوله: «ثم عاقبهم بعد في أموالهم»[1]، وتدعم المصادر السنية هذا الخبر بما نقلته من أخبار عن عمليات متابعة وتضييق على أهل السنة، خاصة الفقهاء المالكية بعد هذه الحادثة، وتبعتها عمليات تصفية واغتيالات وتعذيب لمعارضتهم للمذهب الإسماعيلي الدخيل[2].

لا يفوتنا الإشارة إلى ما تناولته المصادر العبيدية عن اعتذار فقهاء وشيوخ القيروان للمهدي العبيدي عقب هذه الحادثة، فقد أورد الداعي إدريس في هذا الصدد قائلا: «ثم أتى شيوخ القيروان مع القاضي المروذي إلى الإمام فاعتذروا من فعلهم»[3]، فهذه المقالة فيها نظر، لما كان من مقاطعة عامة فقهاء أهل السنة خاصة المالكية منهم للدولة العبيدية وحكامها، حتى في العبادة والصلاة رفضوا الصلاة خلفهم، والمصادر السنية غنية بالمواقف البطولية لهم تجاه انحرافهم وبدعهم، فما بالك بالاتصال بهم وطلب الغفران وبواسطة قاضيهم المروذي أيضا، فلا يمكن التسليم بفعل مثل هذا ممن أدرك مدى فساد عقيدتهم والظلال الذي كانوا عليه، وفضل الموت على الاعتراف أو المهادنة لهم، ثم يأتي بابهم معتذرا، وهذا مما لا يسلم به ذو لب سليم.

3-ثورة أهل طرابلس الغرب[4] (300هـ/913م)

لم تكن العناصر البربرية شرق القيروان منذ البداية متقبلة للوضع الجديد، إذ تحدث ابن عذارى عن ثورة قام بها بربر هذه المنطقة من قبائل هوارة ولماية وزناتة، بقيادة أبا هارون الهواري، وقامت بمحاصر مدينة طرابلس فأخرج لهم عبيد الله المهدي جيش كبير بقيادة أبا زاكي تمام بن معارك قمع هذه الثورة وكان هذا سنة (297هـ/911م)[5]، لتعرف المنطقة ثورة أخرى شارك فيها سكان مدينة طرابلس بالإضافة للعناصر الأغلبية ممن بقي فيها، وعن سببها

---

[1] **نفسه**، ص223.

[2] سهيل طقوش: **المرجع السابق**، ص58.

[3] إدريس الداعي: **تاريخ الخلفاء**، ص189.

[4] طرابلس االغرب: مدينة بالمغرب الأدنى كانت من أعمال برقة، تقع على واجهة البحر، اشتهرت في تلك الفترة بزراعتها الكثيفة وخبرة صناعها، وأسواقها العامرة. عنها انظر ابن حوقل: **المصدر السابق**، ص71، الإدريسي: **المصدر السابق**، ج1، ص297.

[5] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص163.

قيل أن والي المدينة ماكنون بن ضبارة حين توليه المدينة، أطلق أيدي الكتاميين على أهالي طرابلس من السنة[1]، فانتفضوا مخرجين الوالي وقاضيه هارون بن أفلح.

لم تفلح محاولة القائم بأمر الله العبيدي في إعادة المدينة بفضل تحصيناتها ومناعتها إضافة إلى المساعدات التي كانت تصل من طرف بعض القبائل البربرية مثل هوارة ولماية[2]، رغم أن الحصار على المدينة كان من الجانبين البري والبحري[3]، لكن الأسطول البحري للعبديين كان ضعيفا، وهو ما ساعد أسطول طرابلس في القضاء عليه وإحراقه، وما فتح المجال لاستمرار وصول المساعدات عن طريق البحر بالتالي فشل الحصار في تحقيق أي نتيجة،[4] الأمر حتّم على القائم التغيير من استراتيجيه، بالتركيز على محاربة والقضاء على من كان يمون المدينة من القبائل الهوارية أولا، ثم العودة لمحاصر المدينة والتي ظلت صامدة لما يربو عن النصف حول[5]، خلال هذه المرحلة نفذت مئونة السكان حتى اضطروا لأكل الميتة والجلود[6].

لتسقط المدينة بعد استسلام أهلها ومنحهم الأمان مع العفو عن عامة الناس، لكنه بالمقابل قام بتغريمهم وقتل قادة الثورة مع مصادرة أموالهم وممتلكاتهم، وولى على المدينة أبا مديني بن كناوة اللهيصي[7]، كما ترك حباسة بن يوسف الملوسي[8] مع حامية الجند الكتاميين

---

[1] **نفسه**، ج1، ص168.

[2] لماية قبيلة من قبائل البربر تنتمي إلى ضريسة من البربر البتر، هوارة قبيلة من البربر البرانس. ينظر ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج6، ص 118، ص120.

[3] إدريس الداعي: **تاريخ الخلفاء**، ص192.

[4] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص169.

[5] إدريس الداعي: **تاريخ الخلفاء**، ص192.

[6] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص169.

[7] أبو مديني بن كناوة اللهيصي: قائد بربري من قادة الدولة العبيدية، يرجع في أصله إلى قبيلة لهيصة إحدى فروع بطن يناوة من قبائل كتامة البربرية، انضم إلى الدعوة الشيعية منذ بدايتها، كما قام بقتل أخيه مهدي بن كناوة اللهيصي، سنة (288هـ/900م) الذي كان معارضا للدعوة الشيعية وبمقتله خضعت لهيصة لعبد الله الشيعي. انظر القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة، المصدر السابق**، ص189، ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج6، ص196.

[8] حباسة بن يوسف الملوسي: قائد بربري من قادة الدولة العبيدية بالغرب الإسلامي، رفقة أخيه عروبة السابق ذكره، وممن خدموا الدولة خلال المراحل الأولى من نشأتها وقدموا الكثير، ولاه عبيد الله المهدي على برقة وما إليها، وعانى الأهالي كثيرا من بطشه وتجبره، شارك في الحملة الأولى على مصر رفقة أبي القاسم بن عبيد الله سنة (302هـ/914م)، فكان له الفضل

هناك[1]، ومنها أُرسلت بعض الحملات ناحية سرت وبرقة، التي هرب واليها ناحية مصر ثم عاد بعد امداده من صاحب مصر بالجيش والعتاد اللازم، بالمقابل دعم عبيد الله حباسة بن يوسف بما يلزم من عتاد والرجال للمحافظة على المدينة ومواجهة الجيش المصري فانتصروا عليهم وصفت برقة أيضا للعبدين[2].

في الاستيلاء على الإسكندرية ليحدث بينه وبين أبي القاسم خلاف فركب مع ثلاثين فارسا من كتامة قاصدا أخاه في تيهرت لكن قبض عليه في الطرق وقتل رفقة أخيه. انظر ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص170، ص172، ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج4، ص48.

[1] إدريس الداعي: **تاريخ الخلفاء**، ص193.

[2] إدريس الداعي: **تاريخ الخلفاء**، ص194.

ثانيا: مقاومة قبائل زناتة بالمغرب الأوسط

زناتة قبيلة من قبائل البربر البتر، وهي قديمة الوجود بالمنطقة مثل باقي القبائل البربرية، وعلى هذا اتفق ابن خلدون وابن حزم، فنسبا زناتة من أبناء شانا بن يحيى بن صولات...بن مادغيس[1]، فيما هنالك بعض الأخبار تفيد بأن زناتة من العرب ومن العماليق، مثل قول ابن عذارى المراكشي الذي يرى أن زناتة في الأصل من العرب المضريين، وكان نسبهم للبربر بحكم المجاورة والمحالفة للبربر[2]، ولكن هذا الطرح بعيد عن الصواب حسب ما ذهبت إليه بعض الدراسات القديمة والحديثة، حيث لم يظهر هذا القول إلا عند النسابة والجغرافيين المتأخرين بعد الهجرات الهلالية، لعدة أسباب منها الإعجاب بالنسب العربي لكون العديد من الأنبياء من العرب، وما تعرض له البربر من مغارم وخضوع عقب هذه الهجرات[3]، وفي هذا الصدد جاء في العبر لابن خلدون: «وصار اسم البربر مختصّا لهذا العهد(يقصد فترة ما بعد الهجرات الهلالية) بأهل المغرم، فأنف زناتة منه...وأعجبوا بالدخول في النسب العربيّ لصراحته وما فيه من المزيّة بتعدد الأنبياء»[4].

وزناتة من أكبر القبائل البربرية التي كان لها الدور البارز في الحياة السياسية لبلاد الغرب الإسلامي، وتحولاته وتغير موازين القوة بالمنطقة، منذ البدايات الأولى للحكم الإسلامي، وحتى قبل الفتح الإسلامي وقيام كياناته السياسية، انتشرت بطون زناتة على طول الشمال الإفريقي بدأ بجبال طرابلس وضواحيها، حتى المغرب الأقصى على حدود الأطلسي وبلاد السوس، وعبرت بعضها نحو العدوة الأندلسية، تحدث ابن حوقل عن أزيد من مائة بطن منها، وأضاف أنه لم يصل لكثير من أخبارها لاتساع مضاربها، وانقطاع بعض أخبار وآثار من له

[1] ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج7، ص7، ابن حزم: **الجمهرة**، ج1، ص495.

[2] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص200.

[3] يوسف السنوسي: **المرجع السابق**، ص53.

[4] ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج7، ص6.

علم بهم[1]، فيما كان الثقل الأكبر ومركز سيطرة القبائل الزناتية على المغرب الأوسط مابين تلمسان[2] وتاهرت[3].

لقبيلة زناتة عديد البطون والفروع انتشرت على جل بلاد الغرب الإسلامي، ولعل أشهر ثلاثة بطون وأكبرها قبيلة مغراوة وبني يفرن وجراوة، ومن بين هذه القبائل التي برزت نجد مغرواة من قبائل زناتة، والذين اشتهروا بالبأس والغلبة على باقي البطون،[4] ومن أشهر من تزعمها بنو خزر، والذين يرجعون في نسبهم إلى «خزر بن حفص بن صولات بن وزمار»، وجدهم صولات هذا هو الذي قيل أنّه أسلم على يد عثمان بن عفان رضي الله عنه[5]، وعند قيام الدولة العبيدية كانت قبائل زناتة عثرة في طريقها من أجل إتمام السيطرة على المنطقة، فكانوا المسيطر الفعلي على المغرب الأوسط خلال القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، بين تلمسان وشلف ومنطقة الزاب بغض النظر عن أي سلطة كان تابعين لها[6]، وترجم ذلك بعدة مواجهات على عدة مراحل كان لها عديد الأسباب والدوافع منها:

الدافع المذهبي: القبائل الزناتية تمذهبت على مذاهب مختلفة، وهذا السبب جعلها تتفرق ولم تجمع على كلمة واحدة، فكان جماعة منهم على مذهب المعتزلة، فيما تبنت بعض البطون مذهب الخوارج ودافعت عنه مثل قبائل بني يفرن، ثم كان رجوعها إلى المذهب السني أواخر

---

[1] ابن حوقل: **المصدر السابق**، ج1، ص107.

[2] تلمسان: مدينة بالمغرب الإسلامي (غرب الجزائر الحالية)، وهي مدينة قديمة فيها آثار للحضارات السابقة كالرومان، وحتى أن ذكر البكري وجود كنيسة وبعض النصارى بها، وتلمسان تعتبر قاعدة المغرب الأوسط بها الكثير من الحمامات والأسواق، تمر بها أنهار وأودية عليها طواحين كما أنها معروفة بخيراتها الزراعية، ذكر القزويني أنها تلمسان هي القرية التي زارها الخضر وموسى عليها السلام. انظر البكري: **المصدر السابق**، ج2، ص ص 745-747، القزويني: **المصدر السابق**، ص172.

[3] يوسف إبراهيم السنوسي: **زناتة والخلافة الفاطمية**، ط1، شركة سعيد رأفت للطباعة والنشر، مصر، 1986م، ص ص57-58.

[4] ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج7، ص33.

[5] السلاوي: **المصدر السابق**، ج1، ص263.

[6] P. J. BEARMAN, TH. BIANQUIs; **THE ENCYCLOPAEDIA OF ISLAM** NEW EDITION, LEIDEN, BRILL,2002, p443

القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، أما عن قبيلة مغراوة فقد ظلت على مذهب أهل السنة[1]، خاصة في المغرب الأوسط ومدينة تلمسان، والتي قال عنها البكري: «ولم تزل تلمسان دارا للعلماء والمحدّثين وحملة الرأي على مذهب مالك»[2]، كما ظل بنو خزر الذين كانوا حول بسكرة على مذهب أهل السنة ورأي مالك[3]، دعم ابن حزم رأي سنية قبيلتي مغراوة وبني يفرن في قوله: « وأمّا جمهور بنى مغراوة وبنى يفرن، فسنّيّة»[4]، ومعروف الخلاف والنزاع بين جميع هذه المذاهب، والمذهب الشيعي، خاصة مذهب الخوارج والذي مثلته كثير من بطون زناتة، وأيضا مذهب أهل السنة الذي هو شديد مع أصحاب الزيغ الضلالات.

أيضا كانت قبائل زناتة تتمتع بنوع من الحرية في ظل الدول التي مرت على المنطقة هناك، فالدولة الإباضية ضمنت الحرية المذهبية لباقي المذاهب، كما مثلت السلطة الحقيقية على المغرب الأوسط في حكم دولة الأدارسة، فما كان من هذه القبائل إلا محاولة الدفاع عن استقلالها وعن معتقداتها ضد الوافد الجديد، والدفاع عن أراضيها أمام توسع دعاة الإسماعيلية.

الدافع القبلي: وهو سبب آخر مع الدولة العبدية، فقد نشأ هذا الخلاف بين قبائل كتامة وصنهاجة من الجانب البرنسي، وقبيلة زناتة البترية، ويرجع ابن خلدون هذا الخلاف إلى الجانب المذهب، فذكر قائلا: «ولصنهاجة ولاية لعلي بن أبي طالب، كما أنّ لمغراوة ولاية لعثمان بن عفّان رضي الله تعالى عنهما»[5]، وشدد من هذا الخلاف ما كان من تطاول القبائل البرنسية المنضوية تحت لواء الشيعة العبيديين على قبائل البربر ككل.

رغم طبيعة قبيلة زناتة البدوية والحربية، إلا أن افتقارها للصبغة الدينية التي تجتمع عليها، جعلها تضعف أمام البرانس الملتفين حول الإمام الإسماعيلي، فكان اتفاق جميع بطون

---

[1] أبو محمد علي بن أحمد بن حزم: **جمهرة أنساب العرب**، ت لجنة من العلماء، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1403هـ 1983م، ص ص498-499.

[2] البكري: **المسالك والممالك**، ج2، ص745.

[3] **نفسه**، ج2، ص413

[4] ابن حزم: **الجمهرة**، ص498.

[5] ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج6، ص202.

زناتة على عداء الإسماعيلية، ولم يحدث أن كانت هذه القبائل على اتفاق أكثر من اتفاقها على محاربتهم[1].

وفيما يخص البدايات الأولى للصدام بين العبيديين والزناتيين، فيرجع إلى مرحلة الدعوة الإسماعيلية بالمغرب الإسلامي، وقبل التمكين للمذهب وإعلان قيام الدولة، فقد جاء الخبر عن مقتل أربعة عشر من خيرة الدعاة الكتاميين قرب طبنة من بلاد الزاب، كان قد بعثهم الداعي بأموال إلى المهدي بسلجماسة، وحين عودتهم برسائل من المهدي، اعترضهم جماعة من قبيلة زناتة، فاتفق الدعاة الشيعة على دفن الكتب للحيلولة دون وقوعها في أيدي الزناتيين، على أن يوصلها من نجي منهم إلى الداعي عبد الله، فكان ذلك حسب رواية النعمان، حيث تحامل أحد هؤلاء الدعاة بعد انصراف الزناتيين حتى وصل إلى عامل طبنة يحي بن سليمان فأخبره بالوقعة ومكان الرسائل ليموت بعد ذلك، تنقل يحي بدوره إلى المكان الذي أشار إليه فدفن الموتى واستخرج الرسائل التي وافى بها الداعي ببغاية[2]، أجّل الداعي الثأر لمقتل هؤلاء الدعاة لانشغاله بأمور أهم، وأشار عليه من أخذ برأيهم في الموضوع بتأجيل الأمر لخوفهم من تغلب قبائل زناتة على بلدانهم وهم منشغلون بالسيطرة على باقي المناطق، والأهم من ذلك استنقاذ المهدي من سلجماسة.

الظاهر أن هذا هو سبب زوال قبيلة زناتة وهربها عن طريق الداعي عبد الله الشيعي، حين خروج جيشه إلى سلجماسة من أجل تخليص إمامه عبيد الله المهدي من يد بني اليسع بن مدرار صاحب سلجماسة، بل إن المغرب كله اهتز لخروجه من عظم الجيوش التي خرجت معه، وكان من جملة من تأثر بخروجه قبيلة زناتة لما سبق لها من توعد الداعي لها بعد حادثة قتل الدعاة التي أشرنا سابقا، وقد خصت المصادر قبيلة زناتة بالذكر بعد خروج الداعي منهم المؤرخ ابن خلدون الذي قال في شأن ذلك: « واهتزّ المغرب لخروجه، وفرّت زناتة من

---

[1] يوسف السنوسي: **المرجع السابق**، ص159.

[2] القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص ص222-223

طريقه»[1]، وأيضا قال صاحب الكامل في التاريخ: « فاهتز المغرب لخروجه، وخافته زناتة، وزالت القبائل عن طريقه،»[2].

في هذه النقطة هناك تضارب بين الروايات التاريخية، بين هرب زناتة من جهة كما أسلفنا الذكر، وخبر يرمي إلى دخول زناتة في طاعته من جهة أخرى، منها ما أورده القاضي النعمان أن محمد بن خزر[3] شيخ قبائل زناتة البربرية لاقى عبد الله الشعي، وبايعه وتم استخلافه على القبيلة، وكانت ملاقاته له بطبنة[4]، كما يدعم ابن خلدون هذا الرأي في قوله: «ثم بعثوا إليه بالطاعة فقبلهم»[5]، وإن ثبتت هذه المبايعة فإنها لم تدم طويلا، فقد بدأت سلسلة الصراعات بين قبائل زناتة والعبيديين بعدة فترة وجيزة، وذلك أثناء عودة الداعي وعبيد الله المهدي من سلجماسة.

حين خروج عبد الله الشيعي نحو سلجماسة، بلغه خبر الأوضاع المتردية بتهرت وما صار إليه البيت الرستمي، فعرج على المنطقة لكن قبل دخولها وخوفا من المكيدة، خاصة إذا كان الأمر يتعلق بالخوارج ما يتميزون به من جلد وتضحية في القتال، لم يغامر بدخول المنطقة، وطلب لقاء الإمام اليقظان بن أبي اليقظان[6] الإمام الرستمي وآخر أئمة الدولة، فخرج

---

[1] ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج4، ص47.

[2] ابن الأثير: **المصدر السابق**، ج6، ص597.

[3] محمد بن خزر بن صيلات الزناتي: أمير فرع مغراوة من قبائل زناتة وأول أمراء زناتة المعارضين للدولة العبيدية بالمغرب، وكان له العديد من السجالات معهم، لكن يذكر ابن خلدون أنه دخل في طاعة الدولة العبيدية في عهد المعز لدين الله، حتى وفاته (348هـ/959م) عنه انظر ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج4، ص ص58-59، ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص191، ص194.

[4] القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص276 ذكر ابن الأثير والمقريزي نفس الشيء عن عظم الحدث عند خروج عبد الله الشيعي، وخوف القبائل وانحيازها عن طريقه وعن مبايعته، « وأتته رسلهم فدخلوا في طاعته»، لكن لا نجد ذكر لمحمد بن خزر ابن الأثير: **المصدر السابق**، ج6، ص597،

[5] بن خلدون: **المصدر السابق**، ج4، ص47.

[6] اليقظان بن محمد أبي اليقظان بن أفلح آخر ملوك الدولة الرستمية بالمغرب الأوسط، حكم بين سنتي (294-296هـ/907-909م)، وبوفاته كانت نهاية الدولة الرستمية على يد الشيعة العبيديين. انظر ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص153، إبراهيم بحاز: **المرجع السابق**، ص127.

إليه بمن معه من أهل وأبناء وحاشية، وبعد حديث بينهما كان الشيعي يتحدث من مركز قوة ويحط من قيمة اليقظان، قتله ومن كان معه، في شوال سنة (296هـ/909م)[1].

رغم دخول عبد الله الشيعي المدينة بالأمان، إلا أنّه غدر أهلها، واستباحها هو ومن معه من جند كتامة، وعاث في المدينة فساد بقتل أهلها وانتهاب خيراتها، وحرق مكتبة المعصومة على ما ذكرت بعض المصادر الإباضية[2]، وأضاف ابن عذارى أن عبيد الله لما قتل آخر أئمة الدولة الرستمية، بعث برؤوسهم إلى رقاد أين كان يخلفه أخوه أبو العباس، وأبي زاكي تمام بن معارك، وعلقت على باب من أبواب مدينة رقادة بعد الطواف بها على مدينة[3].

في تعقيب للباحث موسى لقبال على دخول العبيديين مدينة تيهرت، وحرق مكتبتها، أن هذا الأمر غير ثابت، لأنه لم يتواتر نقله ما عدا من قبل المؤرخين الإباضيين، أضف إلى ذلك عدم وجود فعل مشابه بحرق المكتبات للداعي عبد الله الشيعي في مدن أخرى، ما عدا حرق بعض التحصينات والبروج لدواعي أمنية، فلم تكن سياست بتلك الهمجية والقسوة[4].

وبمقتل اليقظان ودخول تيهرت كانت نهاية الدولة الرستمية، واضحت المنطقة تابعة رسميا لأملاك الدولة العبيدية، بعد تولية الشيعي أبو حميد دواس اللهيصي[5] عليها، ومنذ سقوط الدولة الرستمية تبنى مقاومة الدولة العبيدية، قبيلة زناتة البترية بقيادة محمد بن خزر الزناتي، الذي بدأت تحرشاته بالدولة العبيدية منذ الاستيلاء على تهيرت والإطاحة بالدولة الرستمية، فحاول السيطرة عليها وقطع طريق العودة من سلجماسة على العبيديين، لكنه فشل في ذلك،

---

[1] سليمان باشا الباروني: **الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية**، مر محمد الصلابي، دار الحكمة، لندن، 2005م، ص ص245-246.

[2] أحمد بن سعيد الدرجيني: **طبقات المشايخ بالمغرب**، ت إبراهيم طلاي، مطبعة البحث، قسنطينة، الجزائر، ج1، ص94

[3] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص153

[4] موسى لقبال: **المرجع السابق**، ص ص246-248

[5] أبو حميد دواس بن صولات اللهيصي: من قادة الدولة العبيدية من قبيلة كتامة ومن الذين قامت على سواعدهم الدولة، تولى مدينة تيهرت ثم أبو حميد توفي (299هـ/911م). انظر ترجمته ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص153، ص156، ص160.

وهرب ناحية الصحراء[1]، بعد إرسال الداعي لموسى بن هارون[2] على رأس مجموعة من الكتاميين لصد ابن خزر[3]، لم تتوقف ثورات قبيلة زناتة وتحرشاتها على الدولة العبيدية وكانت العثرة في طريق الدولة من أجل إحكام سيطرتها على المغرب الأوسط والتوسع نحو الغرب.

فما كان من الداعي عبد الله الشيعي إلا الخروج في حملة كبيرة سنة (298هـ/911م)، من أجل إخضاع قبائل زناتة الثائرة، استمرت هذه الحملة عدة شهور استطاع خلالها الداعي اخضاع قبائل زناتة الثائرة، والتنكيل بالجموع الزناتية[4]، بالموازاة مع ذلك قامت بعض الثورات بناحية طرابلس، قادتها قبائل هوراة، وشاركت فيها بعض قبائل زناتة كلماية، لكن لم تفلح في السيطرة على المدينة، بعد التصدي لها من قبل أبو زاكي تمام بن معارك، حيث أثخن فيهم وبعث برؤوس القتلى إلى رقادة[5]، وأمام ذلك تراجعت القبائل الزناتية لبعض الوقت مع تغلب الجانب العبيدي.

ثم عادت القبائل الزناتية إلى الثورات على الدولة العبيدية، عقب المشاكل الداخلية التي شهدتها الدولة، إثر مقتل الداعي عبد الله وأخيه أبا العباس، وبعض الوجوه الكتامية، ما اضطر عبيد الله المهدي إلى القيام بإرسال حملة أخرى، إلى المغرب الأوسط، وعلى رأسها جماعة من قادته لمحاربة قبائل زناتة، دارت بينهم معركة بمنطقة المغرب الأوسط قرب تيهرت، كانت الغلبة للعبيديين وخسر أهل زناتة عدد كبيرا من المقاتلين[6].

---

[1] الداعي إدريس: **المصدر السابق**، ص166

[2] موسى بن هارون: هو أبو هارون موسى بن هارون قائد بربري خدم الدولة العبيدية بالغرب الإسلامي يرجع في أصله إلى قبيلة كتامة البربرية. انظر ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج6، ص524.

[3] الباروني: **المرجع السابق**، ص249

[4] ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج7، ص35.

[5] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص163.

[6] **نفسه**، ج1، ص163.

جاءت حملة أخرى بقيادة مصالة بن حبوس المكناسي[1] (299هـ/911م) على المغرب الأوسط وتيهرت[2]، والسبب في ذلك أن أهل المدينة ثاروا على دواس، وأخرجوه من المدينة كما قتلوا أغلب الحامية الكتامية التي كانت معه، ونصّبوا عليهم محمد بن خزر، وأباحوا له سلاح وأموال الوالي دواس اللهيصي، فلما وصلت الحملة العبيدية اختلف أهل المدينة مع ابن خزر، فخرج منها واستطاع الجيش العبيدي دخولها بعد مقاومة من أهلها ومقتل الكثير منهم، ليحكمها مصالة بن حبوس[3]، وتم عزل دواس اللهيصي عنها بسبب فشله في السيطرة عليها، وهربه في كل مرة يتعرض فيها للتهديد، واستدعي إلى عاصمة الدولة أين تم التخلص منه وقتله[4]، في هذه المرحلة تراجعت القبائل الزناتية بسبب ما تعرضت له من خسائر، فكانت مرحلة هدوء من أجل إعادة ترتيب القوات واسترجاع الأنفاس.

استمر مصالة على ولاية تيهرت، واستطاع إبقائها تحت الحكم العبيدي، رغم بعض التحرشات التي كان يتعرض لها من قبل القبائل الزناتية، بقيادة محمد بن خزر وإخوته خصوصا، بل وقام ببعض الحملات على تخوم ولايته، مثل الحملة التي قام بها على بلاد نكور بعد رفض أهلها المبايعة لعبيد الله المهدي، فاستطاع إخضاعها سنة (305هـ/914م)[5]، واستمر في حكمه للمنطقة حتى سنة (312هـ/924م)، حين بدأ حملة جديدة ضد قبيلة زناتة وقائدها محمد بن خزر وإخوته، شملت عدة مناطق من مضارب القبائل، فقتل وغنم وسبى دون مقاومة معتبرة[6]، ليستغل محمد بن خزر تفرق جيش مصالة في مضارب بلاد البربر، من أجل النهب والتخريب وبقائه في مركز ضعف ويطيح به وبمن كان معه، وهذا في شهر شعبان سنة (312هـ/294م)[7].

---

[1] مصالة بن حَبُوس بن منازل بن بهلول المكناسي: أمير بربري كان له رياسة قبيلة مكناسة وكان من أكبر قواد عبيد الله المهدي حين استيلائه على بلاد المغرب، وولاه تيهرت والمغرب الأوسط، كما وسع ملكه حتى فاس، قتله محمد بن خزر312هـ/924م. الزركلي: **المصدر السابق**، ج7، ص227، ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص166 ص197.

[2] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص197.

[3] الباروني: **المرجع السابق**، ص250.

[4] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص166.

[5] البكري: **المسالك**، ج2، ص770.

[6] الباروني: **المرجع السابق**، ص250.

[7] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص197.

لتعود التحرشات الزناتية بالمنطقة ومضايقة العبيديين، في ولاية يصل بن حبوس الذي حل مكان أخيه بعد مقتله، حيث قام محمد بن خزر بمحاصرة المدينة سنة (314هـ/926م)[1]، لكن فشل في دخولها بعد الدفاعات القوية من ساكنتها، ووصول أخبار بإخراج عبيد الله المهدي لحملة ناحية المنطقة، فهرب تاركا أخاه بنواحي واد مطماطة[2]، وجرت بينه وبين جيش عبيد الله معركة كانت الغلبة للزناتيين، وقتل فيها قائد الحملة ولم يصل من جيشه إلى تيهرت إلا القليل[3]، وغالب الظن أن انسحاب محمد بن خزر لم يكن هربا، وإنما خطة اتبعها للإيقاع بالجيش العبيدي فكان له ذلك.

حيث أن معارك القبائل الزناتية ضد الدولة العبيدية اعتمدت على الكر والفر والحيلة في الحرب، وفي هذه المعركة ترك محمد بن خزر بعض الجيش وتظاهر بالانسحاب، فكان الهدف هو إيقاع الجيش الفاطمي بين جيشه وجيش أخيه أو استدراجه ناحية الصحراء[4]، وقوي الجانب الزناتي بانضمام قبائل لماية، في هذه المرحلة وكانت الغلبة للجانب الزناتي رغم بقاء تيهرت تحت سيطرة الجانب الشيعي، إلا أنهم استطاعوا بسط نفوذهم على منطقة الزاب وإلحاق هزائم بحملات عبيد الله المهدي المتتالية، على المنطقة.

لم تتوقف السجالات الحربية بين قبيلة زناتة، وبطونها خاصة فرع مغراوة بقيادة محمد بن خزر، رغم الحملة التي أشرف عليها ابن عبيد الله المهدي القائم وقادها بنفسه سنة (315هـ/927م)، مرت هذه الحملة على عدة مدن منها الأربس وباغاية[5]، ومنها اتجهت نحو

---

[1] الباروني: **المرجع السابق**، ص250.

[2] وادي مطماطة بين سلجماسة وتيهرت ناحية الغرب. انظر البكري: **المسالك والممالك**، ج2، ص385.

[3] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص191.

[4] العبادي: **في تاريخ المغرب**، ص17.

[5] باغاية: مدينة قديمة بالقرب من جبل الأوراس، بها الكثير من المزارع والأشجار والأنهار، اشتهرت أيام الفتح الإسلامي لها وذلك لاتخاذها عاصمة من قبل الكاهنة. انظر الحموي: **البلدان**، **المصدر السابق**، ص325، اليعقوبي: البلدان، ص190.

حوض الشلف ثم هوارة ولواتة[1] حتى وصل إلى تهرت، ومنها قصد نحو حصن تامغلت[2] حيث واجه قوات محمد بن خزر الذي كان قريب من المنطقة، ليرجع إلى العاصمة المهدية[3]، وفي طريق عودته أسس مدينة المحمدية (المسيلة حاليا)[4]، بعد إدراكه أن القبائل الزناتية لن تركن للهدوء وستعود للثورات بمجرد انسحاب الجيش العبيدي، إذ لم تكن لتبادر وتخوض حربا معروف النقص العددي فيها وهو ما حتم عليها الانسحاب ناحية الصحراء.

استمر يصل بن حبوس في حكمه مدينة تيهرت حتى سنة (319هـ/931م) ليتولى بعده أبو مالك بن يغمراسن بن أبي شحمة اللهيصي، فقام عليه أهل البلد سنة (323هـ/935م) ونصبوا عليهم إبن مصالة أبو القاسم الأحدب[5]، الذي قتل بعد سنة من توليه، لتعرف المنطقة هدوء نسبيا في فترة حكم إبراهيم بن داود العجيسي الذي تلاها بين سنتي (324هـ/935م-333هـ/945م)، والذي انتهى حكمه بهرب حميد بن يصل من السجن، بعد فتنة صاحب الحمار واستيلائه على المدينة[6]، ليتغلب عليها محمد بن خزر فيما بعد، ولم تدم سيطرته عليها طويلا حتى تغلب عليها فرع آخر من قبائل زناتة، هم بنو يفرن[7] بقيادة يعلى بن محمد[8] الذي استمر عليها حتى حملة جوهر الصقلي سنة (347هـ/958م)، الذي قتله وأسر ابنه وأحرق

---

[1] قبيلة بربرية من أكبر القبائل بالمغرب الإسلامي، ترجع في إلى البربر البتر، ولها العديد من البطون والفروع، مثل أكوزة وعترزة وسدراتة وغيرها من القبائل، أما عن مضاربها فكانت شرقي المغرب خاصة ناحية طرابلس وباغاية. انظر ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج6، ص6، ص70، ص110.

[2] تامغلت: مدينة بين تيهرت وأشير بالمغرب الأوسط، تبعد عن أشير ثلاثين ميلا، وهي مبنية على سفح جبل على تخوم الصحراء. انظر البكري: **المسالك والممالك**، ج2، ص732، ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص193، ص200.

[3] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص191.

[4] المقريزي: **المقفى الكبير**، ج6، ص95.

[5] الباروني: **المرجع السابق**، ص250.

[6] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص198.

[7] بنو يفرن: من قبائل البربر البتر وبعض نسّابتهم يقولون إنّ يفرن هو ابن ورتنيذ بن جانا وإخوته مغراوة وغمرت ووجديجن، وهم من أكبر القبائل وأشدها شوكة أيام الفتح الإسلامي، وكانوا يتمركزون أكثر بالمغرب الأوسط. انظر ابن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص15.

[8] يعلى بن محمد اليفرني الزناتي من أشهر قادة بني يفرن، كان مناصرا للدولة الأموية بالأندلس (توفي 347هـ/958م). انظر ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج4، ص59.

مدينة ايفكان[1]، واستطاع أن يخضع سلجماسة وفاس أيضا، حتى وصل المحيط، وأرسل للمعز الفاطمي هدايا من هناك[2]، ومن بعدها تولى زمام الأمور بالمنطقة بني زيري.

أخيرا يمكن القول أنّ قبائل زناتة لم تتقبل أمر الدولة العبيدية، والمذهب الإسماعيلي منذ بدأ الدعوة العبيدية بالمنطقة، ولا يمكن عزو ذلك إلى العصبية القبلية والصراع مع كتامة، بقدر ما كان سبب ذلك الجانب المذهبي، فكانت المواجهات بينهم على أساس مواجهة خارجية شيعية، وسنية شيعية في عدة مراحل، خاصة تلك التي كانت قيادة محمد بن خزر، فلم يهنأ عبيد الله بالراحة مذ توليه المنطقة، ما حتم عليه الانتقال بعاصمته وتأسيس مدينة أخرى.

[1] ايفكان: وقيل أن اسمها أفكان مدينة خلف تيهرت بثلاث مراحل، ويشقها نهر يمر على تيهرت، وقيل أنه كان بها قصور وحمامات وفواكه كثيرة. انظر الإدريسي: **المصدر السابق**، ج1، ص ص250-251، الحموي: **البلدان**، ج1، ص232.

[2] المقريزي: **المقفى الكبير**، ج3، ص51.

ثالثا: المشاركة في ثورة أبي يزيد الخارجي-صاحب الحمار- (332-336هـ/943-947م)

لم يستطع عبيد الله المهدي إخضاع القبائل البربرية كاملة، والقضاء على المقاومة السنية خلال فترة حكمه، حتى خلفه ابنه القائم، فكانت سياسته أشد على المنطقة، ما أثار الأهالي أكثر، وتُرجم ذلك بأكبر تهديد على الدولة العبيدية طيلة فترة حكمها، كاد هذا التهديد أن يقضي على الدولة الوليدة وحصَرها في عاصمة ملكها، وتمثل ذلك في ثورة أبي يزيد الخارجي[1]، وإن كانت هذه المقاومة خارجية القيادة والطابع، إلا أنها عرفت مشاركة العناصر السنية، فكانت بداية نشاطه حوالي (316هـ/928م) بين تيهرت وتوزر[2] معلما للصبيان، كما تبنى الإنكار على السلطان، والنصح بالخروج عليه، وكان يحتسب على الناس[3]، ليهرب ناحية المشرق بعد طلب العبيديين له ويعود لاحقا بنشاط وجرأة أكبر.

تركز نشاطه هذه المرة بمنقطة تقيوس[4] ناحية قسيطلة، فأوعز القائم إلى واليها القبض عليه وسجنه[5]، إلا أن أهله من قبائل زناتة النكارية حرروه بقيادة أبي عمار الأعمى، واستمر

---

[1] هو مخلد بن كيداد بن سعد الله بن مغيث من قبيلة بني يفرن الزناتية، لقب بالأعرج وصاحب الحمار، كان يدين بالمذهب الخارجي النكاري، (لإنكارهم خلافة إمام الإباضية عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم)، فكان مذهبه استباحة دماء وأموال أهل الملة اعتبارهم دراهم درا كفر، بدأ نشاطه الدعوي 316هـ/928م، متنقلا بين قرى وقبائل الأوراس على حماره ممتهنا التعليم، واستمرت حركته بين سنتي (332-336هـ/943-947م)، ساندته قبائل المغربين الأدنى والأوسط، واستطاع تهديد الدولة العبيدية وكاد يقضي عليها لولا غدره بأهل السنة ممن ساتده في ثورته، فبدأ بالتراجع حتى القضاء عليه من المنصور ثالث حكام الدولة العبيدية. انظر ابن حماد: **المصدر السابق**، ص30 وما بعدها، ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص193/ص216، الزركلي: **المصدر السابق**، ج7، ص194.

[2] تَوْزَرُ: بالفتح ثم السكون، وفتح الزاي، وراء: مدينة في أقصى إفريقية من نواحي الزاب الكبير تابعة لناحية قصطلية وعدها البكري من مدنها، مشهورة بكثرة نخيلها وإنتاج التمر، الذي يصدر لمختلف المناطق بالمغربين الأدنى والأوسط، وبها الكثير من البساتين، وهي مدينة مسورة وبها مسجد وأسواق، ومن غريب ما ذكر لبكري عنها أكل أهلها لحم الكلاب وتربيتهم لها من أجل هذا الغرض. البكري: **المسالك والممالك**، ج2، ص708، الإدريسي: **المصدر السابق**، ج1، ص277، الحموي: **المصدر السابق**، ج2، ص57.

[3] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص193، ابن الأثير: **المصدر السابق**، ج7، ص734.

[4] تقيوس: مدينة بالقرب من توزر بينها وبين باغاية اثنا عشر ميلا، وهي مدينة عامرة لها غلات الحناء والكمون والكروياء وبها نخل وتمر حسن وجملة بقول طيبة ناعمة. انظر الإدريسي: **المصدر السابق**، ج1، ص277، الحموي: **البلدان**، ج2، ص27.

[5] الدرجيني: **المصدر السابق**، ج1، ص98.ا

في نشاطه حتى استقر بين هوارة بني كملان في جبل أوراس، فكان بنو كملان الداعم الرئيسي لحركته وكان هذا ابتداء من سنة (325هـ/936م)[1]، واستمر هناك حتى البدايات الفعلية لثورته والتي مرت بعدة مراحل.

كانت بدايتها سنة (332هـ/943م)، فيها قام صاحب الحمار بجمع الحشود والمواجهة مع صاحب باغاية، وان لم يوفق في دخولها وانهزم عنها في البداية، إلا أنه استطاع السيطرة على بلاد الزاب وبعض الأقاليم الساحلية في باجة[2] وتونس وتبسة[3]، حتى تغلب على مدينة القيروان، التي كانت ضربة حاسمة في الحرب، لما للقيروان من الأهمية التاريخية والسياسية والروحية، قضى بعدها على جيش ميسور الفتى[4] بعد انشقاق من كان معه من بني كملان[5]، ليحاصر المهدية ولم يبقى للعبيديين غيرها، وظن الجميع انتهاء دولتهم، لكن ما أضمره صاحب الحمار من خداع وغدر بأهل السنة[6]، وسوء قيادته أدى إلى تبدد قواته، وبداية التصدعات داخل معسكره.

رافق ذلك تغير السلطة العليا للدولة العبدية باعتلاء المنصور العبيدي قيادة الدولة والذي بدأ في التقليص من نفوذ صاحب الحمار، حتى القضاء عليه نهائيا في سنة

---

[1] علي عشي: **ثورة أبو يزيد مخلد بن كيداد النكاري بين الإنصاف والتجريح**، مجلة العلوم الإسلامية، (islami ilimler dergisi)، المجلد العاشر، العدد الأول، جامعة عباس لغرور، خنشلة، الجزائر، ربيع 2015م، ص281.

[2] باجة: مدينة بإفريقية وهي مدينة قديمة على جبل، تعرف أيضا باسم باجة القمح، لكثرة الحبوب بها خاصة القمح والشعير، كما أنها مشهور بخصوبتها وكثرة غلاتها. انظر الحموي: **البلدان**، ج1، ص314، اليعقوبي: **المصدر السابق**، ص188.

[3] تبسة: بلد من أعمال إفريقية، بينها وبين قفصة ست مراحل ومنها إلى مدينة سطيف أيضا ست مراحل. انظر الحموي: **البلدان**، ج2، ص19.

[4] ميسور الفتى: من العبيد الصقالبة في قصر عبيد الله المهدي تدرج في الرتب حتى صار من قادة الجيوش العبيدية. عنه انظر القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، المصدر السابق، ص254.

[5] ابن الأثير: **المصدر السابق**، ج7، ص137.

[6] جاء في البيان أن الخارجي أبا يزيد في إحدى المعارك خاطب أتباعه إذا «التقيتم مع القوم–يقصد العبيديين– فانكشفوا عن أهل القيروان حتى يتمكن أعدائهم من قتلهم فيكون هم الذين قتلوه لا نحن! فيستريح منهم–يقصد أهل السنة–»، ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص217.

(336هـ/947م)[1]، هذه إشارات فقط عن ثورة صاحب الحمار، كون الموضوع بحد ذاته يحتاج دراسة كاملة، وقد خصصت له كتب ودراسات، ولم نرد الإطناب في الموضوع، وركزنا على ما يهمنا في الموضوع، وتشمله دراستنا، ألا وهو موقف أهل السنة المالكية من هذه الثورة.

كان لهذه الثورة العديد من الأسباب، منها التأثر بالصراع القبلي البربري، المتمثل في الصراع بين فرعي البربر من البتر والبرانس، وإن لم يكن ذا التأثير الواضح، إضافة إلى السبب الاقتصادي، المتمثل في تدهور الوضع الاقتصادي بالمغرب الإسلامي، جراء الحروب الطاحنة، وما تعرضت له المدن والقرى من تخريب قبيل قيام الدولة العبيدية، ومن الأسباب التي يمكن إضافتها أيضا السياسة المالية للدولة العبيدية، وما اتسمت به من جشع مالي، فعملوا جمع المال بشتى الطرق[2]، وبذلوا من أجل ذلك تعريض أهالي المدن والقرى لمختلف المغارم والإتاوات.

لم يكتفي عبيد الله المهدي بما أثقل به كاهل السكان بتلك الضرائب، ونظام الخمس الذي يتبناه الشيعة، فراح يبحث عن أي طرق لأكل أموال الناس، ومن غريب ما فرضه على الأهالي، ضريبة سميت الضريبة على الحج، فكان يلزمهم إلى تغيير الطرق للمرور بالمهدية ودفع إتاوة الحج، وفي هذا الصدد يقول ابن عذارى: «وأمر عبيد الله بأن يكون طريق الحاج على المهدية، لأداء ما وظف عليهم من المغارم في الشطور»[3]، ولعل هذا ما يفسر خروج التجار رفقة الفقهاء بالسلاح والأموال والعتاد،[4] عقب عقد فقهاء القيروان على المقاتلة بجانب ابن كيداد، كون الجميع تضرر من السياسة العامة للدولة العبيدية، وليس الفقهاء ورجال الدين فقط.

---

[1] ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج4، ص53، ابن الأثير: **المصدر السابق**، ج7، ص136، ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص216.

[2] عبد القادر بوباية: **البربر في الاندلس وموقفهم من فتنة القرن الخامس الهجري (11م)**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2011م، ص95.

[3] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص186.

[4] المالكي: **المصدر السابق**، ج2، ص341.

هذا عن بعض الأسباب التي أدت إلى ثورة أبي يزيد، لكن يبقى السبب الرئيسي لهذه الثورة هو عقدي مذهبي، بين الخوارج بشقيهم من النكارية[1] والذين مثلوا القيادة برئاسة أبي يزيد، وأيضا الوهبية[2]، إلى جانبهم أهل السنة من المذهب المالكي، ضد فرقة الشيعة العبيدية الباطنية، فحين مات عبيد الله وخلفه ابنه القائم أظهر التشيع القبيح وسب الصحابة، وبرر النكاري خروجه من اجل الحق والقيام بالسنة ولم يبين حقيقة مذهبه[3]، فكان هدف الثورة في ظاهرها نصرة السنة، ومحاربة الباطنية وما حملوه من بدع وتغيير لشريعة الله وقال أنه خرج غضبا لله ورسوله صلى الله عله وسلم، وأظهر الزهد والورع، ولَبِس الخشن من الثياب والصوف[4].

من أجل حشد أكبر عدد من الأتباع، أخفى حقيقة مذهبه عن باقي المذاهب، وكان ذكيا في ذلك، فكان إذا لقي من همه انحراف الشيعة ترضى على الخليفتين أبا بكر وعمر، ليظهر أنه مخالف للشيعة، متفق مع أهل السنة، وإذا لقي الخوارج لاح بفكر تساوي المسلمين في الولاية وأمر الأمة، وإذا لقي الغوغاء ومن همه الدنيا، تحدث عن الغنائم، وزين لهم الإغارة والسلب والسبي وتحليل الفروج[5]، ومن خلال كل هذا استطاع جمع أكبر عدد من الأتباع، بإيهامهم تبنيه أفكارهم وما يصبون إليه، وأنه يوافقهم في الفكر والأهداف.

رغم محاولة التشنيع على أهل السنة، بمشاركتهم في هذه الثورة وأنه غرر بهم من قبل أبي يزيد وتم خداعهم، إلا أن الفقهاء المالكية أذكى وأعلم من أن يجهلوا مذهب من خالطوا، ونكتفي لدعم هذا الرأي بفتوى الممسي الذي قال بأن: «الخوارج من أهل القبلة لا يزول عنهم اسم الإسلام ويورثون ويرثون، وبنو عبيد ليسوا كذلك لأنهم مجوس زال عنهم اسم الإسلام، فلا

---

[1] النكارية: أو فرقة النكار فرقة من فرق الإباضية بالمغرب الأوسط وسميت بهذا الاسم لإنكارها إمامة عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم، وكان زعيم هذه الحركة رجل يسمى أبا قدامة يزيد بن فندين، الذي خرج عليه ورفض مبايعته. الدرجيني: **المصدر السابق**، ج1، ص ص 46-47.

[2] الوهبية: هم الإباضة الذين اتبعوا الإمام عبد الوهاب وبايعوهن، فانقسم الإباضية إلى فرقتين الوهبية والنكارية. **نفسه**، ج1، ص 47.

[3] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص216.

[4] ابن خلكان: **المصدر السابق**، ج1، ص235.

[5] إدريس الداعي: **تاريخ الخلفاء**، ص266.

يتوارث معهم ولا ينسب إليهم»[1]، ويتفق معه في ذلك الشيخ أبو إسحاق السبائي الذي قال في شأن ذلك ما يلي: « هؤلاء من أهل القبلة، وهؤلاء ليسوا من أهل القبلة»[2]، مفرقا بين عسكر بني عبيد وعسكر أبي يزيد.

كان هدف المالكية القضاء على الخطر الأكبر، وهو العبيديين وبعد ذلك التفرغ لأبي يزيد، ويظهر ذلك في قول السبائي: أنهم يناصرونه فإذا كان لهم استئصال الشيعة لم يدخلوا في طاعته، «فإن ظفرنا بهم، لم ندخل تحت طاعة أبي يزيد، والله يسلط عليه إماماً عادلاً، يخرجه عنا»[3]، وهذا نابع ممن مدى إدراك مختلف الفرق الإسلامية بالمغرب، مدى خطورة الفكر الشيعي، فحتى الخوارج فيما بينهم لم يكونوا على وفاق، لكن الظروف الراهنة حتمت عليهم الاجتماع لمحاربة هؤلاء الدخلاء، وكان اتفاقهم على محاربتهم حتى إذا تمكنوا منهم اجتمعوا وعينوا من يصلح لحالهم[4].

وآراء الفقهاء المالكية لم تكن فردية، وإنما خرج بها الفقهاء بعد اجتماعهم بمسجد عقبة بن نافع الفهري بالقيروان، من أجل البت في مشروعية الخروج مع أبي يزيد، ونقل المالكي نص يدل على هذا الاجتماع في ترجمته لأبي العرب، قال فيه متحدثا عن الاجتماع: «حضره جملة من المشايخ والفقهاء والفضلاء»[5]، فكانت الكلمة الأخيرة التي اتفقوا عليها الخروج معه لاعتقادهم كفر بني عبيد قطعا[6]، وبعد المشاورة التي قامت بينهم حسم أبو العرب بحديث رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم جاء فيه[7]: (يكون في آخر الزمان قوم يسمون الرافضة فإن أدركتموهم فاقتلوهم فإنهم كفار)[8]، واتفق الفقهاء على وجوب الخروج ضد العبيديين، ولو مع

---

[1] المالكي: **المصدر السابق**، ج2، ص297.

[2] **نفسه**، ج2، ص339.

[3] القاضي عياض: **المدارك**، ج5، ص304.

[4] إدريس الداعي: **تاريخ الخلفاء**، ص ص265-266.

[5] المالكي: **المصدر السابق**، ج2، 309.

[6] القاضي عياض: **المدارك**، ج5، ص284.

[7] المالكي: **المصدر السابق**، ج2، 309.

[8] لم أجد على حد اطلاعي في كتب الحديث الصحيحة حديثا بهذا اللفظ، ونقل الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة حديثا مشابها من حيث المضمون، ولكن يختلف في اللفظ جاء فيه: {يكون في آخر الزمان قوم يُنْبَزُون: الرافضة؛ يَرْفضون

أبي يزيد، مدعمين آرائهم بالحجج والبراهين الشرعية، مذكرين الناس بانحراف هؤلاء الباطنية ومغالطاتهم وتحريفهم لدين الله عز وجل.

من جملة من عقد الخروج مع أبي يزيد، أبو الفضل عباس بن عيسى الممسي[1] (ت333هـ/944م)، الذي استشهد وهو يقاتل بني عبيد، وذُكر أنّه لما حضرته الوفاة في ساحة المعركة، قال لأحد أقاربه: «حول وجهي إلى المهدي لئلا أموت وأنا مولي ظهري إلى هؤلاء القوم»[2]، وأخفيت جثته لكيلا لا ينكل العبيديون بها، لأنه كان مطلوبا عندهم، وممن شارك أيضا أبو العرب بن تميم القيرواني (ت333هـ/944م)، صاحب كتاب طبقات علماء إفريقية، الذي قطع على نفسه عهدا، ألا يشبع من طعام ولا نوم، حتى يتخلص المغرب الإسلامي من العبديين[3]، ومنهم كذلك أحمد بن أبي الوليد (ت345هـ/956م)، الذي خطب في الناس يوم الجمعة قبيل خروج أهل القيروان لمحاربة العبديين، وحصارهم بالمهدية، فحرض الناس على الجهاد، تاليا قوله تعالى: { لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ}[4] وانتقص من بني عبيد وذكَّر بِغُلوهم وحِيادهم عن الشريعة، وذكر الناس بيوم الخروج ولابد من خروجهم[5].

منهم ربيع القطان (ت333هـ/944م)، الذي برر خروجه على بني عبيد حين عوتب على ذلك، أنه سمع الكفر منهم بأذنه، وذكر الناس بغلوهم، كنسب الرسالة لعبيد الله المهدي، والطعن في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والنيل منهم بتعليق رؤوس الكباش، من

الإسلام ويَلفِظونه، فاقتلوهم فإنهم مشركون} وذكر بأنه حديث ضعيف. ينظر ناصر الدين الألباني: **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة**، ط1، دار المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1412هـ/ 7199م، ج13، ص568، رقم الحديث: 6267.

[1] الممسي: أبو الفضل الممسي، العباس بن عيسى، والممسي نسبة إلى قرية ممسى، أخذ عن موسى القطان وجبلة بن حمود وغيره، كان ممن فهم في الفقه المالكي والجدل والمناظرة، قال عنه ابن أبي زيد القيرواني: « وددت أن القيروان سبيت ولم يقتل أبو الفضل» توفي رحمه الله انظر ترجمته القاضي عياض: **المدارك**، ج4، ص ص 297-298، الذهبي: **السير**، ج15، ص373، ابن فرحون: **المصدر السابق**، ج2، ص129.

[2] الدباغ: **معالم الإيمان**، ج3، ص29.

[3] القاضي عياض: **المدارك**، ج5، ص313.

[4] سورة النساء: الآية رقم [94].

[5] القاضي عياض: **المدارك**، ج5، ص306.

خلال قوله: «أنا أول من يشرع في هذا الأمر ويخرج فيه ويندب المسلمين ويحضهم عليه»[1]، ولما كان يوم الخروج، بادر بحمل سلاحه ودرعه، وركب فرسه حاملا المصحف، وهو يشجع الناس على القتال، حامدا الله عز وجل أن أحياه حتى شهد عصبة من المؤمنين تقاتل في سبيل الله، وبكى حتى ابتلت لحيته وردد قائلا: «والله لو رآكم محمد (رسول الله)-صلّى الله عليه وسلم-لسُرّ بكم»[2].

حين خروجهم للقتال، حملوا الشعارات والبنود، والتي احتوت مضامينها على آيات وأحاديث ذات ألوان وشارات مختلفة، تستند في مضمونه إلى ترسيخ عقيدة أهل السنة والجماعة، كان عددها سبعة بنود حملها بعض الفقهاء ووجوه القيروان، كان أكبرها باللون الأبيض، يحمله إبراهيم بن العمشاء كتب فيه[3]: لا إله إلاّ الله محمد رسول الله، {إِلاّ تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُما فِي الْغارِ إِذْ يَقُولُ لِصاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنا}[4]، ودارت مضامين باقي البنود حول الانتقاص من العبيديين وظلالهم[5]، وتبيين حكم عقيدة أهل السنة فيمن انتقص من الرسول صلى الله عليه وسلم، أو صحابته الكرام، ومكانتهم من حيث العلم والفضل وتفاوتهم في ذلك، وأن خيرهم بعد نبيه الكريم هو أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضوان الله عليهم أجمعين.

نشير إلا أن هذه الشعارات لم تخلو من شعارات الخوارج، تأليف للقلوب ومجاملة لصاحب الثورة وقائدها[6]، ولتأكيد يقين المالكية بوجوب قتال بني عبيد، قال القاضي عياض أنه لم يتخلف عن القتال من المالكية المعتبرين، إلا فقيه يدعى أبا مسرة لعذر به وهو ضرير لا يرى، لكنه خرج إلى اجتماع الفقهاء حاملا سلاحه، لإعطاء دافع معنوي لهم كما وجه ابنه للقتال بدلا عنه[7]، فلم يجدوا مبررا لتقاعسهم وعدم جهاد بني عبيد ولو رُفقة الخوارج، بل اعتبروه

---

[1] الدباغ: **معالم الإيمان**، ج3، ص ص30-33.

[2] القاضي عياض: **المدارك**، ج5، ص344.

[3] المالكي: **المصدر السابق**، ج2، ص341.

[4] سورة التوبة: رقم الآية [40].

[5] الدباغ: **معالم الإيمان**، ج3، ص289.

[6] فاطمة بالهواري: **المرجع السابق**، ص290.

[7] القاضي عياض: **المصدر السابق**، ج5، ص304.

كفارة لما سبق من تخاذلهم، وعدم البدء في جهاد هؤلاء الزنادقة، والشيخ السبائي ذكر حول ذلك قائلا: «فلعل الله أن يكفر عنا بجهادنا، تفريطنا وتقصيرنا عن واجب جهادهم»[1]، فاشترك الطرفان السني والخارجي في العديد من المعارك، وتوحدت القبائل البربرية خاصة الزناتية حول زعيم واحد، من أجل الوقوف أمام المد الإسماعيلي.

انتهت ثورة صاحب الحمار هذه بالفشل، إذ لم يكن هناك توافق سياسي ولا مذهبي بين أطراف الثورة، وتباينت المصالح التي أدت بهم إلى المشاركة فيها، ما اضطر أبا يزيد للتراجع رغم أنه كان قريبا من القضاء على الدولة العبيدية ويقطع شأفتها، ويرجع أهل السنة هذا الانهزام إلى الغدر الذي أضمره الخارجي لأهل السنة، ومحاولة التخلص منهم بعد استغلالهم وتحقيق المطلوب منهم[2]، وغياب القيادة الصارمة المؤهلة، فأبان أبو يزيد عن عدة أخطاء، مكنت العبيدين من استغلالها للقضاء على ثورته، منها قلة خبرة الأهالي بالقتال وتمرسهم عليه، فقد كان غالبيتهم من الفقهاء وأهل العلم، والتجار وعامة الناس[3]، بعكس العناصر الشيعية التي كانت جيشا منضما، ومتمرسا على القتال، سواء العناصر الكتامة أو الموالي، وساعدتهم فترة ما قبل تأسيس الدولة،في اكتساب الخبرة اللازمة والتمرس على القتال.

من أسباب فشل الثورة أيضا، غياب الدعم الكافي والمدد اللازم من القوى السياسة الكبرى، سواء الخلافة العباسية بالمشرق، أو الدولة الأموية بالأندلس، رغم السفارات التي كانت بين أبي يزيد الخارجي من جهة والدولة الأموية بالأندلس من جهة أخرى، وإعلان ولائه لها بإرسال وفدين، الأول يرأسه أبو العرب بن تميم القيرواني، والثاني يرأسه ابنه أيوب بن أبي يزيد[4].

أخيرا رغم إخفاق هذه الثورة والحكم عليها بالفشل، إلا أن ما حققته من ترويع للدولة العبيدية، وتهديد وجودها وحصرها حتى الإشراف على القضاء عليها، مما يحسب لها ومن

---

[1] **نفسه**، ج5، ص305.

[2] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص217.

[3] المالكي: **المصدر السابق**، ج2، ص341.

[4] ابن حماد: **المصدر السابق**، ص81.

ايجابياتها، ما أكد للشيعة لفظ أهل الغرب الإسلامي وعدم تقبلهم له، وهو ما عجل برحيلهم إلى مصر بمجرد مؤاتاة الظروف لذلك.

كما أنه عقب ثورة أبي يزيد الخارجي، عرفت المنطقة إعادة إحياء المذهب المالكي بالغرب الإسلامي، وإعطاء روح جديدة وأمل له عقب هذه الثورة، فبعدها خف التضييق على الفقهاء المالكية، وتمكن بعضهم من عقد حلقات الدروس، وأتيحت لهم بعض المناصب حتى وإن ترفعوا عن ذلك، ويعبر محقق كتاب المدارك عن ذلك قائلا: «من لدن فتنة أبي يزيد الخارجي، فظفروا وأفشوا علمهم وصنفوا المصنفات الجليلة، وقدم منهم جلة طار ذكرهم بأقطار الأرض»[1].

كما ظهر بعد هذه الثورة قوة جديدة، برزت وتصدرت الأحداث في بلاد المغرب الإسلامي، وبالخصوص منطقة المغرب الأوسط، ألا وهي قبيلة صنهاجة البربرية، بقيادة زيري بن مناد، الذي كان له الدور البارز في قلب موازين القوة وإنقاذ العبيديين من الفناء، بالمساهمة الواضحة في القضاء على ثورة أبي يزيد الخارجي.

[1] القاضي عياض: **المدارك**، ج1، مقدمة المحقق ص26.

المبحث الثاني: الصراع بين الدولة الأموية بالأندلس والعبيديين

يرجع الخلاف الأموي الهاشمي إلى فجر الإسلام والبدايات الأولى لقيام الدولة الإسلامية، فمع وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، واختلاف الصحابة حول من ينوب عنه في قيادة المسلمين وتولي أمرهم، انتهى هذا الخلاف فيما عرف تاريخيا بسقيفة بني ساعدة بتنصيب أبي بكر الصديق رضي الله عنه خليفة للمسلمين، ليتجدد الخلاف بعد استشهاد الخليفة الراشدي عثمان بن عفان رضي الله عنه، لكن بشكل أعنف وأكثر مأساوية، حيث استثمر بعض الحاقدين على الإسلام من ملل وفرق النصارى والمجوس واليهود، قضية الخلاف الذي شجر بين الصحابي معاوية بن أبي سفيان والخليفة الراشدي علي بن أبي طالب، عقب مقتل الخليفة عثمان بن عفان رضوان الله عليهم أجمعين.

عمل هؤلاء المغرضين من أعداء الإسلام على تذكية هذه الفتنة ونار الفرقة بين المسلمين، ولازلت تبعيات هذه الفتن إلى العصر الحالي، وأدت إلى افتراق الأمة إلى ثلاث فرق رئيسية: السنة والشيعة والخوارج، انطوت تحتها عدة فرق تفاوت في الغلو والاعتقاد وهذا موضوع يطول شرحه، ما يهمنا منه أن الصراع بقي متصل، ومن النزاعات التي ظهرت إثر ذلك: النزاع بين الهاشميين الذين ينتمي إليهم آل رسول الله صلى الله عليه وسلم والأمويين، فالدعوة التي سبقت قيام الدولة العباسية، وسقوط الدولة الأموية، كان شعارها «الرضى من آل محمد» دون الإفصاح عن أي بيت من آل محمد.

لينشق البيت الهاشمي بعد استئثار البيت العباسي بالحكم، ويصبح آل محمد يشملون البيت الطالبي فقط مع العداء القديم للبيت الأموي والعباسي معا، ومع قيام الدولة العبيدية بالمغرب وانتحال هؤلاء الأدعياء القرابة لبيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، عملوا على تجديد هذا الصراع مدعين تمثيلهم للبيت العلوي، بالمقابل كانت هناك قوة أخرى ممثلة البيت الأموي بالأندلس، هذا من بين الأسباب التي أدت إلى الصدام والصراع بين الدولتين بالمنطقة، إضافة السبب المذهبي، فكان من رأي العبديين في حال سيطرتهم على الأندلس يغدو العالم الإسلامي مجزئا إلى قسمين: قسم مشرقي سني تحت راية الدولة العباسية، وقسم غربي شيعي يخضع لسيطرة الدولة العبيدية[1]، وهناك أسباب أخرى منها السبب الاقتصادي فحاجة الدولتين

[1] أحمد مختار العبادي: **في التاريخ العباسي والفاطمي**، دار النهضة للطباعة، بيروت، لبنان، ص235.

إلى ثروات بلاد المغرب، وما تزخر به من خيرات سواء الجانب الزراعي بالشمال، وأكثر أهمية من ذلك معادن الصحراء، لذلك ظهر التنافس على أشده منذ البداية على مناطق النفوذ المؤدية إليها خاصة منطقة سلجماسة وفاس ونكور[1]، وعمل أيضا كل جانب على ضمان مناطق نفوذ على سواحل البحر المتوسط من أجل التجارة البحرية، كما يمكن إيراد أسباب أخرى للنزاع كالموقع الجغرافي، وحتمية التصادم بحكم تداخل المصالح ومناطق النفوذ، والوقوف أمام المشاريع التوسعية من الجهتين وغيرها من الأسباب، اتضح هذا الصراع منذ قيام الدولة العبيدية وتجلى في عدة أشكال نذكر منها:

أولا: الصراع الغير المباشر

تبدأ هذه المرحلة مع تأسيس الدولة العبيدية، لكون الدولة الأموية بالأندلس سبقتها من حيث النشأة والتأسيس بالمنطقة، ومثلت القوة الأكبر بالغرب الإسلامي إذ سيطرت على منطقة الأندلس وامتد نفوذها إلى بعض الثغور والمناطق المغربية، كما كان لها صلات ببعض الدول والكيانات بالمنطقة وتدين لها بالولاء، إذ كانت بلاد المغرب مجزأة لدويلات وكيانات ذات نفوذ ومناطق محدودة، مختلفة من حيث القوة والانتماء المذهبي وبهذه الصورة لا يمكن أن تشكل خطرا على الدولة الأموية

وبظهور القوة الجديدة ذات التوجه والمذهب الواحد، وتنامي كيانها ومناطق نفوذها وسيطرتها، إثر التوسعات التي دأبت عليها في المغرب الإسلامي، كان هذا التوسع بشكل سريع، هددت مصالح الدولة الأموية بالمنطقة وإن لم يكن له تأثير أو صدام مباشر، لكن بحكم التقارب الجغرافي والحدود المشتركة كان لزاما حدوث تماس بين القوتين بالمنطقة، لاعتبارات مختلفة كما أسبقنا الذكر، لم تدخل الدولتين في صدام مباشر منذ قيام الدولة العبيدية، وكما التوسع كان تدريجيا ولم يصل مباشرة إلى مناطق النفوذ وأملاك الدولتين، كذلك الصراع كان عبر مراحل ولم يترجم مباشرة إلى صدام مباشر، بل سبق ذلك أشكال مختلفة من الصراع نذكر منها:

1-بث الدعاة والجواسيس:

[1] عبد الله العروي: **مجمل تاريخ المغرب**، ط2، المركز الثقافي العربي، الرباط، المغرب، 2000م، ج2، ص72.

ترجع جذور التشيع في بلاد الأندلس إلى أزمنة متقدمة من ظهور الدعوة العبيدية، فقد سبقتها دعوة مماثلة تعد الأقدم من حيث ادعاء صاحبها للنسب الفاطمي، ألا هي دعوة شقنا بن عبد الواحد[1] الذي ظهر بالأندلس منتصف القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي، واستطاع أن يقد مضجع الدولة الأموية لما يربو عن العشر سنوات[2]، هذا ما ينم عن تقبل بعض فئات المجتمع الأندلسي للفكر الشيعي، وأن التشيع في المنطقة قديم وإن لم يتجلى للعيان، واختلفت درجاته بين المولاة لآل البيت وحبهم، إلى حد الغلو والخروج عن الملة، استغلت الدولة العبيدية هذا الأمر وعمدت إلى تدعيمه من خلال بث الدعاة والجواسيس منذ نشأتها بهدف تزويدها ونقل الأخبار عن الدولة الأموية بالأندلس[3]، وعن الأحوال العامة للبلاد من أجل الوصول إلى نقاط القوة والضعف، وإيجاد الطرق المناسبة للغزو في حالة مؤاتاة الظروف لذلك.

من الجواسيس الذين وصلوا بلاد الأندلس من الجانب العبيدي نجد أبو اليسر إبراهيم بن محمد الشيباني المعروف بالرياضي (ت298هـ/910م)[4]، هذا الأخير ذكر ابن عذارى أنه كان يكتب لعبيد الله وذكر اتصاله بالأندلس[5]، ومن الجواسيس الذين أفادت المصادر باتصالهم بالأندلس ولهم علاقة بالعبيديين نجد أيضا: أبا جعفر بن هارون البغدادي الذي عاصر الخليفتين المهدي والقائم، وله الفضل في تزويد العبيديين ببعض المعلومات المهمة عن الأندلس[6]، وأهم هؤلاء الجواسيس الذين خدموا الدولة العبيدية من خلال نقل الأخبار من

---

[1] شقنا بن عبد الواحد رجل من بربر مكناسة كان يعلم الصبيان أمه تسمى فاطمة، وادعى النسب الفاطمي وتلقب بعبد الله بن محمد، خرج على الدولة الأموية منذ سن 151هـ/ اتخذ شنت برية مركزا له اجتمع حوله جموع من البربر ليصبح ذو وزن بالمنطقة، ومنها سار غربا واستولى على عدة مدن مثل قورية وماردن واستمر تمرده حتى سنة (160هـ/776م)، انظر ابن الأثير: **المصدر السابق**، ج5، ص173، ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج2، ص54.

[2] عن ثورة شقنا ابن عبد الواحد أنظر: عيادي حسينة: **ثورة شقنا بن عبد الواحد وادعاء النسب الشريف بالأندلس (150/161هـ)**، مجلة المعيار، مجلد 25، العدد 49، جامعة عباس لغرور، خنشلة، الجزائر، 2021م.

[3] العبادي: **المرجع السابق**، ص236.

[4] ترجم له الذهبي في **تاريخ الإسلام** وذكر وفاته في سنة 291هـ الذهبي: **تاريخ الإسلام**، ج6، ص906

[5] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص162.

[6] إبراهيم القادري بوتشيش: **الفاطميون ومشروع غزو الأندلس، صراع خلافتين إسلاميتين في الغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي**، مجلة كان التاريخية، العدد45، سبتمبر2019م، ص188.

الأندلس الرحالة ابن حوقل النصيبي[1] (ت367هـ/977م)، هذا الأخير تستر بشخصية التاجر وكان نتاج عمله هناك رحلته التي أخرجها ككتاب أظهر فيها خيرات البلاد وغناها، ومدى ضعف أهلها وقلة حليتهم من أجل ترغيب المعز لدين الله العبيدي في غزوها[2].

كما عمدوا إلى إرسال الدعاة نحو تخوم الدولة الأموية وتوغلوا داخلها، من أجل نشر الدعوة العبيدية، وتكوين قاعدة شيعية في المنطقة، على نسق ما دأب عليه الإسماعيليون لنشر مذهبهم، والدعوة والتمهيد للأمر قبل الوصول إلى أي منطقة، ومن الدعاة الذين وصلوا إلى الأندلس من الجانب العبيدي ابن مسرة القرطبي[3] (ت319هـ/931م)، والذي عهد إليه العبيديون بإنشاء تنظيم سري للشيعة بالأندلس[4]، وإن لم تؤت هذه البعثات أكلها على أكمل وجه، وكما هو مخطط له، إلا أننا نلاحظ نجاح هؤلاء الدعاة في التمهيد للفكر الشيعي بالمنطقة وجذب بعض الأنصار، الذين خدموا الدعوة العبيدية فيما بعد سواء بالأندلس، أو انتقلوا عنها لعدم مؤاتاة الظروف، وخدموا الدولة العبيدية بالمغرب، ثم بعد انتقالها إلى مصر، كعمر بن حفصون[5] (ت306هـ/918م)، الذي قام بالخروج عن الدولة الأموية جنوب الأندلس

---

[1] ابن حوقل: أبو القاسم محمد بن حوقل النصيبي. تاجر ورحالة مغربي، اشتهر في الرابع الهجري العاشر الميلادي، كانت له رحلات في البلاد بين سنتي (331-359هـ/943-970م)، ومنها خرج بكتابه المعروف بصورة الأرض لم نعثر على تاريخ ثابت لوفاته وقيل (367هـ/977م). عنه انظر ابن حوقل: **المصدر السابق**، مقدمة المحقق.

[2] العبادي: **المرجع السابق**، ص235.

[3] محمد بن عبد الله بن مسرة أبو عبد الله بن نجيح: من أهل قرطبة، كان بالمشرق وخرج منها لأنه اتهم بالزندقة وانتقل الى الاندلس فاظهر الورع واغتر به الناس ثم كشف على سوء معتقده، وتحريف القرآن قال صاحب جذوة المقتبس: »نسبت إليه بذلك مقالات نعوذ بالله منها»، توفي سنة 319هـ. انظر ابن الفرضي: **المصدر السابق**، ج1، ص41، الميورقي: **المصدر السابق، جذوة**، ج1، ص61.

[4] سامية مصطفى مسعد: **العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية**، ط1، عين للدراسات الاجتماعية والإنسانية، الإسكندرية، مصر، 2000م، ص80.

[5] هو عمر بن حفصون بن عمر بن جعفر بن دميان بن فرغلوش بن أذفونش القس، المعروف بابن حفصون، من أصل اسباني مسيحي أسلم جده جعفره، قتل أحد جيرانه وهرب إلى المغرب ليعود بعد ذلك إلى الأندلس بكورة رية قرب الجزيرة الخضراء جنوب الأندلس، وتزعم تمثيل مطالب السكان أمام السلطة، حوالي 267هـ، وتحصن بجبل ببشتر ومن هناك بدأ يشن غاراته على الأندلس حوالي 270هـ، وجرت بينه وبين الخلفاء الأمويين معاهدات صلح على فترات ثم ينقضها كانت آخرها مع عبد الرحمان الناصر مطلع القرن الرابع الهجري وبعد وفاته سنة 306هـ/918م. ينظر ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج2، ص106، ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج4، ص ص172-173، الذهبي: **تاريخ الإسلام**، ج6، ص582

سنة(297هـ/910م)[1]، ومنهم علي بن حمدون[2] الجذامي المعروف بالأندلسي (ت344هـ/955م)، الذي ورد على المهدية من الأندلس، وخدم عبيد الله أول الأئمة العبيديين، ثم انتقل إلى خدمة ابنه القائم الذي وكّل إليه بناء مدينة المحمدية[3]، ليوليه عليها وعلى بلاد الزاب فيما بعد حين رأى منه ما يسرّه من الإخلاص في خدمتهم[4]، ومثال آخر ممن تأثر بالفكر العبيدي، ووصل إلى حد الغلو فيه، شاعر الدولة العبيدية ابن هانئ الأندلسي (ت362هـ/972م)، والذي يعتبر من الشخصيات الهامة في بلاط الدولة العبيدية، وحاكمها المعز لدين الله، لغدوه من أشهر شعراء الدولة وأكثرهم دفاعا عنها ومعبرا عن آرائها، ومما زاد من شهرته ما تميزت به أشعاره من غلو وتصريحات مشبوهة[5].

آخر وأخطر مثال عن تغلغل الفكر الشيعي بالأندلس نجد: حركة أبو الخير الداعي الذي تزامنت دعوته مع وفاة الخليفة الأموي عبد الرحمان الناصر[6] (ت350هـ/961م)، قبيل

---

[1] ابن الأثير: **المصدر السابق**، ج6، ص360.

[2] علي بن حمدون بن سمّاك بن مسعود بن منصور الجذامي يعرف بابن الأندلسي أبوه كان من الأندلس اتصل بعبيد الله المهدي بالمشرق قبل قيام دولتهم، ورافقه في رحلته فكان ممن سجن معه بسلجماسة، وبعد قيام الدولة العبيدية قربه المهدي، ثم ابنه أبا القاسم الذي سار معه في حملته على المناطق المغربية سنة 315هـ، كما استخدمه على مدينة المسيلة التي بناها في طرق عودته التي بقي بها إلى أن هلك في فتنة أبي يزيد، سقط من جرف عال، فاندقت يداه ورجلاه، سنة (334هـ/955م). ينظر ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج4، ص104، ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج2، ص ص242-243.

[3] هي مدينة المسيلة بإقليم الزاب الحالية أسسها أبو القاسم إسماعيل بن عبيد الله سنة 315هـ، والشيعة يطلقون عليها اسم المحمدية، قال البكري: «للمدينة أسواق وحمّامات وحولها بساتين كثيرة. ويجود عندهم القطن، وهي كثيرة اللحم رخيصة السعر». ينظر البكري: **المسالك**، ج2، ص723، الحموي: **معجم البلدان**، ج5، ص64.

[4] العبادي: **المرجع السابق**، ص237.

[5] من شعره قوله في المعز العبيدي: مَا شِئْتَ لَا مَا شَاءَتِ الْأَقْدَارُ ... فَاحْكُمْ فَأَنْتَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ، ابن الأثير: **المصدر السابق**، ج7، ص305.

[6] عبد الرحمان الناصر: هو عبد الرحمان بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمان بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمان الداخل، توفي والده وهو صغير وتولى الحكم بعد وفاة جده عبد الله وهو ابن ثلاثة وعشرين سنة، في ربيع الأول (300/912م)، وتقلد المنصب رغم وجود أعمامه ومن هم أسن منه آنذاك، عرفت بداية حكمه العديد من الثورات الداخلية، والنزاعات، والتي قابلها منذ بداية حكمه بالحملات العسكرية، كما أنه أول الأمراء الأمويين الذين تلقبوا بالخلافة، فكان لقب حكامهم الأمير، قضى الناصر سنوات حكمه الأولى على هذا اللقب، وفي (316هـ/926م) تلقب بإمرة المؤمنين، واستمرت فترة حكمه حتى (350هـ/961م)، وعرفت البلاد في فترة حكمه أزهى عصورها، وبسط نفوذ السلطة المركزية على جميع أنحاء الدولة. انظر

انتقال المعز الفاطمي ناحية مصر، وتكمن خطورتها في عدم تمركزها في مدن معينة، بل شملت جل بلاد الأندلس[1]، فكان أبو الخير صريحا في دعوته، من الشيعة الغلاة يسب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ويطعن في زوجاته أمهات المؤمنين، وحتى النبي صلى الله عليه وسلم، ويفضل عليا رضي الله عنه عليه، مُحِلا للخمر، طاعنا في القرآن الكريم، معطلا للشرائع[2]، مصرحا بعداوته للدولة الأموية فكان يقول: «أن محاربة بني أمية أحق من محاربة الشرك»[3]، ولم يقتصر عداءه لبني أمية فقط بل لعامة أهل السنة، عرف بقوله المشهور في فقهاء أهل السنة: «وجهادهم عندي أفضل من جهاد العدو، وكذلك فقهاء هذا الزمان بهذه الصفة عندي»[4]، ولم يسلم من جملة من أدخلهم في دائرة أعداءه حتى الأطفال الصغار، فكان يتمنى إفناء عامة المسلمين بالبلد في قوله: «فأقتلهم صغارهم وكبارهم إلى باب القنطرة»[5].

كما كان متعاطفا مع الدعوة العبيدية بالمغرب، معتبرا إياهم أهل الحق والسنة، متبنيا لفكرهم المتطرف منه، خارجا عن الدولة الأموية، منكرا لحكم الأمويين بالأندلس، وكان يرى بأحقية المعز العبيدي في حكم الأندلس[6]، وهذا استنادا لشهادة ضده أنه كان يقول بمذهب الشيعة ويرى بأحقية العبيدي بإمارة المؤمنين مفتخرا بذلك مباهيا به[7]، متمنيا نصرته والتمكين لدعوته بالمنطقة، فنقل عنه قوله أيضا: «ما كان أملي من الدنيا إلا خمسة آلاف فارس أدخل بهم الزهراء وأقتل من بها، وأقوم فيها بدعوى أبي تميم»[8].

ترجمته، ابن الأثير: **المصدر السابق**، ج6، ص621، ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج2، ص233، الميورقي: **المصدر السابق**، ج1، ص12، الذهبي: **تاريخ الإسلام**، ج7، ص891، **السير**، ج8، ص251.

[1] لقبال: **المرجع السابق**، ص383.

[2] عيسى بن سهل الغرناطي: **ديوان الأحكام الكبرى أو الإعلام بنوازل الأحكام وقطر من سير الحكام**، ت يحي مراد، دار الحديث، القاهرة، مصر، 1428هـ/ 2007م، ص ص714-715.

[3] **نفسه**، ص714.

[4] الغرناطي: **المرجع السابق**، ص719.

[5] **نفسه**، ص719.

[6] محمد عبد الوهاب خلاف: **ثلاث وثائق محاربة أهل الأهواء والبدع في الأندلس**، ط1، المركز العربي الدولي للنشر والتوزيع، القاهر، مصر، 1981م، ص50.

[7] ابن سهل: **المصدر السابق**، ص ص718-719.

[8] **نفسه**، ص714.

انتهت حركة أبي الخير هذا بإعدامه دون اعذرا أو استتابة، على ما ذهب إليه الخليفة الأموي الحكم المستنصر[1]، استناد إلى رأي الفقهاء بعدم الإعذار لمن بان كفره وإلحاده، وتعديه على المقدسات الإسلامية، وازدراءه للعقيدة، والقول بمذهب غلاة الشيعة، وقولهم هذا استنادا إلى مذهب مالك رحمه الله[2]، وكان هذا الحكم لثبوت التهمة، عليه حيث فاق من شهد عليه أربعة وأربعون من الثقات والعدول[3]، شهدوا بما عمل على تروجيه ونشره من أفكار منحرفة، وما كان يعتقده ويقوله من الانحراف والزندقة.

بالمقابل عمدت الدولة الأموية أيضا إلى بث عيونها وأتباعها ببلاد المغرب، من أجل استطلاع آخر الأخبار، والإحاطة بكل ما يطرأ على المنطقة من تغيرات، جاء في كتاب المغرب لابن سعيد، في ذكره للخليفة الأموي عبد الرحمان الناصر أنه: «كان له عيون على ما قرب وبعد وصغر وكبر»[4]، خاصة وأن بلاد المغرب كانت بها الكثير من الماهجرين الأندلسيين، سواء من طلبة العلم أو التجار أو الساكنة، فعملت الدولة الأموية على بث العيون والرقباء في جل بلاد المغرب وحواضرها الكبرى خاصة القيروان، من أجل الاستطلاع، ونشر الأفكار المعادية للفكر الفاطمي، متسترين تحت راية التجارة أو رواية الحديث وطلب العلم.

أيضا دعمت السلطات الفاطمية الفقهاء المالكية، وحثتهم على التصدي للفكري العبيدي، ويصعب تخصيص أشخاص معيين عملوا لصالح الدولة الأموية، سوآءا كجواسيس أو دعاة مضادين للعبديين، كون الدعوة السنية علنية لا يشوبها الغموض والسرية، والتنظيم المحكم وفق أشخاص معينين كما الدعوات الباطنية، وإنما تكاثف للجهود، وعمل جماعي لعلماء وعامة

---

[1] الحكم المستنصر: هو أبو العاص الحكم بن عبد الرحمن الناصر، ويلقب بالمستنصر بالله، ولد سنة (302هـ/913م) تولى بعد وفاة أبيه (350هـ/961م) وعمره سبع وأربعون سنة وله إذ ولى سبع وأربعون سنة، وكان حسن السيرة، اشتهر بحبه للعلوم وأهلها، وجمع الكتب كما لم يجمع أي ملك مثله، توفي سنة (366هـ/976م) فكانت مدة حكمه ستة عشر سنة. عنه انظر ابن الأثير: **المصدر السابق**، ج6، ص621، ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج2، ص266، الميورقي: **المصدر السابق**، ج1، ص ص13-16، الذهبي: **تاريخ الإسلام**، ج8، ص254.

[2] محمد عبد الوهاب خلاف: **المرجع السابق**، ص52.

[3] لقبال: **المرجع السابق**، ص384.

[4] علي بن سعيد المغربي: **المغرب في حلى المغرب**، ت شوقي ضيف، ط3، درا المعارف، القاهرة، مصر، 1955م، ج1، ص185.

المسلمين على هذا الأمر، فيما كانت المجاهرة على حسب شخصية الفرد والظروف المحيطة به وعدة عوامل أخرى.

كمثال للتدليل على تواجد الجاليات الأندلسية بالمنطقة، وصدامها بالدولة العبيدية نذكر ما نقلته المصادر، عن حادثة تعذيب وقتل التاجر الأندلسي أبي جعفر محمد بن خيرون[1]، بسعي من القاضي المروذي سنة (300هـ/912م)، والسبب في ذلك اتهامه بخيانة وديعة وضعت عنده[2]، والحادثة في ظاهرها قضية تطبيق القانون على مخالف، لكن المتأمل للقضية بتمحيص يتراءى له أن الأمر متعلق بالصراع السني الشيعي[3]، وحملة لتصفية المشكوك فيهم بعملهم لصالح الدولة الأموية بالأندلس، فكيف لشخص على ورع وعلم ابن خيرون، أن يكتم وديعة هو في غنى عنها، لما كان عليه من السعة والثراء، بما يملك من فنادق وحوانيت وتجارة، أيضا من الذي شهد عليه، ولنفرض أنه فعلا خان تلك الوديعة، كان ليعترف جراء التعذيب الذي تعرض له، فأمواله كفيلة بإخراجه من المأزق الذي تورط فيه، بدفع ما عليه والنجاة بنفسه.

كما استفاد الخلفاء الأمويون من المهاجرين الفارين من المغرب، عقب قيام الدولة الشيعية، وما تعرضوا له من اضطهاد وتقتيل وتنكيل، مثل الفقيه الخشني، ومن جملة من هاجر أيضا بعض الرحالة والجغرافيين، الذين استفاد الأمويون من معرفتهم بالبلاد وأصافها

---

[1] هو أبو جعفر محمد بن خيرون المعافري الأندلسي الذي توفي الذي قتله عبيد الله المهدي بسعي من المروذي القاضي، فبطحه على بطنه وأمر السودان بالقفز على ظهر بأرجلهم حتى مات واستولى ابن أبي خنزير على أمواله، وكان هذا من سنة 300هـ/912م. وهو غير ابن خيرون المقرئ الذي توفي سنة 306هـ. انظر المالكي: **المصدر السابق**، ج2، ص52، ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج2، ص54.

[2] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص169.

[3] لقبال: **المرجع السابق**، ص397.

ومتشعباتها وطرقها، إضافة إلى أمكان الضعف والقوة، وحتى ألفوا كتب في ذلك ككتاب «مسالك إفريقيا وممالكها» الذي ألفه يوسف بن محمد الوراق[1] للحكم المستنصر الأموي[2].

هذا عن العمل السري والغير مباشر من الجانبين من أجل التمكين لمعتقداتهم والتصدي للفكر الآخر، لكن هذا العمل السري وإن طال لابد أن ينكشف ومنه لابد من الانسحاب أو تغيير الإستراتيجية إلى طريق أخرى للعمل وهذا ما لجأ إليه الجانبان لاحقا.

2- حملات التشهير والدعاية المذهبية:

أيضا من مظاهر الصراع الأموي العبيدي، حملات التشهير والطعن من كلا الجانبين والتي اعتبرها الأستاذ موسى لقبال (الدعاية والتشهير بالطرف المعادي)، من أقوى الأسلحة التي استخدمت في الصراع الأموي العبيدي بالغرب الإسلامي[3]، حيث عمد العبيديون منذ قيام دولتهم، إلى الطعن في سلالة بني أمية، وإحياء الحقد الشيعي تجاههم، لخلافهم مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكذا إثارة مشاعر المسلمين بقضية مقتل الحسين بن علي،[4] وما تعرض له آل البيت من مضايقات، وتنكيل إبان الحكم الأموي بالمشرق، وأن سلالتهم بالأندلس ما هي إلا امتداد لهم.

بالمقابل شنت الدولة الأموية حملة تشهير واسعة على الوافد الجديد بالمنطقة، كان من أسلحتها الطعن في النسب العبيدي، وأن ادعائهم الفاطمي محض كذب وزور، ولا يمتون لبيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلة، ويتضح طعن الأمويين في نسب بني عبيد، من خلال جواب على إحدى المراسلات بين الأمويين والعبيديين، كان الرد فيها من الخليفة الأموي

---

[1] أبو عبد الله محمد بن يوسف الوراق (ت362هـ/973م)، نشأ بالقيروان ثم انتقل إلى الأندلس وتوفي بقرطبة من مؤلفاته كتاب ضخم عن مسالك إفريقيا اتصل بالحكم المستنصر بالله وألف له الكتاب المذكور وألف أيضا كتاب في أخبار تيهرت ووهران وسلجماسة، وبصرة المغرب، ظل بالأندلس حتى وفاته ودفن بقرطبة. علي رضا كحالة: **معجم المؤلفين**، مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1376هـ/1957م، ج12، ص141.

[2] محمد بن عبد الله بن الأبار: **التكملة لكتاب الصلة**، ت عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة، لبنان، 1415هـ/1995م، ج1، ص294.

[3] لقبال: **المرجع السابق**، ص384.

[4] انظر ابن تيمية: **منهاج السنة**، ج4، ص517 وما بعدها.

على قصره بليغا ومؤثرا إذ قال فيه: «أما بعد، فإنك قد عرفتنا فهجوتنا، ولو عرفناك لأجبناك»[1]، هذا عن النطاق العام لحملات التشهير والدعاية، أما عن أهم مراحلها فكانت منذ بدايات التوسع العبيدي بالغرب الإسلامي.

تجلت بصورة واضحة خاصة في مرحلة حكم عبد الرحمان الناصر (300-350هـ/912-961م)، الذي قام بإعلان نفسه خليفة للمسلمين، واتخاذ لقب الخليفة وإمرة المؤمنين، كرد فعل منه على قيام الدولة العبيدية بالمغرب، وإعلان عبيد الله نفسه خليفة للمسلمين، مؤسسا بذلك لخلافة سنية جديدة، والتي تعتبر سابقة في التاريخ الإسلامي، بتزامن إعلان خلافتين[2] سنيتين في وقت واحد، كان الدافع الأساسي لهذه الخلافة السنية الجديدة مقاومة الخلافة الشيعية الإسماعيلية في المغرب[3]، استناد إلى آراء فقهاء السنة بالمنطقة في تلك المرحلة، الذين أجازوا مبدأ تعدد الأئمة، إذا كانت مصلحة المؤمنين تقتضي ذلك، بشرط أن تكون بينهما مسافة كبيرة، كي لا يحدث صدام[4]، فكان من مبررات الناصر في التأسيس لخلافته، الوضع السابق من قيام الخلافة الشيعية الباطنية بالمغرب، رافقه ضعف الخلافة العباسية بالمشرق، وقصورها عن مواجهة الوضع وإصلاحه، ومن خلال هذا الفعل حاول الناصر الأموي، إعطاء شرعية لدولته من أجل كسب الأنصار وضمهم تحت لوائه.

بعد هذه الخطوة الجريئة، وما لها من أثر على الوضع العام، انتقل إلى محاولة التشهير بالعبيديين، وفضح حقيقة مذهبهم من خلال المساجد والخطب المنبرية، إذ عم لعن العبديين

---

[1] أورد الذهبي أن الحاكم الفاطمي نزار بن معد، أرسل إلى الخليفة الأموي رسالة يهجوه فيها ويسبه، فكان رد صاحب الأندلس على قصره بليغا، وهو ما أفحم العبيدي واشتد عليه الأمر. انظر الذهبي: **تاريخ الإسلام**، ج8، ص601.

[2] الأصل في المسألة أنه لا يجوز أن يكون للأمة إمامان في وقت واحد باتفاق المذاهب، لكن هناك فئة من الفقهاء ذهبوا إلى صحة جواز تعدد الأئمة في دار الإسلام في مكانين مختلفين، إذا وجدت أسباب تقتضي التعدد.

Shawis MURAD; **Dâru'l-İslâm'da Birden Fazla Halifenin Bulunmas n Hükmü** Ruling on Multiplicity of Imams in Dar al-Islam, Şirnak University Journal of Divinity Faculty, Volume: 10 Say, Issue: 23 Sayfa, Faculty of Divinity, Şirnak, Turkey, December 2019.

[3] العبادي: **المرجع السابق**، ص239.

[4] بوتشيش: **المرجع السابق**، ص189.

على المنابر بالأندلس، والحط من منهم، بعد تقريره من قبل الخليفة الناصر وأن يكون جهرا وعلى المنابر[1]، وكان هذا الأمر بعد حادثة حرق العبديين لبعض السفن الأموية[2].

لم تقتصر حملات التشهير والدعاية هذه، على مناطق النفوذ والسيطرة الأموية، بل نقلوا تلك الحملات إلى المناطق التي كانت تحت سيطرة العبيديين بالمغرب، من أجل زعزعة صفوفهم، وتثبيت العامة من أهل السنة، بنشر بعض الروح الإيجابية من خلال التشهير بالعبديين، ومحاولة إدخال الشك في نفوس أتباعهم، وثني المترددين من أخذ القرار بالدخول في دعواهم، ومثال على ذلك ما عرفته مدينة المحمدية (المسيلة)، من حملة تشهير واسعة قادها شخص يدعى عثمان بن أمين، وهذا الشخص كان يطعن في العبيديين، وله خلفية أموية ومدعوم من قبلهم على ما ذكره الأستاذ جوذر[3]، ووصل هذا الخبر عن طريق عيون السلطة هناك مع تقاعس والي المدينة آنذاك عن الأمر وغض الطرف، هذا الذي جعل المعز الفاطمي يأمر جوذر بالتحقق من الأمر، وجس نبض الوالي دون الإفصاح عمّا يعلمه حيال الأمر، ثم اتخاذ الإجراءات اللازمة [4]، إضافة إلى العمل على فضح حقيقة المذهب الشيعي وبطلان عقائدهم وتبيين انحرافاتهم، ونقل ما يتم الترويج له من إباحة وانحلال وتعطيل للشرائع والفروض.

بالمقابل عملت الدعاية العبيدية أيضا بشكل مكثف، من أجل الحد من النفوذ الأموي الفكري بالمنطقة، وأيضا العمل على الضفة المقابلة، في عقر دار الدولة الأموية، وكرد فعل على تلقب الناصر بأمير المؤمنين، اعتبر العبيديون هذا العمل اعتداء صريحا ومباشرا، على حقهم المشروع في إمرة وإمامة المسلمين، وتصدر المعز العبيدي حملة التشهير بالناصر الأموي، فكان يصفه بأقبح الأوصاف، وأن ما ادعاه من إمرة المؤمنين، فهو خروج عن الإسلام لغصب حق ليس له، ومستباح دمه من جاء بفعل مثله أو سار في صفه.

---

[1] القاضي النعمان: **المجالس والمسايرات**، ص175، بوتشيش: **المرجع السابق**، ص189.

[2] أحمد مختار العبادي: **دراسات في تاريخ المغرب الأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة للنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، ص80.

[3] الجوذري: **المصدر السابق**، ص123.

[4] الجوذري: **المصدر السابق**، ص124.

في هذا الصدد أجاب المعز، على بعض رسل الناصر مستفتحا رسالته بقوله: «وهو يزعم أنه أمير للمؤمنين، وإمام الأمة بدعواه وانتحاله ونحن نقول إنا نحن أهل ذلك دونه ودون من سواه، ونرى أن الله فرض علينا محاربة من انتحل ذلك دوننا وادعاه»[1]، ورأى بوجوب قتاله وهو فرض على الأمة لأنهم حسبه من أهل البغي والعدوان[2]، مستدلا بقوله تعالى: { فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ}[3]، وهذا من أجل تشجيع أتباعه، وحثهم على ذلك تحت غطاء طاعة الله والامتثال لأوامره، فعمد إلى الحرب عليه بشتى الطرق وإباحة دمه[4].

كما شنع عليه بأنواع التهم والانحرافات كالشذوذ الجنسي بقوله فيه: «يؤتي نفسه»[5]، واتهامه بالفسوق والشرك[6]، وأن بني أمية لعنهم الرسول صلى الله عليه وسلم، وأخرجهم من المدينة[7]، من أجل الحط من قيمته، وثني الناس عن الدخول في صف الدولة الأموية، خاصة بعد هجرة العديد من سكان المغرب إلى الأندلس، فبرر المعز العبيدي هذه الهجرات على أنَها قصدا للمتعة، لأنَ بلاد فسق وفجور، وأنها تعج بالمنكرات والمحرمات، وكل من يهاجر البلد من الفقهاء والعلماء، إنما قصدا للمتعة وهربا من التكليفات الشرعية، عارضا عليهم بقوله: «ما تَجَاهر به ويبديه عبد الرحمان الأموي المتغلب بالأندلس من الفسق والمنكر والفساد ويبيحه للناس في بلده»[8]، وهذا من أجل رسم صورة سيئة عن البلد، خاصة لما كانت تتمتع به الأندلس، من رقي حضاري وعلمي، فاق جميع المناطق والمدن الإسلامية والغير إسلامية، بالموازاة مع ذلك ظهرت بعض حملات التشهير أيضا في الأندلس، مثل حركة أبو الخير التي سبق ذكرها.

---

[1] القاضي النعمان: **المجالس والمسايرات**، ص168.

[2] **نفسه**، ص174.

[3] **سورة الحجرات**: الآية رقم [9].

[4] بوتشيش: **المرجع السابق**، ص189.

[5] القاضي النعمان: **المجالس والمسايرات**، ص180.

[6] **نفسه**، ص184.

[7] **نفسه**، ص177.

[8] القاضي النعمان: **المجالس والمسايرات**، ص 234.

3-دعم الثورات واستمالة شيوخ القبائل والقيادات بالمنطقة.

عمل الجانبان على دعم حركات التمرد على الضفتين، ودعم الدويلات ورؤساء وشيوخ القبائل، من أجل الحد من نفوذ الخصم من كلا الجانبين، فمن الكيانات التي حاول كل جانب كسب ولائها، دولة الأدارسة التي غيرت جانب ولائها حسب مراحل، وذلك نزولا عند رغبة حكامها في تلك المرحلة، وأيضا بحكم الظروف والأوضاع المحيطة، فيحيى بن إدريس بن عمر [1] كان ولائه للعبديين، ودفع الجزية للمهدي بعد مقاومته لذلك أول الأمر، وميوله للأمويين، وبعد القضاء على دولته وإجلائه عن عاصمته فاس، ظهرت بعد ذلك انتفاضة من الحسن الحجام[2]، الذي ثار على النفوذ العبيدي بالمغرب الأقصى، واستطاع استعادة السيطرة على مدينة فاس، لكن لم تدم سيطرته عليها طويلا.

بعد القضاء على الحسن الحجام، طويت صفحة سيطرة الأدارسة على مدينة فاس، وتركزت قوتهم في نقطتين رئيستين، في مدينتي طنجة والبصرة، بعد انقسام الأدارسة إلى فرعين من أبناء محمد بن إدريس وأبناء عمر بن إدريس، تأرجح ولائهم بين الأمويين والعبيديين،

---

[1] يحيى بن إدريس بن عمر بن إدريس، ولي الأمر بعد مقتل يحيى بن القاسم سنة 292هـ فملك جميع أعمال الأدارسة، وعرفت الأدارسة في عهده أعظم ملك وظهر من عدله وإقدامه ما حببه إلى الناس، وحين ظهور الدولة العبيدية انحصر ملكه في مدينة فاس، فلم يبق له غيرها ثم كانت سنة 309هـ أين أجلاه مصالة بن حبوس، ونفاه ناحية آصيلا في ريف المغرب، ظل متنقلا بين أرجاء المغرب وتوفي بالمهدية سنة 322هـ/943م. ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج6، ص289، السلاوي: **المصدر السابق**، ج1، ص237، الزركلي: **المصدر السابق**، ، ج8، ص137.

[2] الحسن بن محمد بن القاسم بن إدريس آخر الأدارسة بفاس وأعمالها لقب بالحجام لطعنه بعض مقاتليه في موضع المحاجم، مع انهيار الدولة الإدريسية جمع من بقي منهم واستولى على مدينة فاس (310هـ/922م)، وقتل عاملها ريحان الكتامي، وتغلب على بعض المناطق حتى استقام له الأمر، إلى أن تغلب عليه موسى بن أبي العافية، بعد خيانة من عامله وأراد الهرب من سور المدينة فسقط وانكسرت ساقه، ومات بعد ثلاثة أيام من ذلك سنة (311هـ/923م). ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج4، ص22، السلاوي: **المصدر السابق**، ج1، ص240.

وكمثال على ذلك شخصية الحسن بن قنون[1] الذي بايع الأمويين، ثم عاد لمبايعة الشيعة حين تملكوا نواحي المغرب بمساعدته لميسور الفتى[2].

في المرحلة التي حوصر الأدارسة، وتم إجلائهم من قبل العبيديين، وانحصرت ممتلكاتهم ناحية الشمال بأصيلا[3] وقلعة النسر[4]، قام الخليفة الأموي الناصر بدعم الأدارسة، ورغم تذبذب ولاء الأدارسة بين الدولة العبيدية والدولة الأموية، إلا أنه تم كسب ولاء بعض حكامهم، وإن كان لظروف حتمت ذلك، لكن هذه سنة الدول الولاء للأقوى، والظروف قد تحتم الإذعان لمن كان يعتبر عدوا في الماضي، لظهور عدو أخطر، وكمثال على الصلة ذلك عودة أبو العيش أحمد بن إدريس[5] إلى «تحقيق الطاعة للناصر»، بعد خروجه عن ذلك

---

[1] الحسن بن قنون: آخر ملوك دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى، دخل في طاعة العبيديين بعد الغزوة التي قام بها جوهر الصقلي على بلاد المغرب، (348-350هـ/959-961م)، ليعود لطاعة الأمويين بعد ذلك، ثم نزع طاعتهم مرة أخرى بعد حملة زيري بن مناد الصنهاجي على المنطقة لصالح العبيديين، هنا قام الحكم المستنصر الأموي بإرسال حملة على المغرب الأقصى، تحصن الحسن بن قنون منها بقلعة حجر النسر، لكنه استسلم فيما وحمل إلى الأندلس، نفي بعدها ناحية المشرق فقد الحاكم العبيدي العزيز بالله، الذي حثه على العودة إلى المغرب وسيره في جيشه سنة _373هـ/983م)، لكن استطاعت جيوش الحاجب المنصور بن أبي عامر القبض عليه ونقله إلى قرطبة أين قتل سنة (385هـ/985م). عنه انظر ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص222، ج2، ص281، ص244.

[2] ابن أبي زرع: **المصدر السابق**، ص86، منصور العزيزي الجوذري: **سيرة الأستاذ جوذر**، ت محمد كامل حسين/ عبد الهادي شعيرة، دار الكتاب العربي، مكتبة الاعتماد، مصر، 1374هـ/1954م، ص79 ومنا بعدها.

[3] مدينة أصيلة وتعرف أيضا باسم أزيلا وأصيلا تقع جنوب مدينة طنجة على ساحل المحيط الأطلسي، وهي على سهل محصنة وبها مرسى مقصود وعامر، لكن المدينة خربت فيما بعد والسبب في ذلك أنها أول مدينة ناحية الغرب من الجهة المغربية، فلما كانت غزوات المجوس (ما عرف تاريخيا بالفايكينغ)، أول المدن التي تعترضهم مدينة أصيلا فتعرضت للتخريب مرارا. الحميري: **الروض المعطار**، ج1، ص42، الحموي: **معجم البلدان**، ج1، ص213، مجهول: **الاستبصار**، ج1، ص139.

[4] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج3، ص213.

[5] أبو العيش: هو الأمير أبو العيش أحمد بن القاسم بن كنون، بن محمد بن القاسم بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، كان له حظ من العلم والفقه، وأيام العرب والتاريخ، توفي (348هـ/959م). عنه انظر السلاوي: **المصدر السابق**، ج1، ص251.

ومبايعته للعبديين، لكن وصول أنباء بحملة من الأندلس، جعله يتراجع وينفذ إليه أبنه محمد بن أبي العبش إلى قرطبة، ليعفو الناصر الأموي عنه، ويراجع الأمر ويكرمه ويكرم ابنه[1].

كما دعم الأمويون إمارة نكور[2] التي حكمها بنو صالح، وكانت إمارة سنية عربية بمنطقة الريف[3]، فحين أغار عليهم مصالة بن حبوس واستباح ملكهم، لجأ من نجى من بني صالح إلى الأندلس، فأكرمهم الناصر الأموي وأقاموا بمالقة لقربها من بلدهم وأملهم في العودة، وذلك الذي حدث، فبعد مغادرة مصالة للبلد عادوا إلى نكور، وبويع صالح بن سعيد الذي عرف باليتيم، ولما تم له الأمر راسل عبد الرحمان الناصر، الذي «أمر بإمداد صالح بالأخبية والآلات والأسلحة والبنود والطبول»[4]، كدليل على تبعية الإمارة للدولة الأموية.

بقيت الصلة قوية بين الأمويين وبني صالح في نكور، رغم تعاقب الحملات الشيعية على المنطقة، فقد عرفت حملتين أخرتين سنة (317هـ/929م)، وسنة (323هـ/934م) لكن لم تؤتي أكلها، في السيطرة على المنطقة، وهذا لتمرد الأهالي على العامل الذي يخلفه العبيديون كل مرة[5]، وإعادة الذي الالتفاف حول بني صالح، والذين بدورهم بقوا متمسكين بمالكيتهم، وولائهم للأمويين، وكمثال على الولاء للأمويين، حين قتل بني صالح والي العبديين سنة (323هـ/934م) بعثوا برأسه إلى الأندلس، بالمقابل استقبلت الأندلس كل من لجأ إليها من بني صالح وأكرمتهم[6].

---

[1] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج2، ص212.

[2] مدينة بالمغرب بقرب مدينة مليلة، وهي مدينة كبيرة بينها وبين البحر نحو خمسة أميال، بين جبال ومرتفعات وبها نهران أحدهما يسمى نكور وعليه سميت، كثيرة البساتين والفواكه خاصة الكمثرى والرمان، أقام بها صالح بن منصور الحميري من أوائل العرب الفاتحين نواحي 90هـ، بقيت المدينة تحت حكم نسله فأسس حفيده سعيد بن إدريس بن صالح بن منصور الحميري، فكانت إمارة سنية تدين بالمذهب المالكي، واستمر البلد تحت حكمهم حتى منتصف القرن الخامس أين تغلب عليها بعض قبائل أزداجة. البكري: **المصدر السابق**، ج2، ص ص764-770، الحميري: **الروض المعطار**، ج1، ص ص575-576، ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج6، ص283، ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص179.

[3] العبادي: **دراسات**، ص81.

[4] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص180.

[5] ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج6، ص286.

[6] البكري: **المصدر السابق**، ج2، ص776.

كذلك استفاد الأمويون من القبائل البربرية بالمنطقة، وعملوا على استمالة شيوخها مثل قبيلة زناتة، ودعموا هذه القبيلة بفروعها خاصة مغراوة وبنو يفرن ومكناسة، وبرزت عائلة بني خزر الزناتيين، في صف المعادين للدولة العبيدية، وحضت بدعم ومباركة الأمويين، ونذكر منهم على سبيل المثال يعلى بن محمد اليفرني[1] وابنه يدو، وأيضا محمد بن خزر وبعده حفيده محمد بن الخير بن محمد بن الخزر[2].

جرت بينهم سفارات ومراسلات، مثل إرسال الناصر للقاضي محمد بن عبد الله بن أبي عيسى سنة (316هـ/928م)، «محملا بالألطاف والهدايا والأموال»، إلى رؤساء وشيوخ البربر، هذا ما جعلهم يميلون إليه بين مبايع، ومستعين به على حرب العبديين، ومنضوي تحت رايته[3]، بالمقابل جرت وفود ومراسلات من المغرب ناحية الأندلس، بما تم تحقيقه من نتائج، وينقل إلينا ابن عذارى بعض الأمثلة عن تلك المرسلات مثل قدوم «رسول الخير بن محمد بن خزر الزناتي رسول حميد بن يصل الزناتي، إلى الناصر بأخبار دخول تيهرت وإقامة الدعوة له»[4]، وجرى بينهم ما يكون بين الملوك وحلفائهم، من الطاعة والاستنجاد بهم وقت الضرورة، مثل ارسال الناصر كتب لابن خزر وأتباعه وغيره من ولاته بالمغرب، بالاستعداد لتأديب أبو العيش بعد خلعه الطاعة[5]، أيضا قاموا بإرسال الهدايا ورؤوس المخالفين بعد القضاء عليهم، على ما جرت به عادات الدول، مثل الذي قام الخير بن محمد، من إرسال ابنه فتوح ووجوه تيهرت ووهران إلى قرطبة ومعهم رؤوس من قتل من الشيعة[6].

---

[1] يعلى بن محمد: هو يعلى بن محمد بن صالح اليفرني الزناتي، قائد بربري من قبيلة زناتة اتخذ من مدينة ايفكان عاصمة له، واستطاع توسيع نفوذه من طنجة حتى تيهرت، كان ولائه للأمويين، قتل في حملة جوهر الصقلي على بلاد المغرب(347هـ/958م)، أما ابنه يدو فحكم بعده وعاش حتى (383هـ/993م). انظر ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج2، ص216، ص222.

[2] مجهول: **تاريخ البربر المعروف بمفاخر البربر**، ت محمد زينهم عزب، ط1، جهاد للنشر والتوزيع، 1998م، ص ص16-19.

[3] فيلالي: **المرجع السابق**، ص140.

[4] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج3، ص212.

[5] **نفسه**، ج3، ص211.

[6] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج3، ص213.

لم يقتصر دعم الأمويين فقط للقبائل والشخصيات المعادية للدولة الشيعية، بل عمل الأمويون على استقطاب بعض الشخصيات والقبائل الموالية للدولة العبيدية، وكتمثيل على ذلك قائد قبيلة مكناسة[1] موسى ابن أبي العافية، الذي ساهم في إخضاع الأدارسة والقضاء على حكمهم بفاس، لصالح العبيديين رفقة مصالة ابن حبوس، لينقلب ولاءه إلى الأمويين بعض استفراده بالمنطقة، ثم خلع طاعة الأمويين بعد ذلك وتمرد عليهم[2]، ومن نفس القبيلة مكناسة، تظهر شخصية حميد بن يصل[3] الذي قضى على تمرد موسى بن أبي العافية سنة (321هـ/932م)[4]، وغير ولائه للأمويين سنة (328هـ/939م)، بعد أن كان مواليا للعبيديين، ثم تحالف مع محمد بن خزر، ومنه أجاز إلى الأندلس، حيث أقام هناك فترة ثم عاد إلى المغرب الأوسط قائدا للقوات الموالية للأندلسيين[5].

أيضا نجد عائلة ابن حمدون التي خدمت الدولة العبيدية بالمغرب، وامتدت خدمتها لسنوات عديدة، وكان تأسيس مدينة المحمدية على يد كبيرها علي بن حمدون، كما ساهمت بشكل كبير في القضاء على ثورة أبي يزيد الخارجي، لكن انتقلت فيما بعد إلى صف الحلف الأموي الزناتي، ورحل علي ابن جعفر بن حمدون إلى الأندلس، وهذا عقب استخلاف العبيديين لبني زيري على بلاد المغرب[6].

---

[1] مكانسة: قبيلة من البربر وهم أبناء مكناس بن ورصطف بن يحي، تشعبت منها عديد البطون نذكر منها بني حوات وقنصارة وبني ورفلاس، كما ظهرت لقبيلة مكناسة عديد العصبيات والشخصيات التي أسست دول سواء بالمغرب أو الأندلس، مثل شخصية شقنا بن عبد الواحد بالأندلس، أما عن المغرب فكانت إمارة بني واسول الصفرية ذات عصبية مكناسية، وكذلك شخصية موسى بن أبي العافية الذي إستطاعت إمارته إخضاع عدة مناطق مغربية. انظر ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج4، ص59، ص157، ص181.

[2] ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج4، ص177.

[3] حميد بن يصل: هو حميد بن يصلتين المكناسي صاحب تيهرت وهو ابن أخ مصالة بن حبوس. السلاوي: **المصدر السابق**، ج1، ص244.

[4] ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج4، ص177.

[5] فيلالي: **المرجع السابق**، ص167.

[6] للاستزادة حول أسرة بني حمدون ودورها في الصراع الأموي العبيدي أنظر سعداني محمد: **الصراع السياسي بين الدولة الفاطمية في بلاد المغرب والدولة الأموية في الأندلس _أسرة ابن حمدون الأندلسية أنموذجا**، مجلة دراسات اجتماعية وإنسانية، مج9، ع2، جامعة وهران، الجزائر، 16فيفري2020.

أيضا قام الأمويون بدعم ثورة مخلد ابن كيداد، التي سبق الحديث عنها[1]، وذكرت المصادر عدة سفارات، كانت بين الأمويين وصاحب الحمار، مثل ما أورده ابن عذارى عن البعثة التي كانت في سنة: (333هـ/945م)، من قبل أبي يزيد لعبد الرحمان الناصر الأموي، يخبره فيها عن تغلبه على القيروان ورقادة وعن ولائه له واعتقاده في إمامته، كما يورد ابن عذارى في نفس الصدد خروج الناس في الأندلس لوداع رسل أهل القيروان والذين كان من بينهم رسل لأبي يزيد[2]، وكانت هناك سفارة أخرى برئاسة ولده أيوب بن مخلد بن كيداد، وحضي بجميل الاستقبال والضيافة في الأندلس، وعند انصرافه زود بمبلغ كبير من المال[3].

لم يتوقف الدعم على تبادل السفارات فقط، أو الولاء الرمزي، وإنما تعداه إلى الدعم المادي والتزويد بالسلاح، واستفاد الجانبين من هذا الوضع، فابن كيداد أعطى مشروعية لثورته، وهذا بانضوائه تحت راية الخلافة الأموية السنية، ولو كان ذلك من باب المباينة فقط، لكن هذا الفعل له الأثر البالغ في إقناع العديد من أهالي المغرب الإسلامي للالتحاق بثورته، بالمقابل استفاد الأميون من ثروته، بتقليل خطرة الدولة العبيدية، التي هددت الوجود الأموي بالغرب الإسلامي ككل، فعملت ثورة صاحب الحمار على الحد من خطرها، وحصرت نفوذها في العاصمة المهدية، بل حتى أنها كادت تفنيها، وتقضي عليها نهائيا، ما أفسح المجال للأمويين وحلفائهم في منطقة المغرب الأوسط.

أما عن موقف الدولة العبيدية فيما يخص دعم حركات التمرد، فقد قام أئمة الجانب العبيدي بدعم الثورات التي قامت بالأندلس، كحركة ابن حفصون، والتي أسرع عبيد الله المهدي بإرسال داعيين من مهرة دعاتهم، إلى عمر بن حفصون[4] (ت306هـ/918م) ، يحثانه على

---

[1] ا ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص193، ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج7، ص18، ذكر ابن حماد أن بداية ثورته كان سنة 331هـ ابن حماد: **المصدر السابق**، ج1، ص51 وما بعدها.

[2] ا ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص212.

[3] ا ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص54.

[4] وهو عمر بن حفصون بن عمر بن جعفر بن دميان بن فرغلوش بن أذفونش القس، المعروف بابن حفصون، من أصل اسباني مسيحي أسلم جده جعفره، قتل أحد جيرانه وهرب إلى المغرب ليعود بعد ذلك إلى الأندلس بكورة رية قرب الجزيرة الخضراء جنوب الأندلس، وتزعم تمثيل مطالب السكان أمام السلطة، حوالي 267هـ، وتحصن بجبل ببشتر ومن هناك بدأ يشن غاراته على الأندلس حوالي 270هـ، وجرت بينه وبين الخلفاء الأمويين معاهدات صلح على فترات ثم ينقضها كانت

مواصلة الولاء للشيعة، والاستمرار في حربه ضد الأمويين، بل وقاما بالمشاركة معه في بعض معاركه ضد أمير قرطبة، ومن جهته قام ابن حفصون بإرسال بعض الهدايا لعبيد الله المهدي، عند رجوع الداعيين إلى إفريقية[1]، وقد استمرت حركة ابن حفصون هذا لما يقارب الخمسين سنة، حيث بدأت بوادرها في عهد الخليفة الأموي محمد بن عبد الله[2] حوالي (267هـ/879م)[3]، وكان استفحال أمره وبداية تغلبه، وأعماله التخريبية حوالي (270هـ/883م)، استمرت حركته حتى عهد الخليفة الأموي عبد الرحمان الناصر، حيث اتخذت حركته حصن ببشتر[4] عاصمة لها، ومنه تم السيطرة على الجزء الجنوبي من الأندلس، وفي المقابل انحصر ملك الدولة الأموية في قرطبة وضواحيها، خلال هذه الفترة، بسبب تكالب المعارضين على الدولة في مختلف ضواحي الأندلس[5]، ورغم وفاة عمر ابن حفصون(306هـ/918م)[6]، إلا أن ولداه جعفر وسليمان خلفا والدهما في الثورة ضد الأمويين، واستمرت حركته حتى (316هـ/928م)، أين تم القضاء عليها نهائيا.

هناك نص لابن عذارى يذكر فيه إحراق عبد الرحمان الناصر مراكب لابن حفصون كانت تزوده بالإمدادات من العدوة المغربية[7]، وهذا النص يعكس مدى التحالف والدعم الذي كان يحضى به هذا الثائر من جانب الدولة العبيدية، كما قام المعز الفاطمي بدعم حركة أبي الخير التي سبق الحديث عنها[8].

آخرها مع عبد الرحمان الناصر مطلع القرن الرابع الهجري وبعد وفاته سنة 306هـ/918م، ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج2، ص106، ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج4، ص ص172-173، الذهبي: **تاريخ الإسلام**، ج6، ص582

[1] فيلالي: **المرجع السابق**، ص115.

[2] أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام الأموي 207-273هـ/822-886م، تولى الحكم سنة 238هـ دامت مدة إمرته خمس وثلاثون سنة، ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج2، ص93، ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج4، ص169، عنان: **المرجع السابق**، ج1، ص288.

[3] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج2، ص104.

[4] ببشتر: قلعة محصنة من أعمال رية جنوب الأندلس يبعد عن قرطبة حوالي 180كلم وهي في غاية الامتناع يصعب الوصول إليها. الإدريسي: **نزهة المشتاق**، ج2، ص570، الحموي: **معجم البلدان**، ج1، ص333.

[5] فيلالي: **المرجع السابق**، ص116.

[6] ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج4، ص173.

[7] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص165.

[8] عنه انظر ابن سهل: **المصدر السابق**، ص741 وما بعدها.

ثانيا: الصدام المباشر

كما رأينا فإن المرحلة الأولى من الصراع الأموي العبيدي في الغرب الإسلامي، كانت غير مباشرة، واقتصرت على جملة من المظاهر منها: حملات تشهير والحط من الطرف المقابل، وتبيان عيوبه والطعن فيه، إضافة إلى ذلك دعم الثورات الداخلية، ومحاولة كسب المؤيدين وحثهم على المخالفة والثورات، وكذا حملات التسليح، وتدعيم القوى وتحصين الثغور والأماكن القريبة، هذا الوضع لم يكن ليستمر طويلا إذا لابد من التغيير، سواء بالجنوح إلى السلم من طرف واحد أو من كلا الطرفين، أو تطور الصراع وانتقاله إلى مراحل وأشكال أخرى، وهذا الذي حدث إذ انتقل الطرفان إلى الصدام المباشر، خاصة بعد اعتلاء المعز لدين الله العبيدي سدة الحكم من الجانب الشيعي، فكان أول صدام مباشر كما سنفصل فيه لاحقا، في حادثة مهاجمة الأمويين لبعض السفن العبيدية، والاستيلاء على رسائل تعود للعبيدي[1]، فأخذ الصراع منحى آخر وتجلى بشكل واضح من خلال:

1- الصراع البحري:

من أهم مظاهر الصراع الأموي العبيدي، هو الصراع البحري، بحكم الموقع الجغرافي لبلاد الغرب الإسلامي، وطبيعة تضاريسها المتمتعة بشريط ساحلي طويل، وما يتبعه من مدن ساحلية وموانئ ومرافئ، هذه الميزة بما لها من إيجابيات، سواء في الاستفادة من الثروات البحرية، أو من خلال استغلالها في عمليات النقل، والاتصال بمختلف الأقطار الأخرى، تقابلها سلبيات كون المدن الساحلية أكثر عرضة لخطر الغزو البحري في أي لحظة، لذا عملت مختلف القوى التي سيطرت على منطقة الغرب الإسلامي، على تقوية جانبها البحري، بما فيها الدولة العبيدية بالمغرب الإسلامي، والدولة الأموية بالأندلس.

من هذا المنطلق عمل العبيديون منذ نشأة دولتهم، على العناية بالجانب البحري وتقوية أسطولهم، وشكلت القطع البحرية التي ورثوها من النظام السابق لهم لَبِنَة أسطولهم البحري[2]، كما استثمروا أيضا في الموانئ ودور الصناعة الأغلبية، كدار الصناعة بسوسة[3]، والتي عملوا

---

[1] ابن الأثر: **المصدر السابق**، ج7، 213.

[2] العبادي: **في تاريخ المغرب**، ص68.

[3] الحموي: **معجم البلدان**، ج3، ص283.

على صيانتها وتجديدها[1]، وعند اختيار عبيد الله المهدي لعاصمته (305هـ/917م)[2]، راع الجانب البحري في اختياره لمكان إنشائها، حيث احتوت على مرفأ محاط بحجارة صلبة يسع ثلاثين مركبا، وكان يحيط بها الماء من كل الجوانب، فلا يوصل إليها من البر إلا من طريق واحد[3]، أي أنها محصنة طبيعيا من ناحية البر ومن ناحية البحر، وعمل على تحصينها أيضا بواسطة أبراج وسلاسل، لا يعبر إلى مرفأ المدينة إلى بإذنها.

لم يتوقف عمله على ذلك، بل عمل من عاصمته الجديدة على تدعيم الأسطول البحري، فأنشأ بها دار للصناعة تتسع لمائتي مركب[4]، وحتى أن النعمان ذكر بوجود دارين للصناعة بالمهدية وحدها في قوله: «تضايق داري الصناعة بالمراكب وكثرتها وما زاد عنها»[5]، إضافة إلى المهدية كان هناك دور للصناعة بكل من مرسى الخزر ناحية عنابة الحالية[6]، التي كان إنشاؤها أواخر القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي،[7] وبعض دور الصناعة في الجزر المتوسطية، التي كانت تحت حكمهم مثل جزيرة صقلية، التي وجدت بها دار صناعة للسفن اختطها الخليل بن إسحاق، وهو أحد القادة العبيديين[8].

من الجانب الأندلسي عمل الأمويون على تقوية أسطولهم البحري، خاصة في عهد الخليفة الناصر، الذي عمل على خلق قوة بحرية بعد استفحال القوة العبيدية، ومن أجل ذلك نشّط الأمويون دور صناعة السفن، لدرجة أن عمالها لم يجدوا وقتا للراحة[9]، وركزوا أكثر على

---

[1] القاضي النعمان: **المجالس والمسايرات**، ص530.

[2] إيناس البهيجي: **تاريخ الدولة الفاطمية**، مركز الكتاب الأكاديمي، القاهرة، مصر، 2017م، ص117.

[3] البكري: **المسالك والممالك**، ج2، ص683.

[4] **نفسه**، ص638.

[5] القاضي النعمان: **المجالس والمسايرات**، ص530.

[6] سعيد حماني: **من هيبون بونة إلى عنابة تاريخ قطب حضاري**، منشورات مؤسسة بونة للبحوث والدراسات، عنابة، الجزائر، ص281.

[7] مختار حساني: **موسوعة التاريخ وثقافة المدن الإسلامية**، دار الحكمة، الجزائر، ج3، ص24

[8] عزيز أحمد عزيز: **تاريخ صقلية الإسلامية**، تعريب وتعليق أمين الطيبي، الدار العربية للكتاب، تونس، 1980م، ص30.

[9] العبادي: في تاريخ المغرب، ص81.

الجزيرة الخضراء[1] المتحكمة في مضيق جبل طارق، التي بنيت بها دار لصناعة السفن في عهد الناصر، وكانت غاية في الكبر محصنة بأسوار عالية[2]، زيادة على ذلك فقد عمل على تقوية الأسطول البحري، حيث يذكر ابن خلدون في هذا الصدد، أن الناصر قام بالاهتمام بذلك شخصيا سنة (301هـ/914م)، من خلال قوله: «وضبط البحر ونظر في أساطيله واستكثر منها»[3]، كما شدد في العمل على تأمين مضيق جبل طارق وتشديد الحراسة[4].

بالموازاة مع تقوية القوة البحرية، عمل الأمويون على تحصين السواحل والثغور الجنوبية من الدولة، فأشرف الخليفة الأموي عبد الرحمان الناصر بنفسه على بناء حصن بمدينة طريف[5]، وكذلك تقوية أسوار دار الصناعة بالجزيرة الخضراء، وتحصين مدنها[6] وركز الأمويون على هذه الثغور القريبة من السواحل المغربية، فالجزيرة الخضراء بينها وبين مدينة سبتة حوالي الثمانية عشر ميلا، ومدينة طريف يقابلها قصر مصمودة[7]، بينهما اثنا عشر ميلا[8]، ولم يكتفي الأمويين بالتحصينات في الضفة الأوربية، بل عمدوا إلى السيطرة على بعض الثغور من

---

[1] الجزيرة الخضراء مدينة مشهورة بالأندلس، ويقال لها جزيرة أم حكيم، وهي جارية طارق بن زياد مولى موسى بن نصير، كان حملها معه فتخلفها بهذه الجزيرة فنسبت إليها، تقابلها من جهة المغرب مدينة سبتة وهي على ربوة مشرفة على البحر سورها متصل به، وهي مدين حصنة، وقيل أن أهل الجزيرة هذه هم الذين أبوا أن يضيفوا موسى والخضر عليهما السلام، بها دار صناعة بناها عبد الرحمن بن محمد للأساطيل وأتقن بناءها وعالى أسوارها ثم اتخذها. الحموي: **المصدر السابق**، ج2، ص136، الحميري: **الروض المعطار**، ج1، ص223، محمد بن عبد الله الحميري: **صفة جزيرة الأندلس**، ت لافي بروفنصال، ط3، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1408هـ/1988م، ج1، ص73.

[2] نهلة شهاب: **المرجع السابق**، ص41.

[3] ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج4، ص179.

[4] العبادي: **في تاريخ المغرب**، ص81.

[5] مدينة على مضيق جبل طارق من جهة الأندلس أقصى الجنوب، غربها متصل ببحر الظلمة (المحيط الأطلسي)، سميت نسبة إلى طريف بن مالك الذي افتتحها. الحموي: **المصدر السابق**، ج1، ص263، الحميري: **الروض المعطار**، ج1، ص392.

[6] العبادي: في تاريخ المغرب، ص82.

[7] قصر مصمودة: حصن كبير بالمغرب الأقصى، بينه وبين سبتة اثنا عشر ميلاً، وبين وبين وبين طنجة عشرون ميلا، وهو على ضفة البحر تصنع به السفن والمراكب. الحميري: **الروض المعطار**، ج1، ص476.

[8] الإدريسي: **المصدر السابق**، ج2، ص527.

الجانب المغربي، مثل مدينة مليلة[1] التي سيطروا عليها سنة (314هـ/926م)، وحصنت ووُليَ عليها موسى بن أبي العافية، الذي عمل على تجديدها وحمايتها[2] بعد انحيازه إليهم، وخلع طاعة العبيديين كما ذكرنا سابقا.

وفي ربيع الأول من سنة (319هـ/931م) افتتح الخليفة الأموي الناصر لدين الله مدينة سبتة، بعد إرسال أسطول بحري بقيادة أمية بن إسحاق القريشي[3]، عامله على الجزيرة الخضراء، فأخذها سلما وأقر عليها صاحبها الرضى بن عصام[4]، كما قام بتحصينها على ما ذكر البكري والذي قال في وصفه لها: «مسوّرة بسور صخر محكم البناء، بناه عبد الرحمان الناصر لدين الله»[5]، وسيطر على مدينة طنجة المحاذية لها في نفس السنة[6]، ليعاود إخضاعها بعد التمرد الذي جرى فيها بين (323-324هـ-935-936م)[7].

لم تقتصر محاولات الأمويين في السيطرة وبسط النفوذ على المغرب الأقصى فقط إذ حاولوا إيجاد مناطق نفوذ في المغرب الأوسط أيضا، و تذكر المصادر محاولة الأمويين السيطرة على موانئ وثغور بها مثل جزيرة أرشقول[8]، بعد طلب من حليفهم موسى ابن أبي

---

[1] مليلة: مدينة بالمغرب قريبة من سبتة على ساحل البحر وهي قريبة من نهر ملوية بالمغرب، وهي مدينة مسورة بسور حجارة الحموي: **المصدر السابق**، ج5، ص175، الحميري: **الروض المعطار**، ج1، ص545.

[2] الحميري: **الروض المعطار**، ج1، ص545.

[3] أمية بن إسحاق القريشي الأموي: من قادة الدولة الأموية بالأندلس، تولى الجزيرة الخضراء، وقاد عدة حملات على ثغور المغرب الأقصى، كالحملة على مدينة سبتة، والحملة على مدينة مليلة. كما يذكر البكري أنه تولى مدينة شنترين وخرج على طاعة الأموين سن(327هـ/938م)، بعد قتل الناصر لأخيه أحمد بن إسحاق. انظر البكري: **المصدر السابق**، ج1، ص341، ابن الأثر: **المصدر السابق**، ج7، ص81.

[4] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص ص200-201، البكري: **المصدر السابق**، ج2، ص ص779-281، فيلالي: **المرجع السابق**، ص148.

[5] البكري: **المصدر السابق**، ج2، ص779.

[6] ابن أبي زرع: **المصدر السابق**، ص100.

[7] فيلالي: **المرجع السابق**، ص ص153-154.

[8] أرشقول: مدينة في ساحل تلمسان من أرض المغرب، وهي على نهر تافنا، تدخل فيه السفن اللطاف من البحر إلى المدينة وبينهما ميلان، وهي مدينة مسورة، بها مسجد وحمامان وبها آبار عذبة. الحميري: الروض المعطار، ج1، ص26.

العافية[1] (ت341هـ/952م) حين لجأ إليها الحسن بن عيسى بن أبي العيش سنة (320هـ/930م)، وتم حصارها مدة أربعين يوما حتى كاد يهلك أهلها من العطش، لولا أن أمطرهم الله ففك الأمويون الحصار[2]، وحين تم السيطرة على مدينة سبتة، بعث سكان مدينة أصيلا بولائهم للناصر الأموي، ثم عادوا إلى خلع الطاعة ونقض الاتفاق، حينها بعث الناصر عبد الملك بن سعيد بن أبي حمامة سنة (322هـ/931م) على رأس أسطول بحري، استطاع دخول المدينة وإخضاعها، ليرجع قافلا نحو ألمرية[3] بعد أن استخلف عليها من يثق في ولائه من البربر وترك معه حامية من الجند والرماة لتأمين المدينة، كما أخذ بعض الرهائن لضمان الطاعة وعدم التمرد[4]، وذكر ابن أبي زرع أيضا أن الناصر لدين الله الأموي، ملك أرض تلمسان سنة (344هـ/9956م)[5].

لم يتوقف الاهتمام بهذه المناطق بعد وفاة الخليفة الناصر ففي سنة (350هـ/962م)، قام الحكم المستنصر (350-366هـ/361-971م) بتجديد سور مدينة سبتة وحصنها، ورفع المغارم السلطانية عن الساكنة في محاولة لكسب ودهم[6]، كما قام محمد بن أبي عامر المهتم بشؤون دولة المؤيد(366-399هـ/976-1008م)، بضبط الأمور في مدينة سبتة ضمن كبار رجاله وقادة جيشه[7] ومن خلال سيطرة الأمويين على سبتة، ومليلة وغيرها من المناطق بالإضافة إلى مناطق النفوذ بالعدوة الأندلسية، خاصة الجزيرة الخضراء وتوابعها، كمدينة

---

[1] موسى بن أبي العافية بن أبي بسال ابن أبي الضحاك المكناسي مؤسس إمارة آل أبي العافية بنواحي مراكش، ملك بلاد مكناسة ليستقل بالمغرب بعد حملة مصالة بن حبوس سنة 305هـ وبدأ في توسعاته حتى ملك من أحواز تيهرت إلى السوس الأقصى، وملك تلمسان، كان تحت لواء العبديين ثم مال للأمويين سنة (319هـ/931م)، توفي (ت341هـ/952م). الزركلي: **المصدر السابق**، ج7، ص323.

[2] البكري: **المصدر السابق**، ج2، ص748.

[3] ألمرية: هي مدينة كبيرة من أعمال الأندلس، أمر ببنائها الناصر لدين الله عبد الرحمن الأموي، فاتخذها المسلمون مرابطاً وبنيت بها محارس، وهي من أشهر مراسي الأندلس وأعمرها، وعليها سور حصين منيع، يضرب ماء البحر سورها، الحموي: **المصدر السابق**، ج5، ص119، الحميري: **الروض المعطار**، ص537.

[4] فيلالي: **المرجع السابق**، ص152.

[5] ابن أبي زرع: **المصدر السابق**، ص100.

[6] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1ن ص227.

[7] ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج7، ص37.

طريف، استطاع الأمويون بسط نفوذهم على المنطقة، والتحكم في مضيق جبل طارق وما له من أهمية خاصة من الجانب التجاري، وفي هذا الصدد يقول المقري التلمساني عن عبد الرحمان الناصر: «وصار المجاز في يده وتوطدت طاعته لأرض المغرب»[1]، كما ساهم ذلك في استباق الخطر المغربي بالتواجد ضمن حدوده وتأمين الجانب الأندلسي.

لم تقف الأمور عند التحصينات والسيطرة على الثغور، بل وصلت إلى حد الصدام المباشر، فقد ذكر ابن الأثير في حوادث (344هـ/956م) أن المعز لدين الله صاحب المغرب أرسل أسطول إلى ميناء ألمرية، تحت إشراف الحسن بن علي[2] والي صقلية، فقام بإحراق مرساه والمراكب التي كانت هناك، وأخذوا مركبا كان قد أنشأه عبد الرحمان الناصر غاية في الإتقان والعظم، ويعود سبب هذا الفعل، أن المركب الذي تم الاستيلاء عليه، كان قد اعترض بعض مراكب العبديين تحمل رسائل سرية للمعز واستولى عليها[3]، ويرجح العبادي أن السبب في الصدام بين الدولتين سببه تلك الرسائل، كما يقول أن الناصر كان على علم بمضمون تلك الرسائل، إذ كانت تحمل مخططات وتقارير، لها صلة بمشاريع العبيديين للسيطرة على الأندلس، لذلك لم يتردد في الاستيلاء عليها[4].

رد الأمويين على هذه الغارة، بأن أرسلت غارة على سواحل إفريقية، تمكنت من الظفر ببعض السلب، وقتلت من اعترضها لتنسحب بوصول القوات العبدية[5]، تلتها غارة أخرى سنة (345هـ/966م) على مدينة مرسى الخزر تم تخريب المدينة فيها[6]، ويشير ابن عذارى على التجهيز لغارة أخرى سنة (347هـ/958م) ، في قوله « وفي سنة (347هـ/958م) أول المحرم، أمر الناصر صاحب الشرطة القائد أحمد بن يعلى بالخروج غازيا في الأسطول إلى

---

[1] أحمد بن محمد المقري: **أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض**، ت مصطفى السقا، إبراهيم الإبياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1358هـ/1939م، ج2، ص257.

[2] الحسن بن علي بن أبي الحسين الكلبي أول الأمراء الكلبيين في صقلّية، كان قائدا في جيش المنصور ثم ولاه على الجزيرة توفي سنة 352هـ مجاهدا في جزيرة صقلية. الزركلي: **المصدر السابق**، ج2، ص201.

[3] ابن الأثر: **المصدر السابق**، ج7، 213.

[4] العبادي: **في التاريخ العباسي**، ص150.

[5] ابن الأثر: **المصدر السابق**، ج7، 213.

[6] العبادي: **في تاريخ المغرب**، ص80.

بلد الشيعي»[1]، واستمر التجاذب والغارات دون ما تغلب، أو سيطرة كاملة لجبهة من الجبهات، ما عدا تقلبات لموازين القوى وهجمات متوالية، كلما كانت حملة من جهة، تراجعت الجهة الأخرى، ثم عاودت الكرة.

بيدا أن الصراع الأموي العبيدي في حوض البحر المتوسط، والذي كان عبارة عن بحيرة إسلامية، تسيطر الدولة العبيدية على جبهة، والدولة الأموية على الجزء المتبقي، ومع احتدام الصراع بين الجانبين، ثم انسحاب القوات العبيدية نحو المشرق وانشغال الدولة الأموية بالنزاعات الداخلية بالأندلس، وفقدان نفوذها بمنطقة المغرب الإسلامي، أمام بربر صنهاجة ممثلين في دولة بني زيري، هذا الوضع ترك المجال مفتوح أمام ظهور قوى بحرية جديدة تسيطر على الجانب الغربي من البحر المتوسط، ممثلة في أساطيل المدن الإيطالية، كبحرية البندقية والتي بدأت توسعاتها وسيطرتها على الجزر الإستراتيجية بالبحر المتوسط، مثل طبرمين[2] وصقلية وغيرها من الجزر التي ظلت لسنوات تحت سيطرة قوى إسلامية.

2-المواجهة من أجل مناطق النفوذ

أول صدام مباشر بين الدولة العبيدية والأمويين في الأندلس، كما رأينا سابقا في حادثة مهاجمة الأمويين لبعض السفن العبيدية، والاستيلاء على رسائل تعود للعبيدي[3]، ليجهز المعز العبيدي حملة كبيرة على بلاد المغرب الإسلامي سنة (347هـ/958م)، تحت قيادة قائده جوهر الصقلي، من أجل إخضاع المغرب والقبائل البربرية، والقضاء على النفوذ الأموي، ورافقه في تلك الحملة جعفر بن عليّ صاحب المسيلة، وزيري بن مناد صاحب أشير[4]، استطاع في هذه الحملة أن يدوخ بلاد المغرب، ويجتاحه حتى مناطق النفوذ الأموي بشمال المغرب الأقصى، ووصل بحملته حتى سلجماسة، وأسر أميرها المسمى الشاكر لله، ثم دخل مدينة فاس

---

[1] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج2، ص221.

[2] طبرمين: قلعة حصينة بصقلية، ياقوت الحموي: **المصدر السابق**، ج4، ص17

[3] ابن الأثر: **المصدر السابق**، ج7، 213.

[4] ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج4، ص59.

وأسر صاحبها أيضا، دامت مدة الحملة على حد قول صاحب مفاخر البربر ثلاثين شهرا، إذ لم ينصرف حتى سنة (349هـ/960م)[1].

كان السبب في هذه الحملة الكبيرة، اتساع رقعة النفوذ الأموي بالمنطقة، وبدعم من الخليفة الأموي الناصر، حيث أورد السلاوي قائلا: «لما اتصل بخليفة الشيعة وهو المعز لدين الله معد بن إسماعيل العبيدي، غلبة الناصر على بلاد العدوة، وأن جميع من بها من قبائل زناتة والبربر رفضوا دعوتهم، ودخلوا في دعوة بني أمية، عظم الأمر عليه وبعث قائده جوهر بن عبد الله الرومي المعروف بالكاتب، في جيش كثيف يشتمل على عشرين ألف فارس من قبائل كتامة، وصنهاجة، وغيرهم، وأمره أن يطأ بلاد المغرب ويذللها، ويستنزل من بها من الثوار ويشد وطأته عليهم»[2]، ومن بين الأمثلة على المخالفين للعبيديين، استيلاء حميد بن يصل على مدينة تلمسان (345هـ/956م)، بعد المدد الذي وصله من عبد الرحمان الناصر والمتمثل في: «أحد عشر حملا من المال وأحمال العدة»[3].

لم تقف الدولة الأموية صامتة أمام هذه الحملة، إذ كان رد الناصر الذي كان يرقب الوضع بحذر، إذ قام بإرسال جماعة من وجوه قومه وجنده، رفقة عاملة بدر الفتى نحو سبتة من أجل التصدي لحملة جوهر الصقلي، فمكثوا هناك حتى قفل قائد العبيديين عائدا نحو المهدية[4].

بعد وفاة الخليفة الأموي عبد الرحمان الناصر (350هـ/960م)، خلفه في الحُكم ابنه المستنصر الملقب بالحَكَم، والذي سار على نهج أبيه، في عدائه الشديد للعبديين واتخاذ كافة الاحتياطات اللازمة لذلك[5]، وكما ذكرنا في الصراع البحري عمل جاهدا على إعادة تحصين الثغور المغربية، واسترضاء الساكنة وحسن معاملتهم، بدءا بمدينة سبتة في سنة (353هـ/964م) التي جدد سورها وحصنها، ورفع المغارم السلطانية عن الساكنة، في محاولة

---

[1] مجهول: **مفاخر البربر، ص** ص18-19.

[2] السلاوي: **المصدر السابق**، ج1، ص254.

[3] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج2، ص221.

[4] **نفسه**، ج2، ص223.

[5] العبادي: **في التاريخ المغربي**، ص82.

لكسب ودهم[1]، أدت السياسة الحسنة للحَكَم المستنصر، إلى إعادة النفوذ الأموي على بلاد المغرب الإسلامي، وانحصار النفوذ العبيدي بالمنطقة، فتوالت الوفود المبايِعَة للحكم بقرطبة من البربر، وفي هذا الشأن ذكر ابن عذارى، وصول رسل أمراء العرب...وذكروا ما هم عليه من الطاعة[2]، وكذلك رسل الأدارسة حيث ذكر ابن عذارى في حوادث (356هـ967م)، استقباله لرسولين من الأدارسة بالطاعة والمبايعة[3].

غدت الخريطة السياسية للمغرب الإسلامي شبه مستقرة في تقسيم موازين القوى خلال هذه الفترة، فكان الجزء الشرقي من المغرب حتى نهر ملوية[4] تقريبا، يدين بالولاء للدولة العبيدية تحت سيطرة بني زيري الصنهاجيين، أما الجزء الغربي فكان تحت سيطرة قبائل زناتة الموالية للدولة الأموية[5]، وفي سنة (360هـ/970م)، أي قبل نحو السنة من خروج المعز ناحية مصر، جرت معركة بين زيري بن مناد الصنهاجي ممثل العبيديين من جهة، وقبائل زناتة من جهة أخرى، مدعومة بعلي ابن حمدون وأخوه جعفر، اللذان خلعا طاعة المعز الفاطمي، وأقرا بالولاء للدولة الأموية، عقب استخلاف المعزي لزيري بن مناد على المغرب، جرت هذه المعركة على مشارف نهر ملوية، انتهت المعركة بغلبة المعسكر الموالي للأمويين وقتل القائد الشيعي زيري بن مناد، وحمل ابن حمدون رفقه كبار زناتة برأس زيري ابن مناد ورؤوس أعيانه إلى الأندلس، فكان ذلك الحدث هاما حظي باستقبال كبير من الحكم المستنصر، الذي جمع لذلك قواده وعماله وأعلام رجاله بكور الأندلس لمشاهدة هذا الحدث[6]، وفي هذه الفترة برزت قبيلة بني

---

[1] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1ن ص227.

[2] ابن عذارى: **المرجع السابق**، ج2، ص241.

[3] **نفسه**، ج2، ص239.

[4] ملوية نهر كبير مشهور في أنهار بلاد المغرب عليه نظر واسع وفيه قرى كثيرة، وهو بالجانب الغربي من بلاد الغرب الإسلامي، وهو قرب من مدينة مليلة. انظر الحمير: **الروض المعطار**، ج1، ص ص543-545.

[5] فيلالي: **المرجع السابق**، ص187.

[6] ابن عذارى: **المرجع السابق**، ج2، ص ص242-243، حيان بن خلف بن حيان: **المقتبس في أخبار بلد الأندلس**، ت صلاح الدين الهواري، ط1، المطبعة العصرية، بيروت، لبنان، 1426هـ/2006م، ص18.

برزال[1]، التي ساهمت في المعركة التي دارت بين ابن حمدون وزيري بن مناد، وكان لهم الفضل في الإطاحة بالأخير، ومنها انتقلوا ناحية الأندلس رفقة ابن حمدون وكان لهم حضوة، عند الحكم المستنصر الأموي لما تميزوا به من شجاعة وإقدام[2].

رد العبيديين بحملة كبيرة بقيادة يوسف بن زيري بن مناد، الملقب ببلكين، على المغرب سنة (361هـ/972م) سيطر خلالها المغرب الأوسط، وهدد الثغور الأموية بالمغرب الأقصى، وقتل فيها محمد بن الخير الزناتي بعد محاصرته من قبل الصنهاجيين، وحول ذلك يذكر ابن عذارى قائلا: «فلما أيقن محمد بن الخير أن عدوه قد أحاط به، اتكأ على سيفه، فذبح به نفسه»[3]، أعقب ذلك خلع طاعة الأمويين، من قبل الحسن بن قنون الأمير الإدريسي، بعد استئناسه من رحيل العبديين، وتغلب خلفائهم الصنهاجيين على المغرب، فطمع في إعادة مجد دولة الأدارسة، وخلع طاعة الأمويين ليقابل تمرده بعدة حملات أجلته عن المدن التي سيطر عليها، وحصرته في قلعة جسر النصر حتى استسلم وعاد لطاعة الأمويين سنة (363هـ/975م)، وفيها ورد الخبر السار على المستنصر بالله بإذعان الحسن بن قنون الحسني، ودخوله في طاعته[4]، هذا عن بعض الأحداث التي شهدتها المنطقة غداة خروج الفاطميين نحو المشرق.

3- استمرار الصراع بعد رحيل العبيديين نحو مصر

بعد انتقال الدولة العبدية عن بلاد المغرب ناحية عاصمة دولتها الجديدة القاهرة بمصر، خلفت منطقة الغرب الإسلامي تحت وصاية حلفائها الصنهاجيين من بني زيري، استمر الصراع بين الدولة الأموية، ممثلة في حلفائها من قبائل زناتة، والصنهاجيين الموالين للشيعة، وعمل الحكم المستنصر على تدعيم القبائل البربرية، من أجل الاستمرار في كسب ولائها، فقام الحكم المستنصر في أوائل شوال من سنة (362هـ/974م)، بإرسال قاضي إشبيلية محمد بن أبي

---

[1] بني برزال: من بطون قبيلة زناتةالبربرية، وهم من ولد ورنيدين بن وانتن بن واردين بن دمّر، وإخوتهم بنو يصدرين وبنو صمغان وبنو يطوفت. وكان بنو برزال هؤلاء بإفريقية، وكانت مواطنهم منها جبل سالات وما إليها من أعمال المسيلة. وكان لهم ظهور ووفور عدد، وكانوا نكارية من فرق الخوارج. ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج7، ص72.

[2] اين خلدون: **المصدر السابق**، ج7، ص37.

[3] **نفسه**، ج2، ص243.

[4] ابن عذارى: **المرجع السابق**، ج2، ص248.

عامر[1] بأحمال كبيرة من المال لتوزيعها على أكابر البربر بهدف استمالتهم إلى صفهم[2]، كما تم تعيين الأخير قاضي للقضاة بالعدوة المغربية، إضافة إلى ما كان يتقلده من خطط في الدولة الأموية، وهي خطتي الشرطة والمواريث وقضاء إشبيلية[3]، وفي سنة (365هـ/975م) استخدم علي وجعفر ابنا علي بن حمدون الأندلسي، السابق ذكرهما على المغرب بعد أن جهزهما بالخلع الفاخرة، والأموال وبعض من رجالهم وأتباعهم، فوصلا قلعة النسر في التاريخ المذكور[4].

السبب في ذلك خبرة ابنا علي ببلاد المغرب وأهلها، كونها عاشا فيها حسب ذكرناه سابقا من ولايتهما مدينة المحمدية، وأيضا عدائهما الشديد لبني زيري بن مناد الصنهاجيين، يضاف إلى ذلك مرض الحكم المستنصر في تلك الفترة، واحتياجه لعامله على المغرب القائد يحيى بن محمد التجيبي، من أجل سد الثغور الشمالية للدولة، والتي هُدِدت من قبل الصلبيين، استطاع جعفر بن علي في هذه الفترة، بسط نفوذه على المنطقة ودفع تحرشات بلكين بن زيري، بمساعدة قادة من قبائل زناتة البربرية الموالية للدولة الأموية، منهم يدو بن يعلى من بني يفرن، وزيري وأخوه مقاتل ابنا عطية، من المغروايين وغيرهم من القبائل[5]، حيث يذكر ابن خلدون قائلا: «ثم أوطأ عساكره من أرض العدوة من المغرب الأقصى والأوسط وتلقى دعوته ملوك زناتة من مغراوة ومكناسة فبثوها في أعمالهم، وخطبوا بها على منابرهم، وزاحموا بها

---

[1] أبو عامر محمد بن أبي حفص عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عامر بن أبي عامر محمد بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك، دخل جده عبد الملك الأندلس مع جيش طارق بن زياد سنة 92هـ710م، ويرجع أصلهم إلى العرب اليمنيين استقر بنو عامر بعد ذلك في جزيرة طرش شرق الجزيرة الخضراء، انتقل محمد بعدها إلى قرطبة لطلب العلم ليولى قضاء بعض النواحي ثم رقي إلى خطة الزكاة والمواريث ثم الشرطة العليا والوسطى في عهد الحكم المستنصر، ليعين أخير قاضي قضاة المغرب سنة 362هـ/972م، وبعد وفاة الحكم المستنصر استطاع القضاء على كبار القادة بالسلطة الأموية واستفرد بالحكم بعد الحجر على هشام المؤيد خليفة الحكم. عنه أنظر ابن عذارى: **المرجع السابق، ج2**، ص256، ابن الأثير: **المصدر لسابق**، ج7، ص349، ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج4، ص189، الميورقي: **المصدر السابق**، ج1، ص17، أحمد بن يحي الضبي: **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، دار الكتاب العربي**، بيروت، 1967م، ج1، ص115.

[2] سامية مصطفى: **المرجع السابق**، ص104.

[3] ابن حيان: **المقتبس**، ص94.

[4] مجهول: **مفاخر البربر**، ص26.

[5] **نفسه**، ص28.

دعوة الشيعة فيما بينهم»[1] واختصر صاحب مفاخر البر الوضع في هذه المرحلة بقوله «فاستقام أمر المغرب بقية أيام الحكم وتظافرت أيدي ملوكه على دفع بلكين الصنهاجي»[2]، هذا عن مرحلة الصراع حتى وفاة الخليفة الأموي الحكم المستنصر

[1] ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج4، ص187.

[2] مجهول: **مفاخر البربر**، ص28.

ثالثا: الصراع في ظل حكم الدولة العامرية:

بعد وفاة الحكم الأموي استبد محمد ابن أبي عامر بأمور البلد، وحجر على هشام المؤيد بعد وفاة والده، اثر الشقاق الذي ظهر في الدولة بين حجاب وكبار قادة الدولة الأموية، لخص صاحب نفح الطيب الوضع حول سيطرة محمد بن أبي عامر على مقاليد الحكم وبقاء هشام المؤيد مجرد شعار رسمي للدولة فقط في قوله: «وأمر أن يحيّا بتحية الملوك، وتسمى بالحاجب المنصور، ونفذت الكتب والمخاطبات والأوامر باسمه، وأمر بالدعاء له على المنابر باسمه عقب الدعاء للخليفة، ومحا رسم الخلافة بالجملة، ولم يبق لهشام المؤيد من رسوم الخلافة أكثر من الدعاء على لمنابر وكتب اسمه في السّكة والطرز»[1]، واستمر في سياسة الدولة الأموية القائمة على دعم حلفائها من بربر زناتة.

في هذه الأثناء نمت قوة آل خزر الزناتيين من قبائل مغراوة، وسيطروا على أغلب مناطق المغربين الأقصى والأوسط[2]، وسار المنصور بن أبي عامر على تشجيع رؤساء القبائل البربرية على التوسع، على حساب التواجد الشيعي بالمنطقة، ومن أمثلة ذلك الحملة التي قام خزرون بن فلفل[3] الزناتي سنة (367هـ/977م)، على مدينة سلجماسة وقتل صاحبها المعتز بالله المدراري[4]، وبعث برأسه إلى الأندلس بعد بسط نفوذه على المدينة[5]، وأقام الدعوة للخلافة الأموية فكانت أول دعوة لهم بتلك الناحية.

---

[1] المقري: **المصدر السابق**، ج1، ص187.

[2] ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج7، ص39.

[3] خزرون بن فلفل بن خزر المغراوي: مؤسس إمارة بني خزرون وهم بطن من بطون قبيلة زناتة البربرية، استطاع السيطرة على مدينة سلجماسة وقتل آخر حكامها من بني مدرار المعتز بالله، واستمر في حكم المنطقة تحت وصاية الدولة العامرية حتى وفاته حوالي (369هـ/979م)، وخلفه ابنه واندين في الحكم. ينظر ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص230، ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج7، ص51، ابن الخطيب: **المصدر السابق**، ص123.

[4] أبو محمد المعتز بالله: من أبناء الشاكر لله، صاحب الدولة بني مدرار السنية بسلجماسة، استولى على الحكم بعد قتل أخيه وبوفاته تم القضاء نهائيا على الحكم المدراري. انظر ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج6، ص173، السلاوي: **المصدر السابق**، ج1، ص183.

[5] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص231.

نسب الفضل في ذلك للمنصور بن أبي عامر وتيمنا لحجابته[1]، ولعل نسب الفضل في هذا الأمر راجع إلى ساسته في إطلاق أيدي أتباعه من البربر على المغرب، من أجل ضبط أموره، كما أنّ سير ابن فلفل في تلك الحملة ربما كان بإيعاز منه[2]، رد بلكين بن زيري على هذه الحملة بحملة كبيرة انطلقت سنة (368هـ/978م)، قضى فيها على نفوذ الزناتيين بالمغرب الأوسط والأقصى[3]، وأتبع فلولها حتى مدينة سبة سنة (369هـ/979م)، وحصرهم هناك، هنا استنجد الزناتيون بن أبي عامر، الذي لم يتوانى في مددهم بعبوره إلى الجزيرة الخضراء، وإنفاذ جيش تحت قيادة جعفر بن على الأندلسي إلى سبتة، بعد تجهيزه بما يحتاج من مال وعتاد، ولما أشرف بلكين على المدينة من أعالي الجبال ورأى الجيوش الأندلسية، ومدى حصانة المدينة الإمدادات الممكنة من الضفة الأخرى، ارتأى عدم المغامرة بجيشه وانسحب راجعا نحو الجنوب[4]، وهذه الحملة كانت بإيعاز من الإمام العبيدي العزيز بالله صاحب مصر آنذاك، الذي اشتغل في بداية ولايته برد خطر القرامطة على مصر والشام وبعد القضاء عليهم وزوال خطرهم (368هـ/978م)، عاد للاهتمام ببسط نفوذ الدولة العبيدية بالمغرب.

كانت له محاولة ثانية لمزاحمة الأمويين على منطقة المغرب الأقصى بإرساله للحسن بن قنون الإدريسي (373هـ/983م)، وفي محاولة لاسترجاع ملكه الضائع هناك، كما أمر واليه على المغرب بلكين بن زيري، بأن يدعمه بما يحتاج من العدة والسلاح والرجال، وحين وصل الحسن إلى المغرب بجيش صغير دعمه به بن زيري، وما فتئ حتى التف حوله البربر خاصة قبيلة بني يفرن وجاهروا بطاعته، فلما وصل الخبر إلى ابن أبي عامر خرج على عادته إلى الجزيرة الخضراء، وأرسل الوزير عمرو بن عبد الله بن عامر المعروف بعسكلاجة[5]، فعبر الأخير ودعمته قبائل مغرواة تحت قيادة مقاتل وزيري ابنا عطية بن خزر، وخزرون بن فلفل، ثم أمد المنصور بجيش آخر بقيادة ولده عبد الملك، واستطاعوا حصر ابن قنون الذي طلب

---

[1] مجهول: **مفاخر البربر**، ص29.

[2] فيلالي: **المرجع السابق**، ص299.

[3] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص231.

[4] مجهول: **مفاخر البربر**، ص29.

[5] عسكلاجة: أبو الحكم عمرو بن عبد الله بن أبي عامر، ابن عم محمد بن أبي عامر المتغلب على الدولة الأموية بالأندلس وصاحب الدولة العامرية. انظر ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج7، ص40.

الأمان على عادته على شرط أن ينقل إلى قرطبة، فكان له ذلك فأمنه عسكلاجة وأسرع به إلى قرطبة، لكن كان للمنصور رأي آخر فبعث من قطع طريقه وعدل به عنها ليقتله، وهذا لكثرة خروجه ونقضه العهود، كان مقتله سنة (375هـ/958م)، وبمقتله كانت نهاية الدولة الإدريسية وآخر ظهور لها[1].

بعد إخماد هذه المحاولة لإحياء مجد المذهب الشيعي بالمغرب الأقصى، نظم بن أبي عامر المنطقة، فيذكر صاحب مفاخر البربر في ذلك قائلا: « ندب المنصور لحكم المغرب الوزير الحسن بن أحمد بن عبد الودود السلمي[2]، ومنحه السلطان المطلق، وأمره أن يعمل على استمالة البربر في تلك الأقطار»[3]، وهذا في سنة (376هـ/986م) وحضي زيري بن عطية[4] بالحضوة لديه لما كان له من سبق في القضاء على ثورة الحسن بن قنون، وظل الوزير الحسن يسوس المغرب من عاصمته فاس حتى قتل بإحدى معاركه مع يدو بن يعلى اليفرني[5] سنة (381هـ/991م).

عقد المنصور لزيري بن عطية الذي استفرد بقيادة قبيلة مغراوة الزناتية بعد وفاة أخيه مقاتل واستأنس منه الطاعة بعد سفارته إليه[6]، فلبث في ضبط المغرب ومقارعة بين يفرن حتى

---

[1] مجهول: **مفاخر البربر**، ص32، ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج7، ص ص27-40.

[2] الحسن بن أحمد بن عبد الودود السلمي، من ولاة الأندلس على مدينة فاس.

[3] مجهول: **مفاخر البربر**، ص28.

[4] هو زيري بن عطية بن عبد الله بن خزر بن صولات الزناتي، الملقب «بالقرطاس»، استطاع السيطرة على فاس وغيرها بالمغرب الأقصى، كان مواليا للدولة الأموية بالأندلس وخاض عديد الحروب ضد الزيريين الموالين للعبديين، توفي (391هـ/1000م)، انظر ترجمته: ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج7، ص39 ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص252، الزركلي: **المصدر السابق**، ج3، ص63.

[5] يدو بن يعلى بن محمد بن صالح اليفرني، ترأس بني يفرن بعد مقتل أبيه يعلى في حملة جوهر الصقلي على المغرب، فملك كثيرا من بوادي المغرب الأمير يدو بن يعلى مضاهيا لزيري بن عطية المغراوي، في الحسب والفضل والمال، لكنه لم يكن ثابت الموقف في ولائه للأمويين، إذ انضم إلى الحسن بن قنون حين عودته من المشرق ومحاولته إعادة مجد دولة الأدارسة، كما قتل والي الأمويين على فاس الحسن بن أحمد السلمي، واستمر في نزاعه مع زيري بن عطية حتى مقتله سنة (382هـ/992م). عنه انظر ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج4، ص56، السلاوي: **المصدر السابق**، ج1، ص ص264-265، ص268.

[6] مجهول: **مفاخر البربر**، ص33.

استدعاه المنصور للمرة الثانية (382هـ/992م) ورغم إكرامه له لم يرضه استخلافه على المغرب فقط إذ كان طموحه أكبر من ذلك[1].

أثناء غيابه زحف يدو بن يعلى على فاس فأسرع زيري بن عطية بالعودة ليقضي على يدو ويرسل رأسه إلى المنصور بعد معركة صعبة معه[2]، بعد القضاء على بني يفرن صفى المغرب له، وظل في ولائه الظاهر للمنصور والدولة الأموية، كما أنشأ مدينة وجدة[3] وحصنها، ثم نقل إليها أمواله وذخائره، واتخذها قاعدة لحكمه، لما تميز به موقعها المتمركز بين المغربين الأوسط والأقصى، وعدم ملائمة مدينة فاس، لتطرفها وقربها من مواقع القبائل المعادية[4].

بالموازاة مع ذلك بدأ البيت الزيري الصنهاجي في الانشقاق، والنفوذ العبدي بالمغربين الأدنى والأوسط ينحصر، هذا بعد مخالفة أبو البهار بن زيري[5]، لابن أخيه المنصور بن بلكين بن زيري والي العبيديين على المغرب، وخلع طاعته، وقرر الانضواء تحت لواء الأمويين سنة (379هـ/989م)، وتبعه في ذلك خلوف بن أبي بكر أحد قادة الدولة الزيرية على مدينة تاهرت، فتم استيلائهم على مناطق المغرب الأوسط مثل الزاب والونشريس وتلمسان وتاهرت وشلف، واستبدل الدعوة لهشام المؤيد وحاجبه المنصور بن أبي عامر، بدل الدعوة لبني عبيد على المنابر[6]، لم يدم الأمر طويلا حتى عاد أبو البهار إلى الدعوة العبيدية، فأذن المنصور بن ابي عامر لزيري بن عطية بمقاتله، فأطاح به في خبر يطول شرحه، وأصفت بلاد المغرب

---

[1] محمد عبد الله عنان: **دول الإسلام في الأندلس**، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1417هـ/1997م، ج1، ص546

[2] مجهول: **مفاخر البربر**، ص34.

[3] وجدة: مدينة بالمغرب الأقصى، بينها وبين تلمسان ثلاث مراحل، وهي مدينة كبيرة قديمة كثيرة البساتين والمزارع، وبها وفرة بالمياه والعيون، كما أن جوها لطيف ما انعكس على أهلها، الذين تميزت أجسامهم بالنظارة والنعومة. انظر الحميري: **الروض المعطار**، ج1، ص ص60-608، البكري: **المسالك والممالك**، ج2، ص ص725-753.

[4] عبد الله عنان: **المرجع السابق**، ص547.

[5] هو أبو البهار بن زيري بن مناد الصنهاجي: هو أخ بلكين بن زيري بن مناد، وكان قد استخلفه على تيهرت وأحوازها وبعد وفاة أخيه بلكين، خلع بيعة ابن أخيه والدعوة الشيعية، واتبع دعوة الأمويين بالأندلس، وخطب للخلفة الأموي هشام المؤيد وحاجبه المنصور بن ابي عامر، الذي اشترط عليه إرسال ابنه كرهينة من أجل ضمان الولاء فواق على وذلك، فلما تم ذلك أرسل إليه محمد بن أبي عامر بالعهود والبنود والهدايا. عنه انظر ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج6، ص ص208-209، ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص144.

[6] مجهول: **مفاخر البربر**، ص35.

من إقليم الزاب حتى السوس الأقصى تحت حكمه، وتدين بالولاء للدولة الأموية، والمنصور بن أبي عامر سنة (383هـ/993م)[1]، وبهذا الاتساع بلغت الدولة الأموية أعظم مجدها، وبلغ نفوذها عصره الذهبي في المغرب الإسلامي، تحت راية زيري ابن عطية، المنضوي تحت لواء المنصور بن أبي عامر، فدُعِي للأمويين على منابر الزاب وشلف والونشريس وتلمسان ووهران وتاهرت، بالإضافة إلى المغرب الأقصى وسلجماسة[2].

اضطربت الأمور بعد ذلك بين زيري بن عطية والمنصور بن أبي عامر، فأعلن عصيانه بعد انتقاله إلى عاصمته الجديد وجدة (376هـ/986م)، وقطع ذكر اسم المنصور واقتصر على الدعاء باسم الخليفة هشام المؤيد، حاول المنصور إيجاد حل سلمي دون جدوى ما اضطره لإرسال عدة حملات، لإخضاع الثائر زيري ابن عطية، كانت آخرها بقيادة ابنه عبد الملك المظفر[3] جرت بينهما عدة جولات كانت القاصمة سنة (388هـ/998م)، بوادي منى قرب طنجة التي قضت على التمرد وأعادت المنطقة إلى ولاية المنصور ممثل الدولة الأموية وهرب زيري بن عطية مثخنا بالجراح ناحية الصحراء[4]، ليصلح المظفر الأمور في المغرب ويقفل راجعا إلى الأندلس بعد استخلاف من ينوب عنه من موالي أبيه بالمنطقة

أما عن زيري بن عطية فبعد شفاء جراحه جمع بعض بطون زناتة وزحف بهم على مناطق خلفاء بني عبيد الزيريين حتى هدد عاصمتهم أشير[5]، وبعد وفاة كل من زيري بن عطية

---

[1] **نفسه**، ص37.

[2] فيلالي: **المرجع السابق**، ص239.

[3] المظفر بالله: هو أبو مروان عبد الملك بن محمد المنصور بن ابي عامر، تولى حجابة الأموي هشام المؤيد، بعد وفاة أبيه، (392هـ/1002م)، كان محبا للصالحن مكرما لهم، له عدة غزوات توفي في إحداها سنة (399هـ/1009م). انظر الميورقي: **المصدر السابق**، ج1، ص17، ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج2، ص283، ابن الخطيب: **المصدر السابق**، ج4، ص163.

[4] ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج7، ص ص44-45.

[5] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص250.

(391هـ/1001م)[1]، تولى بعد ابنه المعز[2]، والمنصور محمد بن أبي عامر (392هـ/1002م)[3]، تولى بعده ابنه عبد الملك المظفر، وصالح المعز بن زيري المنصور واستمر في ولائه لابنه المظفر، بالمقابل عقد له على ولاية المغرب ماعدا سلجماسة التي كانت تحت حكم فرع آخر من المغراويين[4]، واستمر المعز على ولائه للدولة الأموية حتى وفاته سنة (422هـ/1030م)[5]، بالمقابل اضطرب البيت الزيري الصنهاجي الموالي للدولة العبيدية وفقد الكثير من مناطق نفوذه لحساب، وعرف العديد من الانقسامات أكبرها انفصال حماد بن بلكين عن السلطة المركزية متخذا قلعة بني حماد مركزا له[6]، بعض أفراد البيت الزيري نفسه، أو بعض فروع زناتة مثل فلفول بن خزرون الذي خالفهم على طبنة، وبدأ النفوذ الشيعي بالمنطقة ينحصر حتى دق المعز بن باديس المسمار الأخير في نعش المذهب الشيعي بالمغرب بعد قطع الدعوة العبيدية والانتقال إلى المذهب السني المالكي.

---

[1] **نفسه**، ج1، ص253.

[2] المعز بن زيري بن عطية المغراوي: من قادة قبيلة زناتة البربرية تولى بعد وفاة أبيه، وصالح العامريين حجاب الأمويين بالأندلس وعاد لمبايعتهم، واستمر في حكمه حتى وفاته (422هـ/1030م)، وخلفه ابنه حمامة بن المعز. ينظر ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص254، ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج7، ص ص48-53.

[3] الميورقي: **المصدر السابق**، ج1، ص79.

[4] ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج7، ص50-51.

[5] سامية مصطفى: **المرجع السابق**، ص112.

[6] ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج6، ص227.

المبحث الثالث: المغرب الإسلامي في ظل حكم الزيريين حتى القطيعة الشيعية والعودة إلى المذهب السني

ترجع أصول الأسرة الزيرية وهي فرع قبيلة صنهاجة البربرية، اختلف النسابة في أصل صنهاجة إلى البربر أو العرب[1]، وهي من أكثر القبائل البربرية عددا، أما عن مواطنها فتتركز للغرب من مواطن كتامة، في المرتفعات الممتدة بين مدينتي بجاية والجزائر حاليا، كما سكنت بعض بطونها بمناطق مختلفة من المغرب الأوسط وحتى الأقصى[2]، أما عن بداية ظهورها على مسرح الأحداث بالمغربين الأدنى والأوسط، فقد كان في ولاية القائم العبيدي، حيث شاع ذكر زيري بن مناد[3] بعد إغارته على قبائل زناتة المعادية للدولة العبيدية، ومنها اجتمع عليه الصنهاجيون فكان بجبل تيطري[4]، ومنه سار ناحية أشير[5] أين قام ببناء مدينته حوالي 324هـ/935م[6].

---

[1] فقد أرجعهم النويري وجماعة من المؤرخين إلى أصل عربي ففي حديثه عن الدولة الزيرية ذكر: أبو الفتوح يوسف بن زيرى بن مناد ..عبد شمس بن وائل، أي عرب حمير القحطانية، وكذلك صاحب كتاب مفاخر البربر فرفع نسبهم إلى قحطان نقلا عن الطبري، ليردف أن غيره من النسابة أنكر ذلك، أما ابن خلدون فيرجع نسبهم إلى البربر البرانس ويرجع نسهم على ما استقاه من النسابة البربر بدأ من صنهاج بن عاميل... مصرايم بن حام، وابن حمز الذي أنكر نسبهم إلى حمير في قوله: «ولا كان لحمير طريق إلى بلاد البربر، إلا في تكاذيب مؤرّخى اليمن» .النويري: **المصدر السابق**، ج24، ص156، ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج6، ص201، مجهول: **مفاخر البربر**، ص191، ابن حزم: **الجمهرة**، ج1، ص495.

[2] ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج6، ص201 وما بعدها.

[3] زيري بن مناد الصنهاجي أول من ملوك الدولة الزيرية بالمغرب، وصاحب الفضل في ظهور أسرته، ينسب إليه بناء مدينة أشير، قال عنه الذهبي كان شجاعا حسن السيرة، توفي سنة 360هـ/972م بعد معركة مع جعفر بن علي الأندلسي. انظر ترجمته: الذهبي: **تاريخ الإسلام**، ج8، ص142، الزركلي: **المصدر السابق**، ج3، ص63، **ابن** خلكان: **المصدر السابق**، ج2، 343.

[4] النويري: **المصدر السابق**، ج24، ص160.

[5] أشير أو كما هو مشهور أشير بني زيري مدينة بحصن يسكنها آل زيرى بن مناد ولها سور حصين وأسواق وعيون كثيرة ومزارع وحقول، تميزت باتساع حقولها ومزارعها، كما تميزت المدينة بحصونها التي أسسها بنو زيري بالإضافة إلى ما تميزت به من تحصينات طبيعية، وما يجعلها ذات أهمية كبرى موقعها الذي يتوسط بلاد المغرب ومعبر لأغلب الطرق التجارية. ابن حوقل: ابن حوقل: صورة الأرض، مكتبة الحياة، بيروت 1992، ص89/ص130، رشيد بورويبة: **أشير عاصمة بني زيري**، مجلة الأصالة الجزائرية، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1973م/1393هـ، عدد12، ص116 رضا بن النية: **صنهاجة المغرب الاوسط**، مذكرة ماجستير، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر 2006م/1427هـ، ص126.

[6] الحموي: **المصدر السابق**، ج1، ص203.

ليشيع خبر صنهاجة أكثر بعد ما تعرضت له الدولة العبيدية من تضييق، إبان ثورة صاحب الحمار وحصاره المهدية، فكان ممن استنجد بهم القائم العبيدي زيري بن مناد الذي كان له الدور الكبير في فك الحصار عن المهدية[1]، وازدادت حضوته عندهم بعد المساعدات التي قدمها من حنطة وعبيد وخيل في مرحلة، حرجة حل الغلاء والمجاعة على المدينة بعد الحصار الذي تعرضت[2].

أولا: الأوضاع العامة لبلاد الغرب في ظل حكم الزيريين وعلاقتهم بالعبيديين.

استمرت مساندة زيري بن مناد للدولة العبيدية وإكرام حكامها له ووصله بجميل الهدايا وغريب التحف، وبعد وفاة القائم وتولي المنصور عادت السيطرة العبيدية وانحصر نفوذ أبي يزيد، مع استمرار خدمة زيري بن مناد للدولة العبيدية، فيذكر ابن حماد مراسلة المنصور لزيري بن مناد وغيره من أمراء البربر الموالين له، ووصلهم بالثياب والذهب والهدايا، حين خروجه لملاحقة أبي يزيد وأتباعه، فكان رد بن مناد وغيره من أمراء البربر بحشد ما استطاعوا من رجال وخيل ومتاع والالتحاق بجيوشه[3]، وبالتالي المشاركة الفعالة من قبل الصنهاجيين في القضاء على ثورة صاحب الحمار.

ما ولد الأثر الطيب في نفوس الحكام العبيديين على هذه القبيلة، فدأبوا على إكرامهم ووصلهم كلما سنحت الفرصة، من اجل مواصلة كسب جانبهم والإخلاص لهم، وهذا ما حدث، فحين نزول المنصور بمنطقة حائط حمزة[4] أجزل العطاء لزيري بن مناد وأقاربه ووجوه صنهاجة، «استسلم بها قلوبهم واستخلص عيونهم فصفت نياتهم وخلصت طوياتهم وحسنت فيه معتقداتهم»[5]، لم تتوقف مساندة الزيريين ومعهم صنهاجة للدولة العبيدية على ثورة أبي يزيد

---

[1] ابن الأثير: **المصدر السابق**، ج7، ص139.

[2] النويري: **المصدر السابق**، ج24، ص163.

[3] ابن حماد: المصدر السابق، ص67.

[4] حائط حمزة: هي مدينة البويرة الحالية، ذكرت عند الجغرافيين بتسميات عديدة،فالبكري ذكرها باسم سوق حمزة، وهي مدينة مسورة ولها أبار عذبة، كما ذكر تبعيتها لصنهاجة، والحموي لما جاء ذكرها جاء في كتابه» هناك مدينة تسمى حمزة»، وقيل أن السبب في تسميتها بهذا الاسم نسبة لمؤسسها، وهو حمزة بن الحسن بن سليمان بن الحسين بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضه. انظر البكري: **المصدر السابق**، ج2، ص731، الحموي: **المصدر السابق**، ج2، ص302، ابن حوقل: **المصدر السابق**، ج1، ص64.

[5] ابن حماد: **المصدر السابق**، ص69.

فقط، بل استمرت في دعمها من أجل القضاء على مختلف التمردات والثورات التي قامت ضدها، مثل استمرار ثورة الفضل بن أبي يزيد[1].

بعد تولي المعز العبيدي ازداد نفوذ زيري بن مناد، فاستقبله في قصره بالمنصورية وأغدق عليه بالنعم والهدايا[2]، ردا للجميل وإخلاصه في خدمة الدولة، بعد مرافقته له في حملته سنة (342هـ/953م)، من أجل إعادة ضبط الأمور على ناحية الأوراس[3]، وشارك زيري أيضا في الحملة التي انطلقت سنة (347هـ/956م) رفقه قائد المعز جوهر الصقلي، من أجل إعادة ضبط أمور المغرب ووصلت الحملة حتى المغرب الأقصى[4]، وفي ولاية المعز بدأ ظهور بلكين بن زيري بن مناد[5] الذي يعزى إليه بناء وإعادة تجديد مدن المدية (355هـ/966م)، ومدينة مليانة (360هـ/971م) (ما يعرف بمدينة خميس مليانة بولاية عين الدفلى)، وجزائر بني مزغنة (362هـ/972م) وهي عاصمة الجزائر حاليا[6]، وبعد مقتل زيري بن مناد سنة (360هـ/972م) عقد المعز الفاطمي لبلكين على أشير وتيهرت وسائر بلاد المغرب فعمل الأخير على خدمة العبيدين وتوسيع ممتلكاته[7]، ونجح في بسط نفوذه على المنطقة وإعادة هيبة الدولة العبيدية.

---

[1] ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج4، ص94.

[2] طقوش: **المرجع السابق**، ص152.

[3] ابن حماد: **المصدر السابق**، ص83.

[4] المقريزي: **الخطط**، ج2، ص187.

[5] هو أبو الفتوح يوسف بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي، أول خلفاء العبيديين على المغرب من الأسرة الزيرية، ويلقب أيضا بسيف الدولة، كان حسن السيرة تام النظر في شؤون دولته ورعيته، توفي سنة (ت373هـ/984م). انظر ترجمته: الذهبي: **تاريخ الإسلام**، ج8، ص368، ابن الأثير: **المصدر السابق**، ج7، ص306، ابن خلكان: **المصدر السابق**، ج1، ص286، الزركلي: **المصدر السابق**، ج2، ص74.

[6] جاء في العبر لابن خلدون أن بلكين هو من قام باختطاط المدن الثلاثة على عهد أبيه وبأمر من المعز العبيدي، ولا شك أن ابن خلدون يقصد هنا إعادة تجديد وتعمير المدن، فهي موجودة منذ القدم ولها ذكر ونكتفي بالبكري الذي يذكر المدن في حديثه عن الطرق ببلاد المغرب فجاء في ذكره لها « المدية وهي بلد جليل قديم»، وأيضا « جزائر بني مزغنّى، وهي مدينة جليلة قديمة البنيان فيها آثار للأوّل» وعن مليانة قال « مليانة وهي مدينة رومية فيها آثار». انظر ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج6، ص203، البكري: **المصدر السابق**، ج2، ص ص 725، 732، عبد الرحمان الجيلالي: **تاريخ المدن الثلاث الجزائر، المدية، مليانة**، ط1، دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، 2007م، ص ص17، 287، 312.

[7] ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج6، ص204.

حين قرر المعز العبيدي الرحيل عن المغرب بدأ في التفكير فيمن يخلفه في ولاية البلاد، وكان هناك خياران واردان، الأول جعفر بن علي بن حمدون صاحب المسيلة، الذي كان أسبق لخدمة العبيديين وأقدم في الولاية لهم، أيضا كون جعفر من أسرة أندلسية مهاجرة للمغرب فلا عصبة له تساعده أو تسول له الانفصال عن الدولة[1]، لكن هذا الخيار ألغي بعد جس نبض جعفر من قبل المعز، لرؤيته النية في الاستقلال بالمغرب من قبل جعفر، بعد المحادثة التي جرت بينهما، حيث كان طلب جعفر أن يترك شخص من العائلة العبيدية معه، وربما هذا من أجل الجانب الروحي ،كون الدعوة كانت لأهل البيت وأن الإمام يكون منهم، واشترط أن يكون الحكم والتولية والعزل والقضاء، والأمور المادية من جباية ونفقات من اختصاصه وحده، دون الرجوع إلى السلطة العبيدية بمصر[2]، واحتج على ذلك ببعد المسافة بين المغرب ومصر، وأن الأموال بالكاد ستكفي من أجل تسيير شؤون المنطقة والحفاظ على النظام.

بعد اتضاح عدم صلاح جعفر بن علي لم يبقى أمام المعز سوى الخيار الثاني، ألا وهو العائلة الزيرية ممثلة في قائدها أبو الفتوح بلكين بن زيري بن مناد، هذا الأخير كان رده ذكيا وكله إجلال وإكبار للمعز وآبائه، فلما عرض عليه الأمر كان جوابه: «يا مولانا، أنت وآباؤك الأئمة من ولد رسول الله صلى الله عليه وسلّم ما صفا لكم المغرب، فكيف يصفو لي، وأنا صنهاجيّ بربري؟ قتلتني يا مولانا بغير سيف ولا رمح»[3]، ورغم تأكد المعز من خروج المغرب عن طاعته واستقلاله أمر لا مناص منه، إلا أن وعود بلكين واشتراطه على المعز تولية الخراج والقضاء ومختلف الوظائف بنفسه الاشراف عليها[4]، جعله يضمن الولاء وبقاء المغرب تابعة لدولته، حتى إن كان مؤقتا ريثما يستقر ملكه بالمشرق.

عقد له على ولاية المغرب ما عدا جزيرة صقلية التي بقي عليها بني الكلبي، وطرابلس التي ولى عليها عبد الله بن يخلف الكتامي[5]، وكلف بجباية الأموال زيادة الله بن زياد بن القديم،

---

[1] موسى هيصام: **المرجع السابق**، ج2، ص563.

[2] المقريزي: **اتعاظ الحنفاء**، ج1، 99.

[3] المقريزي: **الخطط**، ج2، ص189.

[4] **نفسه**، ص189.

[5] ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج6، ص206.

وعلى الخراج عبد الجبار الخراساني، وحسين بن خلف الموصدي[1]، ويتضح هنا عدم الثقة الكاملة من قبل المعز في بلكين، إذ حصر ملكه قدر المستطاع بتجريده من صقلية وطرابلس، مع إطلاق يده على باقي المغرب من أجل الوقوف سدا أمام النفوذ الأموي، وكذا تركيزه على الجانب المادي وجباية الأموال، وبالتالي تجريده من أهم وسيلة لتقوية سلطته، فجعلها من اختصاص ابن القديم المخلص له، وربطها مباشرة بمركز حكمه بالقاهرة[2]، وقبل خروجه أوصاه بأن لا يرفع السيف عن البربر، ولا يرفع الجباية عن أهل البوادي، وتجنب استخدام إخوته وبني عمه على المناطق والولايات، لأنهم سينازعونه في الأمر ويرون أنهم أحق به منه، كما أوصاه خير بأهل المدن والحواضر[3]، فكان خروجه في شوال من سنة (361هـ/973م)[4]، وبها بدأ عهد جديد على بلاد الغرب الإسلامي بظهور أسرة حاكمة جديدة والتي سيكون لها الدور البارز في التطورات السياسية والمذهبية التي ستطرأ على بلاد المغرب.

بقيت العائلة الزيرية ممثلة في قائدها أبي الفتوح بلكين بن زيري موالية للدولة العبيدية بعد انتقالها إلى المصر، فبعد القضاء على ثورة خلف بن خير بعث برؤوس الثائرين إلى مصر[5]، تعبيرا عن تبعيته وولائه لهم، واستمرت المراسلات والوفود بينهما مثل التي الرسالة التي بعثها أبو الفتوح للمعز يجدد فيها الولاء ومما جاء فيها: «وأعوذ بالله أن أقول ما شنعه أهل الزور والجحود، بل أنا عبد من عبيده[6]، لتبدأ معالم شق عصا الطاعة بالظهور بعد مدة مع تغير السلطة العليا العبيدية واعتلاء العزيز بالله (365هـ/975م، 386هـ996م) سدة الحكم.

---

[1] ابن الأثير: **المصدر السابق**، ج7، ص304.

[2] موسى هيصام: **المرجع السابق**، ج2، ص566.

[3] النويري: **المصدر السابق**، ج24، ص170، ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج6، ص206، المقريزي: **اتعاظ الحنفاء**، ج1 ص101.

[4] إدريس الداعي: **تاريخ الخلفاء**، ص171.

[5] قامت هذه الثورة سنة 364هـ/974م فاجتمع خلف هذا ومن خرج عن طاعة الزيريين بقلعة ناحية بلدهم إلى أن خرج إليهم بلكين وقضى على الثورة. النويري: **المصدر السابق**، ج24، ص173.

[6] المقريزي: **اتعاظ الحنفاء**، ج1، ص235.

يظهر ذلك في عدم امتثال بلكين لأمر السلطة العبيدية بإعادة ابن القديم لوظيفته حين عزله، وقد هم بذلك وما منعه إلا سماعه بخبر وفاة المعز قائلا: « بعدت مصر من المغرب، وقد صار المغرب والله في أيدينا إلى دهر طويل»[1]، واتضح الأمر أكثر مع تولي المنصور بن بلكين[2] (374-386هـ/984-996م)، فحين قدوم أهل القيروان لتهنئته بالولاية وتعزيته في وفاة أبيه، بين ما سيسوس الناس به من الإحسان والرفق، عكس والده وجده اللذان حكم بالسيف والقوة، وأردف قائلا: «ولست ممن يولى بكتاب ويعزل بكتاب»[3] قاصدا العبيديين، ورغم هذا التصريح البين من إلا أنه استمر في تبعتيه الرمزية لهم.

لم تمر مقالة الأخير بسلام على العزيز العبيدي إذ عمل على محاولة القضاء سلطة الزيريين من خلال الداعي أبي الفهم[4]، ومع ذلك فقد استمر ظاهر الولاء من قبل الزيريين وظاهر الدعم من قبل العبيديين من خلال المراسلات والتشريفات، مثل إرسال سجل بولاية العهد لأبي مناد باديس[5]، كما وردت سفارة من مصر سنة (385هـ/965م)، برؤوس بعض الروم الذين قتلوا من قبل العبيديين بحلب إلى المنصورية بالمغرب[6].

بعد وفاة المنصور تولى من بعده ابنه أبو مناد باديس[7] (386-406هـ/996-1016م)، بالموازاة مع ذلك عرفت السلطة العبيدية بمصر اعتلاء حاكم جديد من أبرز الحكام

---

[1] المقريزي: **نفسه**، ص234.

[2] هو أبو الفتوح المنصور بن بلكين بن زيري بن مناد، كان واليا على أشير حين وفاة أبيه، فلما الإمرة عقد لأخيه على أشير، وعمه أبي البهار على تيهرت، قال ابن عذارى كان كريما جوادا صارما في حكمه، كما ذكر أنه رفع إليه بسب بعض عبيده للصحابة رضوان الله عليهم فقام بإعدامه، سنة 386هـ/996م. انظر ترجمته: ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص239، ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج6، ص207.

[3] ابن الأثير: **المصدر السابق**، ج7، ص401، ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص240.

[4] أبي الفهم حسن بنصر الخرساني، أرسله العزيز بالله العبدي سنة (376هـ/986م)، واستقر بمضارب كتامة فسار على نهج الداعي عبد الله لشيعي حتى خرج عن طاعة الزيريين، ولم يكن هناك رد فعل من الدولة العبيدية رغم مراسلة المنصور لها، بل قامت بدعم الحركة، لكن أبو الفتوح استطاع القضاء عليها وقتل قائدها. عن حركة أبي الفهم انظر: ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص ص 242، 243، المقريزي: **اتعاظ الحنفاء**، ج1، ص236.

[5] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، 235.

[6] ابن عذارى: **نفسه**، ص247.

[7] أبو مناد باديس بن المنصور بن بلكين بن زيري بن مناد، يلقب بنصير الدولة، ولد بأشير سنة (374هـ/984م)، بدأت التصدعات في الأسرة الزيرية على عهد إذ حاول بعض أعمامه المخالفة عليه لصغر سنة الذي كان اثنا عشر سنة، لكن

العبيديين المذكورين، ألا وهو الحاكم بأمر الله[1] (386-411هـ/996-1020م)، فاتسمت العلاقة بالحسن والموالاة واستمرت السفارات والتعبير عن الولاء من قبل الزيريين، كاستقبال باديس لمبعوث الحاكم، القاضي الشريف الباهري سنة (387هـ/997م)، فخرج لاستقباله في جمع عظيم من خدمه أتباعه، وكان فحوى هذه البعثة إحضار ثلاث سجلات واحد بتلقيب باديس بنصير الدولة، والثاني بولاية الحاكم على مصر وفيه التعزية لباديس في أبيه، والثالث الذي طلب فيه من باديس تجديد البيعة منه ومن زعماء صنهاجة، فكان له ذلك وجهز الوفد بالأموال والهدايا من المغرب في عودته إلى مصر[2]، ورغم بعض التوترات التي عرفت العلاقة في مراحل لاحقة إلا أنها عادت إلى طبيعتها، بالولاء والتبعية للدولة العبيدية، حتى أنه تم إضافة برقة وأعمالها إلى حكم الزيريين سنة (403هـ/1012م)[3]، كما بقي الزيريون على إعتقادهم بإمامة العبيديين ولا يعترض على تدابيرهم، ويظهر ذلك في قول باديس: «لولا أن الإمام لا يتعرض على تدبير، لكتبته ألا يصرف هذا الأمر من ولده إلى ابن عمه»[4]، بعد ورود سجل من الحاكم بتغيير ولاية العهد من ابنه إلى ابن عمه أبي القاسم عبد الرحمان بن إلياس، واستمرت الحالة من تابعة الزيريين وتيعيتهم لبني عبيد، على الأقل من الجانب الظاهر حتى وفاة باديس أين ستبدأ الأمور منحى آخر.

وقوف عمه يطوفت إلى جانب حسم الأمر قال عنه الذهبي: « وكان باديس ملكا كبيرا حازما شديد البأس، إذا هز رمحا كسره» انظر ترجمته: ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص247، ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج6، ص208، الذهبي: **تاريخ الإسلام**، ج9، ص104، **ابن خلكان: المصدر السابق**: ج1، ص265.

[1] أبو علي المنصور بن العزيز بن المعز الملقب بالحاكم بأمر الله، ولد بالقاهرة سنة (375هـ/985م)، وولي خلافتهم وهو حدث دون الثانية عشر من عمره فكانت المبايعة له سنة (386هـ/996م)، فيما كانت ولاية العهد له في حياة أبيه سنة (383هـ/993م)، ذكر غير واحد من المؤرخين جوده بالمال، بالمقابل فاسد العقيدة، غريبا في سيرته وأحكامه وفي زمن أمر بسب الصحابة وكتابة ذلك على المساجد والشوارع، قال عنه الذهبي: « وكان شيطانا مريدا جبارا عنيدا، كثير التلون، سفاكا للدماء، خبيث النحلة»، وعن وفاته قيل أن أخته ت الملك هي من دبر قتله وكان ذلك سن (411هـ/1020م)، الذهبي: **السير**، ج15، ص173، **تاريخ الإسلام**، ج9، ص198، ابن خلكان: **المصدر السابق**، ج2، ص292، المقريزي: **اتعاظ الخنفاء**، ج2، ص3، ابن تغري: **المصدر السابق**، ج4، ص176، ابن الأثير: **المصدر السابق**، ج7، ص ص447، 586، عبد الله عنان: **الحاكم بأمر الله**، ص85.

[2] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص249.

[3] المقريزي: **اتعاظ الحنفاء**، ج2، ص99.

[4] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص260.

كما رأينا سابقا أن المعز لدين الله العبيدي أراد أن يطمأن على بسط نفوذه على بلاد المغرب قبيل رحيله، وكان له ذلك من خلال الحملات التي شنت على المنطقة، خاصة تلك التي كانت بقيادة جوهر ومشاركة زيري بن مناد، ورغم مقتل الأخير –زيري بن مناد– إلا أن خليفته بلكين استطاع تفريق جموع زناتة وعبر ابن خلدون عن ذلك في قوله: «فمحا من المغرب الأوسط آثار زناتة»[1]، وإعادة النفوذ الشيعي على المنطقة في هذه الفترة، لكن سرعان ما ستعود المقاومة السنية للظهور من جديد، خاصة من القبائل الزناتية المدعومة من قبل الخلافة الأموية بالأندلس، وهذا ما سنراه في المبحث التالي.

بمجرد رحيل المعز العبيدي عن المغرب وتولي بكلين بن زيري أمور المنطقة، سار الأخير إلى ضبط الأمور وإحكام سيطرته على الوضع، والقضاء على المحاولات الأولى للتمرد على الحكم الزيري بالمنطقة، كمخالفة أهل باغاية وتيهرت للدولة لكن تم القضاء عليها سريعا[2]، لكن الوضع لم يبقى على حالة الهدوء نفسها خاصة من قبل القبائل الزناتية المخالفة لقبيلة صنهاجة الزيرية في المذهب والولاء، فقام خزرون بن فلفل[3] في عام (367هـ/977م) بالاستيلاء على سلجماسة وقتل صاحبها أبا محمد المعتز، وإرسال رأسه إلى الأندلس[4]، أيضا ظهر في هذه الفترة قائد جديد من أمراء زناتة وهو زيري بن عطية[5] الذي استطاع جمع شتات قبائل زناتة والتغلب على المنطقة.

رد يوسف بلكين بحملة كبيرة استطاع إعادة ضم المناطق وتابع الزاناتيين حتى حصرهم بستة التي استعصت عليه[6]، ليعاود زيري بن عطية السيطرة على فاس والمغرب الأقصى،

---

[1] ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج7، ص38.

[2] النويري: **المصدر السابق**، ج24، ص170.

[3] خزرون بن فلفل بن خزر الزناتي، من أمراء بني خزر الزناتيين، قضى على إمارة بني مدرار بسلجماسة واستمر في حكمها تحت وصاية العامريين بالأندلس حتى وفاته.

[4] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص231.

[5] هو زيري بن عطية بن عبد الله بن خزر بن صولات الزناتي، الملقب «بالقرطاس»، استطاع السيطرة على فاس وغيرها بالمغرب الأقصى، كان مواليا للدولة الأموية بالأندلس وخاض عديد الحروب ضد الزيريين الموالين للعبديين، توفي (391هـ/1000م)، انظر ترجمته: ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج7، ص39 ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص252، الزركلي: **المصدر السابق**، ج3، ص63.

[6] النويري: **المصدر السابق**، ج24، ص174.

والدعوة للأمويين معاندا بذلك الزيريين والمذهب الشيعي، الذي كان في هذه المرحلة تحت المنصور بن بلكين، جهز هذا الأخير حملة كبيرة على رأسها أخوه يطوفت، هذه المرة أعد زيري بن عطة جيشه جيدا واستطاع أن يلحق بأتباع العبديين هزيمة نكراء، فصفى المغرب الأقصى سنيا خلال مرحلة حكم المنصور إذ لم يتعرض له بعد ذلك[1].

ليعود الصراع مرة أخرى بين قبائل زناتة وخلفاء العبيديين بالمغرب مع تولي باديس بن المنصور زمام الأمور، ففي سنة (389هـ/998م) توسع زيري بن عطية على حساب الزيريين ووصل تيهرت، التي كان عليها عم باديس يطوفت بن يوسف، استنجد الأخير بباديس الذي أوفد إليه وزيره محد بن أبي العرب ورافقه عمه حماد بن يوسف الذي كان واليا على أشير، جرت بينهم معارك كانت الغلبة للزناتيين وانهزم الصنهاجيون حتى حصرهم بأشير[2]، هذا ما حتم على باديس السير بنفسه وحين سماع زيري بن عطية تراجع ناحية الغرب.

عرفت المنطقة ثورة أخرى بقيادة زناتية أيضا مثلها فلفل بن سعيد، الذي كان له ولأبيه طاعة للزيريين، فسار باديس ناحية الغرب لمواجهة زيري بن عطية الذي تراجع أمام الجيش الزيري، وبعد ضبط الأمور قفل زيري عائدا، وكان ففل بن سعيد قد أحدث بعض البلابل بالمنطقة وحشد جيش من البربر وزناتة، فجرت حرب بينهم في ذي القعدة من سنة (289هـ/998م) كانت الغلبة للزيريين وباديس[3]، وظلت الأيام بين الزيريين القيادات الزناتية بين أخذ وشذب، حتى بعد وفاة زيري بن عطية (391هـ/1000م)، ووفاة فلفل بن سعيد (400هـ/1009م) الذي نقل الصراع ناحية طرابلس[4]، ولم تركن القبائل الزناتية للهدوء طيلة مرحلة حكم باديس، فافتعلت الثورات ومحاولات قلب النظام والتمردات سواء بالمغربين الأدنى والأوسط، أو بالمغرب الأقصى الذي كان ضمن الحدود التي تم السيطرة عليها من قبلهم، وخرجت من تحت حكم بني زيري.

---

[1] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص241، ابن الأثير: **المصدر لسابق**، ج7، ص441.

[2] ابن الأثير: **المصدر السابق**، ج7، ص508.

[3] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص251، ابن الأثير: **المصدر السابق**، ج7، ص530.

[4] ابن الأثير: **المصدر السابق**، ج7، ص531.

ثانيا: العودة إلى المذهب السني ومقاطعة المذهب الشيعي.

لم يكن القضاء على المذهب الشيعي الإسماعيلي بالغرب الإسلامي والعودة إلى المذهب السني ببساطة وإنما عبر مراحل استمرت أكثر من نصف عقد من الزمن حتى صفى المغرب الإسلامي سنيا كما كان قبل دخول الدولة العبيدية والتمكين لها بالمنطقة، ونعني عودة المذهب كمذهب رسمي للدول وغالبية الشعب والأهالي، ولا ننفي بقاء وجود بعض الاشخاص المتشيعيين بالمنطقة، لكن إن وجدوا فكان قلة دون حماية أو وصاية رسمية لهم، فكما رأينا تغلب المذهب الشيعي على المنطقة خاصة حواضر حكم الدولة العبيدية، التي عملت طيلة فترة تواجداها على نشر المذهب بشتى الطرق والوسائل، ورغم صمود وتحدي علماء السنة خاصة المالكية منهم إلا أن سياسة الترهيب والترغيب التي اتعبها حكام الدولة العبيدية وأتباعها ساهم في إعتناق العديد من أهالي المغرب للمذهب الشيعي الإسماعيلي، ومن بقي على سنيته تعرض لمختلف انواع التضييق والقمع والتنكيل، ومع رحيل العبيديين ناحية الديار المصرية عاد المذهب السني للظهور والنتشار تدريجيا حتى صفا الغرب الإسلامي سنيا على مذهب مالك، وبقي على ذلك إلى يومنا الحالي.

مرت السنوات الأولى من الحكم الزيري لبلاد المغرب على ما هي عليه، من اعتناق الدولة للمذهب الإسماعيلي كونه المذهب الرسمي للدولة والتبيعية الروحية والعقدية لبني عبيد بمصر، بالموازاة مع ذلك لم تخلوا المنطقة من الكيانات السياسية المتبعة للمذهب السني، فكانت بعض القبائل البربرية في الغرب الإسلامي مدافعة عن مذهب أهل السنة والجماعة معتنقة له، مدعومة من قبل الدولة الأموية بالأندلس، عملت قيادات هذه الثورات على توظيف الخلاف السني الشيعي من أجل حشد أكبر عدد من الأتباع المناوئين للسلطة الزيرية بالمنطقة والخروج عليها، وبالرغم من ذلك لم تستطع قطع الدعوة الشيعية بالمنطقة، والقضاء عليها نهائيا، لتعرف مرحلة القرن الخامس الهجري البدايات الأولى للقطيعة مع الذهب الشيعي مع الإنشقاقات التي حدثت في البيت الزيري نفسه.

كانت البدايات الأولى لظهور الصراع داخل البيت الزيري تحت الغطاء المذهبي سنة (405هـ/1014م) حين خالف حماد بن بلكين[1] الدولة الزيرية «وقتل الرافضة وأظهر السنة، ورضي عن الشيخين ونبذ طاعة العبيديّين جملة، وراجع دعوة آل العباس»، كما دخل باجة بالسيف وحرض أهل تونس على الثورة ضد الشيعة، ليتراجع نحو المغرب الأوسط بعد تحرك باديس نحوه، أين تم حصاره بقعلته حتى وفاة باديس سنة (406هـ/1016م)[2]، ورغم انفراد ابن خلدون وهو من المتأخرين بالإشارة لهذه التبعية وعزو الإنفصال إلى الجانب المذهبي.

إلا أنه يمكن إثبات الخبر بعديد القرائن والأخبار المتفرقة، خاصة وأن أغلب المصادر المصادر المغربية التي أرخت لتلك الحادثة إعتمدت على كتابات الرقيق القيرواني ت (420هـ/1029م)، وهو شيعي المذهب فمن المحتمل أنه تعمد وتحاشى ذكر بيعة حماد للعباسين[3]، وتعتبر هذه الأحداث سابقة بالمغرب الأدنى من حيث حجم الثورة، ومناهضتها للمذهب الشيعي بالمنطقة، ورغم فشل حماد في السيطرة وتراجعه إلى المغرب الأوسط فإن الحافز النفسي لهذه الأحداث كان كبيرا وهو ما سيؤثر على سيرورة الأحداث بالمنطقة، وسياسة الحكام الزيريين مع أهل السنة والجماعة، وعن حجم الأحداث ومدى تأثيرها على الزيريين بصفة خاصة والشيعة بصفة عامة، يكفي التدليل برد فعل باديس عقب هذه الأحداث، حيث عمل على نقل من كان يسكن بالقيروان من الصنهاجيين إلى المنصورية، كما أغلقت الدكاكين

---

[1] حماد: هو حماد بن بلكين بن زيري بن مناد، بدأ ذكر ضمن مسرح الأحداث بعد وفاة بلكين واعتلاء المنصور الدولة الزيزرية، فكان ممن تولى منطقة أشير والمسيلة رفقة أخيه يطوفت وعمه أبي البهار، وفي ولاية باديس بن المنصور عقد لحماد على أشير سنة 387هـ/997م، وساهم في صد الهجومات الزناتية على المنطقة، كما قضى على ثورة أعمامه ماكسن وزاوي الذي لجأ إلى الأندلس، أذن له باديس بعد ذلك بتأسيس قلعته المعروفة بقلعة بني حماد بالمسيلة النى «تم بناؤها وتمصيرها على المائة الرابعة، فصار حماد مسيطرا على المغرب الأوسط وصاحب حصنيين منيعين أشير وقلعة بني حماد، وفي سنة (405هـ/1015م) طلب منه باديس التخلي عن بعض أعماله منها قسنطينة وتيجس، فقام بالتمرد ومحاربة باديس ثم المعز ابنه من بعد، توفي (419هـ/1029م). انظر ترجمته الزركلي: **المصدر السابق**، ج2، ص271، ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج2، ص192، الادرسي: **المصدر السابق**، ج1، ص265، رشيد بورويبة: **المرجع السابق**، ص ص 17-35.

[2] ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج6، ص288.

[3] محمد نصير: **القطيعة الحمّادية للدولة الفاطمية: دراسة في الخلفيات السياسية والأبعاد المذهبية**، مجلة الدراسات التاريخية، المجلد 13، العدد 2، جامعة الجزائر 3، الجزائر، 2002م، ص ص 39-40.

والفنادق ولم يبقى منها إلا القليل، ما شكل أزمة في كراء الدكانين بالمنصورية[1]، وهذا ما يفسر تأثير هذه الأحداث وجديتها ومدى تخوف السلطة الحاكمة من تبعات هذه الأحداث ورد فعل أهل القيروان، التي تعتبر معقل أهل السنة خاصة المالكية بالمنطقة.

تلتها أحداث أخرى ذات طابع مذهبي متمثلة في حملة تقتيل واسعة بمدينة تونس للشيعة سنة (406هـ/1016م)، وكان الدور البارز في هذه الأحداث لشخصية مالكية ألا وهو الشيخ محرز بن خلف[2] (ت413هـ/1022م)، الذي يعزى إليه الوقوف وراء هذه الأحداث، الذي شجع الثائرين وحكم بالإعدام على الشيعة، فكان يؤتي بهم ويحكم عليهم بشهادته وحدته دون العدول، فان لم يثبت عليه شيئ يطلق[3]، وعن رد فعل السلطة الزيرية على هذه الأحداث فهناك تضارب في الأقوال، فالقاضي يورد غضب باديس على التونسيين، والوعيد لهم بالقضاء عليهم، في قوله: «تكون الأرض ولا تكون تونس»، وحين بلوغ الخبر التونسيين فزعوا لذلك، فهدأ محرز من روعهم بقوله: « بل تكون الأرض ولا باديس»، وكان دعائه سببا في هلاك باديس وسلامة الناس من شره[4]، بالمقابل هناك رواية أكثر واقعية ومجاراة للأحداث.

فحوى هذه الرواية أن المعز حين بلوغه أخبار ما حدث في تونس، كما تم الإيغار في صدره من قبل بعض الشيعة، على أهالي تونس وفقهائها بكرهم له وطعنهم فيه، فلما وصل الخبر إلى تونس بأمر باديس بعقاب أعيان البلد في أموالهم وأنفسهم، كان رد محرز بن خلف برسالة إليه ينصحه فيها ويحذره من وزراء السوء، حينها تراجع عن ذلك بل عاقب المحرضين من الشيعة، كما هناك إضافات أخرى كتسليم كتاب محرز إلى زوجته التي كانت حامل بالمعز

---

[1] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص216.

[2] محرز بن خلف: هو أبو محمد –وفي بعض المصادر أبو محمفوظ– محرز بن خلف ابن أبي رزين التونسي، ويرجع بعضهم نسبه ويصلونه إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، المعروف بالعابد، ولد عام 340هـ/950م، كان كثير التردد على القيروان، كما كانت له سماع من علماء مصر حينن رحلته للحج، عمل على نشر المالكي من خلال تدريس رسالة ابن أبي زيد وهو من أشار عليها بتأليفها، كان شديد على العبدين مجاهرا بمعاداتهم توفي رحمه الله سنة 413هـ/1022م، وقيل أن قبره نبش اثر الحملات الإسبانية على تونس فلم يوجد فيه شيء. انظر ترجمته: القاضي عياض: **المدارك**، ج7، ص264، الزركلي: **المصدر السابق**، ج5، ص284، ابن مخلوف: **المرجع السابق**، ج2، ص228.

[3] الهادي إدريس: **المرجع السابق**، ج1، ص155

[4] القاضي عياض: **المدارك**، ج، ج7، ص264.

فتركت[1]، لكن لاتهمنا وما يهم هو العلاقة التي كانت بين محرز وباديس، وموقف باديس من حملة تقتيل الشيعة بتونس، وما يدعم هذه الرواية أكثر هو الإعفاءات التي أقرها المعز بن باديس سنة (417هـ/1026م) عن المظالم والحوانيت والزروع لمحرز وعائلته وطلبته بتونس، وهي توسيع لإعفاءات قبلها كان قد أقرها والد من قبل[2]، ولعل هذه الإعفاءات كانت عقب الأحداث التي شهدتها تونس.

من خلال هذه الأحداث يمكن استنتاج أن الانتقال من المذهب الشيعي إلى المذهب السني بالمغرب بدأ مبكرا، ولم يأتي فجأة بل مر بعدة مراحل واختمر طوال سنوات قبل القطيعة الرسمية، كما أن ولاء الأمراء الزيريين للدولة العبيدية لم يتعدى الجانب الشكلي ولم يكن ذلك الاعتقاد الراسخ والإيمان الصادق بدعوتهم، وإنما تحكمت فيه عدة جوانب سياسية واقتصادية وحتى مذهبية، تم استغلالها من أجل المحافظة على ملكهم بالمنطقة، حتى وإن تطلب ذلك مناهضة الدولة الحاكمة كما رأينا في علاقة الزيريين بالعبدين، وحتى التساهل واحتواء المذاهب السني كما رأينا في تعامل باديس مع محرز وأهل تونس وسياسة الإعفاءات الضريبة[3]، من أجل استقطاب الجانب السني في مواجهة استمالتهم من قبل حماد.

بعد وفاة باديس خلفه ابنه المعز بن باديس[4]، (406-454هـ/1016-1062)، فكان من أهم الأمور التي تميز بداية حكم المعز، الخطر الزناتي على الدولة في الجنوب، إضافة

---

[1] روجي إدريس: **المرجع السابق**، ج1، ص156.

[2] محد نصير: **المرجع السابق**، ص53.

[3] **نفسه**، ص53.

[4] هو المعز بن باديس بن المنصور بن بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي، ولد بالمنصورية سنة (398هـ/1008م)، قال عنه الذهبي: « وكان ملكا مهيبا، سريا شجاعا، عالي الهمة، محبا للعلم»، كانت الولاية لأخ له يسمى المنصور لكنه توفي في بعض المعارك ضد حماد، فآلت الولاية للمعز بعد وفاة أبيه سنة (406هـ/1016م) وهو حدث بلغ من العمر ثماني سنوات، وبعد الانتهاء من مراسم الدفن والجنازة لباديس تم المبايعة لابنه المعز في أخبار يطول ذكرها، فكان دخوله المنصورية وبداية حكمه الفعلي في 15محرم (407هـ/1016م)، كما سانده في حكمه وتوطيده عمته أم ملال بنت المنصور التي كان يطلق عليها اسم السيدة، وساندته في القضاء على الفتن التي ورثت له أيضا ضمن ملكه ولعل أكبرها الصراع الذي كان مع حماد الذي انتعش طموحه بوفاة باديس وعاود التوسع على حساب الزيريين، نجح المعز في هزيمته وحصره في قلعته حتى تم الاتفاق بينهم سنة (408هـ/1018م)، واستمرت الأمور ودية حتى وفاة حماد ليرجع أبنائه إلى المخالفة فيما بعد، كان تابع للدولة العبيدية في بداية حكمه، ولقبه بشرف الحاكم بشرف الدولة وعضدها، ليبدأ الرجوع التدريجي لمذهب السنة حتى خلع طاعة العبديين ودعا للخلافة العباسية سنة (443هـ/1051م). انظر ترجمته: ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج6،

إلى مشكلتي الانفصال الحمادي مع تبعية الدولة الزيرية للعبديين بمصر وما يحمله من مشاكل ضمن عامة سكان المغرب السنيين[1]، وبدأت هذه الإرهاصات تظهر مذ توليه ونخص بالذكر الصراع السني الشيعي بالمنطقة، الذي بدأ فيه فصل جديد من التحول المذهبي بالمغرب الإسلامي، فلم تمر السنة على حكمه حتى هدت مدينة القيروان حملة أخرى للتقتيل ضد الشيعة الإسماعيليين، ففي شهر المحرم 407هـ/ جوان 1016م جرت أحداث هذه الواقعة.

كانت بدايتها في جولة للمعز واتفقت المصادر التاريخية أن سببها هو ترضي المعز على الشيخين–أبا بكر وعمر بن الخطاب– لكن نجد هناك اختلاف في مضمون وسبب الترضي، فرواية ابن الأثير والنويري، أن المعز كان يتجول في القيروان والناس يسلمون عليه، فسأل عن جماعات من الناس، فقيل له هؤلاء الرافضة وهؤلاء سنة، فتسائل عن معنى ذلك، فقيل له السنة يترضون على الشيخين، فقال: «رضي الله عن أبي بكر وعمر»، ومنها انصرف جماعة إلى ناحية تسمى «المقلى» معروفة بإقامة الشيعة فيها، وبدأت عمليات تقتيل للشيعة هناك[2]، أما ابن خلدون وابن عذارى فمضمون روايتها للحادثة أن المعز خرج في بعض الأعياد وتعثر به فرسه حينها نادى باسمي أبا بكر وعمر، وعند سماع الشيعة بذلك هموا بقتله، فتحاشد من كان هناك من أهل السنة خدما وعامة الناس لحمايته وجرت عملية التقتيل للشيعة[3].

فالرواية من جهة النويري وابن الأثير يشوبها شيء من الغرابة، فكيف للمعز أن يجهل الفرق بين السنة والرافضة، فبغض النظر عن صغر سنه إلا أبناء المسلمين عامة وأبناء الأسرات الحاكمة كانوا يعلمون منذ الصغر ويجتهد أوليائهم لانتداب أفضل المعلمين لذلك، بل وينهلون من شتى العلوم فكيف بالعلوم الدينية التي هي أساس هذه الأمة، بالمقابل رواية ابن عذارى أكثر إقناع خاصة ما ذكره من إخفاء المعز لسنيته، خاصة إذا راعينا جانب تأثير وزيره

ص10، ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص268، الذهبي: **السير**، ج18، ص140، الذهبي: **تاريخ الإسلام**، ج8، ص54، الزركلي: **المصدر السابق**، ج7، 269. ابن خلكان: **المصدر السابق**، ج5، ص233.

[1] الهادي إدريس: **المرجع السابق**، ج1، ص159.

[2] ابن الأثير: **المصدر السابق**، ج7، ص639، النويري: **المصدر السابق**، ج24، ص201.

[3] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص274، ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج6، ص211.

علي بن أبي الرجال[1] (ت426هـ/1035م) الذي تربى في رعايته[2]، ويؤكد ذلك أن فقهاء القيروان لم يستجيبوا لحملات التقتيل السابقة والتي كانت بإيعاز من حماد، فلم يخرجوا عن السلطة التي كانت شيعية التبعية فقط للدولة العبيدية، وعندما كانت عملية القتل بمباركة من السلطة الحاكمة أو البلاط الحيط بها، استجاب القيروانيون وفقهائهم بقوة[3]، ومن الحادثة نستشف الانتشار الواسع للمذهب السني، إذ لم يقتصر على أهل القيروان والتي ظلت في غالبيتها على المذهب المالكي، وحتى أيام حكم العبيديين وهذا ما اضطرهم لتخطيط مدن جديدة بعيدا لعدم ثقتهم بالأهالي، لكن الملفت أن المذهب السني كان منتشرا حتى بين أتباع وخاصة الدولة الزيرية قال ابن عذارى في سياق الحادثة: «فجاءه رجاله وعبيده ومن كان يكتم السنة»[4]، أي كان هناك تمثيل سني كبير يرقب الوضع وينظر اللحظة المناسبة من أجل المجاهرة بالأمر.

لم تكن هذه الحادثة أمرا عابرا وانما تراكمات لما تعرض له أهل السنة من اضطهاد ابان الحكم العبيدي، أيضا يستفاد من رواية الحادثة أن السنة كانت غالبة بمدينة القيروان على الأقل، حيث تحدث النويري وابن الأثير عن حدوث مقتلة عظيمة ونهب وتخريب، في مكان معين القيروان يعرف بدرب العلى معروف باجتماع الشيعة فيه[5]، أي أن الشيعة لم يمثلوا الغالبية وإلا لما عرفوا بمكان محدد وكان انتشارهم في جميع البلاد، وبما أنهم كانوا قلة حددت أماكن تواجدهم من قبل الغالبية السنية التي كانت خائفة من السلطان في اظهار مذهبها حتى أتت الفرصة الملائمة.

---

[1] ابن أبي الرجال: هو أبو الحسن علي بن أبي الرجال الشيباني، أصله ن تيهرت وعاش في القيروان، مشهور بعلم الفلك والرياضيات، له عديد المؤلفات في ذلك، منها «البارع في أحكام النجوم» عمل في دواوين الدولة الزيرية، وهناك وكانت له رعاية خاصة بالمعز بن باديس فعمد إلى تلقينه عقيدة أهل السنة والجماعة، ولعل هذا الذي جعل المعز ينبذ المذهب الشيعي ويرجع إلى مذهب أهل السنة والجماعة، توفي (ت426هـ/1035م). انظر ترجته: ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص 273، الزركلي: **المصدر السابق**، ج4، ص288، ابن مخلوف: **المرجع السابق**، ج2، ص149، محمد محفوظ: **المرجع السابق**، ج2، ص343.

[2] ابن عذارى، **المصدر السابق**، ج1، ص273.

[3] محمد نصير: **المرجع السابق**، ص51.

[4] ابن عذارى، **المصدر السابق**، ج1، ص273.

[5] النويري: **المصدر السابق**، ج24، ص201.

لم تتوقف الأمور على مدينة القيروان مركز أهل السنة بالمنطقة بل توسع النطاق ليشمل جميع المدن والحواضر الإفريقية، « فقتل من الشيعة خلق كثير، وأحرقوا بالنار ونهبت ديارهم، وقتلوا في جميع إفريقية»[1]، ولم تسلم حتى مناطق ومدن الشيعة نفسهم بل خرج الأمر إلى المهدية وباقي المدن فاحرقوا بالنار وقتلوا[2]، ولم يسلم إلا من اختفى أو هرب وبقي تتبع من اختفى منهم والترصد لهم، فاختفى بعضهم ببيت أحد الشيعة فلما طال الأمر وقل زادهم كان كلما خرج منهم أحد لشراء الزاد قتل[3]، تأثرت طرابلس أيضا بالأمر حيث تحدث التيجاني في ترجمته لأحد الأعيان[4]، أنه أول من أظهر السنة بالمدينة موازاة مع أحداث القيروان وتمت عمليات تقتيل للشيعة هناك أيضا كما قطع الآذان الشيعي[5]، وكان هناك خبر من القاضي عن تقدمهم إلى عاصمة الزيريين آنذاك وهدم دار الإمارة «وهدموا دار الإمارة بالمنصورة»[6]، لكن الأمر فيه نظر اذ لم نعثر على الخبر في مصدر آخر، وانما كانت دار الإمارة بالمهدية حسب ابن عذارى وصاحب المعالم[7].

يبدوا أن الأحداث خرجت عن النطاق لما عانى من أهل السنة من قبل العبيديين، فكانت الفرصة للانتقام وشارك فيها الغوغاء وعامة الشعب، هذا الذي انجر عنه اسراف في القتل، واشتهر موضع باسم بركة الدم لكثرة من قتل به[8]، حتى أن القتل شمل التنكيل والضرب والقتل النساء والأطفال[9]، وأيضا ذكرت المصادر قتل لمجرد الشك بانتمائه للشيعة فيبنا كانوا يسيرون به للشيخ حتى يأخذوا رأيه، أشار عليهم بعض العامة بقوله: «لمَ لا تقتلوه الآن فإن

---

[1] ابن الاثير: **المصدر السابق**، ج7، ص639.

[2] الدباغ: **معالم الايمان**، ج3، ص154.

[3] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص268.

[4] هو أبو الحسن علي بن محمد المنمر، الفرضي الطرابلسي، له كتاب الكافي في الفرائض، سمع من ابن أبي زيد وله رحلة إلى المشرق، توفي 432هـ/، 1040م. لتيجاني: **المرجع السابق**، ص ص 264، 265.

[5] التيجاني: **المرجع السابق**، ص265.

[6] القاضي عياض: **المدارك**، ج7، ص106، ينقل الهادي روجي ادريس نفس الخبر عن ابن عذارى والدباغ لكن الدباغ يقصد دار الامارة بالمهدية من سياق الحديث، **المرجع السابق**، ج1، ص182.

[7] الدباغ: **معالم الايمان**، ج3، ص154، ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص268.

[8] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص274.

[9] الدباغ: **معالم الايمان**، ج3، ص153.

كان رافضياً أصبتم وإن كان سنياً عجلتم بروحه الى الجنة»[1]، كما استغل البعض ذلك لأمور شخصية مثل عامل القيروان الذي بغله خبر بنية المعز في عزله بعد أن أصلح البلد وضبط أمورها فأراد إفساد عمله[2]، كما استغل البعض هذه الأحداث من أجل عمليات النهب والسلب، وهذا معروف في جميع الأمم والحقب من استغلال بعض ضعاف النفوس أي فوضى أو كوارث من أجل السرقة.

بعد خروج الأمور عن السيطرة واستفحال الفتنة أراد المعز أو لربما بعض الأشخاص من بلاطه السيطرة عن الوضع، فقاموا بتصرف غير حكيم ألا وهو تدبير وقتل من اتهم بالتحريض على الأمر، ألا وهو الشيخ أبي علي حسن بن خلدون[3]، تم اغتياله من قبل بعض المشارقة وشارك في العملية شرطة الدولة وعامل القيروان، ففي شوال 407هـ/ مارس 1017م دخلوا عليه وهو بمسجده بعد صلاة العصر وقتل[4].

زادت هذه الحادثة من تأجج نار الفتنة والعمليات التخريبية انتقاما لموته، ولا ندري سبب هذا التناقض بين المصادر حول شخصية المعز بين محب للسنة ناصر لها في بعضها، وعزو قتل بعض العلماء إليه، فالظاهر أن الأمر راجع لبعض الأشخاص في بلاط المعز من الشيعة ممن بقي ولائهم واعتقادهم راسخا في التشيع فأرادوا الانتقام، فلما زادت الفوضى حاولوا التملص من الأمر بجلب رجلين واعدامهما على أنها الفاعلين[5]، أو هو تصرف غير مدروس من المعز من أجل السيطرة على الوضع خصوصا بعد استفحال الفوضى، ومن أجل تبرير الأمر للحاكم العبيدي الذي أرسله إليه يستفسره عن الأمور[6].

---

[1] القاضي عياض: **المدارك**، ج7، ص106.

[2] النويري: **المصدر السابق**، ج24، ص201.

[3] أبو علي حسن بن خلدون البلوي، أخذ عن أبي الحسن القابسي وغيره، من فقهاء القيروان عرف بالزهد الورع ومجانبة أهل البدع والشدة عليهم، مطاع بين الناس ومسموع الكلمة، ممن أثنى على أهل تونس حين قتلهم الشيعة سنة 406هـ/1016م، وأنكر على أهل القيروان عدم مشاركتهم في الأمر، مات مقتول 407هـ/1017م، واتهمت فسه السلطة الزيرية وبلاطها بتدبير قتله. انظر ترجمته، القاضي عياض: **المصدر السابق**، ج7، ص104، الدباغ: **معالم الايمان**، ج3، ص152، ابن مخلوف: **المرجع السابق**، ج1، ص154.

[4] الدباغ: **معالم الايمان**، ج3، ص153.

[5] **نفسه**، ص154.

[6] G. Marçais, Arabes en Berbérie du XI au XIV siècle,Ernest Leroux, Paris, p52 .

لم تمر سنوات فترة طويلة حتى شهدت البلاد حملات أخرى ضد الشيعة، ففي سنة (409هـ/1018م) خرجت بعض البقايا الشيعية تريد المهدية للركوب منها ناحية صقلية، فلما فطن أهالي بعض القرى تم قتلهم[1]، عرف الوضع بعد ذلك بعض الهدوء لفترة وجيزة، ويرجع بعض الباحثين[2] الأمر إلى مقتل أشد الناس والمحرضين عليهم علي بن خلدون (407هـ/1017م)، وخلف بن محرز (413هـ/1022م)، واستمر أمر الهدوء حتى سنة (423هـ/1031م) أين أورد ابن الأثير اجتماع بعض الشيعة والسير ناحية نفطة والسيطرة على منطقة منها، فأرسل المعز من قام بمحاربتهم وقتل الشيعة[3]، وهذا الحادث يبرر الخلاف الذي كان بين السلطة الزيرية والشيعة أنفسهم، فلو كان تابعا للإمام معتقدا بذلك ما جاز الخروج عنه حسب معتقدهم.

استمرت الأحوال على هذا النسق من تراجع المذهب الشيعي وحصر أتباعه، مع بروز المذهب السني وغلبته على المناطق، بالموازاة مع ذلك ظلت السلطة الزيرية في تبعية الدولة الزيرية للعبيديين بمصر، أيضا خلال هذه الفترة انقسم المغرب الأوسط إلى دولتين زيريتين، الأولي من فرع باديس وهي صاحبة الشرعية العبيدية بالقيروان، الأخرى هي دولة حمّاد بن بلكين أصحاب القلعة، هذا بعد الاتفاق الذي جرى بين العز وحماد سنة (408هـ/1018م)، وما جرى من مصاهرة بينهم[4]، فبنو باديس كما قلنا ظلوا على ولائهم الظاهر للعبيديين، لكن بني حماد لم تسعفنا المصادر حول ماهية ولائهم للعباسيين وهل تم في ذلك مراسلات وغيرها من الأمور الرمزية، بالمقابل هناك بعض الأخبار عن محاصرة المعز لقلعة بني حماد سنة (432هـ/1041م)، وحسب النويري سبب ذلك عودتهم إلى ما كانوا عليه من النفاق، ودام الحصار لمدة سنتين[5]، ولعل النويري يقصد بالنفاق نبذ التشيع، أي الحماديين عادوا لطاعة العبيديين بعد الاتفاق الذي أبرم مع المعز، ويؤكد عدم ثبات الحماديين على تبعيتهم المذهب السني وولائهم السياسي خبر آخر عن خلع القائد بن حماد لطاعة العبيديين والعودة لمبايعة

---

[1] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص269.

[2] محمد نصير: **المرجع السابق**، ص51.

[3] ابن الأثير: **المصدر السابق**، ج7، ص755.

[4] ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج6، ص210.

[5] النويري: **المصدر السابق**، ج24، ص209.

العباسيين سنة (446هـ/1055م)[1]، وهذا يعني عودتهم للطاعة على الأقل في بعض مراحل الفترة الممتدة بين اتفاق المعز وحماد حتى هذا التاريخ.

وعن الأوضاع بالمشرق فقد بدأ الضعف ينخر الدولة العبيدية بوفاة الظاهر العبيدي واستخلاف المستنصر[2] (427هـ/1035م)، ودب الضعف في الدولة وكثرت القلاقل والخلافات، وزاد نفوذ بعض الوزراء حتى كان السلطة الفعلية للدولة[3]، بالمقابل قويت جبهة العباسيين بسيطرة السلاجقة على سدة الحكم وإعادة السيطرة على عديد المناطق بالشام والحجاز.

بدأ المعز في الانفتاح على مختلف القوى السياسية المجاورة، ففي سنة (426هـ/1035م) وصلته هدية لم يرى مثلها من ملك الروم « اشتملت عليه من أمتعة الديباج الفاخر وغير ذلك»[4]، فكان رد المعز بسفارة مماثلة لكن يرى البعض أن هذه السفارة مرت بالأندلس في سرية سنة (436-438هـ/1045-1047م) من أجل التمهيد للاستقلال عن القاهرة[5]، كما جرت مراسلات مع العباسيين ومحاولات للسيطرة على صقيلة، قبل أن يعلن القطيعة الرسمية مع الدولة العبيدية واختلف في تحديد التاريخ الرسمي لقطع العلاقة وذكرت في ذلك عديد التواريخ (433هـ/1032م)[6]، وآخرون قالوا (435هـ/1034م)[7]، فيما ذهب

---

[1] ابن الخطيب: **المصدر السابق**، ج2، ص329.

[2] أبو تميم معد بن الظاهر الملقب بالمستنصر (420-487هـ/1028-1093م) تولى وهو صغير عمره سبع سنوات وفي عهده فقدت الدولة العبيدية كثيرا من مناطق نفوذها كالمغرب، وجزيرة صقلية لصالح النورمانديين بقيادة روجير، وبلاد الحجاز. انظر ترجمته: المقريزي: **اتعاظ الحنفاء**، ج2، ص184، ابن العماد: المصدر السابق، ج6، ص376، الذهبي: **السير**، ج15، ص186.

[3] خاصة علي بن أحمد المعروف بالجرجائي الذي تدرج في المناصب حتى حظي بلقب الوزير الأوحد الأجل خاصة أمير المؤمنين وبلغ نفوذه حتى اتخذ علامات وتواقيع خاصة باسمه، ليختم بها على المحررات الرسمية. انظر ترجمه: علي ابن منجب ابن الصيرفي: **الإشارة إلى من نال الوزارة**، ت عبد الله مخلص، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي الخاص بالعادات الشرقية، القاهرة، مصر، 1924م، ص35.

[4] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص275.

[5] الهادي إدريس: **المرجع السابق**، ج1، ص ص 215، 216.

[6] ابن عذارى: **المصدر السابق**، ج1، ص275.

[7] قال بهذا التاريخ كل من ابن الاثير: **المصدر السابق**، ج8، ص46، النويري: **المصدر السابق**، ج24، ص201، الحموي: **معجم البلدان**، ج1، ص230، المقريزي: **اتعاظ الحنفاء**، ج2، ص190.

آخرون إلى تاريخ (440هـ/1048م)[1]، وحتى أن بعض المصادر قالت بتاريخ (443هـ/1051م)[2]، وبمقارنة التواريخ نرى الراجح من حيث الكثرة هو ما قال به ابن الأثير، بالمقابل يدعم تاريخ (440هـ/1048م) ، الذي جاء به ابن خلدون دليل مادي وهو العثور على نقود زيرية تعود لسنة بعد هذا التاريخ[3]، وإن يكن فقد تم الأمر وقطعت الدعوة العبيدية وخطب للدولة العباسية، ووردت عليه التشريفات والخلع، وأحرق بنود العبيديين ومحا الطرز والسكة وغيرها من الشعارات الرسمية[4].

[1] ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج6، ص211، ابن العماد: **المصدر السابق**، ج5، ص180، الزركلي: **المصدر السابق**، ج7، ص269.

[2] ابن تغري: **المصدر السابق**، ج5، ص50.

[3] رشيد بورويبة: **المرجع السابق**، ص45.

[4] ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج6، ص211، ابن الأثير، **المصدر السابق**، ج8، ص46.

ثالثا: دور الفقهاء المالكية خلال هذه الفترة

لم تكن الأحداث خلال هذه الفترة بمعزل على الفقهاء السنة بل كان التأثير الكبير من قبلهم على مجرى الأحداث، فمنذ تولي الزيريين لزمام الأمور ومغادرة العبيديين نهائيا من المنطقة، لاقى العلماء بعض الحرية فنشطوا من أجل إعادة بعث المذهب السني وإحيائه، فبعد التضييق طيلة الفترة السابقة بدأت العودة التدريجية وعاد النشاط العلمي للمساجد والمدارس والكتاتيب، فبرز عدة فقهاء بتعليمهم وتفقيههم للناس، ومن أمثلة ذلك ابن أبي زيد القيرواني (ت386هـ/996م)، الذي ألف رسالة في تعليم الصبيان وهي مؤلف خاص بالتعليم، ولو قارنا طلب ابن أبي زيد للعلم وفترة بروزه لكان واضحا ما كان يعانيه العلماء ابان فترة العبيديين، حتى أنهم كانوا يخفون الكتب تحت ثيابهم وهم قاصدين ابن الفقهاء للأخذ عنهم، أما خلال هذه الفترة فلاقوا بعض الحرية[1] وابن القابسي (ت403هـ/1012م) الذي ألف كتاب الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين[2]، كما كان لتفوقهم العلمي وشهرتهم الأثر في قصده من قبل طلبة العلم من شتى الأنحاء.

كما استطاع بعضهم النفوذ إلى بلاط باديس بن المنصور وبالتالي التأثير على السلطة العليا للبلاد حينها والعمل على المدى البعيد، من أجل تنشئة جيل من داخل السلطة ذو منهج سني سليم، بالموازاة مع عمليات التعليم ونشر الدين بين عامة الناس، فكان الاهتمام الأكبر الذي دأب عليه علماء تلك الفترة هو إعداد جيل ذو منهج سليم، فانعدام قيادة وشخصيات نافذة بالسلطة بقي العائق الكبير أمام التمكين للذهب السني والعودة بالبلاد إليه، لكون القرارات والنفوذ والقوة بيد السلطة ولابد من توغل داخلها من أجل إعطاء الشرعية والدعم للمذهب، وهذا ما عمل عليه ابن أبي الرجال كما رأينا مع المعز ابن باديس بتلقينه الدين الصحيح وإعداده للعودة بالبلاد لما كانت عليه من سنة، وهذا ما ذهب إليه ابن خلدون في حديثه عن المعز بن باديس في قوله: أنه كان «منتحلا للسنّة، فأعلن بمذهبه لأوّل ولايته ولعن الرافضة»[3]، أي أن

---

[1] الدباغ: **معالم الإيمان**، المصدر السابق، ج3، ص496، المالكي: **الديباج**، **المصدر السابق**، ج1، ص430.

[2] أحكام المتعلمين والمعلمين: وتسمي أيضا الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، حققها ونشرها الدكتور أحمد فؤاد الأهواني ضمن كتاب التربية في الإسلام طبعة القاهرة الثانية سنة 1955م. محمد مخلوف: **المرجع السابق**، ج4، ص48.

[3] ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج6، ص210.

المعز تربى على المذهب السني وإلا كيف لطفل بعمر السابعة أن يجتهد ويعرف الحقيقة وزيغ المذهب الشيعي، فأكيد أنه تربى على حب الصحابة أجمعين والترضي عليهم.

لم يقتصر عمل الفقهاء المالكية على المدن والحواضر التي بها غالبية سنية، أو تلك التي يقيمون بها كالقيروان والتي بقيت محافظة على عدد كبير من أهل السنة، بل عمدوا أيضا إلى الدعوة ونشر العلم في المدن الشيعية كالمهدية التي أرسل أبا الحسن القابسي إليها من يفقه اهلها وينشر العلم هناك، ويتعلق الأمر بأبي القاسم اللبيدي (ت440هـ/1080م)[1]، لكونه من أكثر الناس ارتباطا بالمذهب وبحثا في مسائل المدونة، كما انتقل غيره إليها وعلى سبيل المثال لا الحصر نجد الفقيه عبد الله بن عبد العزيز الحضرمي[2] (ت473هـ/1080م)، بل إن الفقهاء قصدوا الأمراء الزيريين أنفسهم بالنصح والتوجيه مثل الرسالة التي بعث بها خلف بن محزر لباديس ينصحه ويحذره من وزراء السوء، وما قيل من وضع زوجته الرسالة على بطنها وهي حامل بالمعز فببركته قطع الدعوة الشيعية[3]، وهذه النقطة وجب التحفظ عليها، وعن بروز الفقهاء المالكية في هذه الفترة صارت المنطقة معبرا لفقهاء الأندلس في رحلتهم العلمية[4]، ومنه نستنتج أن البيئة صارت أكثر أمنا للفقهاء ومن يقصدهم من الطلبة على العموم.

كما رأينا أيضا قادات زعامات سنية مالكية حملات التصفية التي حدثت بمختلف المدن، فمحرز بن خلف الذي رأينا أنه تزعم حملة تونس دون الخوف من السلطان وجرى مدحة من أبو علي بن خلدون في ذلك وأثنى على التونسيين[5]، رغم عدم جريان الأحداث في القيروان على ما جرت به في تونس وخذلانه من قبل أتباعه في أحداث (406هـ/1015م)، لكن في السنة الموالية كانت القيروان مركزا لبدأ أحداث جديدة، كما تزعم في مدينة طرابلس

---

[1] القاضي عياض: **المدارك**، ج7، ص254.

[2] هو أبو محمد عبد الله بن عبد العزيز التميمي، ومعروف بابن غرور، أصله من القيروان ونزل المهدية، قال عنه القاضي عياض: «كان رأس الفقهاء بالمهدية في وقته، كما كان له اهتمام خاص بالمدونة ودراستها، عرض عليه القضاء ورفض، وكانت وفاته سنة (473هـ/1080م). انظر ترجمته: القاضي عياض: **المصدر السابق**، ج8، ص108، سعد قاسم: **المرجع السابق**، ج2، ص722.

[3] روجي إدريس: **المرجع السابق**، ج1، ص156.

[4] محمد نصير: **المرجع السابق**، ص43.

[5] **نفسه**، ص46.

أبو الحسن علي بن محمد، وهو أول من أظهر السنة بالمدينة وقطع الآذان على صيغة الشيعة[1]، وهذا العمل الدؤوب من الفقهاء لم ناتج من تخطيط أو اتفاق بينهم، بل نابع من الرسالة التي حملوها وكلفوا بتبليغ في سبيل الله عز وجل وابتغاء لمرضاته، وأن قيام كل شيخ «على بلده من غير أن يكون لا اتفاق منهم على ذلك ما هي إلا كرامة في حقهم جميعا»[2].

بعد القطيعة الرسمية لدعوة بني عبيد من المنطقة لم يركن الفقهاء للراحة بل واصلوا المسيرة للقضاء على كل آثارهم ومخلفاتهم، فلما سأل المعز بن باديس الشيخين أبا عمران الفاسي[3] (ت430هـ/1038م)، وأبو بكر الخولاني (ت432هـ/1040م) [4]، عن حكم الصلاة في الثياب وعليها الطرز بأسماء الأئمة العبيديين مثل الحاكم والظاهر، فلم يخف الاثنين من كونه السلطان وكانت إجابة وفق ما نص عليه الشرع، فكان جواب الخولاني: «هذا سؤال أحمق أخرق قليل المعرفة»، وكان رد أبي عمران: «إنما يجب على من بسط الله يده أن يمنع من ذلك»، وهذا ما اضطر المعز السؤال عن سبب إجابة الخولاني بتلك الطريقة، فكان رده ببقاء المظاهر العبيدية من أعلام وبنود وسكة، لكن المعز برر ذلك أنه مداراة للعبيديين بسبب مرور الحجاج على مصر وعدم التعرض لهم[5]، والحقيقة أن المعز كان محقا فيما ذهب إليه من مداراة بحكم اتصال بلاد المغرب بمصر خاصة في الرحلات الدينية والعلمية، كما أن سيطرة العبديين الجانب الغربي من البحر المتوسط كان يحتم على الزيريين التعامل معهم

---

[1] التيجاني: **المرجع السابق**، ص ص 264، 265.

[2] الدباغ: **معالم الايمان**، ج3، ص153.

[3] أبو عمران موسى بن عيسى بن ابي حاج، أصله من قبائل زناتة وقيل ن هوارة، أصيل مدينة فاس واستقر بالقيروان وتفقه على شيوخها، برع في عديد العلوم كالفقه والأصول والحديث والقراءات، قال عياض كان من أعلم الناس وجع بين علم الحديث وفقه مالك، حتى تسيد المذهب بالمغرب رفقة الخولاني فلم يقارعها أحد، توفي (ت430هـ/1038م). انظر ترجمته: القاضي عياض: **المدارك**، ج7، ص243، الذهبي: **السير**، ج17، ص464، ابن مخلوف: **المرجع السابق**، ج1، ص158.

[4] هو أبو بكر أحمد بن عبد الرحمان بن عبد الله الخولاني، تفقه على يد بن أبي زيد والقابسي وغيرهم، كما رحل إلى مصر وسمع بها، قال عنه القاضي عياض: «شيخ فقهائها في وقته مع صاحبه أبي عمران الفاسي»، كما أجمع من عاصره أنه من أحفظ الناس، كان مجانبا للسلطان مترفعا عن مصاحبته، توفي (ت432هـ/1040م). انظر ترجمته: القاضي عياض: **المدارك**، ج7، ص239، الذهبي: **السير**، ج17، ص519، ابن فرحون: **المصدر السابق**، ج1، ص177، الدباغ: **معالم الايمان**، ج3، ص165.

[5] الدباغ: **معالم الإيمان**، ج3، ص ص 167، 168.

ومداراتهم حتى تتهيأ الظروف المواتية، خصوصا مع تراجع باقي القوى الإسلامية والأطماع الغربية في البحر المتوسط.

كما نشط فقهاء آخرون في مختلف المناطق من الغرب الإسلامي خاصتي المغربين الأدنى والأوسط مركزي الدعوة العبيدية، نشطوا من أجل إعادة إحياء المذهب في الغربين الأوسط والأقصى، كعبد الرحيم الكتامي[1] (ت413هـ/1022م)، فذكرت المصادر رحلته إلى الأندلس وإفريقية وملازمته ابن أبي زيد القيرواني، ليعود إلى سبتة بعديد الكتب «كالنوادر»، فكانت له رياسة العلم بالمغرب، وإليه الرحلة في طلبه[2]، كما نشط أيضا بمضارب قبيلة كتامة التي اعتبرت إلى عهد قريب مركزا شيعيا وعاد بهم إلى مذهب أهل السنة، فذكر عياض أنه: « وكان أكثر مدته في قومه كتامة» وأنه كان مطاعا ذو مكانة بينهم[3]، وواصل خلفه من أبنائه في تصدر رياسة العلم والدين ومن على شاكلتهم من العلماء.

هذا نبذة عن دور الفقهاء المالكية خلال هذه المرحلة، وأمثلة عملية للجهد الذي بذلوه ومواقفهم في سبيل إعلاء كلمة الحق، والعودة بالمنطقة إلى الدين الصحيح، ومنهج وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام رضوان الله عليهم.

---

[1] أبو عبد الرحمان عبد الرحيم الكتامي، المعروف بابن العجوز، نشأ في سبتة وله رحلة ناحية الأندلس والقيروان، حيث لازم الكثير من الفقهاء مثل ابن أبي زيد القيرواني، وتخرج عليه الكثير من الفقهاء بسبتة توفي سنة (ت413هـ/1020م). انظر ترجمته: ابن فرحون: **المصدر السابق**، ج2، ص4، القاضي عياض: **المدارك**، ج7، ص278، الذهبي: **السير**، ج17، ص374.

[2] ابن فرحون: **المصدر السابق**، ج2، ص4.

[3] القاضي عياض: **المدارك**، ج7، ص278.

من خلال ما سبق وخاتمة للفصل فان الملاحظ للأحداث يرى أن المقاومة السنية للدولة العبيدية استمرت طيلة فترة تواجدها بالمنطقة، لكن هذه المقاومة كانت على شكل ثورات وانتفاضات تفتقر إلى الزعامة والقيادة بالإضافة إلى افتقارها إلى التنظيم والتحضير لها، فكان الحكم عليها بالفشل كما رأينا في الأمثلة التي أوردناها كثورة أهل القيروان، حتى وإن استمرت هذه الانتفاضات لمدة مثل ثورة أهل طرابلس لكن منذ البداية كان محكوم عليها بالفشل لاتخاذها جانب الدفاع ومحاولة المقاومة دون أي تخطيط أو عمل للمبادرة والتوسع، أي الاستقلال برقعة صغيرة ومحاولة الحفاظ عليها.

أما فيما يخص ثورات قبائل زناتة فإنها استمرت طيلة فترة الحكم الشيعي للمنطقة أيضا، ورغم تعدد الأسباب التي ثار لأجلها الزناتيون إلا أن الجانب المذهبي الديني كان من أبرز تلك الأسباب، أيضا رغم أن هناك من يرى أن المقاومة الزناتية لعبيديين خارجية المذهب، إلا أننا نرى أن هناك تمثيل سني مالكي وكبير أيضا وهذا ما دعمته آراء عدة مصادر حول بقاء بعض البطون الزناتية على سنيتها مثل قبيلة مغرواة أشهر قبائل الزناتيين، وبالتالي فالصراع الزناتي العبيدي، غلب عليه في كثير من أطواره التأثير المذهبي.

ظهرت المقاومة السنية للعبيديين في المشاركة في ثورة أبي يزيد الخارجي، فكانت هذه المشاركة وفق سند فقهي مبني على اجتهادات فقهاء المالكية من أهل المنطقة والخروج بإجماع جواز المشاركة في هذه الثورة، وهذا لما رأوه من ممارسات وأفعال أتى عليها العبيديون تخرجهم من الملة وتنوء عن كفرهم الصريح، ومن خلال تظافر جهود مختلف التيارات والمذاهب بالمنطقة والتفافها حول قيادة واحدة نجحت هذه الانتفاضة التقدم السريع وتحقيق بعض الأهداف، لكن حكم عليها بالفشل لاحقا للتصدع الحاصل داخل معسكرها بسبب الاختلافات الكبيرة ومخططات الغدر والخيانة التي كانت تحاك، ورغم فشلها إلا أنها حققت بعض الحرية الدينية من خلال التغييرات التي جرت على نظام الحكم والسياسة العامة للدولة.

بالنسبة للصراع الأموي العبيدي فكان على الغالب صراعا غير مباشر ما عدا لقاءات قليلة مباشرة، ومن مظاهر الصراع بث الجواسيس والدعاة من الجانبين من أجل استباق الأحداث وإفشال المخططات من الجانبين، أيضا شن حملات من الدعاية السلبية والتشهير، كان قوامها لدى الأمويين الطعن في نسب بني عبيد وفضح معتقداتهم الباطلة والانحرافات

العقدية والتعبدية، التي جاؤوا بها وغيرها من المظاهر السلبية التي حاول العبيديون نشرها والترويج لها، أما من الجانب العبيدي فكان سلاحهم التشهير بماضي الأميون وما كان من عداء بينه وبين العلويين إبان فترة الخلافة الأموية.

أيضا عمل الجانبين خاصة الأمويون على دعم الثورات والانتفاضات الداخلية من أجل زعزعة الدولة من الداخل، إضافة إلى عقد الاتفاقيات مع مختلف القيادات والزعامات سواء القبلية أو الدينية وبذلك ضمنت تبعية الكثير من المناطق في بلاد المغرب لها بولاء قيادتها ومبايعتها للدولة الأموية بالأندلس.

لكن يبقى أهم مظهر من مظاهر الصراع الأموي العبيدي هو ذلك الذي شمل الجانب البحري، سواء بالإغارة على الثغور والموانئ من الجانبين أو عمليات التحصين ودعم المناطق الساحلية في محاولة للسيطرة على المجال البحري وحماية المصالح التجارية والاقتصادية في الشق الغربي للبحر المتوسط، إضافة إلى حماية أملاك الدولة وعدم المساس بأي جزء منها.

في مرحلة الدولة الزيرية بدأ المذهب السني بالتغلب على المنطقة والرجوع تدريجيا منذ مغادرة العبيديين لبلاد المغرب سنة (362هـ/972م)، أي قبل الإعلان الرسمي للقطيعة للعبيديين والبيعة للخلفاء العباسيين من قبل المعز بن باديس بفترة طويلة، كما أن الولاء لم يتجاوز الجانب الرسمي وتبادل السفارات والهدايا وكون المذهب الشيعي المذهب الرسمي للدولة، بحكم التغلب والسلطة، ولكن الواقع وعامة الشعب كانوا على الولاء للمذهب السني.

انتشار المذهب الشيعي وسيطرة على بعض الحواضر مثل العواصم العبيدية والمدن الممثلة للسلطة، أما باقي الحواضر خاصة القيروان بقيت سنية طيلة تواجد العبيديين وظهر الأمر جليا بعد مغادرتهم.

لم يتغلب المذهب الشيعي حتى على القبائل المساندة للنظام كقبيلة كتامة وصنهاجة، فقد بقي بين أبنائها تمثيل سني وبقيت المعارضة كلما سنح الوقت بذلك، فيما بقيت عدة قبائل على مذاهبها مثل زناتة التي لم تدخل الدعوة الشيعية إلا قليل منها.

خلال فترة حكم الزيريين ومذ توليهم السلطة عرف المذهب المالكي بعض الحرية، وبرز العديد من العلماء بالتدريس والمناظرة والتأليف وعقد حلق العلم مثل ابن أبي زيد القيرواني (ت386هـ/996م)، وأبي الحسن القابسي (ت403هـ/1013م)، وغيرهم كثير عكس المرحلة

التي سبقتها حيث عرف العلماء السنيين مختلف أنواع الاضطهاد والتضييق، بل حتى أن بعضهم جاهر بالمعاداة ومحاربة الشيعة دون الخوف أو الإرهاب مثل خلف بن محرز.

كما يلاحظ أن القضاء على المعارضين للشيعة في هذه الفترة تم بتحفظ وعمليات سرية من أجل التغطية على أفعالهم، عكس مرحلة حكم العبيديين حيث كان قتل العلماء يتم جهارا بل ويشهر بهم دون أي رقيب، مما يعني غلبة المذهب السني في هذه المرحلة.

الخـــــــــــــاتمـــة

ختاما لبحثنا خرجنا بعدة نتائج حول الموضوع نذكر منها:

أن الصراع الذي حدث في الغرب الإسلامي خلال فترة الدراسة، بين الجانب السني المالكي من جهة، والإسماعيلي العبيدي من جهة أخرى، كان حتميا ولابد منه وهذا لكون الخلاف القائم آنذاك خلاف أصولي عقدي، فلو كان الأمر متعلق بأمور سياسية أو سلطة حاكمة، لأمكن الوصول إلى حل بتغيير السياسة العامة أو بتغيير تلك السلطة، ولو كان هذا التنافر يُعزى إلى خلافات فقهية فرعية، مثل تلك التي تحدث بين المذاهب الفقهية السنية، لكان بالإمكان الوصول إلى اتفاق بالاحتكام لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، لكن الخلاف أشد من أن يتوصل فيه إلى حل وسط.

أهالي الغرب الإسلامي سُنِيُوا العقيدة، مالكيُوا المذهب، وهو الغالب على جل البلاد والمناطق، وساهم في تغلب المذهب المالكي والتمكين له بالمنطقة ونشر العلم وإرشاد عامة المسلمين لأمور دينهم ودنياهم، علماء كبار من أهل البلاد خاصة.

دخول المذهب الإسماعيلي بلاد الغرب الإسلامي كان عن طريق مجموعة من الأدعياء من أتباع بني عبيد، ركزوا نشاطهم في المناطق البعيدة، والقرى التي يغلب على أهلها الطيبة وحسن الظن، فاستطاعوا التمهيد للفكر الشيعي بالمنطقة، مستغلين عاطفة المسلين تجاه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأهل بيته الكرام، حتى وصل الأمر إلى تكوين قاعدة شعبية هناك، ساهمت في التأسيس للكيان الشيعي الإسماعيلي بالمنطقة، والذي كان حسب مخططهم البداية فقط، من أجل القضاء على الخلافة السنية، واستبدالها بخلافة شيعية إسماعيلية في مختلف الأقطار الإسلامية.

تم فضح المشروع منذ البداية من قبل الفقهاء وأصحاب الدراية، واتضحت الأمور أكثر لعامة الناس، بمجرد قيام الدولة العبيدية في بلاد المغرب الإسلامي، وهذا من خلال السياسة العامة لحكام هذه الدولة، التي قامت على محاولة نشر المذهب الشيعي بشتى الطرق والوسائل، مع التضييق ومحاولة طمس باقي المذاهب الأخرى، ومن أجل تحقيق هذا الأمر ساروا على سياسة مالية أفقرت عامة المسلمين، الغرض منها تحقيق الدعم المادي لمخططاتهم وأهدافهم في المنطقة وباقي الأقطار الإسلامية.

المشروع العبيدي قوبل بالرفض من جانب أهالي الغرب الإسلامي، لإدراكهم مدى الانحراف الكبير الذي تقوم عليه العقائد الإسماعيلية، من خلال ما لمسوه من ممارسات سواء من السلطة الحاكمة ممثلة في الأمراء العبيديين، أو بلاطهم وحاشيتهم وحتى عامة الناس من أتباعهم.

تجلت هذه الانحرافات في عدة جوانب وعلى مختلف الأصعدة، بدآ بالمعتقد الفقهي الذي كان مخالفا للمعتقدات والأصول الفقهية السنية، وبدا فيه الشرخ واضحا، كموضوع الإمامة، الذي يعتبر عند القوم المحور الأساسي الذي يقوم عليه الدين الإسلامي، وما شمله من خرافات وغلو نسجوه حول أئمتهم، والهالة التي أحاطوها بهم تقديسا وتعظيما، حتى الوصول بهم لمراتب الإشراك في النبوة والألوهية، مقاربين بذلك القرون الخالية من الأمم الشركية، التي جاء الإسلام محاربا لها وأول ما نادى به إبطال معتقداتها وتوحيد الله عزوجل.

إضافة إلى موضوع الإمامة، رافق ذلك انحرافات عقيدية أخرى، والإتيان بضروب من الزندقة والكفر، لم ينزل الله بها من سلطان، ملبسين على المسلمين أمر دينهم، بأحكام مستمدة من شرائع الأمم الغابرة، كعقيدة الغيبة والرجعة، وتناسخ الأرواح، وغيرها من الخرافات.

لم يسلم من تدليسهم مقدسات الأمة، بدآ بالقرآن الكريم والذي هو محفوظ ومنزه من لدن حكيم خبير، هذا الأمر لم يثنهم عن الخوض فيه، عن طريق ما يصطلح عليه لدى القوم علم الباطن، فأولوا واضح وظاهر الآيات القرآنية، وفق ما يخدم معتقداتهم ويذلل لهم الأتباع ونسبوا تلك التحريفات إلى أبناء علي رضوان الله عليهم بهتانا وزورا، كما شمل عدوانهم على مقدسات الأمة صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وزوجاته العفيفات أمهات المؤمنين بالقذف والطعن وحتى التكفير واتهامهم بالردة والنفاق، ممهدين بذلك للطعن وإبطال مختلف التشريعات والأحكام الإسلامية، التي كان هؤلاء الصحابة هم الناقل لها، والأمناء لإيصالها جيلا بعد جيل.

حتى العبادات شملها العبيديون بالتلبيس عليها، سواء بإبطالها نهائيا لعامة الناس وتحريمها عليهم كصلاة التراويح، أو إبطالها عن خاصة أتباعهم ومن بلغ مراتب معينة في مذهبهم، مستندين في ذلك إلى تأويلها لأمور أخرى، والجزء الباقي من العبادات طالتها عقائدهم بالتحريف والتبديل قصدا ومضمونا، من خلال التدليس على الناس حول العبادات ومقاصدها

والتغيير في أركانها وسننها، مع أن الأمور التعبيدية أمور وقفية لا يجوز الابتداع فيها، وإلا بطلت، فكان هدفهم واضحا وهو تعطيل الشرائع بأي طريقة ممكنة.

وفي محاولة لمنع كشف مخططاتهم، عملوا على التضييق على الجانب السني بشتى الطرق، مستهدفين في ذلك خاصة النخبة المالكية من الفقهاء، بالقتل والتنكيل والسجن والمتابعة، ومن سلم منهم تم الحجر عليهم، فمنعوا من الإفتاء والتعليم والقضاء، ومختلف المناصب التي يمكن لهم من خلالها فضح زندقتهم وفجورهم، ولم يسلم من عدوانهم حتى الجمادات التي تؤرخ لهوية البلاد الإسلامية، من مساجد ومباني وغيرها، فعمدوا إليها بالتخريب والتبديل

هذا الواقع الجديد خلق ردة فعل عامة من مجتمع الغرب الإسلامي، وفقهائه بلفظ المذهب الشيعي العبيدي ومحاربته، وإن شذ عن هذا الأمر فئة قليلة، بسبب مآرب دنيوية بحتة، ترجمت ردة الفعل هذه إلى الرفض السني للمذهب العبيدي، ومعاداته مستخدمين مختلف الطرق والأساليب في ذلك.

كان لاستناد فقهاء المالكية في تأصيل مسألة العبيدين إلى ما ينص عليه الشرع، والحكم عليهم وفق ذلك، الأثر الكبير في إقناع العامة بضرورة محاربتهم، ورفض الانضواء تحت لوائهم بمقاطعة الدولة العبيدية وأجهزتها، سواء في الجانب الديني، أو الجانب الدنيوي والثبات على ذلك، رغم مختلف الصعوبات التي واجهتهم، بالموازاة مع ذلك العمل على نشر العلم وإحياء المذهب السني كلما سنحت الفرصة لذلك، مستخدمين كل الطرق والوسائل المتاحة، منها الاحتكاكات التي لاقتهم بالسلطة العبيدية في المناظرات الفقهية واللقاءات السياسية من أجل الانتصار للمذهب السني المالكي، وتبيان المؤاخذات على المذهب الإسماعيلي، سواء لأتباع المذهب أو لعامة المسلمين.

لم يقف رد فعل أهالي المغرب وفقهائه على الجانب العلمي والسلمي فقط، بل وصل الاحتكاك مع السلطة العبيدية إلى الثورات والحروب المسلحة، منذ بداية الوجود العبيدي بالمنطقة، تمثل في عدة ثورات منفصلة بالمدن والحواضر المغربية، لكن افتقارها إلى الجانب التنظيمي والتنسيق فيما بينها، سهل القضاء عليها من قبل السلطة الحاكمة.

كان للقبائل البربرية الدور الكبير في مقاومة المد الشيعي، خاصة قبائل زناتة والتي استمرت مقاومتها طيلة فترة الحكم الشيعي بالمنطقة، ورغم تعدد الأسباب التي ثار لأجلها الزناتيون إلا أن الجانب المذهبي الديني كان من أبرز تلك الأسباب، حتى وإن تعددت المذاهب التي مثلتها قبائل زناتة، إلا أنه غلب على العديد منها المذهب السني، وهذا ما أكدته عديد المصادر حول بقاء بعض البطون الزناتية على سنيتها، مثل قبيلة مغرواة أشهر قبائل الزناتيين، وبالتالي فالصراع الزناتي العبيدي، غلب عليه في كثير من أطواره التأثير المذهبي المالكي.

عكس ثورات المدن المغربية، شكلت العصبية القبلية لقبيلة زناتة، بمختلف بطونها العثرة والعائق الدائم أمام تقدم الدولة العبيدية وسيطرتها على المنطقة، وإن عزونا سبب المقاومة الزناتية للدولة العبيدية إلى الجانب الديني المذهبي، إلا أننا لم ننفي تأثير الجانب القبلي والعصبي في هذا الصراع، الذي حافظ على ديمومة واستمرار الصراع، وإن خف وتقلص عبر مراحل إلا أنه يعود بمجرد مؤاتات الظروف، وتوفر القيادة المؤهلة لذلك أو حتى تراخي وانشغال الجانب العبيدي.

من الصور التي أظهرت تأثير العصبية القبيلة، ودورها في الأحداث السياسية للمنطقة نجد ثورة أبي يزيد الخارجي، فرغم احتواء هذه الثورة لشتى القبائل البربرية، ومختلف المذاهب والتوجهات العقدية، إلا أن استنادها في البداية كان إلى عصبية قبلية ممثلة في قبائل بنو كملان من هوارة، وإلا لحُكم على الثورة باللحد وهي وليدة، بالقضاء على صاحبها بعد اعتقاله، كما أظهرت لنا هذه الثورة دور القيادة والتخطيط، مع عدم العجلة في التنفيذ، وأخذ كل الوقت في التحضير، في نجاح الثورات والحروب، كما بينت لنا أن الشقاق بين المقاتلين في الجبهة الواحدة، وإضمار سوء النية والغدر، يحكم على المجموعة بالفشل ولو بعد حين، وهذا ما حدث في ثورة الخارجي.

من خلال البحث لاحظنا نقص إن لم نقل انعدام التمثيل الرسمي، على الجانب العملي في الصراع من السلطات الرسمية، ممثلة في الخلافة العباسية وغيرها من القوى الإسلامية الأخرى، والسبب في ذلك المشاكل التي كانت تعاني منها ومرحلة الضعف التي كانت تمر بها، بالمقابل بزرت قوة إسلامية على مسرح الأحداث ألا وهي الدولة الأموية بالأندلس، وجرى لها عديد الاحتكاكات بالجانب العبيدي في الغرب الإسلامي.

كان لهذا الصراع عديد الأسباب التاريخية والفقهية حتى الجغرافية وتداخل المصالح، فبدا محتشما عبر عديد المراحل غير مباشر، متمثلا في حملات من الدعاية المغرضة والحملات التشهيرية، قوامها ضرب الجانب العقدي والتاريخي للطرف الآخر، من أجل تأليب العامة، رافقه عمليات لزرع وبث الدعاة والجواسيس من الجانبين، من أجل نشر الأفكار والمعتقدات الخاصة بكل جانب، ومعرفة الأخبار والمستجدات.

تطور الصراع بعدها إلى دعم مختلف القوى المعادية بالمنطقة، وخلال هذه المرحلة بزرت أهمية العصبيات القبيلة وقيادتها على سير مجرى الأحداث السياسية، وتغير موازين القوى، من خلال تغيير صفها وولائها، ليصل الصراع في آخر المطاف إلى مواجهات مباشرة، حول الممتلكات ومناطق النفوذ، شمل الجانب البحري إضافة إلى الجانب البري.

ننوه من خلال البحث إلى الأثر السلبي لهذه الصراعات، من خلال فتح المجال للقوى الخارجة، للبروز والطمع في السيطرة على البلاد الإسلامية ومناطق نفوذها، خاصة القوى الصليبية بمختلف توجهاتها وقواها، فمعروف عنها عدائها الدائم والمستمر لكل ما هو إسلامي وتحين الفرص للنيل منه.

الارتباط المذهبي لسكان المغرب بالمذهب المالكي السني، وعدم نجاحهم في نشر مبادئ مذهبهم الإسماعيلي وترسيخه، لضمان الولاء التام، وغيرها من الأسباب السالفة الذكر عجلت برحيل العبيديين عن المنطقة، لكن لم تكن الدافع الوحيد لرحيل العبيديين عن المنطقة، بل كون المنطقة لا تخدم المصالح السياسية والاقتصادية المخطط لها من قبل العبيديين، الرامية إلى السيطرة على العالم الإسلامي وتصدره، ويظهر ذلك من خلال الحملات المبكرة لعبيد الله المهدي ناحية المشرق.

المتتبع للأحداث التاريخية يظهر له جليا أن عودة المنطقة لهويتها السنية بدأ تدريجيا منذ (362هـ/972م)، أي مباشرة بعد رحيل العبيديين عن المنطقة، ولا نعني من خلالنا قولنا بالعودة أن المنطقة غلب عليها المذهب الشيعي، فالدلائل التاريخية تشير أن المدن التي اعتبرت شيعية والقبائل الموالية للسلطة كانت بها فئة سنية كبيرة، فكيف بالقبائل والمدن التي عُدت سنية، إنما نقصد المذهب السني كان مغيبا بسبب التضيق من قبل السلطة الحاكمة.

كما لاحظنا حصول الفقهاء المالكية على بعض الحرية الدينية، خلال مرحلة الحكم الزيري، ما شجع الفقهاء المالكية على النشاط العلمي والدعوي من خلال التعليم والتأليف وحلق الذكر والمناظرة، ومناصحة السلطان، واستمر العمل الجاد حتى العودة بالبلاد للمذهب السني رسميا من قبل الدولة الحمادية، ثم بعدها الدولة الزيرية، وإعلان القطيعة الرسمية للمذهب الشيعي ونبذه.

وفيما يخص التوصيات وآفاق الدراسة

القيام بدراسة مقارنة عن الدولة العبيدية في مرحلتها المغربية إضافة إلى انتقالها لمصر، بدراسة الاختلافات في مراحل التمكين والدعوة، إضافة إلى انتشار المذهب الإسماعيلي بالمنطقتين وتغلغله بين عامة الناس، وأسباب ذلك.

القيام بدراسة حول العادات والتقاليد وبعض الممارسات التي ألفها المجتمع المغربي عامة والجزائري خصوصا، والتي هي من مخلفات الدولة العبيدية والمعتقد الشيعي بالمنطقة ومن خلال هذه الدراسات تأصيل عديد العادات والتقاليد المتوارثة لدى أهالي المغرب وتبيان حقيقتها ومنبعها الأصلي محاربة كل مخلفات العقائد الباطنية والقضاء عليها من توضيح الانحراف الكبير فيها لعامة الناس

الملاحق

الملحق رقم (1): محضر الطعن في نسب العبيديين الذي أقره مجموعة من الفقهاء والمتكلمين والقضاة والمحدثين من أهل السنة وحتى الشيعة سنة (402هـ/1012م). [1]

«وفي ربيع الآخر منها كتب هؤلاء ببغداد محاضر تتضمن الطعن والقدح في نسب الفاطميين وهم ملوك مصر وليسوا كذلك، وإنما نسبهم إلى عبيد بن سعد الجرمي، وكتب في ذلك جماعة من العلماء والقضاة والأشراف والعدول، والصالحين والفقهاء، والمحدثين، وشهدوا جميعا أن الحاكم بمصر هو منصور بن نزار الملقب بالحاكم، حكم الله عليه بالبوار والخزي والدمار، ابن معد بن إسماعيل بن عبد الله بن سعيد، لا أسعده الله، فإنه لما صار إلى بلاد المغرب تسمى بعبيد الله، وتلقب بالمهدي، وأن من تقدم من سلفه أدعياء خوارج، لا نسب لهم في ولد علي بن أبي طالب، ولا يتعلقون بسبب وأنه منزه عن باطلهم، وأن الذي ادعوه إليه باطل وزور، وأنهم لا يعلمون أحدا من أهل بيوتات على بن أبى طالب توقف عن إطلاق القول في أنهم خوارج كذبة، وقد كان هذا الإنكار لباطلهم شائعا في الحرمين، وفي أول أمرهم بالمغرب منتشرا انتشارا يمنع أن يدلس أمرهم على أحد، أو يذهب وهم إلى تصديقهم فيما ادعوه، وأن هذا الحاكم بمصر هو وسلفه كفار فساق فجار، ملحدون زنادقة، معطلون، وللإسلام جاحدون، ولمذهب المجوسية والثنوية معتقدون، قد عطلوا الحدود وأباحوا الفروج، وأحلوا الخمر وسفكوا الدماء، وسبوا الأنبياء، ولعنوا السلف، وادعوا الربوبية»

وكتب في سنة اثنتين وأربعمائة، من جملة الموقعين على المحضر من العلويين: الشريف المرتضى والرضي وابن الأزرق الموسوي، وأبو طاهر بن أبي الطيب، ومحمد بن محمد بن عمرو بن أبي يعلى.

ومن القضاة: أبو محمد بن الأكفاني وأبو القاسم الجزري، وأبو العباس بن الشيورى.

ومن فقهاء أهل السنة: أبو حامد الإسفراييني وأبو محمد بن الكسفلى، وأبو الحسن القدوري، وأبو عبد الله الصيمري، وأبو عبد الله البيضاوي، وأبو علي بن حمكان.

---

[1] الذهبي: **تاريخ الإسلام**، ج9، ص ص10-11، ابن كثير: **المصدر السابق**، ج11، ص ص345-346.

الملحق رقم (02): سلسلة الأئمة العبيديين كما أوردها الداعي جعفر بن منصور اليمن (ت365هـ/975م) استنادا إلى رسالة تلقاها من عبيد الله المهدي أول الأئمة العبيديين.[1]

«لما اشتدت المحنة وعظمت التقية في أيام جعفر بن محمد صلوات الله عليه كتم اسم الإمام من ولده تقية عليه. فلم يطلع عليه في حياة جعفر بن محمد ولا بعد وفاته صلوات الله عليه، إلا أوثق الثقاة من شيعته، وكان يقول: «التقية ديني ودين آبائي، ومن لا تقية له فلا دين له».

فتلعق كل فرقة من الشيعة بواحد من أربعة من ولد جعفر بن محمد وهم: موسى وإسماعيل ومحمد وعبد الله، وكل منهم على غير عقد موكد منه . وكان صاحب الحق جعفر بن محمد صلوات الله عليه، فلم يكن علم مقامه إلا عند الأبواب والثقاة تقية عليه. وقد تعلق به قوم [على] غير هذه الحقيقة توهما منهم.

فلما أراد الأئمة من ولد جعفر إحياء دعوة الحق خافوا من نفاق المنافقين فتسموا – صلوات الله عليهم– بغير أسمائهم، فجعلوا أسمائهم للدعوة في مقام الحجج، فتمسوا بمبارك وميمون وسعيد للفأل الحسن في هذه الأسماء .

وأشاروا بالإمامة لعبد الله وتسمى بإسماعيل، ودعوا إلا أن المهدي صلوات الله عليه اسمه محمد بن إسماعيل، لأنه محمد وهو من ولد عبد الله الذي تسمى بإسماعيل، فنافق جماعة ممن دُعيّ، فذكروا إسماعيل ومحمد بن إسماعيل، وهما لا يوجدان وأصحاب الحق سالمون آمنون.

فكان كلما ما قام منهم إمام تسمى بمحمد، والإشارة في الدعوة إلى محمد بن إسماعيل، والمراد بإسماعيل عبد الله، والمراد بمحمد بكل من كان بعصره إلى أن يظهر صاحب الظهور وهو محمد، فتزول التقية. والأمر منتظم بهذه التسمية .

فقال مولانا صلوات الله عليه حين ذكر في كتابه هذا المعنى من التقية في الأسماء، قال: جعل الله فيها خير كثيرا. فكان الإمام عبد الله بن جعفر، ثم بعد [محمد] بن عبد

---

[1] حسين بن فيض الهمذاني: **في نسب الخلفاء الفاطميين**، ط1، مطبوعات الجامعة الأمريكية بالقاهرة، القاهرة، مصر، 1958م، ص ص 9–12.

الله، [ثم عبد الله بن محمد]، ثم أحمد بن عبد الله. فكل هؤلاء تسمى بمحمد محمد، خلا عبد الله بن جعفر، فإنه تسمى بإسماعيل، هكذا ذكر مولانا صلوات الله عليه في كتابه.

الملحق رقم (03): نص الكتاب الذي أرسله الداعي عبد الله الشيعي إلى البلدان بعد الاستلاء على بلاد المغرب.[1]

بسم الله الرحمن الرحيم: الحمد لله رب العالمين وصلى الله على رسوله محمد وعلى أهل بيته الطاهرين. أما بعد فالحمد لله الناصر لأوليائه لما سبق لهم من وعده والخاذل لأعدائه بعد الأعذار إليهم بوعيده، الذي لم يجمع بين أنصار الحق وأتباع الباطل في مواطن من مواطن التحاكم إلا وهب لأنصار دينه النصر وأيّدهم بالعز وأنزل بأعدائه البأس والنقمة والدمار والهلكة إظهارا لفضل منزلة الحق عنده وإذلالا لمن عند عن سبيله وصدف عن حقه، حمدا يرضاه ويتقبله ويحسن المزيد عليه من فضله.

229–وإني لم أزل بحمد الله ونعمته مذ قمت لله بواجب حقه ذابا عن دينه طالبا ثأر أوليائه، آمر بالمعروف وأدعو إليه وأنهى عن المنكر وأحذر منه، أحيي ما أماته الظالمون من معالم الحق، وأجاهد أعداء الله المارقين المغتصبين حق آل رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم أقدم الموعظة إلى بني الأغلب والإنذار بانتقاص أطرافهم وتطرق مدائنهم طمعا في إنابتهم إلى الحق ورجوعهم إليه وإقرارهم به ودخولهم تحت لوائه متوقفا عن التقحم عليهم رجاء حقن دماء المسلمين، فكلما ازددت بالرفق بهم بصيرة ازدادوا في الضلال تماديا وعلى ظلم عباد الله تعاونا وعلى المعاصي جراءة وفي الغي إقداما لا يرجعون إلى تقيّة ولا يرعون لله إلّا ولا ذمّة.

230–فلما يئست من إنابتهم وانقطع طمعي من توبتهم رأيت أنه لا يسعني ترك مناجزتهم فقصدت ببعض جيوشي المنصورة وعساكري المؤيدة مجتمع جيوشهم بالأربس واثقا بالله متوكلا عليه منتجزا ما وعد أولياءه فيمن نصب لهم وعاداهم وتولّى سواهم. فمنح الله أولياء دينه أكتافهم فقتلوهم أبرح القتل في كل واد ومغارات ومدغل وتفرق من سلم منهم شذوذا قد استأصل الله شأفتهم وكسر شوكتهم واجتاح ناجمهم ووصل فلّهم إلى المخذول زيادة الله فأسلم ملكه وخرج هاربا قد أوبقته ذنوبه ومعصيته

[1] القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص ص 252–257.

وأسلم أهله وماله وولده وأهل بيته وكان في فراره أعظم الخير للمسلمين في حقن دمائهم وقطع ظلمه وجوره عنهم.

231- فسدلت على حرمه ستر العفاف وحفظت منهنّ ما لم يحفظه من ذمارهنّ احتسابا لثواب الله وإتباعا لقوله جل ذكره: (ولا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى) بعد إن كنت عزمت على الانصراف لأخفف الوطأة على أهل القيروان رفقا بهم وإعذارا إليهم حتى أتاني رسولهم وتلقاني علماؤهم وشيوخهم يسألونني الأمان لهم والحوطة عليهم ويرغبون في ذلك إلي، فأجبت سؤالهم وحققت آمالهم وسكنت دهماءهم وشملت بالأمان البريء والنطف والبر والفاجر منهم ومن غيرهم بعد أن أحاطت بهم العساكر المنصورة والجيوش المؤيدة وتلافيت نفرة النافر وقبلت فيئة الرّاجع وأقلت المستقيل طلبا لعظيم ثواب الله الجزيل. وأنتم -معشر أهل بلدا كذا- داخلون فيما دخلتم فيه وصائرون من الأمان والحفظ والحوطة إلى ما أصرتهم إليه ما قبلتم ذلك وما أقبلتم عليه وعرفتم فضل النعمة عليكم به فاسمعوا وأطيعوا واثبتوا وأجيبوا واحمدوا الله ربكم على ما وهب لكم ودافع عنكم، وكونوا في الحق أعوانا وعلى إماتة الباطل أنصارا تظفروا بحظكم واشكروا الله على أنعامه عليكم يدم لكم ذلكم ويزدكم، ولا تكفروا فيوقع بأسه بكم فإنه يقول وهو أصدق القائلين: (لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ولَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذابِي لَشَدِيدٌ) .

وأمر أن يزاد في النسخة المرسلة إلى أهل صقلية ما يلي:

وأنتم معشر أهل جزيرة صقلية أحق بما أوليته من المعروف والإحسان وأزديته وأولى به وأقرب إليه لقرب داركم من دار المشركين وجهادكم الكفرة الظالمين. وسوف أملأ إن شاء الله جزيرتكم خيلا ورجلا من المؤمنين الذين يجاهدون في الله حق جهاده فيعز الله بهم الدين والمسلمين ويذل بهم الشرك والمشركين، والحول والقوة لله العلي العظيم وهو حسبنا ونعم الوكيل .

الملحق رقم (04): صيغة الدعاء التي أمر بها عبيد الله المهدي غداة وصوله رقادة واستلامه زمام الأمور في ربيع الثاني سنة (297هـ/909م).[1]

«اللهم فصلّ على عبدك وخليفتك القائم بأمر عبادك في بلادك عبد الله أبي محمد الإمام المهدي بالله أمير المؤمنين كما صليت على آبائه خلفائك الراشدين المهديين الذين كانوا يقضون بالحق وبه يعدلون! اللهم وكما اصطفيته لولايتك وأخرته لخلافتك وجعلته لدينك عصمة وعمادا ولخلقك موئلا وملاذا فانصره على أعدائك المارقين وأشف به صدور المؤمنين وافتح له مشارق الأرض ومغاربها كما وعدته على العصاة الظالمين إله الخلق رب العالمين».

[1] القاضي النعمان: **افتتاح الدعوة**، ص ص 293-294.

الملحق رقم (05): نماذج من المناظرات التي جرت بين فقهاء المالكية والعبيديين.

المناظرة الأولى[1]: بين الفقيه أبي سعيد عثمان بن الحداد (ت298هـ/911م) وأبي العباس المخطوم (ت298هـ/911م)

قال أبو عثمان سعيد بن محمد: أتاني رسوله، -يعني أبا العباس- فدخلت عليه في قصر إبراهيم بن أحمد بن الأغلب- : وحوله أصحابه، ومعي موسى القطان- فسلمت وجلست' وقد كان جاءه من قبل ذلك جميع أهل بلدنا -من أهل العلم- بغر إرسال.

فقلت له: قد كان قبلك في هذا القصر وقد علم الله وعلم من حضر – من أصحابنا أني لم أكن بجياء للموك، ولا آتي أحدا منهم بغير رسول.

فتكلم معي ثم قال لي: من أين قلت بالقياس؟ قلت: قلته من كتاب الله.

قال: وأين هو في كتاب الله؟

قلت: قال الله: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّداً فَجَزاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوا عَدْلٍ مِنْكُمْ) (سورة المائدة الآية 95)، فالصيد منصوص، والذي أمرنا أن نمثله ليس بمنصوص، فعلمنا بذلك من دين الله، تمثيل ما لم ينص، بما نصّ.

ثم قال: ومن ذووا عدل؟ وأومأ إليّ أنهم قوم دون قوم.

قلت: هم الذين قال الله فيهم- في المراجعة من الطلاق- (وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ) (سورة الطلاق الآية 2)

(قال أبو عثمان) وأجابه موسى القطان- من فوره- بحديث علي في الخمر إذ قال في السكران: «إذا سكر هذى، وإذا هذى إفترى»، فوجب عليه ضرب ثمانين أدنى أن يضرب ثمانين.

فقال له: ألم يقل النبي صلى الله عليه وسلم: علي أفضلكم»؟!

قال أبو عثمان: فقلت لموسى وفي حديث» ومعاذ أعلمكم بالحلال والحرام، وعمر أقواكم ف يدين الله».

---

[1] موضوعها: مشروعية القياس عند أهل السنة وإنكاره من قبل الإسماعيلة. أنظر الخشني: **قضاة قرطبة**، ص ص258-262.

فكلمه بذلك فغضب، وقال: يكون أقولهم في دين الله، من فر بالراية يوم خيبر؟!

فقال موسى: ما سمعنا بهذا.

فقال أبو عثمان: فقلت: (إِلاّ مُتَحَرِّفاً لِقِتالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلى فِئَة). (سورة الأنفال الآية16).

فعمر ممن تحرف لقتل أو تحيز لفئة

قال: وأي فئة أكثر من النبي! وقد كان حاضرا ولم يتحيز إليه.

فقلت: جاء عنه صلى الله عليه وسلم، أنه قال» عمر فئة» فمن تحيز إلى عمر فقد تحيز إلى فئة

فسكت! فحركه بعض أصحابه، فقال: ألا تسمع ما يقول هذا الشيخ؟!

فقال: صدق، أو نحو هذا من القول، سمعتها أنا منه، ومن كان يليه»

المناظرة الثانية[1]: بين الفقيه أبي سعيد عثمان بن الحداد (ت298هـ/911م) وأبي العباس المخطوم (ت298هـ/911م)

–فقال أبو عبد الله: يا أهل المدينة إنكم تبغضون عليّا.

–فقال أبو عثمان: على مبغض عليّ لعنة الله والملائكة والناس أجمعين/وكيف أبغض عليّا وقد سمعت سحنون بن سعيد–وهو إمام أهل المدينة بالمغرب–يقول: «علي بن أبي طالب إمامي في الدين أهتدى بهديه واستنّ بسنّته وأقتفي أثره» –رحمة الله عليه– .

–فقال أبو عبد الله: أراد أن يقول: صلّى الله (عليه)، فرجع فقال: رحمة الله (عليه).

–فقال أبو عثمان: –ورفع بها صوته–نعم. صلّى الله عليه وسلم، لأن الصلاة في كلام العرب: الرحمة والدعاء، قال الأعشى:

تقول بنتي وقد قرّبت مرتحلا ... يا رب، جنّب أبي الأوصاب والوجعا

عليك مثل الذي صليت، فاغتمضي ... نوما فإن لجنب المرء مضطجعا

فالصلاة من الله رحمة ومن الآدميين دعاء، نعم فصلّى الله على عليّ وفاطمة والحسن والحسين وعلى أهل طاعته أجمعين من أهل السماوات والأرضين.

–فقال له أبو عبد الله: أليس قد قال النبي صلّى الله عليه وسلم: «من كنت مولاه فعليّ مولاه» أفليس عليّ مولاك؟

فقال أبو عثمان: هو مولاي بالمعنى الذي أنابه مولاه، ومعنى مولاي: على الولاية في الدين لا مولى عتاقة، وذلك أن المولى في كلام العرب: الولي وابن العمّ والمعتق والمنعم عليه. قال الله عزّ وجلّ في ابن العمّ –حكاية عن زكرياء عليه السلام– (وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوالِيَ مِنْ وَرائِي) يريد [به] العصبة. وقال في ولاية الدّين: (ذلِكَ بِأَنَّ اللهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكافِرِينَ لا مَوْلى لَهُمْ)

أي لا وليّ لهم. وقال في المؤمنين: (بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ)، فعليّ مولى المؤمنين بأنه وليّهم، وهم مواليه بأنهم أولياؤه، فهو مولاي بالمعنى الذي أنا به مولاه.

---

[1] موضوع المناظرة حول ولاية علي بن أبي طالب رضي الله أنظر المالكي: **رياض النفوس**، ج2، ص ص 84–86.

–فقال أبو عبد الله: ألم يقل النبيّ صلّى الله عليه وسلم: «عليّ مني بمنزلة هارون من موسى»؟

–فقال له أبو عثمان: نعم إلاّ أنّه قال: «(إلاّ) أنه لا نبيّ بعدي» وهارون كان حجة في حياة موسى، وعليّ لم يكن حجة في حياة النبي صلّى الله عليه وسلم، وهارون كان شريكا لموسى، أفكان لعلي شرك مع النبي صلّى الله عليه وسلم في النبوّة؟ إنما قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «عليّ منّي كهارون من موسى» على التقريب والوزارة والولاية.

قال: أليس هو أفضل؟

–/فقال له أبو عثمان: أليس الحق متفقا عليه غير مختلف فيه؟

–قال: نعم

–قال: فقلت له: قد ملكت مدائن [كثيرة] قبل مدينتنا (هذه)

–وهي أعظم مدينة–واستفاض الخبر عنك أنك لم تكره أحدا خالفك في مذهبك [على الدخول فيه] فاسلك بنا مسلك غيرنا.

–فألح (عليه) بعض أصحابه في قصدنا.

–فقال لهم: (نقول) كما قال شعيب: (وَإِنْ كانَ طائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنا وَهُوَ خَيْرُ الْحاكِمِينَ).

ثم نهضنا.

الملحق رقم (06): الخطبة التي ألقاها خطيب جامع القيروان أحمد بن محمد بن أبي الوليد (ت345هـ/956م) عشية مشاركة أهل السنة في ثورة ابي يزيد الخارجي.[1]

وتلا هذه الآية: (لا يَسْتَوِي الْقاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ) سورة النساء الآية (95) وقال:

يا أيها الناس جاهدوا من كفر (بالله) وزعم أنه ربّ من دون الله تعالى وغيّر أحكام الله عزّ وجلّ /وسبّ نبيّه وأصحاب نبيّه وأزواج نبيّه.

فبكى الناس بكاء شديدا. وقال في خطبته.

اللهمّ إن هذا القرمطي الكافر الصنعاني المعروف بابن عبيد الله المدّعي الربوبية من دون الله، جاحدا لنعمك، كافرا بربوبيتك، طاعنا على أنبيائك ورسلك، مكذّبا لمحمد- صلّى الله عليه وسلم-نبيّك وخيرتك من خلقك، سابّا لأصحاب نبيّك وأزواج نبيّك، أمهات المؤمنين، سافكا لدماء أمته، منتهكا لمحارم أهل ملّته، افتراء عليك، واغترارا بحلمك.

اللهمّ فالعنه لعنا وبيلا، واخزه خزيا طويلا، واغضب عليه بكرة وأصيلا، واصله جهنّم وساءت مصيرا، بعد أن تجعله في دنياه عبرة للسائلين، وأحاديث في الغابرين. واهلك اللهمّ شيعته، وشتّت كلمته، وفرّق جماعته، وأكسر شوكته، واشف صدور قوم مؤمنين منه.

[1] المالكي: **المصدر السابق**، ج2، ص ص 242-243.

الملحق رقم (07): مخطط يوضح سلسلة الأئمة الفاطميين حسب رواية الداعي جعفر منصور اليمن، من كتاب نسبب الخلفاء الفاطميين.[1]

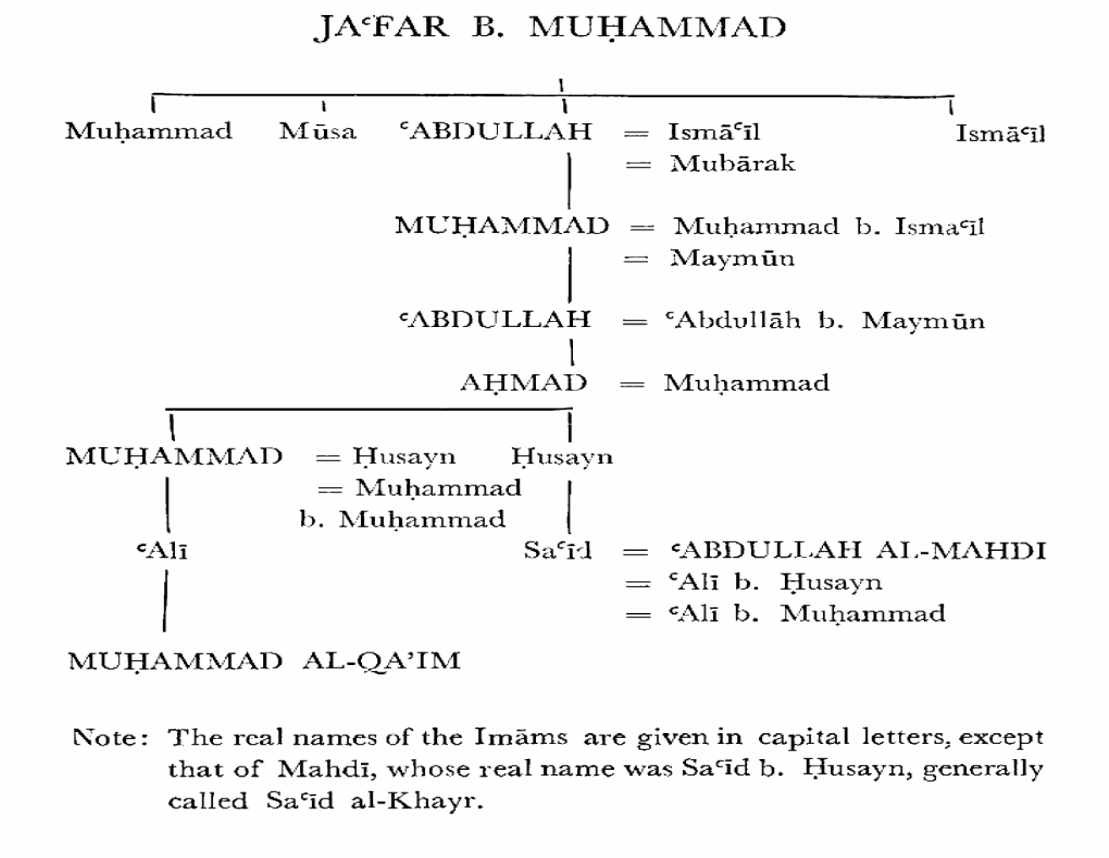

[1] Husnu F al_amdani: **ON THE GENALOGY OF FATIMID CALIPH,** amircane university of Beirut; cauro ; Egypt, 1958; p20.

الملحق رقم (08): ترجمة مخطط سلسلة الأئمة الفاطميين حسب رواية الداعي جعفر منصور اليمن، من كتاب نسبب الخلفاء الفاطميين[1].

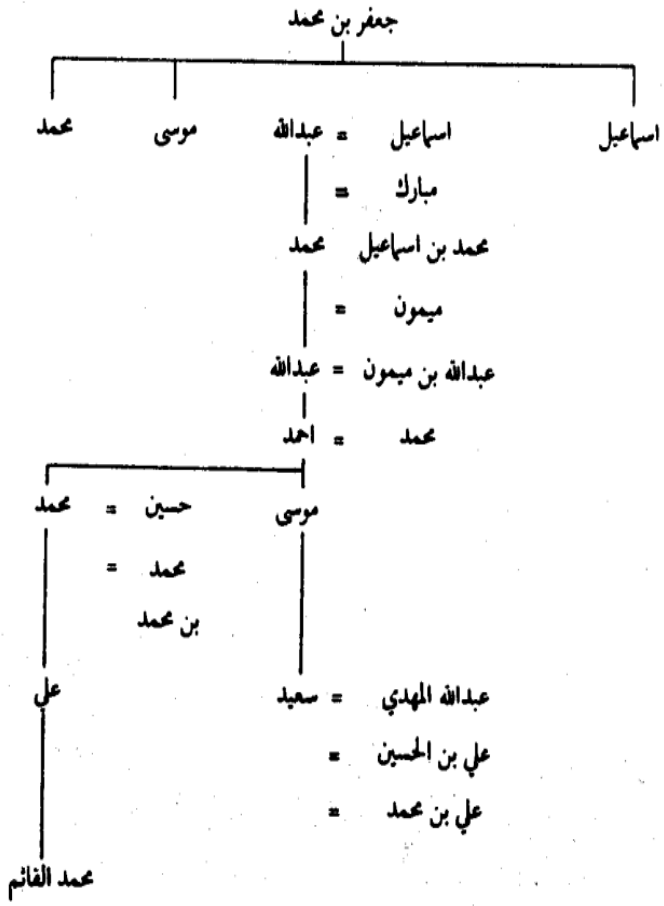

[1] إحسان إلهي ظهير: **الشيعة تاريخ وعقائد**، ص225.

الملحق رقم (09): مخطط يوضح سلسلة الأئمة الفاطميين حسب رواية الداعي إدريس [1]، من اعداد الطالب.

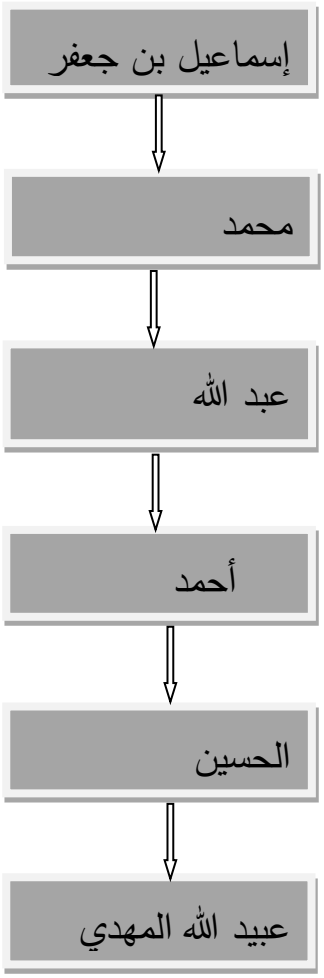

[1] عماد الدين إدريس الداعي: **عيون الأخبار وفنون الآثار في سيرة الأئمة الأطهار**، السدس الخامس، ت مصطفى غالب، ط2، دار الأندلس، بيروت، لبنان، 1404هـ/1984م، ص ص88-98.

الملحق رقم (10): مخطط يوضح سلسلة الأئمة الفاطميين حسب رواية ابن الأثير[1]، من اعداد الطالب.

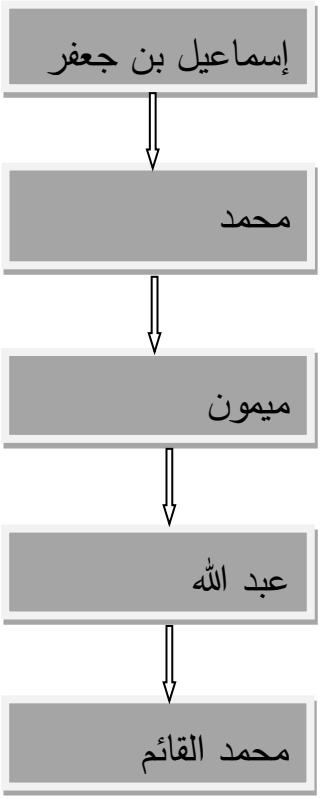

[1] ابن الأثير: **المصدر السابق**، ج6، ص577.

الملحق رقم (11): مخطط يوضح سلسلة الأئمة الفاطميين حسب رواية ابن خلدون والمقريزي[1]، من اعداد الطالب.

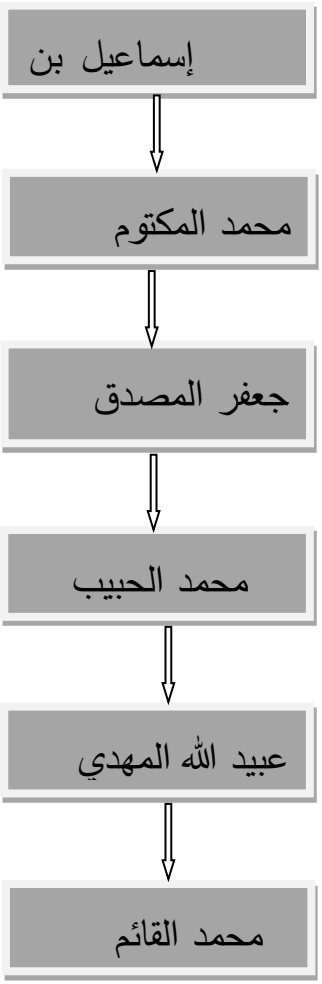

[1] ابن خلدون: **المصدر السابق**، ج4، ص39، المقريزي: **اتعاظ الحنفاء**، ج1، **ص** ص16-17.

الملحق رقم (12): مخطط يوضح سلسلة الأئمة الفاطميين حسب رواية ابن حماد[1]، من اعداد الطالب.

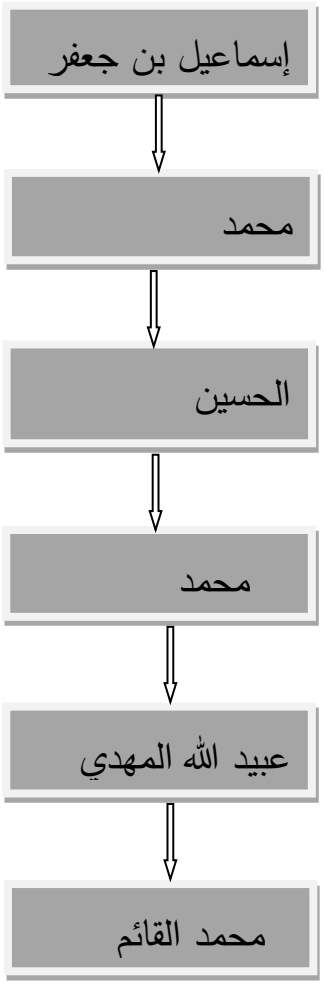

[1] أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد: **أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم**، ت التهامي نقرة/عبد الحليم عويس، دار الصحوة، مصر ص35.

الملحق رقم (13): سلسلة الأئمة عند من ينكر انتماء عبيد الله المهدي للفاطميين ويثب نسب باقي الأئمة[1]، من اعداد الطالب.

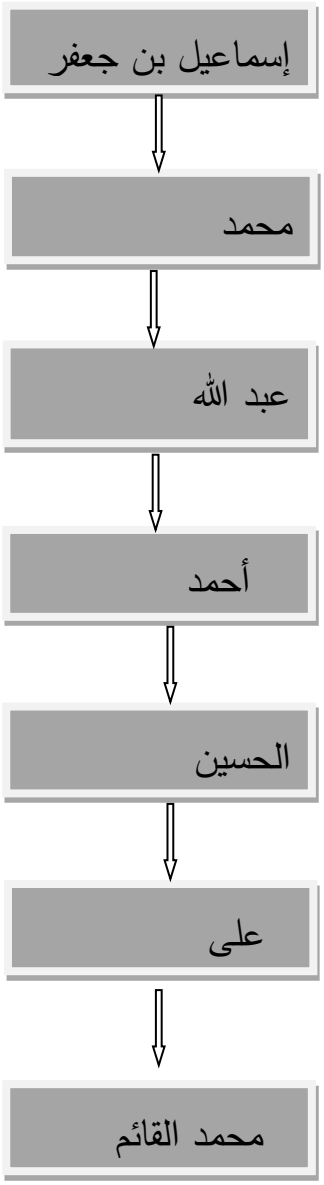

[1] احسان إلهي ظهير: الاسماعيلية تاريخ وعقائد، ص213.

الملحق رقم (14): مخطط يوضح شجرة أمراء الدولة الزيرية بفرعيها الباديسية والحمادية، من إعداد الطالب

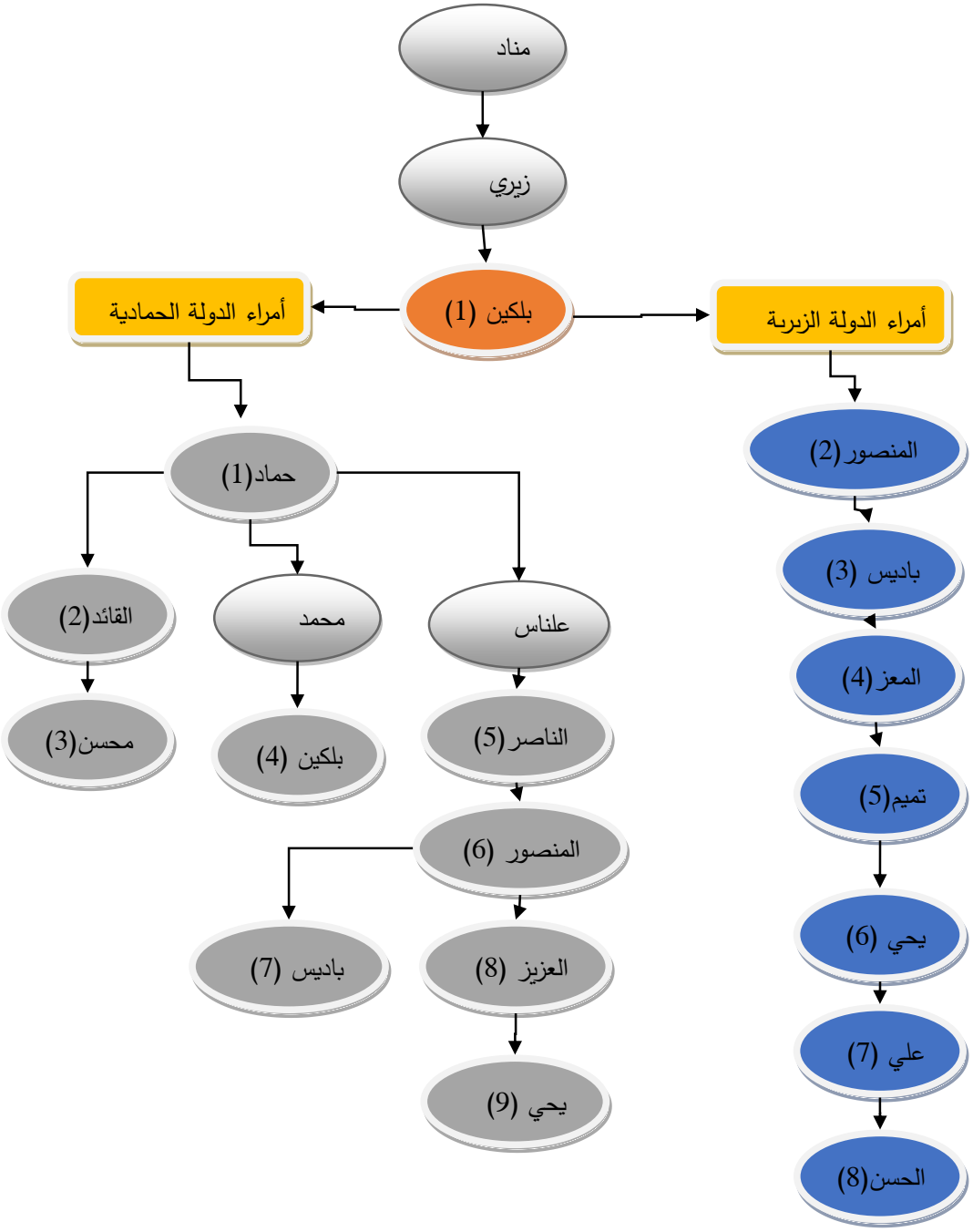

الخريطة رقم(01): خريطة لمدن المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط[1]

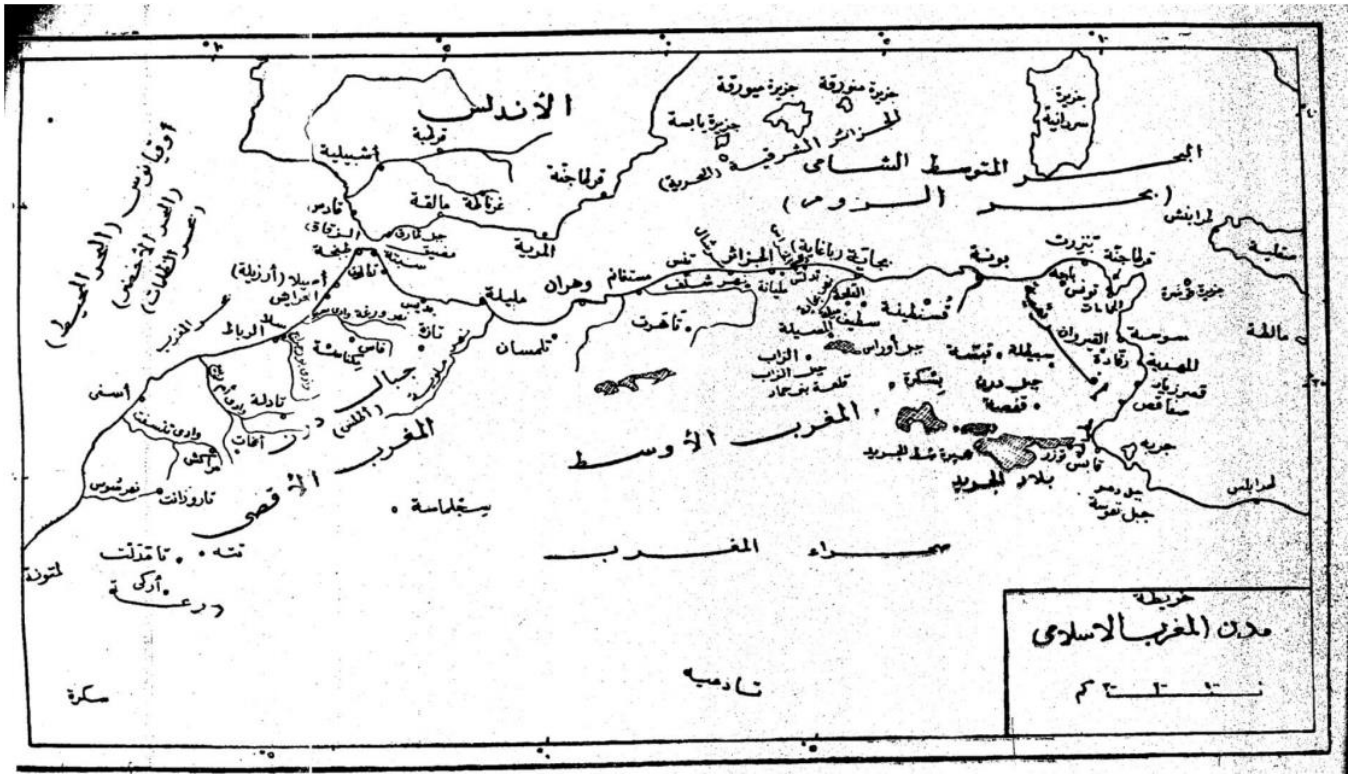

[1] عبد المنعم ماجد: **الأطلس التاريخي للعالم الإسلامي في العصور الوسطى**، ط3، دار الفكر العربي، بيروت، 1986م، ص20.

الخريطة رقم (02): المغرب الإسلامي في عهد بلكين بن زيري[1]

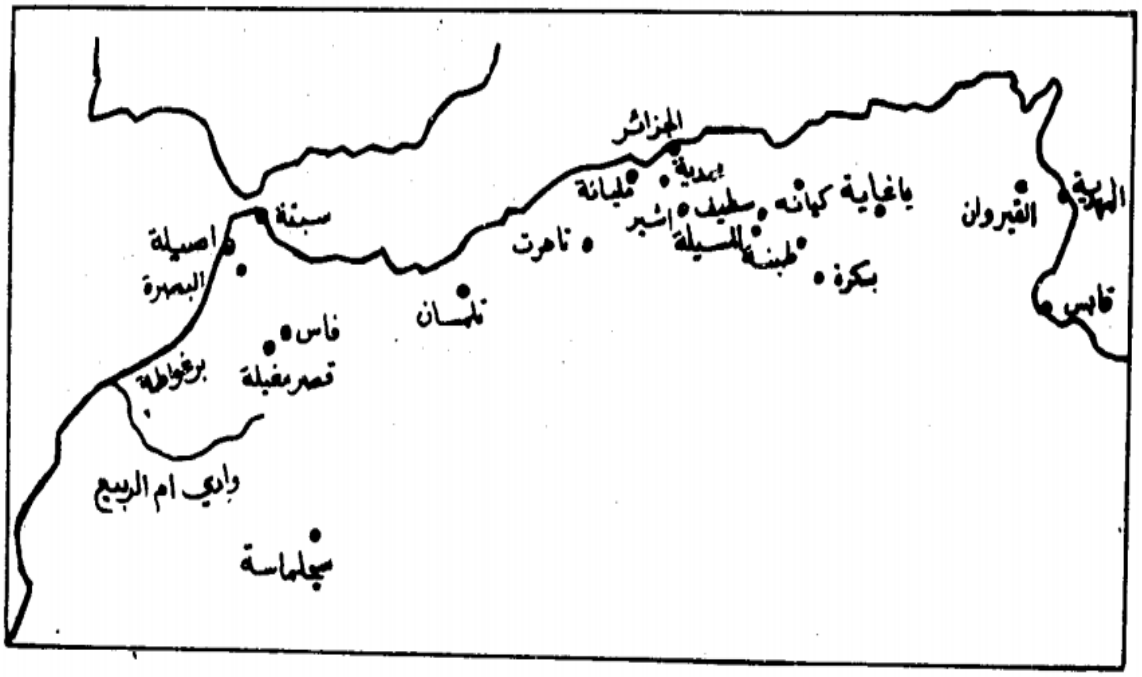

[1] رشيد بورورية، الدولة الحمادية، ص17

قائـــــــــــــــمة المـــــــــــــــصادر والمـــــــــــــــــــــــراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولا: مصنفات الحديث:

- ✓ ابن البيع عبد الله أبو عبد الله الحاكم محمد(ت405ه/1014م): **المستدرك على الصحيين**، ت مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411ه/1990م.
- ✓ ابن حنبل أحمد(ت241ه/855م): **مسند الإمام أحمد**، ت شعيب الأرناؤوط، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، مسند الكوفيين، 1421ه/2001م، ج30.
- ✓ أبو داود سليمان بن الأشعث(ت275ه/888م) **سنن أبي داود**، ت محمد محي الدين، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.
- ✓ الألباني أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين: **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة**، ط1، دار المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1412ه/ 199م، ج13.
- ✓ البخاري محمد بن إسماعيل(ت256ه/870م): **صحيح البخاري**، ت محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، دار طوق النجاة، دمشق، 1422ه، ج5، ج6.
- ✓ الترميذي محمد بن عيسى(ت692ه/1292م): **سنن الترميذي**، ت أحمد شاكر، ط2، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1395ه/1975م، ج5.
- ✓ الجوذري منصور العزيزي(ت386ه/996م): سيرة الأستاذ جوذر، ت محمد كامل حسين/ عبد الهادي شعيرة، دار الكتاب العربي، مكتبة الاعتماد، مصر، 1374ه/1954م.
- ✓ الدار قطني أبو الحسن علي بن(ت385ه/995م): **سنن الدار قطني**، ت شعيب الأرناؤوط وآخرون، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1424ه/2004م، ج1.
- ✓ الرازي زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر(ت666ه/1267م): **مختار الصحاح**، ت يوسف الشيخ، ط5، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، 1420ه/1999م

- ✓ الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس(ت204هـ/819م): **مسند الشافعي**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1400هـ، ج1.
- ✓ النسائي أبو عبد الرحمان أحمد بن شعيب(ت303هـ/915م): **المجتبى من السنن، السنن الصغرى للنسائي**، ت عبد الفتاح أبو غدة، ط2، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، 1406هـ/1986م، ج2.

ثانيا: المصادر التاريخية:

- ✓ ابن أبي زرع (ت741هـ/1341م): **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب ومدينة فاس**، دار المنصورة لطباعة والنشر، الرباط، 1972م.
- ✓ ابن أبي زيد القيرواني أبو عبد الله محمد(ت386هـ/996م): **النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات**، ت محمد الأمين بوخبزة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1999م.
- ✓ ابن أبي زيد القيرواني أبو عبد الله محمد(ت386هـ/996م): **رسالة ابن أبي زيد القيرواني ومعها إيضاح المعاني على رسالة القيرواني**، ت وتع الطحاوي أحمد مصطفى قاسم، ط1، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، 2005م.
- ✓ ابن أبي زيد القيرواني أبو عبد محمد: **رسالة ابن أبي زيد القيرواني**، ت مصطفى كامل الطهطاوي، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، 2005م.
- ✓ ابن أبي زيد القيرواني عبد الله محمد: **النَّوادر والزِّيادات على مَا في المدَوَّنة من غيرها من الأُمهاتِ**، ت عبد الفتاح محمد الحلو، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999م، ج1.
- ✓ ابن أبي زيد القيرواني عبد الله محمد: **كتاب الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ**، ت محمد أبو الأجفان/ عثمان بطيخ، ط2، مكتبة الرسالة، المكتبة العتيقة، بيروت، تونس، 1403هـ/1983م.
- ✓ ابن الأبار محمد بن عبد الله(ت658هـ/1260م): **التكملة لكتاب الصلة**، ت عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة، لبنان، 1415هـ/1995م، ج1.
- ✓ ابن الأثير أبو الحسن علي بن أبي الكرم(ت630هـ/1233م): **أسد الغابة**، دار الفكر،

بيروت، 1409هـ/1989م.

- ✓ ابن الأثير أبو الحسن علي بن أبي الكرم(ت630هـ/1233م): **الكامل في التاريخ**، ت عمر عبد السلام، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1417هـ/1997م.
- ✓ ابن الخطيب لسان الدين: **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام**، ت كسروي علي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1424هـ/2002م، ج1.
- ✓ ابن الصيرفي علي ابن منجب (542هـ/1147م): **الإشارة إلى من نال الوزارة**، ت عبد الله مخلص، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي الخاص بالعادات الشرقية، القاهرة، مصر، 1924م.
- ✓ ابن العماد محمد(ت1089هـ/1679م): **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ت محمود الأرناؤوط، ط1، دار ابن كثير، بيروت–دمشق، لبنان–سوريا، 1406هـ/1986م، ج4.
- ✓ ابن الفرضي عبد الله بن محمد(ت403هـ/1012م): **تاريخ علماء الأندلس**، ت عزت العطار، ط2، مكتبة الخانقجي، مصر، 1408هـ/1988م ج1، ج2.
- ✓ ابن النديم أبو الفرج محمد بن إسحاق(ت384هـ/994م): **الفهرست**، ت إبراهيم رمضان، ط2، دار التراث، بيروت، لبنان، 1417هـ/1997م.
- ✓ ابن تغري أبو المحاسن يوسف(874هـ/1470م): **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي**، دار الكتب، مصر.
- ✓ ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم(ت728هـ/1328م): **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية**، ت محمد رشاد سالم، ط1، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1406هـ/1986م.
- ✓ ابن تيمية تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم(ت728هـ/1328م): **مجموع الفتاوي**، ت عبد الرحمان بن محمد قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1416هـ/1995م، ج25.
- ✓ ابن حجر العسقلاني أبو أحمد بن علي(ت452هـ/1448م): **رفع الإصر عن قضاة مصر**، ت علي محمد عمر، ط1، مكتبة الخانقجي، مصر، 1418هـ/1998م.

- ابن حجر العسقلاني أبو أحمد بن علي(ت452هـ/1448م): **فتح الباري في شرح صحيح البخاري**، ت محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ، ج2.
- ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد(ت 456هـ/1065م): **جمهرة أنساب العرب**، ت لجنة من العلماء، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1403هـ1983م، ج1.
- ابن حزم الظاهري أبو محمد علي بن أحمد(ت 456هـ/1065م): **جمهرة أنساب العرب**، ت لجنة من العلماء، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1403هـ/1983م.
- ابن حزم الظاهري أبو محمد علي بن أحمد(ت456هـ/1065م): **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، ت عبد الرحمان خليفة، مكتبة السلام، بيروت لبنات، 1405هـ.
- ابن حماد أبو عبد الله محمد بن علي(ت628هـ/1231م): **أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم**، ت التهامي نقرة/عبد الحليم عويس، دار الصحوة. الجزائر، 1401هـ.
- ابن حوقل أبو القاسم محمد البغدادي(ت367هـ/977م): **صور الأرض**، دار صادر أفست ليدن، بيروت، لبنان، 1938م، ج2.
- ابن حيان حيان بن خلف(ت469هـ/1076م): **المقتبس في أخبار بلد الأندلس**، ت صلاح الدين الهواري، ط1، المطبعة العصرية، بيروت، لبنان، 1426هـ/2006م.
- ابن خلدون عبد الرحمان(ت808هـ/1405): **العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن وعاصر من ذوي السلطان الأكبر**، ت خليل شحادة، ط2، دار الفكر، بيروت، 1408هـ/1988م.
- ابن خلكان أبو العباس شمس الدين(681هـ/1282م): **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ت إحسان عباس، ط1، دار صادر، بيروت، لبنان، 1994م، الأجزاء (1،2،3،5).
- ابن رشد القرطبي: **المقدمات الممهدات**، ت أحمد سعيد عراب، ط1، دار الفكر الإسلامي، بيروت، 1408هـ/1988م، ج1.
- ابن سعد أبو عبد محمد(ت230هـ/844-845م): **الطبقات الكبرى**، ت إحسان عباس، ط1، دار صادر، بيروت، لبنان، 1968م.
- ابن سعيد علي بن موسى الأندلسي(ت685هـ/1286م): **المغرب في حلى المغرب**،

ت شوقي ضيف، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1955م.

- ✓ ابن شمائل القطيعي عبد المؤمن بن عبد الحق(ت739هـ/1338م): **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، ط2، دار الجليل، بيروت، لبنان، 1412هـ، ج2.
- ✓ ابن عجيبة أحمد بن محمد الحسني(ت1224هـ/1809م): **أزهار البستان في طبقات الأعيان**، تق عبد السلام العمراني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971م.
- ✓ ابن عساكر أبو القاسم علي بن الحسن(ت449هـ/1105م): **تاريخ دمشق**، ت عمرو العموري، دار الفكر، بيروت، 1415هـ/1995م.
- ✓ ابن فرحون إبراهيم بن علي(ت799هـ/1397م): **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، ت محمد الأحمدي، دار التراث، القاهرة، 1972م.
- ✓ ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر(ت751هـ/1349م): **زاد المعاد في هدي خير العباد**، ط27، مؤسسة الرسالة، بيروت/مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، 1415هـ /1994م، ج1.
- ✓ ابن كثير أبو الفداء إسماعيل(ت774هـ/1372م): **البداية والنهاية**، ت عبد الله التركي، ط1، دار هجر، مصر، 1418هـ/1997م.
- ✓ ابن مخلوف محمد بن محمد بن ابن سالم(ت1360هـ/1941م): **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، تع عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، 1424هـ/2003م، ج1.
- ✓ ابن منظور محمد بن مكرم(ت711هـ/1311م): **لسان العرب**، مج1، ط3، دار صادر، بيروت، لبنان، 1414هـ/1993م.
- ✓ ابن هانئ الأندلسي(ت362هـ/973م): **ديوان ابن هانئ**، ت عمر فاروق، ط1، دار الأرقم، بيروت، 1418هـ/1998م.
- ✓ أبو العرب محمد بن تميم(ت333هـ/944م): **طبقات علماء إفريقية**، ت محمد بن أبي شنب، دار الكتاب اللبناني، الجزائر، 1914م.
- ✓ أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي(ت620هـ/1223م): **المغني لابن قدامة**، مكتبة القاهرة، مصر، 1388هـ / 1968م، ج1.

- ✓ أبي بكر عبد الله بن يونس الصقلي: **الجامع لمسائل المدونة والمختلطة**، ت أبو الفضل الدمياطي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971م.
- ✓ الادريسي محمد بن محمد بن إدريس الحسني(ت560هـ/1164م): **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، ط1، عالم الكتاب، بيروت، لبنان، 1409هـ/1988م، ج1،ج2.
- ✓ الأشعري أبو الحسن علي بن إسماعيل(324هـ/935م): **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، ت هلموت ريتر، ط3، دار فرانز شتايز، فيسبادن (ألمانيا)، 1400هـ/1980م.
- ✓ الأصبهاني أبي نعيم(ت369هـ/979م): **الإمامة والرد على الرافضة**، ت علي الفقيهي، ط1، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 1407هـ/1987م.
- ✓ الإمام مالك بن أنس(ت179هـ/795م): **المدونة**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ/1994م.
- ✓ الأندلسي أبي عبد الله محمد بن محمد (ت1149هـ/ 1736-1737م): **الحلل السندسية في الأخبار التونسية**، ط1، مطبعة الدولة التونسية، 1287هـ.
- ✓ الباجي أبو الوليد(374هـ/1082م): **المنهاج في ترتيب الحجاج**، ت عبد المجيد تركي، ط3، دار صادر، بيروت، لبنان، 2001.
- ✓ البراذعي خلف ابن أبي القاسم(ت372هـ/982م): **التهذيب في اختصار المدونة**، ت محمد الأمين ولد محمد سالم بن الشيخ، ط1، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، 1423هـ/2002م، ج1.
- ✓ البغدادي عبد القاهر بن طاهر(ت429هـ/1037م): **الفرق بين الفرق**، ت محمد عثمان، مكتبة ابن سينا، القاهرة، 1409هـ/1988م.
- ✓ البغوي أبو القاسم عبد الله بن محمد(ت317هـ/929م): **معجم الصحابة**، ت محمد الأمين بن محمد الجكني، ط1، مكتبة دار البيان، الكويت، 1421هـ/200م.
- ✓ البكري عبد الله بن عبد العزيز بن محمد(ت487هـ/1094م): **المسالك والممالك**، ت أدريان فان ليوفن/أندري فيري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992م، ج1، ج2.

- ✓ البكري عبد الله بن عبد العزيز بن محمد(ت487هـ/1094م): **المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب**، ت ولد السالم، دار الكتب العلمية، بيروت، 1970م، ج1.
- ✓ التيجاني أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت717هـ/1317م): **رحلة التيجاني**، تق حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، تونس/ليبيا، 1981م.
- ✓ الجراح أبو عبد الله محمد بن داوود(ت269هـ/908م): **الورقة**، ت عبد الوهاب عزام، عبد الستار أحمد، ط3، دار المعارف، بيروت، لبنان، 1986م.
- ✓ الجرجاني علي بن محمد(ت816هـ/1413م): **معجم التعريفات**، ت محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، مصر، 1403هـ/1980م.
- ✓ الحطاب أبو عبد الله محمد بن محمد(ت954هـ/1547م9): **مواهب الجليل**، ط3، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1412هـ/1992م، ج1.
- ✓ الحموي أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي(ت626هـ/1228م): **معجم البلدان**، ط2، دار صادر، بيروت، لبنان، 1397هـ/1977م، الأجزاء (1،2،3،5)
- ✓ الحميري محمد بن عبد الله(ت900هـ/1495م): **الروض المعطار في خبر الأقطار**، ط2، مؤسسة ناصر للثقافة، مطابع دار السراج، بيروت، لبنان، 1980م.
- ✓ الحميري محمد بن عبد الله(ت900هـ/1495م): **صفة جزيرة الأندلس**، ت لافي بروفنصال، ط3، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1408هـ/1988م، ج1.
- ✓ الخشني محمد بن حارث(ت366هـ/976م): **طبقات علماء افريقية**، ت محمد زينهم، ط1، مكتبة مديول، القاهرة، 1413هـ/1993م.
- ✓ الخشني محمد بن حارث(ت366هـ/976م): **قضاة قرطبة وعلماء إفريقية**، ت عزت العطار، ط2، مكتبة الخانقجين، القاهرة، مصر، 1415هـ/1994م.
- ✓ الخفاجي شهاب الدين أحمد(1069هـ/1659م): **نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض**، تع محمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1997م، ج6.
- ✓ الداعي إدريس عماد الدين (ت 872هـ/1488م): **تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب** الجزء الخاص من كتاب عيون الأخبار، ت محمد اليعلاوي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1985م.

- ✓ الداعي إدريس عماد الدين (ت 872هـ/1488م): **زهر المعاني**، ت مصطفى غالب، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1411هـ/1991م.
- ✓ الداعي إدريس عماد الدين (ت 872هـ/1488م): **عيون الأخبار وفنون الآثار في سيرة الأئمة الأطهار**، السدس الخامس، ت مصطفى غالب، ط2، دار الأندلس، بيروت، لبنان، 1404هـ/1984م،
- ✓ الداودي أحمد بن نصر(ت402هـ/1011م): **كتاب الأموال**، ت رضا محمد شحادة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2008م.
- ✓ الدباغ عبد الرحمان بن محمد بن عبد الله(605هـ/1208م): **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، ت محمد الأحمدي/محمد ماضي، ط2، مكتبة الخانجي، مطابع الدجوى، القاهرة، مصر، 1388هـ/1968م.
- ✓ الدسوقي أحمد بن محمد(ت1230هـ/1815): **حاشية الدسوقي على الشرح الكبير**، دار الفكر، بيروت، ج1.
- ✓ الذهبي شمس الدين(ت748هـ/1348م): **تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام**، ت بشار عماد معروف، ط1، دار الغرب الإسلامي، 2003م.
- ✓ الذهبي شمس الدين(ت748هـ/1348م): **سير أعلام النبلاء**، ت شعيب الأرنؤوط، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1417هـ/1996م.
- ✓ الزبيدي أبو بكر محمد بن الحسن(ت379هـ/989م): طبقات **النحويين واللغويين**، ت: أبو الفضل محمد إبراهيم، ط2، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1984م.
- ✓ الزبيدي محمد بن محمد(ت379هـ/989م): تاج **العروس**، مج2، ت محمد هلالي، ط2، مطبعة حكومة الكويت، 1407هـ/1987م.
- ✓ الزركشي بدر الدين محمد بن بهاء(ت794هـ/1391م): **البحر المحيط في أصول الفقه**، ت عبد القادر عبد الله العاني، ط2، دار الصفوة، الكويت، 1413هـ/1992م.
- ✓ الزركلي خير الدين بن محمود(ت1396هـ/1976م): **الأعلام**، ط15، ت زهير فتح الله وآخرون، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 2002م.
- ✓ سبط ابن الجوزي: **مرآة الزمان في تواريخ الأعيان**، ت محمد بركات وآخرون، ط1،

دار الرسالة العلمية، دمشق، سوريا، 1434هـ/2013م، ج12.

- ✓ السخاوي محمد بن عبد الرحمان(ت902هـ/1497م): **الإعلان بالتوبيخ لم ذم التاريخ**، ت فرانز روزنثال، تر صالح أحمد العلي، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1407هـ/1986م.
- ✓ السعدي أحمد بن محمد(ت974هـ/1566م): **الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة**، ت عبد الرحمان بن عبد الله/كامل محمد، ط1، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1417هـ/1997م.
- ✓ السيوطي جمال الدين(ت911هـ/1505م): **تاريخ الخلفاء**، ت محمد محي الدين، مطبعة السعادة، مصر، 1956م.
- ✓ الشهرستاني محمد بن عبد الله(ت548هـ/1153م): **الملل والنحل**، ت أمين علي وآخرون، ط3، دار الفكر، بيروت، 1414هـ/1993م، ج1.
- ✓ الصاوي أبو العباس أحمد بن محمد(ت1241هـ/1825م): **بلغة السالك لأقرب المسالك المعروف بحاشية الصاوي على الشرح الصغير**، دار المعارف، بيروت، ج1.
- ✓ الصفدي صلاح الدين بن أيبك(ت764هـ/1363م): **الوافي بالوفيات**، ت جلال الدين الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت 1997م.
- ✓ الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك(ت764هـ/1363م): **تصحيح التصحيف وتحرير التحريف**، ت السيد الشرقاوي، ط1، مكتبة الخانقجي، القاهرة، مصر، 1407هـ/1987م.
- ✓ الضبي أحمد بن يحي(ت599هـ/1203م): **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، ج1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1967م.
- ✓ الطبري محمد بن جرير(ت310هـ/923م): **تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري**، ط2، دار التراث، بيروت، 1387هـ.
- ✓ الغرناطي عيسى بن سهل(ت486هـ/1073م): **ديوان الأحكام الكبرى أو الإعلام بنوازل الأحكام وقطر من سير الحكام**، ت يحي مراد، دار الحديث، القاهرة، مصر، 1428هـ/ 2007م.

- ✓ الغزالي أبو حامد محمد بن أحمد(ت505هـ/1111م): **فضائح الباطنية**، ت، عبد الرحمان بدوي، ط1، دار الكتب الثقافية والعلمية، بيروت، لبنان.
- ✓ الفيروز آبادي (ت 817هـ/1329م): **القاموس المحيط**، ت محمد نعيم العرقسوسي، ط8، الرسالة للطباعة للنشر والتوزيع، بيروت، 1428هـ/2005م.
- ✓ القاضي النعمان أبو عبد الله الحسين بن قاضي(ت363هـ/974م): **افتتاح الدعوة**، ت فرحات الدشراوي، ط2، الشركة التونسية للتوزيع/ديوان المطبوعات الجامعية، تونس/ الجزائر، 1975م.
- ✓ القاضي النعمان أبو عبد الله الحسين بن قاضي(ت363هـ/974م): **تأويل الدعائم**، ت محمد حسن أعظمي، ط1، دار المعارف، مصر.
- ✓ القاضي النعمان أبو عبد الله محمد بن قاضي(ت363هـ/974م): **آداب إتباع الأئمة**، ت مصطفى هلال، مكتبة الهلال، بيروت، 1985م.
- ✓ القاضي النعمان أبو عبد الله محمد بن قاضي(ت363هـ/974م): **دعائم الإسلام**، ت آصف بن علي، ط1، دار الأنوار، بيروت، 1411هـ/1991م.
- ✓ القاضي عبد الجبار بن أحمد(415هـ/1025م): **تثبيت دلائل النبوة**، دار المصطفى، شبرا، القاهرة، ج1.
- ✓ القاضي عياض أبو الفضل(ت544هـ/1149م): **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، ت عامر الجزار، دار الحديث، القاهرة، 1425هـ/2004م.
- ✓ القاضي عياض(ت544هـ/1149م): **تراجم أغلبية مستخرجة من مدارك القاضي عياض**، ت محمد الطالبي، المطبعة الرسمية للجامعة التونسية، تونس، 1968م.
- ✓ القاضي عياض(ت544هـ/1149م): **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أصحاب الإمام مالك**، ت محمد تاويت الطنجي وآخرون، ط2، وزارة الشؤون والأوقاف الإسلامية، المغرب، 1403هـ/1983م.
- ✓ القرافي شهاب الدين(ت684هـ/1285م): **الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام**، ت احمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م.
- ✓ القرطبي يوسف بن عبد الله(ت463هـ/1070م): **الاستذكار**، ت سالم محمد/محمد

علي المعوض، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1421هـ/2000م، ج2.

- ✓ القلقشندي أحمد بن علي(821هـ/1418م): **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، ج12، ت محمد حسين شمس الدين وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، 2012م.
- ✓ لسان الدين ابن الخطيب(ت776هـ/1374م): **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكل**
- ✓ المالكي أبو بكر العربي(ت543/1148م): **العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم**، ت محي الدين الخطيب، ط1، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، 1419هـ.
- ✓ المالكي عبد الله بن محمد(ت449هـ/1057م): **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم**، ت بشير بكوش، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1414هـ/1994م.
- ✓ الماوردي أبو الحسن علي بن محمد(ت450هـ/1058م): **الأحكام السلطانية**، ت أحمد مبارك البغدادي، ط1، مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت، 1409هـ/1989م.
- ✓ المجلسي محمد باقر(ت1111هـ/1699م) ، **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار**، ت عبد الرحيم الشيرازي، ط3، دار صادر، بيروت، لبنان، 1403هـ/1983م، ج16.
- ✓ محمد بن زرب القرطبي: **الخصال**، ت عبد الحميد العلمي، ط، وزارة الشؤون الإسلامية الأوقاف بالمملكة المغربية، الرباط، 1992م.
- ✓ المقدسي أبو عبد الله محمد بن أحمد(ت309هـ/999م): **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، 1411هـ/1991م.
- ✓ المقري شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني(ت1040هـ/1631م): **أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض**، ت مصطفى السقا، إبراهيم الإبياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1358هـ/1939م، ج2.
- ✓ المقري شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني(ت1040هـ/1631م): **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب**، ت إحسان عباس، بيروت، 1438هـ/1968م.

- ✓ المقريزي أبو العباس تقي الدين(845هـ/1441م): **اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء**، ت جمال الدين الشيال، ط1، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر.
- ✓ المقريزي أبو العباس تقي الدين(845هـ/1441م): **المقفى الكبير**، ت محمد اليعلاوي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1427هـ/2006م.
- ✓ المقريزي أبو العباس تقي الدين(845هـ/1441م): **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1418هـ، ج2.
- ✓ مؤلف مجهول: **الإستبصار في عجائب الأمصار**, ت: سعد زغلول عبد الحميد, دار النشر الثقافية, بغداد.
- ✓ الميورقي محمد بن فتوح(ت488هـ/1095م): **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس**، الدار المصرية للتأليف والنشر – القاهرة، 1996م، ج2.
- ✓ النويري شهاب الدين(ت733هـ/1332م): **نهاية الأرب في معرفة فنون الأدب**، عبد الحميد ترحيني، دار اكتب العلمية، بيروت.
- ✓ الونشريسي أبي العباس أحمد بن يحيى: **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل افريقية والأندلس والمغرب**، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1401هـ/1981م، ج12.
- ✓ اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب(ت292هـ/904م): **تاريخ اليعقوبي**، مطبعة الغرى، النجف، العراق، 1358هـ/1939م، ج2.

ثالثا: المراجع

- ✓ إبراهيم مصطفى وآخرون: **المعجم الوسيط**، ط1، دار الدعوة، إسطنبول، تركيا، 1409هـ/1989م.
- ✓ أبو زهرة محمد: **تاريخ المذاهب الإسلامية**، دار الفكر العربي، بور سعيد، مصر، 1997م. إحسان عباس: **العرب في صقلية – دراسة في التاريخ والأدب**، ط1، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1975م.

- ✓ أحمد أمين: **فجر الإسلام**، ط2، مكتبة الاعتماد، مصر، 1993م.
- ✓ أحمد عزيز أحمد: **تاريخ صقلية الإسلامية**، نقله إلى العربية أمين توفيق الطيبي، الدار العربية للكتاب، طرابلس، الغرب، 1979م.
- ✓ إدريس الهادي روجي: **الدولة الصنهاجية تاريخ إفريقية في عهد بني زيري من القرن 10إلى القرن12م**، ج2، تعريب ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992م.
- ✓ الأعظمي محمد حسين: **عبقرية الفاطميين أضواء على تاريخ وفكر الفاطميين**، منشورات مكتبة دار الحياة، لبنان، 1960م.
- ✓ أمحزون محمد: **تحقيق موقف الصحابة في الفتنة**، ط2، دار السلام، مصر، 1428هـ/2007م.
- ✓ باي حاتم: **الأصول الاجتهادية التي يبنى عليها المذهب المالكي**، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، 1432هـ/2011م.
- ✓ البحراني يوسف: **الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة**، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، مدينة قم، إيران، 1397هـ.
- ✓ بن حمره عبد الحميد: **المدارس الكلامية بإفريقية إلى ظهور الأشعرية**، ط1، مطبعة دار العرب، تونس، 1406هـ/1986.
- ✓ البهيجي إيناس: **تاريخ الدولة الفاطمية**، مركز الكتاب الأكاديمي، القاهرة، مصر، 2017م.
- ✓ بوباية عبد القادر: البربر في الاندلس وموقفهم من فتنة القرن الخامس الهجري (11م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2011م.
- ✓ التوهامي إبراهيم: **جهود علماء المغرب في الدفاع على عقيدة أهل السنة**، ط1، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق، سوريا، 1426هـ/2005م.
- ✓ الجريسي خالد بن عبد الرحمان: **الفتاوي الشرعية في المسائل العصرية من فتاوي علماء البلد الحرام**، ط1، مؤسسة الجريسي للتوزيع، السعودية، 1420هـ/1999م.
- ✓ الجهيني محمد: **صقلية وعمائرها الإسلامية في العصر الفاطمي**، ط1، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، 1428هـ/2007م.

- ✓ الجيدي عمر: **مباحث في المذهب المالكي بالمغرب الإسلامي**، ط1، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، 1993م.
- ✓ الجيلالي عبد الرحمان: **تاريخ المدن الثلاث_الجزائر، المدية، مليانة**، ط1، دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، 2007م
- ✓ حاتم باي: **الأصول الاجتهادية التي يبنى عليها المذهب المالكي**، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، 1432هـ/2011م.
- ✓ حسن إبراهيم حسن، طه أحمد شرف: **عبيد الله المهدي إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية بالمغرب**، مكتبة النهضة المصدرية، القاهرة، مصر، 1366هـ/1947م.
- ✓ حماني سعيد: **من هيبون بونة إلى عنابة تاريخ قطب حضاري**، منشورات مؤسسة بونة للبحوث والدراسات، عنابة، الجزائر.
- ✓ حمودة عبد الحميد حسين: **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي**، ط1، الدار الثقافية للنشر، القاهرة مصر، 2006م.
- ✓ حوالة يوسف بن أحمد: **الحياة العلمية في إفريقية (المغرب الأدنى) منذ إتمام الفتح حتى منتصف القرن الخامس الهجري**، ج2، جامعة أم القرى، السعودية، 1421هـ/2000م.
- ✓ الحوالي سفر بن عبد الرحمان: **أصول الفرق والمذاهب والأديان**، المكتبة الإسلامية، المملكة العربية السعودية.
- ✓ خلاف محمد عبد الوهاب: **ثلاث وثائق محاربة أهل الأهواء والبدع في الأندلس**، ط1، المركز العربي الدولي للنشر والتوزيع، القاهر، مصر، 1981م.
- ✓ دفتري فرهاد: **الإسماعيليون تاريخ وعقائد**، تر سيف الدين القصير، ط1، دار الساقي، بيروت، 2012م.
- ✓ رزق الله أيوب إبراهيم: **التاريخ الفاطمي الاجتماعي**، ط1، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، لبنان، 1997م.
- ✓ رضا أميرة الشيخ: **الفاطميون تاريخهم وآثارهم في مصر**، مكتبة ناشرون، بيروت،

لبنان، 1998م.

- ✓ سامعي إسماعيل: **القاضي النعمان وجهوده في إرساء دعائم الخلافة الفاطمية والتطور الحضاري ببلاد المغرب ق4هـ/10م**، ط1، مركز الكتاب الأكاديمي، العراق، 1431هـ/2010م.
- ✓ سامية مصطفى مسعد: **العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية**، ط1، عين للدراسات الاجتماعية والإنسانية، الإسكندرية، مصر، 2000م.
- ✓ سعد قاسم علي: **جمهرة تراجم الفقهاء المالكية**، ط1، دار البحوث للدراسات الإسلّامية وإحياء التراث، دبي الإمارات، 1423هـ/2002م.
- ✓ السلاوي أبو العباس أحمد بن خالد الناصري (ت1315هـ/1897م): **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**: ت جعفر الناصري/ محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، 1954م، ج1، ج2.
- ✓ السلومي سليمان: **أصول الإسماعيلية الزيدية**، ط1، دار الفضيلة، الرياض، 1422هـ/2001م.
- ✓ السنوسي يوسف إبراهيم: **زناتة والخلافة الفاطمية**، ط1، شركة سعيد رأفت للطباعة والنشر، مصر، 1986م.
- ✓ سيد أيمن فؤاد: **الدولة الفاطمية بمصر**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 2007م.
- ✓ شراحبيلي محمد بن الحسن: **تطور المذهب المالكي في الغرب الإسلامي حتى نهاية العصر المرابطي**، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، المغرب، 14216هـ/2000م.
- ✓ شواط الحسن بن محمد: **مدرسة الحديث في القيروان**، ط1، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الرياض، 1411هـ، ج1، ج2.
- ✓ الصلابي علي محمد: **الدولة الفاطمية**، ط1، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، 1427هـ/2006م.
- ✓ الصلابي محمد علي: **حقيقة الخلاف بين الصحابة** في معركتي الجمل وصفين وقضية التحكيم، دار ابن الجوزي، القاهرة، 1428هـ/2007م.

- ✓ طقوش محمد سهيل طقوش: **تاريخ الفاطميين في شمالي افريقية ومصر والشام،** ط2، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1428هـ/2007م.
- ✓ ظهير إحسان إلهي: **الإسماعيلية تاريخ وعقائد،** إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، 1405هـ/1985م.
- ✓ ظهير إحسان إلهي: **الشيعة والتشيع،** ط10، إدارة ترجمان السنة، لاهور، باكستان، 1415هـ/1995م.
- ✓ عارف تامر: **المعز لدين الله الفاطمي،** ط1، دار الآفاق العلمية، بيروت، لبنان، 1402هـ/1972م.
- ✓ العبادي أحمد مختار: **دراسات في تاريخ المغرب الأندلس،** مؤسسة شباب الجامعة للنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر.
- ✓ العبادي أحمد مختار: **في التاريخ العباسي والفاطمي،** دار النهضة للطباعة، بيروت، لبنان.
- ✓ عبد الله شبر: **حق اليقين في معرفة أصول الدين،** ط1، مؤسسة الأعلمي للطباعة، بيروت، لبنان، 1418هـ/1997م، ج1.
- ✓ العبدري محمد بن يوسف: **التاج والإكليل لمختصر الخليل،** ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1416هـ/1994م، ج3.
- ✓ عرفان أحمد: **مختصر تاريخ الشيعة،** دار العرفان، سوريا، 1332هـ/1914م.
- ✓ العروي عبد الله: **مجمل تاريخ المغرب،** ج2، ط2، المركز الثقافي العربي، الرباط، المغرب، 2000م.
- ✓ عزب محمد زينهم: **الإمام سحنون،** دار الفرحاني، القاهرة، 1992م.
- ✓ عزيز أحمد عزيز: **تاريخ صقلية الإسلامية،** تعريب وتعليق أمين الطيبي، الدار العربية للكتاب، تونس، 1980م.
- ✓ عطا عبد القادر بن محمد: **الصاعقة في نسف افتراءات الشيعة على أم المؤمنين عائشة،** ط1، دار أضواء السلف، الرياض، 1425هـ/2004م.
- ✓ عمر سليمان: **دراسة المدارس والمذاهب الفقهية،** ط2، دار النفائس، الأردن،

1418هـ/1998م.

- ✓ عنان محمد عبد الله: **الحاكم بأمر الله الفاطمي وأسرار الدعوة الفاطمية**، ط3، مكتبة الخانقجي، القاهرة، 1404هـ/1983م.
- ✓ عنان محمد عبد الله: **دول الإسلام في الأندلس**، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1417هـ/1997م، ج1.
- ✓ عواجي غالب: **فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام**، ط4، المكتبة العصرية الذهبية، جدة، 1422هـ/2001م.
- ✓ الفاسي محمد بن الحسن بن العربي: **الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1416هـ/1995م، ج2.
- ✓ الفرفور محمد عبد اللطيف صالح: **تاريخ الفقه الإسلامي**، ط1، دار ابن كثير، دمشق، 1416هـ/1995م.
- ✓ القفاري ناصر بن عبد الله: **أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية**، ط2، جامعة محمد بن سعود، المدينة المنورة، 1415هـ/1994م.
- ✓ القفاري ناصر بن عبد الله: **الخمس عند الشيعة الإمامية وجذوره العقدية**، ط1، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة، السعودية، 1437هـ/2016م.
- ✓ القصير سيف الدين: **ابن حوشب والحركة الفاطمية في اليمن**، دار الينابيع، دمشق، سوريا، 1993م،
- ✓ الكاش علي: **اغتيال العقل الشيعي**، ط1، إي-كتب، لندن، 2015م.
- ✓ كامل محمد حسين: **طائفة الإسماعيلية**، ط1، مطبعة لجنة التأليف، مصر، 1959م.
- ✓ كامل مصطفى: **الصلة بين التصوف والتشيع**، ط2، دار المعارف، مصر.
- ✓ الكبير خالد علال: **أخطاء المؤرخ ابن خلدون في كتابه المقدمة**، ط1، دار الإمام مالك، البليدة الجزائر، 1426هـ/2005م.
- ✓ كحالة علي رضا: **معجم المؤلفين**، مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1376هـ/1957م، ج12.
- ✓ الكشناوي أبو بكر بن حسن: **أسهل المدارك «شرح إرشاد السالك في مذهب إمام**

الأئمة مالك»، ج1، ط2، **دار** الفكر، بيروت، لبنان.

- ✓ الكليني محمد بن يعقوب: **أصول الكافي**، ط1، منشورات الفجر، بيروت، 1428هـ، 2007م، ج2، باب دعائم الإسلام.
- ✓ ماكولاك علي بن هبة الله بن: **الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب**، ط1، دار الكتب العلمية –بيروت–لبنان، 1411هـ/1990م، ج1.
- ✓ محفوظ محمد: **تراجم المؤلفين التونسيين**، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1994م، ج2.
- ✓ محمد عبد اللطيف صالح: **تاريخ الفقه الإسلامي**، ط1، دار ابن كثير، دمشق، 1416هـ/1995م.
- ✓ محمد كامل حسين: **طائفة الإسماعيلية**، ط1، مطبعة لجنة التأليف، مصر 1959م.
- ✓ محمود إسماعيل: **الخوارج في بلاد المغرب**، ط2، دار الثقافة، المغرب، 1406هـ/1985م.
- ✓ مسعد سامية مصطفى: **العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية**، ط1، عين للدراسات الاجتماعية والإنسانية، الإسكندرية، مصر، 2000م.
- ✓ المشعبي عبد المجيد بن سالم: **منهج ابن تيمية في مسألة التكفير**، مكتبة أضواء السلف، الرياض، السعودية، 1418هـ/1997م، ج1.
- ✓ مطبقاني مازن بن صلاح: **الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي: برنارد لويس نموذج**، ط2، دار الفكر، بيروت، 1439هـ/2018م.
- ✓ الملا علي القاري: **شرح مسند أبي حنيفة**، ت خليل محي الدين الميس، دار الكتاب العلمي، بيروت، 1971م.
- ✓ مؤلف مجهول: **حكم سب الصحابة**، ط1، المطبعة الفنية، القاهرة، 1398هـ/1978م.
- ✓ ناجي جلول: **الرباطات البحرية بإفريقية في العصر الوسيط**، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية الاجتماعية، تونس، 1999م.
- ✓ النعمة إبراهيم: **ما ينبغي أن يعرفه المسلم عن الصحابة**، ط1، دار المأمون للطباعة

والنشر، فلسطين، 1432هـ2011م.

- ✓ النوبختي الحسن بن موسى: **فرق الشيعة**، ط1، منشورات الرضا، بيروت، 1433هـ/2012م.
- ✓ نويهض عادل: **معجم أعلام الجزائر**، ط2، مؤسسة نويهض للطباعة والنشر، لبنان، 1400هـ/1980م.
- ✓ الهنتاتي نجم الدين: **المذهب المالكي بالغرب الإسلامي** إلى منتصف القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي، تبر الزمان، تونس، 2004م.
- ✓ هيصام موسى: **التمكين للمذهب المالكي بالمغربين الأدنى والأوسط بين القرنيين الرابع والسادس الهجري**، ط1، مكتبة كنوز الحكمة، الجزائر، 1434هـ/2014م.
- ✓ الوائلي أحمد: **هوية الشيعة**، ط3، دار الصفوة، بيروت، 1414هـ/1994م.

رابعا: الرسائل الجامعية

- ✓ بن النية رضا: **صنهاجة المغرب الاوسط**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف أ/د بوبة مجاني، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر 2006م/1427هـ.
- ✓ بن زاوي طارق: **استقلال المعز بن باديس الزيري عن الدولة الفاطمية (406-454هـ/1016-1062م)**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف أ/د رافعي نشيدة، جامعة الجزائر، 1429-1430هـ/2008-2009م.
- ✓ سعيداني محمد: **أسرة بني حمدون الأندلسية، ودورها في المغرب والأندلس خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، إشراف أ/د بن معمر محمد، جامعة وهران، 2008/2007م.
- ✓ فواز بن عبد الله الثبيتي: **الرد على الإسماعيلية القرامطة وشرح مذاهبهم في الصد عن شرائع الرسل والدعاء إلى إفساد الممالك والدول والرد على سائر الملحدين**، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه (مخطوطة)، إشراف أ/د سعيد بن محمد معلوي، الجامعة الإسلامية بالمدينة، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة، المملكة العربية السعودية،

1435هـ/2013م.

خامسا: المجلات

- ✓ بشير بويجرة علي الشريف: **جهاد فقهاء المالكية، وأساليب مقاومتهم للدولة الشيعية العبيدية**، مجلة الحوار المتوسطي، مج11، العدد3، جامعة بلعباس، الجزائر، ديسمبر 2020م.
- ✓ بن مدرور عقبة: **تحقيق النسب الفاطمي بين المؤيدين والمنكرين(567-297هـ/1171-909م)**، مجلة مدارات تاريخية، المجلد الأول، العدد الثالث، المركز المعرفي للدراسات والبحوث، سبتمبر 2019م.
- ✓ بوتشيش إبراهيم القادري: **الفاطميون ومشروع غزو الأندلس، صراع خلافتين إسلاميتين في الغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي**، مجلة كان التاريخية، العدد45، سبتمبر 2019م.
- ✓ الجهني مانع بن حماد: **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، ط4، دار الندوة العلمية للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، 1420هـ.
- ✓ حساني مختار: **موسوعة التاريخ وثقافة المدن الإسلامية**، ج3، دار الحكمة، الجزائر.
- ✓ الحفني عبد المنعم: **موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية**، ط1، دار الرشاد، الإسكندرية، 1413هـ/1993..
- ✓ خدوشي رابح وآخرون: **موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين**، ج2، منشورات الحضارة، بئر التوتة، الجزائر، 2014م.
- ✓ حيمي عبد الحفيظ: **أجهزة الأمن الداخلي في الدولة الفاطمية ببلاد المغرب 297-363هـ/911-974م**، مجلة الخلدونية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد التاسع جوان 2016م، جامعة ابن خلدون، تيارت، الجزائر، 2016م.

سادسا: الموسوعات ودوائر المعارف

- ✓ سعداني محمد: **الصراع السياسي بين الدولة الفاطمية في بلاد المغرب والدولة الأموية في الأندلس _أسرة ابن حمدون الأندلسية أنموذجا**، مجلة دراسات اجتماعية وإنسانية، مج9، ع2، جامعة وهران، الجزائر، 16فيفري2020.
- ✓ عشي علي: **ثورة أبو يزيد مخلد بن كيداد النكاري بين الإنصاف والتجريح**، مجلة العلوم الإسلامية، (islami ilimler dergisi)، المجلد العاشر، العدد الأول، جامعة عباس لغرور، خنشلة، الجزائر، ربيع 2015م.
- ✓ علّاء كامل صلّح العيساوي ومحمد حلو خلف الفرطوسي: **الفتاوى التي أصدرها فقهاء المالكية وأثرها على الدولة الفاطمية لغاية سنة (267هـ/297م)**، مجلة حولية المنتدى، العدد13، كلية الآداب، جامعة البصرة، العراق، 2018م.
- ✓ عمارة مختار: **مجالس الحكمة في الدولة الفاطمية وأهدافها المذهبية والسياسية (909-1151م /292-725هـ)**، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية، مجلد12، عدد1، الجزائر، 2001.
- ✓ العوايشية حسين بن عودة: **الموسوعة الفقهية الميسرة في فقه الكتاب والسنة المطهرة**، ط1، المكتبة الإسلامية عمان، الأردن، دار ابن حزم، بيروت، 1423هـ1424م.
- ✓ عيادي حسينة: **ثورة شقنا بن عبد الواحد وادعاء النسب الشريف بالأندلس (150/161هـ)**، مجلة المعيار، مجلد 25، العدد 49، جامعة عباس لغرور، خنشلة، الجزائر، 2021م.
- ✓ القاسمي سلطان بن محمد: **موجز دائرة المعارف الإسلامية**، ط1، مراكز الشارقة للإبداع الفني، مصر، 1414هـ/1998م.
- ✓ نصير محمد: **القطيعة الحمّادية للدولة الفاطمية: دراسة في الخلفيات السياسية والأبعاد المذهبية**، مجلة الدراسات التاريخية، المجلد 13، العدد 2، جامعة الجزائر 3، الجزائر، 2002م.

سابعا: المراجع الأجنبية

- ✓ G. Marçais, Arabes en Berbérie du XI au XIV siècle,Ernest Leroux, Paris.

- ✓ Husnu F al_amdani; **ON THE GENALOGY OF FATIMID CALIPH,** amircane universityof beirut ; cauro, egypt, 1958.
- ✓ Shawish MURAD; **Dâru'l-İslâm'da Birden Fazla Halifenin Bulunmas n Hükmü** Ruling on Multiplicity of Imams in Dar al-Islam, Şirnak University Journal of Divinity Faculty, Volume: 10 Say, Issue: 23 Sayfa, Faculty of Divinity, Şirnak, Turkey, December 2019.
- ✓ W Ivanov ; **rise of fatimts**, Xford university, london, 1942.
- ✓ P. J. BEARMAN, TH. BIANQUIs ; **THE ENCYCLOPAEDIA OF ISLAM;** NEW EDITION, LEIDEN,BRILL,2002.

الفهارس

- شـــكر وعرفان 6
الإهداء 7
المـــــــقدمـــــــــــة 10
الفصل الأول في المذهب المالكي والشيعة 18
المبحث الأول: المذهب المالكي 20
أولا: ماهية المذهب المالكي 20
ثانيا: مناطق ظهور وانتشار المذهب المالكي ببلاد الغرب الإسلامي 26
ثالثا: عوامل انتشار المذهب المالكي بالغرب الإسلامي 36
المبحث الثاني: الشيعة 45
أولا: ماهية الشيعة 45
ثانيا: أصناف الشيعة وأهم فرقها 56
ثالثا: أسس المذهب الإسماعيلي 64
الفصل الثاني الدولة العبيدية بالغرب الإسلامي 75
المبحث الأول: قضية نسب العبيديين وأئمة دور الستر 77
أولا: أمثلة عن المؤرخين المثبتين لنسب الفاطميين 79
ثانيا: أصحاب الرأي المنكر للنسب العبيدي 84
ثالثا: رأي الإسماعيلية 89

رابعا: الرأي الأخير المتوصل إليه 94
المبحث الثاني: مرحلة التمكين للدولة العبدية بالمغرب حتى قيامها 97
أولا: مرحلة الدعوة الإسماعيلية بالمغرب 97
ثانيا: مرحلة التوسع العسكري وتأسيس الدولة:..... 103
ثالثا: هجرة عبيد الله المهدي إلى بلاد المغرب وإعلان قيام الدولة العبيدية 114
المبحث الثالث: السياسة العامة لأئمة الدولة العبيدية..... 123
أولا: عبيد الله المهدي (297-322هـ/910-934م) 126
ثانيا: القائم بأمر الله (322-334هـ/934-945م)..... 137
ثالثا: المنصور بنصر الله أبو طاهر إسماعيل (334-314هـ/946-953م) .. 139
رابعا: المعز لدين الله معد بن إسماعيل (341-362هـ/953-972م)..... 144
الفصل الثالث الصدام الفكري بين الدولة العبيدية وفقهاء المالكية وأسباب التنافر.... 151
المبحث الأول: الاختلافات بين المذهب المالكي والإسماعيلي وأسباب المقاومة السنية للوجود العبيدي..... 154
أولا: في باب العقائد 154
ثانيا: المخالفة في العبادات 167
ثالثا: أبواب أخرى 182
المبحث الثاني: رد فعل فقهاء المالكية على التواجد العبيدي 187
أولا: العلماء الذين تشرقوا وصاروا ضمن فريق العبيديين 188
ثانيا: الفقهاء الذين تساهلوا في الحكم عليهم 193

ثالثا: الفقهاء المعادون للسلطة العبيدية..... 197
المبحث الثالث: الأساليب التي انتهجها الفقهاء في مقاومة المد الشيعي 205
أولا: المقاومة من خلال الإجماع على تكفير بني عبيد وظلالهم..... 205
ثانيا: الصمود والتحدي في مواجهة العبيديين من أجل تثبيت عامة الناس والاقتداء بهم 208
ثالثا: المقاطعة الدينية والسياسية للدولة العبيدية..... 210
رابعا: الاهتمام بالجانب التكويني من خلال الوعظ داخل البيوت وتعليم أبناء الأهالي الموالين لبني عبيد سرا..... 213
خامسا: الجدل والمناظرات الفقهية بين فقهاء المالكية والعبيديين 216
سادسا: حركة التأليف والرد على العبديين 228
الفصل الرابع المقاومة السنية للوجود العبيدي بالغرب الإسلامي حتى القطيعة الزيرية 235
المبحث الأول: نماذج من ثورات أهل السنة بالمغربين الأدنى والأوسط على العبديين 238
أولا: المقاومة السنية بالمغرب الأدنى..... 238
ثانيا: مقاومة قبائل زناتة بالمغرب الأوسط..... 244
ثالثا: المشاركة في ثورة أبي يزيد الخارجي–صاحب الحمار– 255
(332–336هـ/943–947م) 255
المبحث الثاني: الصراع بين الدولة الأموية بالأندلس والعبيديين..... 264
أولا: الصراع الغير المباشر 265

ثانيا: الصدام المباشر 283

ثالثا: الصراع في ظل حكم الدولة العامرية: 295

المبحث الثالث: المغرب الإسلامي في ظل حكم الزيريين حتى القطيعة الشيعية والعودة إلى المذهب السني 301

أولا: الأوضاع العامة لبلاد الغرب في ظل حكم الزيريين وعلاقتهم بالعبيديين..... 302

ثانيا: العودة إلى المذهب السني ومقاطعة المذهب الشيعي..... 310

ثالثا: دور الفقهاء المالكية خلال هذه الفترة 321

الخـــــــــــاتمـــــــــــــــــــــة 329

المـــــــــلاحـــــــــــــــق 336

قائمة المصادر والمراجع 359

الفهارس 381

الملخص 385

الملخص

مر على بلاد الغرب الإسلامي عديد التيارات المذهبية والسياسية في طورها الإسلامي، ومع مطلع القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، عرفت المنطقة ميلاد كيان سياسي ومذهبي جديد عليها، ممثلا في الدولة العبيدية ذات التوجه الإسماعيلي، والتي سيطرت على أجزاء كبيرة من البلاد، ما أدى لحتمية الاحتكاك مع باقي الكيانات الموجودة، خاصة المالكية من أهل السنة، ومنه كانت دراستنا التي تناولت الصراع بين العبيديين والمالكية، حيث عرفنا بالمذهبين المالكي والشيعي وجذورهما التاريخية، بالإضافة لأهم الأصول والأسس التي قاما عليها، دون أن نغفل تاريخ ظهور وانتشار المذهب المالكي بالغرب الإسلامي، ثم تتبعنا جذور الدولة العبيدية في المغرب، من مرحلة الدعوة حتى قيام الدولة والسياسة العامة لحكامها، مع التحقيق في نسبهم.

انتقلنا بعدها إلى أسباب الصراع بين المذهبين، وموقف فقهاء المالكية من الدولة العبيدية، حتى انتهينا إلى الطرق والأساليب التي انتهجها هؤلاء الفقهاء في التعبير عن مواقفهم، كما شملت الدراسة مختلف المقاومات العسكرية، والثورات التي قام بها أو شارك فيها مالكية المغرب ضد العبيديين، أيضا تابعنا مختلف مراحل وأشكال الصراع مع الدولة الأموية بالأندلس، حتى انتهينا إلى مرحلة الحكم الزيري لبلاد المغرب وتغلب المذهب المالكي، وعودته للسيطرة على البلاد، معرجين على المراحل التي مرت بها، ودور الفقهاء المالكية أثناء هذه الفترة، وختمنا البحث بأهم النتائج المتوصل إليها.

Summary:

Many sectarian and political currents passed through the countries of the Islamic West in their Islamic phase, and with the beginning of the fourth century AH, the tenth century AD, the region experienced the birth of a new political and sectarian entity in it, represented by the Ismaili-oriented Ubaidi state, which controlled large parts of the country, which led to the inevitability of friction With the rest of the existing entities, especially the Malikis of the Sunnis, and from it was our study that dealt with the conflict between the Obeidis and the Malikis, where we were introduced to the Maliki and Shiite schools and their historical roots, in addition to the most important principles and foundations on which they

were based, without neglecting the history of the emergence and spread of the Maliki school of thought in the Islamic West, and then we followed The roots of the Ubaidi state in Morocco, from the stage of the call until the establishment of the state and the general policy of its rulers, with an investigation into their lineage.

We then moved on to the causes of the conflict between the two sects, and the position of the Maliki jurists on the Ubaidi state, until we concluded with the methods and methods used by these jurists in expressing their positions. The various stages and forms of conflict with the Umayyad state in Andalusia, until we ended up with the stage of Zirid rule of the Maghreb and the victory of the Maliki school of thought, and its return to control the country.